ديوان السليمانيات

(الجزءُ الحادي عشر)

نحو شعر عربي أصيل وهادف وبناء وجاد ومحترم

خـــانَ التصـــبرُ قلبـــاً كـــادَ يَنفطـــرُ والـــدمعُ - فـــوق جَـــوى - المَأســـاةِ يَنهمـــرُ

والحـــزنُ يَســـرقُ - مـــن نفســـي - تجلّـــدها كـــي يســـتبد بهـــا - فـــي المحنـــة - الخَـــوَر

والكـــربُ يُشْـــهرُ سَـــيفاً لـــيس يرحمُنـــي وكيـــف - مِـــن طعنـــهِ - الفِـــرارُ والـــوَزَر؟

والوَجـــدُ يبـــذرُ - فـــي دَربـــي - دَغاولـــه وكيـــف أصـــنعُ إمّـــا طمّـــتِ الغِـــيَر؟

الطبعة الأولى

1 دموع التصبر

ديوان السليمانيات

(الجزء الحادي عشر)

دموع التصبر

شعر

أحمد علي سليمان عبد الرحيم

الطبعة الأولى

الإهداء

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من بعثه اللهُ رحمةً للعالمين وهادياً لهم وشاهداً عليهم ومبشراً ونذيراً. بلّغ الرسالة وأدّى الأمانة ونصحَ الأمّةَ ، فجزاهُ اللهُ خيرَ ما جزى نبياً من أنبيائه. صلواتُ اللهِ وسلامه عليه وعلى كلِّ رسولٍ أرْسَلَه. أما بعدُ ، قراءنا الكرام أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله العليّ العظيم. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}. {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً}. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ، وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً} أما بعد: فما أحد المِدحة أحب إليه من الله رب العالمين تبارك وتعالى! وأحِب أن أثني على الله بكل ما علمتُ وقرأتُ في الكتب وسمعتُ من العلماء الأجلاء ، وذلك في مستهل ديواني: (دموع التصبّر) عسى الله أن يتقبل هذه الدعوات وتلك الدمعات! وأشكو إلى الله وحده بكائي وانتحابي ودموعي على الإسلام وأهله ، في زمان ما أظن أنه قد مرّ على الإسلام والمسلمين أسوأ منه! فما أبكتني عشيقة تولهتُ بحبها ، ولا أبكتني دراهم افتقدتها ، وإنما أبكتني أحوالُ الإسلام وأهله في ذلك الزمان الذي قلّ خيره وكثرَ بلاؤه وشره! إلهنا أنت البصيرُ بأعدائنا وأعدائك! اللهم غرّهم جميعاً - في الداخل والخارج – حِلمك عليهم وإمهالك لهم ، فاللهم أرهم بأسك الذي لا يُردّ عن القوم المجرمين! يا رب إن أعداءك ، وأعداءنا ، يقولون كما قالت عاد من قبل: مَن أشدّ منا قوة ، يا رب لقد غاب عنهم بغرورهم ، أنك أشد منهم قوة ، فصُب عليهم من عندك سوط عذاب ، إنك لهم بالمرصاد. إلهنا في الداخل طواغيت متسلطون نصّبهمُ الاستعمار ليُجبوا خيراتِ البلاد والعِباد ويُسَلموها لمن نصّبوهم ، وفي الخارج طواغيت متجبرون يقودون العالم بأسره إلى الهاوية: دينهمُ الشهواتُ ، وأملهم إشاعة الفاحشة في الأرض! وقد عجزنا عن مواجهة طواغيت الداخل الذين هم مِن جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا ، كما عجزنا عن طواغيت الخارج الذين تصوّر لهم شياطينهم أننا بهائمُ سائمة لا حاميَ لنا ولا كرامة لنا! فاللهم بعجزنا وهواننا على الخلق أقِل عثرتنا وانصرنا على القوم الكافرين! إلهنا وخالقنا الطفْ بنا فيما جرت به المقادير! لقد عشنا زمان غربة قاسية وبُعد عن الإسلام لم نشهد لها مثيل!

يـــــا إلَـــــهَ العـــــالمينَ حَنِينـــــي دآئـــــمٌ ... والقلـــــبُ شـــــاكٍ ، والفـــــؤادُ عَليـــــلُ

ســـــالَ دَمعِـــــي يـــــا إلَهـــــي ، ولَـــــولا ... غُربَتـــــي مـــــا كـــــان دَمعـــــي يســـــيل

غُربَتـــــي نَجـــــوى ، ونيـــــرانُ شَـــــوقٍ ... وأســـــىً بـــــاكٍ ، وليـــــلٌ طويـــــل

وإذا ضـــــاقت فنجـــــوَى دُعـــــائي ... حســـــبيَ اللهُ ونعـــــم الوكيـــــل

إلهي يا عالماً بالسر والنجوى ، ويا مزللاً الصعاب ، ويا ستاراً للعيوب! لا أدّخر شيئا سوى أني أحبك وأحب شريعتك وأحب نبيك وأحب طاعتك! ولا أظن أعمالي توفقني ولذا أطمع في لطفك:

يـــا عـــالمَ الســـرّ لا يَـــدري بـــهِ أحـــدٌ ومُعطِـــيَ الحمـــد مَـــن بالحمـــد لبّـــاكَ

إيّـــاكَ نعبُـــد فـــي ســـر وفـــي علـــن نحـــنُّ دومـــاً إلـــى أنـــوارِ رؤيـــاكَ

الله الله فـــــي روحٍ تحِـــــنّ وفـــــي قلـــبٍ يـــئنّ بنـــار الشـــوق ناجـــاكَ

إمـــا تؤاخـــذ فمـــا الأعـــذارُ تســـعفني وإن تُحاســـبْ علـــى ذنبـــي فرُحمـــآكَ

اللهم إنا نسألك بدموع الأطفال وبكائهم ، وبخشوع الشباب الموحدين وتضحياتهم ، وببطولة الشابات المؤمنات واستشهادهن ، وبصلاح الأمهات المخلصات ووعيهن ، وبركوع الشيوخ الطاعنين في السن ودعائهم. وبدعوة دعاتنا الصالحين إلى اتباع سبيلك ، وبأمرنا بالمعروف على قلته ، وبنهينا عن المنكر على ضعفه حسب قدرتنا ، اللهم إنا نسألك باستغاثة المستغيثين ، واستجارة المستجيرين ، والتجاء الملتجئين ، وصلاة المصلين الموحدين ، وصيام الصائمين ، وزكاة المزكّين ، وحجّ الحاجين ، وعُمرة المعتمرين ، وتسبيح المسبّحين ، وحمد الحامدين ، وتهليل المُهللين ، وتكبير المكبرين ، ورجاء الراجين ، أن لا تتخلى عنا ، ومنا من يفعل ما يوجب أن تتخلى عنا ، ومنا من يعصيك ولا يتجرأ على المجاهرة بمعصيتك ، ومنا من يُخالف عن أمرك ، يا رب العالمين ، لا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، ولا أقل من ذلك ، وأصلحْ لنا شأننا كله يا كريم. اللهم إنا نستغيث بك وحدك ، كما استغاث بك عبدُك ورسولك محمدٌ صلى الله عليه وسلم ، وكما استغاث بك أصحابه الكرام ، وكما استغاث بك السلفُ الصالح ، وكما استغاث بك التابعون بإحسان! نسألك اللهم بصدق إيماننا بك ، وخالص عبوديتنا لك ، وطيّب توكلنا عليك ، ومحض ثقتنا فيك ، وبذل افتقارنا إليك ، أن تنصرنا على الطواغيت كل الطواغيت في الأرض كل الأرض! فقد سفكوا الدماء وهتكوا الأعراض واستحلوا الحرمات وأمّموا المساجد وخرّبوها تخريباً معنوياً بالحيلولة دون الدعوة فيها ، وحاربوا الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعاثوا في الأرض الفساد! اللهم لا قدرة لنا عليهم ، بل أنت وحدك القادر عليهم والمحيط بهم ، ولا طاقة لنا بهم ، ووحدك الذي تملك أمرهم وتعلم كفرهم وظلمهم وبطشهم ، فاللهم نستغيث بك وحدك إيماناً بقدرتك وثقة بعدلك ، اللهم اكفنا الطواغيت كلهم! اللهم إنا نسألك أن تستجيب دعاءنا عاجلاً غير آجل ، يا رب العالمين. اللهم إنك أنت القائل: (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ) ، أمرتنا بقتالهم فلم نقاتلْ لعجزنا وجُبننا وخوَرنا وضعفنا وتفرّقنا ، اللهم أرنا تعذيبك لهم ، يا رب أرنا إهلاكك لهم ، أرنا قدرتك في تدميرهم ، يا رب العالمين. اللهم إنك أنت القائل: (حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جاءَهُمْ نَصْرُنا) ، اللهم إنا لا نريد أن نصل إلى نقطة اليأس ، ونحن لا نيأس ، فنسألك اللهم بحُسن ظننا بك ، أن تنصرنا على أعدائنا يا جبّار! أهدي ديواني: (دموع التصبر) لأسرتي الكريمة وللمؤمنين الموحدين في كل زمان ومكان! وأعلم أن هذا الشعر سيعيش بعدي شاهداً على عصري!

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير المرسلين أجمعين! ربنا وإلهنا ومليكنا وديّاننا وسيدنا ومولانا ، نسألك ألا تحرق وجوهنا بالنار. اللهم أنت أحق مَن ذكر وأحق مَن عُبد ، وأعظم مَن ابتغي وأرأف مَن ملك ، وأجود مَن سُئل ، وأوسع مَن أعطى. أنت الملك لا شريك لك. والفرد الذي لا ند لك ، كل شيء هالكٌ إلا وجهك. لن تطاع ربنا إلا بإذنك ، ولن تعصى إلا بعلمك ، تطاع فتشكر وتعصى فتغفر ، ربنا أنت أقربُ شهيد ، وأدنى حفيظ ، حُلت دون النفوس ، وأخذت بالنواصي ، كتبت الآثار ونسخت الآجال ، القلوب لك مُفضية ، والسر عندك علانية ، الحلالُ ما أحللت ، والحرامُ ما حرّمت ، والدينُ ما شرعت ، والأمرُ ما قضيت ، الخلقُ خلقك ، والعبدُ عبدك وأنت الرؤوف الرحيم ، ارحمنا رحمة من عندك تغنينا بها عن رحمة مَن سواك ، اللهم لك الحمد كله ، ولك الشكر كله ، وإليك يُرجع الأمر كله ، لا قابض لما بسطت ، ولا باسط لما قبضت ، ولا هاديَ لمن أضللت ، ولا مُضل لمن هديت ، ولا معطي لما منعت ، ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما باعدت ، ولا مباعد لما قربت ، اللهمَّ علِّمنا ما ينفعنا ، وانفعنا بما علَّمتنا ، وزدنا علماً ، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه ، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه ، واجعلنا ممَّن يستمعون القول فيتبعون أحسنه ، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين. اللهم ارزقنا حبَّك وحبَّ من ينفعنا حبُّه عندك ، وحبَّ عمل صالح يُبلِّغنا حبَّك. اللهم ما رزقتنا ممَّا نحبُّ ، فاجعله قوة لنا فيما تحب ، وما زويت عنا مما نحب ، فاجعله فراغاً لنا فيما تحب ، واجعل حبك أحب إلينا من أنفسنا ، وأهلنا ، وأموالنا ، ومن الناس أجمعين. اللهم ارزقنا فعل الخيرات ، وترك المُنكرات ، وحبَّ المساكين ، وإذا أردت بعبادك فتنة فتوفَّنا إليك غير فاتنين ولا مفتونين. اللهم ألزمنا سبيل الاستقامة ، لا نحيد عنها أبداً ، واهدنا لأحسن الأخلاق ، لا يهدي لأحسنها إلا أنت. اللهم ابسط علينا من بركتك ، ورحمتك وفضلك ورزقك ما يكفينا وزيادة منك أنت الكريم ، اللهم إنا نسألك النعيم المقيم الذي لا يحول ولا يزول. اللهم إنا نسألك الأمن يوم الخوف ، اللهم إنا عائذون بك من شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته. اللهم إنا عائذون بك من شر ما أعطيتنا ومن شر ما منعتنا ، اللهم إنا عائذون بك من شر الشيطان وشرَكه ومن شر أنفسنا ، ومن شر عبادك من شياطين الجن والإنس ، اللهم أغثنا وتب علينا ، اللهم اغفر لنا استغفارنا مع إصرارنا ، وإن تركنا الاستغفار مع علمنا بعفوك لعجز ، إلهنا كم تتقرب إلينا بالنعم مع غناك عنا ، ونتبغض إليك بالمعاصي مع فقرنا إليك ، اللهم يا من إذا وعد وفى ، وإذا أوعد عفا ، أدخل عظيم جرمنا في عظيم عفوك ، أنت أرحم الرحمين ، اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا ، ورحمتك أرجى عندنا من سائر أعمالنا ، اللهم اجعل خير أعمارنا أواخرها ، واجعل خير أعمالنا خواتيمها ، واجعل خير أيامنا يوم نلقاك ، اللهم دبّر لنا أمورنا ، اللهم دبّر لنا فإننا لا نحسن التدبير، واختر لنا فإننا لا نحسن الاختيار ، وأدم علينا عافيتك وسترك أنت الغفور القهار! اللهم استرنا فوق الأرض ، وارحمنا تحت الأرض ، ولا تخزنا يوم العرض ، يا من وسعت رحمته كل شيء ، اللهم أدخلنا في رحمتك يا أرحم الراحمين ، يا من كتب على نفسه الرحمة ، إنا من عبادك فارحمنا. ربنا وإلهنا وسيدنا ومولانا نهيتنا فأبينا ، وأمرتنا فعصينا ، لكنا نشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، نشهد بهذه الكلمة خالصة من صميم قلوبنا مع شطرها محمد رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ اللهم إن الخير كله بيديك ، والشر ليس إليك ،

فارزقنا من الخير الذي في يديك ، أنت الكريم ، اللهم أدخلنا الجنة بلا سابقة عذاب ولا مناقشة حساب ، يا حي يا قيوم ، لا إله إلا أنت برحمتك نستغيث ، فاكفنا شرنا كله ، ولا تكِلنا إلى أنفسنا طرفة عين ، اللهم إنا نسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ونسألك الدرجات العلى من الجنة ، اللهم إنا نسألك حبك وحب نبيك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وحب كتابك وحب عبادك الصالحين. إلهنا إليك وحدك المشتكى وعليك وحدك التكلان ومنك وحدك العون والسداد! نشكو إليك وحدك خطايانا وذنوبنا التي أغضبتك علينا ، فحالت بيننا وبين عطاياك! اللهم خفف عنه البلاء ، وارفع عنا الشقاء!

أبـــــوحُ إليـــــكَ ، وأشـــــكو إليـــــكْ حنانيـــــكَ يـــــا ربـــــيَ تبـــــتُ إليـــــكْ

أبـــــوحُ إليـــــك بمـــــا قـــــد مضـــــى وأطـــــرحُ قلبـــــيَ بـــــين يـــــديك

خُطـــــايَ الخطايـــــا ، ودربـــــي الهـــــوى ومـــــا كـــــانَ تخفـــــى دروبـــــي عليـــــك

ترانـــــــي فتُمهلنـــــــي مِنّـــــــةً وتســـــترُ سُـــــودَ الخفايـــــا لـــــديك

إلهنا نعوذ بك من النار ومن كل عمل يقربنا من النار! ولئن أغلق عبيدك أبوابهم دوننا فإن بابك ليس يغلق يا جواد يا كريم! اللهم ثقة بقدرتك علينا ارحمنا من أهوال يوم القيامة!

إذا أحرقـــــت نـــــارُكم أهلهـــــا ونـــــادت أيـــــا ربـــــي هـــــل مـــــن مزيـــــد؟

إذا كـــــلُ نفـــــسٍ أتـــــت معهـــــا إلـــــى ربهـــــا ســـــائقٌ وشـــــهيد

وجئتـــــكَ – بالـــــذنبِ ـ أســـــعى بـــــه مُخِـــــفَ المـــــوازين عبـــــداً عنيـــــد

إلهـــــي إلهـــــي بمـــــن أرتجـــــي ومـــــا غيـــــرُ عفـــــوِكَ عنـــــي أريـــــد

عبيـــــدُك قـــــد أوصـــــدوا بـــــابهم ومـــــا لـــــي ســـــواكَ إلـــــه العبيـــــد

ونحن إذ نقدم لديوان: (دموع التصبر) فنحب أن نقول بأن هذا العنوان مقتبس من عنوان قصيدة فيه تتحدث عن ولدنا (عمر الفاروق) يوم أصيب في ذراعه ، وعانى وعانينا معه حتى شفاه الله وعافاه. والأصل أن الحِلم بالتحلم ، والعلم بالتعلم ، والصبر بالتصبّر! هذا بالإضافة إلى باقة عطرة أقدمها للقراء الأعزاء بعد أن نقحتها وحبرتها واجتهدتُ في إخراجها على ذلك النحو الذي أرجو الله أن يثيبنا عليه! ذلك أنه لا يعلم مدى معاناتي في الكتابة والتحقيق والتنقيح والتدقيق إلا الله عز وجل! جعلنا الله وإياكم أيها القراء الأجلاء من الذين ينتفعون بقراءتهم! فما إن يجدوا فيها من خير إلا عملوا به احتساباً للأجر عند الله! وما إن يجدوا فيها من المعاصر والشرور والآثام إلا اجتنبوها فوراً أيضاً احتساباً للأجر عند الله تعالى. والله الموفق وهو عز وجل يقول الحق وهو يهدي السبيل!

الافتتاحية

الحمد لله الواحد الأحد ، الفرد الصمد ، الذي عمّت حكمته الوجود ، والذي شملتْ رحمته كل الوجود ، نحمده الله سبحانه وتعالى ونشكره بكل لسان محمود ، ونشهد أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك له ، الحمد له ، والشكر له ، والملك له ، وهو الغفور الودود ، وعد سبحانه وتعالى من أطاعه بالعزة ، كما توعّد من عصاه بالنار ، تباركت وتعاليت يا رب العالمين ، في حبّك عُذِّبَ بلال بن رباح. وفي سبيلك هانَت الجراح لدى أبي عبيدة بن الجراح. ومن أجلك عَرَّضَ مصعب صدره للنبال والسيوف والرماح. ولإعلاء كلمتك قُطعَت يدا جعفر ، وتَجَندَلَ على التراب وتعفّر. ومُزِّقَ عكرمة في حرب بني الأصفر. أحبَّك حنظلة فترك راضياً عرسه ، وأهدى قرباك رأسه ، وقدَّم لجنتك نفسه. وأحبَّك سعد بن معاذ فاستعذب فيك البلاء ، وجَرَت منه الدماء ، وشيَّعته الملائكة المقربون الكُرَماء ، واهتزّ له العرش من فوق السماء. وأحبك حمزة سيّد الشهداء فصالَ في الهَيجاء ، ونازَلَ الأعداء ، ثم سلَّمَ رُوحَهُ ثمناً للجنة في رضاً وصفاء. من أجلك سهرتْ عيون المتهجّدين ، وتعبتْ أقدام العابدين ، وانحَنَت ظهور الراكعين ، وحُلِّقت رؤوس الحجّاج والمعتمرين ، وجاعت بُطون الصائمين ، وطارت نفوس المجاهدين. ونشهد أن نبينا محمداً بن عبد الله هو عبده ورسوله ، صاحب المقام المحمود ، والحوض المورود ، وصل الله عليه وسلم تسليماً كثيراً ، الحمد لله الذي وهب لنا العلم نوراً نهتدي به. أما بعد ، فأتقدّم بهذا الديوان إلى قرائي الأعزاء النجباء ، وإلى كل من نجتمع معهم برباط الشعر العربي المحترم الأصيل دارسين ومستمعين وقارئين وناقدين ومدرسين ، فهذا الشعر يختص بواقع مُعاش وتجربة كذلك معاشة! وإنما كان نصيب الخيال منه فقط في الصور والمحسنات البديعية! والذي نأمل من الله أن ينال إعجابكم. أضع بين أيديكم ديواني: (دموع التصبر) وأرجو من الله العلي القدير أن يكون على المستوى المطلوب من الجودة وتحقيق المُتعة بالشعر والإفادة منه! وإن يكن ذلك كذلك فمن الله وحده فله الحمد والشكر! وإن يكن ذلك غير ذلك فمن نفسي وهواي ودنياي والشيطان! عن سلمان الْفَارِسِيَّ رضي الله عنه أنه أَتَى إِلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ؛ فَبَكَى عِنْدَ رَأْسِهِ ثُمَّ قَالَ: يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللهِ أَوْصِنِي. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى فَاتِحٌ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، فَلا تَأْخُذَنَّ مِنْهَا إِلا بَلاغاً ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ صَلَّى صَلاةَ الصُّبْحِ ؛ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ ؛ فَلا تَخْفِرَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذِمَّتِهِ فَيَكُبَّكَ اللهُ عَلَى وَجْهِكَ فِي النَّارِ. عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ: كَانَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ الله عنه إذا عَزَّى رَجُلا ؛ قَالَ: (لَيْسَ مَعَ الْعَزَاءِ مُصِيبَةٌ ، وَلا مَعَ الْجَزَعِ فَائِدَةٌ ، الموت أهون ممّا بعده وأشدّ مما قبله ، اذْكُرُوا فَقْدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَصْغُرُ مُصِيبَتُكُمْ ، وَأَعْظَمَ اللهُ أُجُورَكُمْ. إذا سِرت فلا تضيق على نفسك ، ولا على أصحابك في مسيرك ، ولا تغضب على قومك ولا على أصحابك. وإذا نصرتم على عدوكم فلا تقتلوا ولداً ولا شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً ، ولا تعقروا بهيمة إلا للمأكول! ولا تغدروا إذا عاهدتم ، ولا تنقضوا إذا صالحتم ، وستمرون على قوم في الصوامع رهباناً ، فدعوهم ولا تهدموا صوامعهم).هـ. ليس أحدٌ المِدحة أحب إليه من الله! وحقٌ تبارك وتعالى أن يُحمد ويُمدح! ولو تحوّلت أشجار الأرض أقلام وبحارها وأنهارها ومحيطاتها مِداداً ليكتب الناس مدائحهم في رب البرية ، وكتبوا ما عندهم من مدائحَ ما وفوه حقه تبارك وتعالى من المدح!

مَهْمَـــا كَتَبْنـــا ـ فـــي عُـــلاكَ ـ قَصَـــائِداً بِالـــــدُّمْع خُطَـــــت ، أو دَم الأجفـــــانِ

فَلأنـــــتَ أعظَـــــمُ مِـــــنْ مَـــــديحي كُلـــــهِ وَأجَـــــلُّ ممَّـــــا دَارَ فـــــي الحُســـــبَانِ

إلهنا وخالقنا مازلت تتخذ شهداء من المؤمنين الذين ضحّوا بأموالهم وأنفسهم وأهليهم وديارهم موقنين أن رضاك أغلى من هذه الأشياء كلها! تلك التي جادوا بها ولسان حالهم يقول:-

أرواحُنـــــا يـــــا ربَّ فـــــوق أكُفنـــــا نَرجُـــــو ثَوابـــــكَ مَغنمـــــاً وَجِـــــوَارا

لَـــــمْ نَخـــــشَ طاغوتـــــاً يُحاربنـــــا ، ولَـــــو نَصَـــــبَ المَنايـــــا حَولَنَـــــا أســـــوارا

كنـــــا نَـــــرَى الأصـــــنَام مِـــــنْ ذَهَـــــب فنهـــــ ـــــدمها ، ونهـــــدم فوقهـــــا الكفـــــارا

مـــــا أنـــــت بالســـــبب الضـــــعيف وإنمـــــا أنـــــت القـــــويُّ الواحـــــدُ القَهَّـــــارُ

مـــــا خَـــــابَ مـــــن يرجُـــــوك عِنـــــدَ مُلِمَّـــــةٍ صَـــــمَدَت إليـــــك البَـــــدوْ والحُضـــــار

يا رب أنت الأنيس في الوحشة ، وأنت الخليفة في المال والأهل والولد ، وأنت الصاحب في السفر والحل والترحال! أنت مؤنس المؤمنين وفارج هم المهمومين ونصير المظلومين!

يـــــا مؤنِســـــي فـــــي وحـــــدَتي ، يـــــا مُنقـــــذِي فـــــي شِـــــدتي ، يـــــا سَـــــامعاً لنِـــــدائي

فـــــإذا دَجَـــــى لَيلِـــــي وطـــــال ظلامُـــــهُ نادَيـــــتُ يـــــا ربـــــي ، فكُنـــــتَ ضِـــــيائِي

ابن آدم تذكر أهوال يوم الحساب ، تذكر النار وعذابها وجحيمها ، والجنة ونعيمها ، واعمل واستقم! فإن فعلت كنت من الفائزين! وإن تقاعست كنت من الخاسرين!

تَـذكّـــرْ إذا يَـــومُ الـقِيَـامَـــةِ قَـــدْ أتَـــى وقَـــدْ نَـــسَفَ اللهُ الجِـــبالَ بـــهِ نَسْـــفَا

وفيـــــهِ أتَـــــى سُبْـحَانَـــــهُ وبِـحَمْـــــدِهِ وأملاكُـــــهُ صُفّـــــوا علـــــى أرْضِـــــهِ صَفّـــــا

لَـنَـــــا ولَـكُـــــلِّ الـعَـالَـمِـيـــــنَ بِـرَبِّـنَـــــا مِـــــنَ الفَخْـــــرِ مَـــــا لاَ نَسْـــتَطِيعُ لَـــهُ وَصْـــفَا!

ونحن نفتتح ديوان: (دموع التصبّر) فإننا نأمل أن يأخذ مكانه بين دواوين العرب في العصر الحديث ، ليكون شاهداً على العصر بما حواه من تغريب وتخريب وبلاء ، وخروج سافر على شريعة رب الأرض والسماء! إن هذا الديوان وإن كان الدمع عنوانه والحزن غلافه ، إلا أن أغلب قصائده ترسم صورة عميقة للتفاؤل وللاستبشار! وإن كان العنوان يبعث على الشجن ، إلا أنه الشجن الذي يحمل في طياته البشرى!

صورة الغلاف

الحمد لله رب الأرض ورب السماء ، خلق آدم وعلمه الأسماء. وأسجد له ملائكته ، وأسكنه الجنة دار البقاء. وحذره من الشيطان ألد الأعداء ، ثم أنفذ فيه ما سبق به القضاء ، فأهبطه إلى دار الابتلاء. وجعل الدنيا لذريته دار عمل لا دار جزاء ، وتجلت رحمته بهم فتوالت الرسل والأنبياء. وما منهم أحد إلا جاء معه بفرقان وضياء ، ثم ختمت الرسالات بالشريعة الغراء. ونزل القرآن لما في الصدور شفاء ، فأضاءت به قلوب العارفين والأتقياء. وترطبت بآياته ألسنة الذاكرين والأولياء ، ونهل من فيض نوره العلماء والحكماء. نحمده تبارك وتعالى على النعماء والسراء ، ونستعينه على البأساء والضراء. ونعوذ بنور وجهه الكريم من جَهد البلاء ، ودرك الشقاء ، وعُضال الداء ، وشماتة الأعداء. ونسأله سبحانه وتعالى عيش السعداء ، وموت الشهداء والفوز في القضاء ، وأن يسلك بنا طريق الأولياء الأصفياء. ألا إن أقلام العلماء لتكتب فيه الثناء ، صباح مساء. والرِّماح في ساحة الجهاد ، والسيوف الحِداد ، ترفع اسمه على رؤوس الأشهاد ، جلَّ عن الأكفاء والأنداد. وللمساجدِ دَوي بذكِره ، وللطيور تغريدٌ بشُكره ، وللملائكة نزولٌ بأمره ، حارَت الأفكارُ في عَلوّ قدره ، وتَمام قهره. تباركت يا رب العالمين ، من أجلك هاجر أبو بكر الصديق وترك عِياله ، ولمَرضاتك أنفق أمواله وأعماله. وفي محبتك قُتِل الفاروق ومُزّق ، وفي سبيلك دمه تدفق ، ومن خشيتك دمعه ترقرق. ودفع عثمان أمواله لترضى ، فما ترك مالاً ولا أرضاً بل جعل ذلك كله عندك قَرضا. وقدم علي رأسه لمرضاتك في المسجد وهو يتهجد ، وفي بيتك يتعبّد فما تردّد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده ليس له أنداد ولا أشباه ولا شركاء. خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء. خلق الخلق فمنهم السعداء ومنهم الأشقياء. محيط بخلقه فليس لهارب منه نجاء. قادر مقتدر فكل الممكنات في قدرته سواء. سميع بصير يرى النملة السوداء في الليلة الظلماء. ويسمع دبيبها على الصخرة الصماء. أجرى الأمور بحكمته وقسّم الأرزاق وفق مشيئته بغير عناء. لا يشغله شأنٌ عن شأن ، فكل شيء خُلق بقدَر ، وكل أمر جرى بقضاء. وأشهد أن سيدنا محمدًا خاتم الرسل والأنبياء. وإمام المجاهدين والأتقياء. والشهيد يوم القيامة على الشهداء. المعصوم صلى الله عليه وسلم فما أخطأ قطُّ وما أساء. دعا أصحابه إلى الهدى فلبَّوُا النداء. فإذا هديه رحمة لهم ونور ، وإذا سلوكه إشراق وضياء. هو القدوة النيرة في الصبر على البلاء ، والعمل لدار البقاء. وهو الأسوة المشرقة في الزهد في دار الفَناء. فكم مرت شهور ولا طعام له ولأهل بيته إلا التمر والماء. اشتهر من قبل البعثة بالصدق ، فلم يعرف عنه كذب ولا نفاق ولا رياء. لم يؤثر عنه غدر ، بل إخلاص وأمانة ووفاء. صلى الله عليه قديمًا ، وكذا الملائكة في السماء. وصلى هو في المسجد الأقصى بالرسل والأنبياء. سبح الحصى في كفه بخير الأسماء. وحين ظمئ أصحابه نبع من بين أصابعه الماء. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى آله وصحابته الأجلاء. وعلى السائرين على دربه والداعين بدعوته إلى يوم اللقاء. ما تعاقب الصبح والمساء ، وما دام في الكون ظلمة وضياء. قال معاوية بن أبي سفيان – رضي الله عنه -: (المروآت أربع: العفاف ، وإصلاح الحال ، وحفظ الخلان ، وإعانة الجيران. والغريب من لا أدب له. ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت أبداً ، كنت إذا مدوها أرخيتها ، وإذا أرخوْها مددتها. لا أضع سيفي حيث يكفيني صوتي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولا أضع سيفي حيث

يكفيني سوطي).هـ. نعم لنا نحن المؤمنين الفخر كل الفخر في ذلك اليوم المشهود ، نفخر بجائزتنا الجنة ومزيدها رؤية ربنا تبارك وتعالى كابدر ليلة التمام!

لنَـــا الفَخْـــرُ كـــلُّ الفَخْـــرِ بـــاللهِ وَحـــدَهُ وَمَـــنْ لَـــمْ تَـــزَلْ أنْعَامُـــه تَتَوالَـــى

لنـــا الحَـــظّ كـــلُّ الحَـــظّ أنَّ إلَـهَنَـــا هُـــوَ اللهُ رَبُّ العَالَمِـــينَ تَعَـــالَى

نعم لنا الفخر كله والمجد كله أننا عبيد لرب العالمين سبحانه وتعالى! وحده نصيرنا وخالقنا ورازقنا ومعيننا على أمر ديننا ودنيانا! ونحن نسلك سبيله ونعتصم بحبله ووحده يوفقنا!

يـــا مالـــكَ المُلـــك ، أنـــت المُســـتجار بـــهِ مـــن ذا لـــهُ لائـــذ بالبـــاب نـــادَاك

مســـبحٌ بـــك مملـــوءٌ بحُبّـــك ، مشـــ ـــغُوفٌ بقُربِـــك ، مشـــغُولٌ بنجـــوَاكَ

راضٍ بمـــا أنـــت ترضَـــاهُ ومتخـــذ إليـــكَ منـــكَ طريقـــاً مِـــن عطَايـــاك

إلهنا وخالقنا جئناك مقرين بذنوبنا ومعاصينا ، معترفين لك بقدرتك علينا يا حي يا قيوم! اللهم فاغفر وارحم وأنت أرحم الراحمين! وعزتك وجلالك نوقن أنك لو أحرقتنا بالنار عدد رمال الأرض وعدد حبات المطر وعدد أوراق الأشجار لما كان كثيراً علينا بل هو قليل ولكن جُدْ برحمتك!

أنـــا العبـــدُ المُقـــرّ بكـــل ذنـــبٍ وأنـــت الســـيّدُ المَـــولَى الغفـــورُ

فـــإن عـــذبتَنِي فبســـوء فِعلِـــى وإن تغفـــر فأنـــت بـــهِ جـــديرُ

أفـــرُّ إليـــك منـــك ، وأيـــن إلاّ إليـــك يفـــرّ منـــك المُســـتجير؟

إلهنا وخالقنا ورازقنا ، لا نملك إلا دموع عيوننا وحسرات قلوبنا وزفرات أنفاسنا! وأنت أعلم بنا من أنفسنا! وإن تغفر تغفر جما! وإن ترحم ترحم جما.

ربـــاه إن دمـــوع العـــين جاريـــةً والقلـــبُ تحرقَـــه فـــى أضـــلعي النـــارُ

إن ضـــلّ قلبـــي فقلبـــي أنـــت تعرفـــه أو كـــان ذنبـــي كبيـــراً أنـــت غفّـــارُ

ونحن إذ نعرّف بصورة الغلاف فنقول بأن الغلاف الموحد للسليمانيات هو المقترح السليم الذي ينتظم الدواوين كلها كحبات العقد! نعم توحد الصورة يجعل من (السليمانيات) وحدة شعرية متكاملة لا يمكن تجزئتها أو ضياعها أو فقدان شئ منها! ولا أقول بأنني ابتكرتها من تلقاء نفسي أو علمتها من بنيات أفكاري إنما كان ذلك على غِرار الأوائل مثل المتنبي وأبي تمام والبحتري وصولاً إلى البارودي وشوقي وحافظ! وأسأل الله أن ينفع بهذا الديوان وبإخوته من أفراد ديوان (السليمانيات)!

هذا الديوان

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، سبحانه لا إله إلا هو ، نحمده ونشكره ، ونشهد أنه لا إله إلا هو سبحانه وتعالى. ونشهد أن سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله ، الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب. أظهر الحق بالحق وأخزى الأحزاب. وأتمَّ نوره ، وجعل كيد الكافرين في تباب. أرسل الرياح بشرًى بين يدي رحمته وأجرى بفضله السحاب. وأنزل من السماء ماء ، فمنه شجر ، ومنه شراب. جعل الليل والنهار خِلفة فتذكر أولو الألباب. نحمَده تبارك وتعالى على المسببات والأسباب. ونعوذ بنور وجهه الكريم من المؤاخذة والعتاب. ونسأله السلامة من العذاب وسوء الحساب. وأشهد أن لا إله إلا الله العزيز الوهاب. الملك فوق كل الملوك ورب الأرباب. الحكم العدل يوم يُكشف عن ساق وتوضع الأنساب. غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب. خلق الناس من آدم وخلق آدم من تراب. خلق الموت والحياة ليبلونا وإليه المآب. فمن عمل صالحًا فلنفسه ، والله عنده حسن الثواب. ومن أساء فعليها ، وما متاع الدنيا إلا سراب. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله المستغفِر التواب. المعصوم صلى الله عليه وسلم في الشيبة والشباب. خُلُقه الكتاب ، ورأيه الصواب ، وقوله فصل الخطاب. قدوة الأمم ، وقمة الهِمَم ، ودرة المقربين والأحباب. عُرضت عليه الدنيا بكنوزها ، فكان بلاغه منها كزاد الركاب. ركب البعير ، ونام على الحصير ، وخصف نعله ورتق الثياب. أضاء الدنيا بسنته ، وأنقذ الأمة بشفاعته ، وملأ للمؤمنين براحته من حوضه الأكواب. اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعلى الآل والأصحاب. ما هبت الرياح بالبشرى وجرى بالخير السحاب. وكلما نبت من الأرض زرع ، أو أينع ثمر وطاب. * ونشهد أن لا إله إلا الذي كلُّ شيء قائم به ، وخاشع له ، وغنى كل فقير ، وعز كل ذليل ، وقوة كل ضعيف ، ومفزع كل ملهوف. من تكلم سمع نطقه ، ومن سكت علم سره ، ومن عاش تكفَّل رزقه ، ومن مات فإليه منقلبه. يا رب من لم يتعزَّ بطاعتك لم يزل ذليلاً ، ومن لم يستشفِ بكتابك بات وأصبح عليلاً ، ومن لم يستغن بالافتقار إليك فهو الدهر فقيراً ، ومن لم يتحقَّق بالعبودية لك كان في العبودية لمن دونك أسيراً ، ومن لم يتترَّس بترس التوكُّل عليك أصابه كل رام ، ومن لم يحتمِ بِحماك لم يحمه منك حامٍ. يا رب كفانا فخراً أن تكون لنا ربّاً ، وكفانا عِزّاً أن نكون لك عبيداً ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا ذا الكمال والإنعام ، يا ذا العفو والغفران ، يا من لا يخفى عليه إغماض الجفون ، ولا لحظ العيون ولا ما استقر في المكنون ، كيف نستدلُّ عليك؟ ونحن في وجودنا مفتقرون إليك. يا رب كيف نفتقرُ في غِناك ، كيف نضلُّ في هداك ، وكيف نذلُّ في عِزَّكَ ، وكيف نُضام في سلطانك ، وكيف نخشى غيرك والأمر كله لك؟ اللهم إنَّا نسألك صحة في إيمان ، وإيماناً في حُسن الخلق ، ونجاحاً يتبعه فلاح ، ورحمة منك وعافية ، ومغفرة منك ورضواناً. اللهم عافنا في قدرتك ، وأدخلنا في رحمتك ، واقض أجلنا في طاعتك. اللهم انصرنا نصراً عزيزاً مؤزَّراً ، وارزقنا فتحاً مُبيناً قريباً ، وارزقنا يقيناً بأنه لا فعَّال ولا ناصر في الأرض إلا أنت. اللهم انصرنا على أنفسنا ، حتى ننتصر لك فنستحق أن تنصرنا على أعدائنا ، لأنك قلت وقولك الحق: (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ). اللهم اغفر لنا ذنوبنا ، وإسرافنا في أمرنا ، وأفرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا ، وانصرنا على القوم الكافرين. اللهم أعِنَّا على هول الدنيا ، وبوائق الداهر ، ومصائب الليالي والأيام ، اللهم اصحَبْنا في سفرنا ، واخلفنا في أهلنا ، وبارك لنا فيما رزقتنا ، ولك فذلِّلنا ، وعلى صالح الخلق فقوِّنا ، وإليك

ربنا فحبِّبنا ، وإلى الناس فلا تكلنا ، أنت رب المستضعفين وأنت ربنا ، نعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له السماوات والأرض ، وكُشِفت به الظلمات ، وصلح عليه أمر الأولين والآخرين ، أن تُحِلَّ علينا غضبك ، وتنزل بنا سَخَطك ، ونعوذ بك من زوال نعمتك ، وفجأة نقمتك ، وتحوُّل عافيتك ، وجميع سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك. اللهم نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة. إلهنا ومليكنا ، عبيدك سوانا كثير ، وليس لنا ربٌ سواك! اللهم فتولنا بمدد من عندك ، واكلأنا برعايتك وفضلك! الأمر أمرك!

الله كـــــان ولا شـــــيءٌ سِـــــواه بِـــــلا ... بـــــدءٍ ولا مُنتهـــــىً ، ربٌّ عبـــــدناهُ

إن ضـــــاق أمـــــرٌ دعونـــــاه ، وإن نزَلـــــتْ ... بنـــــا الشـــــدائد عـــــن قَـــــربٍ ســـــألناهُ

يـــــا ســـــالكين إليـــــه الـــــدربَ لا تقِفـــــوا ... طـــــابَ الوصـــــولُ لمحـــــروم تمنّـــــاهُ

يـــــا ربّ يـــــا خيـــــر مـــــأمولٍ وأكـــــرمُ مســـــ ... ـــــئول وأعظـــــم مقصـــــودٍ قصـــــدناهُ

رُحمـــــاك رُحمـــــاك لا تحـــــرم عبـــــادك مـــــن ... رضـــــاك ، وامـــــنحهُمُ مـــــا أنـــــت ترضـــــاهُ

يـــــا ربّ هيّـــــئ لنـــــا مـــــن أمرنـــــا رَشَـــــداً ... يهـــدي إلـــى الحـــق مَـــن ضـــلّوا ومَـــن تـــاهوا

إلهنا ومليكنا إن كانت رحمتك لا تمنحها إلا للطائعين ، فبمن يلوذ المجرمون المفرطون الظالمون؟ طرقنا بابك متوسلين بك ، نرجو رحمتك ، ونخشى عذابك!

مُجيـــــبَ الســـــائلين حَمَلـــــتُ ذنبـــــي ... وسِـــــرتُ علـــــى الطريـــــق إلـــــى حِمـــــاكَ

ورُحـــــــتُ أدقّ بابـــــــكَ مســـــــتجيراً ... ومُعتـــــــذراً ، ومُنتظـــــــراً رضـــــــاك

دعوتُـــــك يـــــا مفـــــرّج كـــــل كـــــربٍ ... ولســـــتَ تـــــردّ مكروبـــــاً دعَـــــاكَ

وتُبـــــتُ إليـــــك توبـــــةً مـــــن تـــــراهُ ... غريقـــــاً فـــــي الـــــدموع ولا يـــــراكَ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين نقولها ثقة بالله وفيه! ونسأل الله أن يثيبنا على هذه الأشعار في الدنيا والآخرة! كما نسأله أن يوصلها إلى قلوب المؤمنين وأن يمتعهم بها كبديل إسلامي طيب! والله نسأل أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إلى هذه الأشعار وتستروح أرجها الجميل! وأن تدرك جميعُ العقول والقلوب والأرواح والضمائر الرسالة الحقيقية التي هدفت من خلال الشعر توصيلها! إن هذا الديوان يعتبر جزءا من كل! حيث إنه أحد أجزاء ديوان (السليمانيات) ذي الثلاث والعشرين جزءاً هي جُل عمري وحوى الكثير من أحداث حياتي أبذله للقراء الأعزاء احتسابا للأجر عند الله!

رمضان شهر الخير

(إن الشعراء مهما كتبوا عن شهر رمضان ، فما أدوْا حقه عليهم من المدح والإطراء والثناء. وما ذاك إلا لعظم مكانة هذا الشهر العظيم في نفوس المؤمنين. إن شهر رمضان له مكانة عظيمة في نفوس المسلمين! فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من صام يومًا في سبيل الله ، بعد الله وجهه عن النار سبعين خريفًا». (رواه البخاري ومسلم). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُمرة في رمضان تعدل حجة». (رواه البخاري). وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل ، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن ، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة". (رواه البخاري ومسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام ، فإنه لي وأنا أجزي به ، والصيام جُنة ، فإذا كان يوم صوم أحدكم ، فلا يرفث يومئذ ولا يصخب ، فإن سابه أحد أو قاتله ، فليقل: إني امرؤ صائم ، والذي نفس محمد بيده ، لخلوف فم الصائم أطيب عند الله ، يوم القيامة ، من ريح المسك». (رواه البخاري ومسلم). عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة وغلقت أبواب النار وصفدت الشياطين». (رواه مسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان أول ليلة من شهر رمضان صفدت الشياطين ، ومردة الجن ، وغلقت أبواب النار ، فلم يفتح منها باب ، وفتحت أبواب الجنة ، فلم يغلق منها باب ، وينادي مناد: يا باغي الخير أقبل ، ويا باغي الشر أقصر ، ولله عُتقاء من النار ، وذلك كل ليلة». (رواه الترمذي وصححه الألباني). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه تفتح فيه أبواب السماء وتغلق فيه أبواب الجحيم وتغل فيه مردة الشياطين لله فيه ليلة خير من ألف شهر من حرم خيرها فقد حرم». (رواه النسائي وصححه الألباني). وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لا يدخل معهم أحد غيرهم ، يقال: أين الصائمون؟ فيدخلون منه ، فإذا دخل آخرهم ، أغلق فلم يدخل منه أحد». (رواه البخاري ومسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». (رواه البخاري ومسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من قام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه». (رواه البخاري ومسلم). أمسكتُ قلمي ورحتُ أحاول إهداء هدية للشهر الكريم ملؤها المحبة والاحترام والتكريم ، وحرصتُ على أن تصَب هذه المرة في قالب الشعر الإنشادي أو النشيد الإسلامي فاخترت بحر الرمل فقلت مادحاً رمضان:)

رمضـــــانُ الخيـــــر هـــــلاّ يُشـــــبه البـــــدرَ المُطـــــلاّ

فـــــإذا الـــــدنيا ضـــــياءٌ عنـــــدما النـــــور تجلـــــى

كـــلـــنـــــا يـــا شـــهر شـــوقٌ منـــــذ عـــــام قـــــد تـــــولى

نوسِـــــــع الأيـــــــام عـــــــداً كالـــــــــذي ينشـــــــدُ خِـــــــلا

نقـــــــرأ القـــــــرآن دومـــــــاً مـــــذ أتـــــى الشـــــهرُ ، وهـــــلا

فعســـــــي نُرضِـــــــي بهـــــذا ربنـــــــا عـــــــز وجـــــــلا

مُتعـــــــة الشـــــــهر صـــــــيامٌ هـــــو مِـــــن دنيـــــايَ أغلـــــى

والتـــــــــــراويحُ تهنـــــــــي مســـــــلماً صـــــــام وصـــــــلى

والســـــــحورُ اختـــــال فخـــــراً بالـــــــــذي أيقـــــــظ أهـــــــلا

وقيـــــــامُ الليـــــــل يُشـــــــجي مَـــــن - عـــــن الـــــدنيا - تخلـــــى

وصـــــــلاة العيـــــــد تُعلِـــــــي كـــــل مَـــــن جـــــاء المصـــــلى

واعتكـــــــــافُ العشـــــــــر زادٌ مِـــــن جميـــــع العـــــام أحلـــــى

رمضـــــان الخيـــــر ضـــــيفٌ حـــــلَّ شـــــهراً ، ثـــــم ولـــــى

خـــــاب عبـــــدٌ جـــــدَّ فيـــــهِ ثـــــم - بعـــــد الشـــــهر - ضـــــلا

نحـــــن يـــــا شـــــهر اســـــتجبنا رب زدنـــــا منـــــه حَـــــولا

وعـــــــن الأوزار تبنـــــــا نحـــــــن - بالتوبـــــــة - أولـــــى

كـــــم عصـــــينا الله جهـــــراً وكأنـــــــــا نتســـــــــلى!

ثـــــم إنـــــا قـــــد نـــــدمنا إذ غـــــدا العِصـــــيان تـــــلا

ربنـــــا قلـــــتَ: اســـــألوني فاســـــتجب قـــــولاً وسُـــــؤلا

ربنـــــا ، واقبـــــلْ دعانـــــا مَـــــن لنـــــا غيـــــرُك مـــــولى؟

العقد الذي انفرط

(هكذا عنون لقصته الأستاذ / علي مدني الخطيب في عدد مجلة (الشقائق – 72) . والتي يتحدث فيها عن امرأة تزوجت من رجل كان يبر أمه التي مكثت في العناية المركزة بالمستشفى ، وكان يصل خالته التي هي بمنزلة أمه ، ويبر أبناء أخيه الذين مات أبوهم شهيداً. فإذا بالزوجة تستنكر عليه ذلك ، وماهي إلا أن اتصلت بأخيها الأكبر الذي ساهم في حل مشكلتها على طريقة الأنانيين الجبناء إذ حمّل معها حقائبها ، وأخذها من بيت زوجها ، وأولادها معها. فبدلاً من أن يتدخل لحل المشكلة والتحقيق فيها وتعريف كل طرف فيها (الزوج وزوجته) ما له وما عليه (شأن كِرام الرجال وحكمائهم) ، أو دعوة آخرين قادرين على ذلك إن كان هو لا يستطيعه ، عمد إلى طريقة العاجزين الأنانيين المخبّبين الذين قد يُصَعّد النذل منهم المسألة بكشف طبي ومذكرة توقيف ودعوة مدنية في المحكمة تنتهي غالباً بالطلاق ، وحديث نبينا – صلى الله عليه وسلم – عن مبدأ التخبيب والمخببين واضح جداً: (من خبب امرأة على زوجها فليس منا). وإذن فأخوها أخذها وأولادها إلى داره. وأما زوجها فانهمرتْ دموعه على هذا الحال. وطال بالزوجة الفراقُ ومعها الأولاد هناك في بيت أخيها الخذول. ثم رأت رؤيا أن معها عقداً جميلاً ثم انفرطتْ حباته فراحت تجمعها. فاستيقظتْ على رجوع أبنائها من زيارة أبيهم محمّلين بالهدايا والنقود ، وأخذوا يحكون لها عن أبيهم ومدى فرحته بهم. وإذا بسؤال تطرحه ابنتها بكل براءة: متى تعودين للبيت يا أمي؟ فلما طالعتُ القصة انفعلتُ لها ، ورحتُ أستهجن هذا السلوك المزري المنحط المفسد لذات البين بين الزوجين ، هذا السلوك الذي ما أريد به وجه الله – عز وجل – قط. والأصل أن الصهر يتدخل عند الخلاف لإزالة المشاكل وتزليل الصعاب ، لا ليضخم المشاكل وليصعد المعضلات. والخلاف سُنة ماضية وباقية .ولو كان هناك بيت يخلو من الخلاف لخلا بيت النبي محمد – صلى الله عليه وسلم –. ومن هنا يتفاضل الأصهار ، فصهر كالماء والهواء لا غنى عنهما في هذه الحياة أبداً ، وهذا جدير بالمحبة والاحترام ، والسر في ذلك أنه كالعافية للجسد لا يتصور أن يعيش بدونها ، ذلك أنه بشخصيته المثالية الكريمة يتميز بخصائص منها أنه إن وجد خيراً أشاعه وأذاعه في الناس افتخاراً بزوج ابنته أو أخته ، وإن وجد شراً حذر ونصح ووعظ وستر ، ويتنازل عن الحقوق الفردية الشخصية من أجل الحق العام ، ويفوّت المصلحة الذاتية من أجل المصلحة العامة ، ويضع نصب عينيه مصلحة ابنته وأبنائها وزوجها مضحياً في سبيل المحافظة على هذه المصلحة الغالي والنفيس محتسباً عند الله تعالى الأجر والمثوبة. والحقيقة أن مثل هذا النوع من الأصهار يعتز به وبمعرفته وبصداقته وبصحبته ، ويُتنازل من أجله عن الغالي والنفيس ويُفدى بالنفس والروح والمال. وهناك على النقيض من ذلك والعياذ بالله: صهر كالنار الحامية التي تحرق من يقترب منها! فهو شخصية إقصائية انتهازية انتفاعية خسيسة أنانية ، إن وجد خيراً كتمه ونفر منه وزهد فيه وأهدر قيمته ، وإن وجد شراً نشره ، وأفسد ذات البين غير متقياً رباً وغير مراع حُرمة وغير معظم كرامة ، هتاكاً للأعراض مغتاباً نمّاماً مشوهاً لصورة زوج ابنته أو أخته ، فهذا البُعد عنه غنيمة عظيمة باردة لمن استطاعه ، وإلا كانت المداراة والمحايدة إلى حين. والنبي عليه الصلاة والسلام أجاز الكذب للذي ينمي خيراً ويقول خيراً ، قال ابن شهاب: ولم أسمع أنه يرخص في شيء مما يقول الناس كذبٌ إلا في ثلاث الحرب ، و الإصلاح بين الناس ، وحديث الرجل امرأته ، وحديث

المرأة زوجها. كان عليه الصلاة والسلام يذكّر أحياناً الطرفين بالحقوق ، فعن الحصين بن محصن أن عمة له أتت النبي صلى الله عليه وسلم في حاجة ، ففرغت من حاجتها ، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم: (أذات زوجٍ أنت؟) قالت: نعم. قال: (كيف أنت منه؟) أي: في أي منزلة ، (والمعنى هل أنت قريبة من مودته ، مشفقة أو متباعدة متمردة ، هل أنت محسنة له متلطفة معه أم كافرة بعشرته) ، قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه. أي: لا أقصر في حقه إلا ما لم أقدر عليه ، قال: (فانظري أين أنت منه ، فإنه جنتك ونارك). والنبي صلى الله عليه وسلم قدوتنا ، وقد سعى في ذلك فجاء عليه الصلاة والسلام مرة إلى بيت فاطمة ، فلم يجد علياً فأحس بشيء فلم يقل لفاطمة أين زوجك؟ وإنما قال: أين ابن عمك؟ فسأل عن المنزلة والقرابة ، قالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج ولم يقل عندي ، أي: القيلولة لم تكن عندي ، فماذا فعل النبي صلى الله عليه وسلم بعدما أشار إليها من طرف خفي إلى حفظ العلاقة ؛ لأنه من الأقارب والأرحام ، سأل عن علي أين هو؟ فأخبره إنسان أن علياً في المسجد راقد ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعليٌ مضطجع ، قد سقط رداؤه عن شقه ، وأصابه ترابٌ ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسحه عنه ويقول: (قم أبا تراب ، قم أبا تراب). وباتت هذه الكنية (أبو تراب) محببة لعلي بن أبي طالب منذ ذلك اليوم! وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتدخل شافعاً لإعادة العلاقات بين الأزواج ، فقد كانت بريرة زوجة لمغيث ، وكانا في الرق ، فعتقت بريرة ، وصار الحكم أنه يجوز لها فراقه إذا أرادت عدم الاستمرار مع زوجها الذي لا زال في الرق ، وكان متعلقاً بها جداً ، وكانت لا تطيقه ، فجعل يطوف خلفها يبكي ، ودموعه تسيل على لحيته ، وفي رواية: يتبعها في سكك المدينة يبكي عليها ، فشفع النبي صلى الله عليه وسلم عندها أن ترجع إليه وقال لها: (لو راجعته) يعرض عليها وفي رواية: (لو راجعتيه ، فإنه أبو ولدك) قالت: يا رسول الله أتأمرني؟ قال: (إنما أنا شفيع)! فليس أمراً وإلا لوجبت الإجابة والطاعة ، قالت: فلا حاجة لي فيه ، لو أعطاني كذا وكذا ما كنت عنده. أنشدت في ذلك على البحر العروضي الكامل أقول:)

سـاقتْ لـزوج لا يُـذم عتابَهـا ... وأطالـتِ الحَـرَمُ المَصـونُ ذهابَهـا

وتعللـت بـالحِرص يجـرف عيشـها ... نحـو الضـياع ، وعَـددتْ أسـبابها

وطغـى العنـادُ علـى مطـامح نفسـها ... وسـبا بأشـرس جنـده أعصـابها

فاستسـلمتْ للحُمـق دون تعقـل ... وعلـى الضـغائن أوصـدتْ أبوابهـا

ومضـت تـوَبخ زوجهـا ، وتلومـه ... وتـذر - فـي سـاح الشـقاق - سِـبابها

وتكيـل ألفاظـاً تُعنـف سـامعاً ... وكأنمـا قـد زايلـت آدابهـا

وأضـافَ - للنـار - الوقـودَ شـقيقُها ... إذ لا يُطيـق ضـميرُه إغضـابها

حمـل الحقائـب موقنـاً برحيلهـا ... ومسـعّراً - فـي المعضـلات - عـذابها

وأعانهـــا ، لكـــنْ علـــى تـــدميرها فهـــل اســـتباح نكالهـــا وعقابهـــا؟

وأزال - بالتخبيـــب - كـــل خليقـــةٍ لينـــال رغـــم عَـــواره إعجابهـــا

ثـــم الضـــحية باركـــت مجهـــوده وغـــدت تزخـــرفُ بالثنـــا ألقابهـــا

ورأتـــه أقـــربَ مَـــن يعـــين علـــى الـــبلا إذ لـــن يُجابـــه جاهـــداً تلعابهـــا

هـــو لـــن يجاهـــدها ليكـــبح ظلمهـــا كـــيلا يُضـــاعف - فـــي الـــورى - أتعابهـــا

هـــو لـــن يفاجئهـــا بـــبعض نصـــيحةٍ تغتـــال - إن عـــز الرشـــاد - ســـرابها

بـــل كـــان أخـــذل شـــامتٍ فـــيمن هـــوتْ نحـــو الحضـــيض ، فمـــا الـــذي أودى بهـــا؟

هـــل بـــرُّ ســـيّدها بـــأم جُنـــدلتْ وغـــدت تصـــارعُ فـــي الـــدنا أنصـــابها

أو وصـــلُ خالتـــه وزوجُ شـــقيقه وعيالهـــا ، أمـــرٌ يُهـــين جنابهـــا؟

أم أنـــه هضـــم الحقـــوق لغيـــرةٍ ممقوتـــةٍ ، كـــم كلفـــتْ أصـــحابها؟

حبـــات عقـــدك فـــي الشـــتات تنـــاثرتْ هيـــا أميطـــي رملهـــا وترابهـــا

ثـــم اجمعيهـــا كـــي تنـــاغيَ عقـــدها ولتكســـبي - إمـــا فعلـــت - ثوابهـــا

والـــدار تبكـــي أهلهـــا وعَمَارهـــا ودمـــوع عينيهـــا اشـــتكت تســـكابها

وتعاتـــب الأهلـــين ، تطلـــب عطفهـــم أوَمـــا ســـمعتِ أنينهـــا وعتابهـــا؟

وحياتـــك الزهـــراء شـــاخ ربيعُهـــا هيـــا أعيـــدي - للحيـــاة - شـــبابها

وخـــذي الأمـــور بدقـــةٍ ورويـــةٍ ولتـــدركي سَفســـافها ولبابهـــا

فلترجعـــي للـــزوج والـــدار التـــي تشـــكو - إلـــى رب الأنـــام - خرابَهـــا

حُرٌ في زمن العبيد

(إن ثمن الحرية – المتحققة من عبودية الله وحده - غال بدرجة تعجز الكلمات كل الكلمات عن وصفها. وليس يدرك ذلك من الناس في زماننا إلا كِرامهم ، من الذين كَرامتهم أغلى من حياتهم. وعلى هذا فقد ينفقون الغالي والنفيس في سبيل تحقيق الحرية وحمايتها بكل ما يملكون. لكن عندما يسود العبيد ويستعذبون الرق والعبودية لغير مولاهم وخالقهم – تبارك وتعالى - ، يعاني الحُر بينهم ، لمَ؟ لأنه لا ينظر إلى الحياة بمنظورهم ولا يزن القيم بموازينهم ولا يقول بقولهم!)

لا يمقـــت الحـــرَّ الإ خـــائرو الهمـــمِ ... إذ لا يُطيقـــون طعـــم العـــز والشـــممِ

تنـــازلوا - للطـــواغي - عـــن كـــرامتهم ... واســـتعذبوا الخـــوض فـــي الأرجـــاس والـــرمم

وبـــايعوهم علـــى تنفيـــذ مـــا أمـــروا ... وإنْ يخـــالفْ صـــحيح الشـــرع والقـــيم

فـــألهوهم ، وأبـــدَوْا فـــرط طـــاعتهم ... فأصـــبحوا - بـــين كـــل النـــاس - كالخـــدم

أو كالســـوائم - فـــي بيـــدائها - رتعـــتْ ... بعـــد الشـــروق كمثـــل الأينـــق الرُّسُـــم

أو كالعبيـــد ابتغـــوا مرضـــاة ســـيدهم ... كعابـــدي الـــوُثن والأحجـــار والصـــنم

تشـــابهت - فـــي الهـــوى - قلـــوبُ أغلـــبهم ... فاستســـلموا لـــدجى الأرجـــاس والـــتهم

والحُـــر - بـــين الغثـــا - يلـــوكُ حســـرته ... مكابـــداً ألـــم الأحـــزان والوَضـــم

جنـــى عليـــه مُقـــامٌ بـــين مـــن رضـــخوا ... للظـــالمين ، فعـــانى شـــدة الألـــم

أزرى بـــه مُكثَـــه فـــي طغمـــةٍ هزلـــتْ ... وحطـــه - مِـــن عـــل - فـــي مرتـــع وخِـــم

وكـــم تمنـــى لهـــم خيـــراً ومَكرمـــة ... وســـعيُه للمعـــالي غيـــرُ مـــتهم

وناصـــح الكـــل فـــي ســـر وفـــي علـــن ... بمنطـــق حسِـــن الألفـــاظ محتـــرم

ولهجـــة ســـلمتْ مـــن كـــل منقصـــة ... وحـــرص شـــهم بشـــرع الله معتصـــم

فمـــا اســـتجابو لمـــا يزجيـــه مـــن دُرر ... ومـــا استســـاغوا الـــذي يُلقيـــه مـــن حِكَـــم

ومـــا أعـــاروه - إمـــا قـــال - أفئـــدة ... لأنهـــم فاقـــدو الأحـــلام والهمـــم

رضيعة الحاوية!

(رزق ذلك الأب بابنة وثانية ، (وفي كل مرة يتوقع الولد). وعندما رزق الثالثة قرر أن يضعها عند حاوية القمامة ويتزوج. وقد كان ، فأخذها بالفعل تتلبط في دمائها ، ووضعها عند حاوية القمامة ، والكلاب تعوي بضراوة. فأشفقت الأم على رضيعتها! وقامت بسرعة مذهلة رغم ضعفها وتهالكها ، وانتشلت ابنتها في رحمة وحنان ، غير عابئةٍ بالأب القاسي الذي انتزعت الرحمة من قلبه. أما هو فتزوج من أخرى ، ورزق منها ثلاثة أولاد. وشاء الله أن تموت الزوجه الأولى وابنتاها الأوليان في حادث. بينما نجت الثالثة: (رضيعة الحاوية). وتمر الأيام والسنون ، ويذوق الأب الهوان على أيدي الأبناء الثلاثة. وأشفقتْ رضيعة الحاوية على أبيها ، وأخذته ليعيش معها بعد استئذان زوجها الذي لم يُمانع بل اعتبر صهره كأبيه. فلقد كان زوجها صالحاً ورعاً. وعاش الشيبة أسعد أيامه في المشيب في بيت ابنته ، التي كان يريد التخلص منها يوماً عندما رماها للكلاب ، فصار يبكي وينتحب. فسألته ابنته: هل قصّرتُ وزوجي في حقك حتى تبكي هكذا يا أبتاه؟ هل يزعجك الأولاد الصغار؟ فقال: لا. فسألتْ: ففيم بكاؤك إذن بهذه الطريقة؟ فأبى أن يُجيبها! فمازالت بإلحاحها المتلاحق حتى أخبرها بالحقيقة. وصدق الله: (آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً). فلم تتغيرْ معاملتها لأبيها من الإشفاق إلى الانتقام ، بل زادت في إشفاقها وإحسانها – شأن كرام الناس ـ ابتغاء مرضاة الله. يقول الدكتور عمر عبد الله المقبل في تعليقه على هذه القاعدة القرآنية ما نصه بتصريف: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}. إن بعض الآباء قد تكون خَلْفته من الذرية بنات فقط! فيضيق لذلك صدره ، ويغتم لهذا الابتلاء ، فتأتي هذه القاعدة لتسكب في قلبه اليقين والرضا، وكم من بنتٍ كانت أنفع لوالديها من عددٍ من الأبناء؟ والواقع شاهدٌ بذلك. أعرف رجلاً لما كبرت سنه، كان أولاده بعيدون عنه في طلب الرزق ، فلم يجد هذا الوالد الذي خارت قواه ، وضعفت بنيته أكثر حنواً ورعاية من ابنته الوحيدة التي قامت بحقه خير قيام من جهة النفقة ، والرعاية الصحية، وصدق الله: {آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا}. هذا في الدنيا ، أما في الآخرة فالأمر أعظم ، والموقف أدل وأجل ، قال ابن عباس: (أطوعكم لله من الآباء والأبناء أرفعكم درجة يوم القيامة ، والله تعالى يُشَفِّع المؤمنين بعضهم في بعض ، فإن كان الوالد أرفع درجة في الجنة رفع إليه ولده ، وإن كان الولد أرفع درجة رفع إليه والده لتقر بذلك أعينهم).هـ. ومن المؤسف أن نسمع ونقرأ عن أناسٍ رزقوا عدداً من البنات ، يتذمرون بل قد يهددون زوجاتهم إن هُنّ ولدنَ لهم إناثاً ، وكأن الأمر بأيديهن ، وهذا من الجهل ـ في الحقيقة ـ إذ كيف يلام إنسان على أمر لا طاقة له به؟ ويا ليت من يقعون في هذا الأسلوب يتأملون في أمور منها: * هذه القاعدة القرآنية: (آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا). ليتهم يتأملون ـ أيضاً ـ قوله تعالى: {لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ، أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ}. قال ابن القيم : ـ معلقاً على هذه الآية ـ: "وكفى بالعبد تعرضاً لمقته ـ أن يتسخط ما وهبه". انتهى. ومما يحسن بمن ابتلي بالبنات أن يتذكر الأحاديث الواردة في فضل من عال البنات ورباهن حتى يبلغن. ومما يُذكر به المتضجر من الابتلاء بالبنات ، أن يقال له: هب أنك ضجرت ، وتذمرت ، فهل هذا سينجب لك ذكوراً؟ صحيح أن أغلب الناس جُبِلَ على حب الذكور ، لكن المؤمن ينظر إلى هذا

الابتلاء بمنظار آخر ، وهو: عبودية الصبر ، وعبودية الرضا عن الله ، بل قد ينتقل بعض الموفقين إلى مرتبة الشكر ، لعلمه بأن خيرة الله خير من خيرته لنفسه ، وأن الله قد يكون صرف عنه شراً كثيراً حين حرمه من الذكور).هـ. فأنشدتُ من شعري حكاية على لسان الأب أقول فيها:)

ألا يـــــا بُنيـــــة لا تســـــألي ... وعـــــذر الإجابـــــه فلتقبلـــــي

وكيـــف أبـــث الجـــواب الـــذي ... أراه أمَـــرَّ مـــن الحنظـــل؟

وكيـــف أعبِّـــر عـــن قســـوةٍ ... غزتنـــي بأخـــذ الهـــوى المبطـــل؟

وكـــم تقتـــل المـــرءَ أهـــواؤه! ... فســـبحان - مَـــن بـــالهوى - يَبتلـــي!

وكـــم كنـــت أرجـــو بلـــوغ الـــذرى! ... فخـــاب - بمـــا أرتجـــي - مـــأملي!

وقـــدّرتُ شـــيئاً ، ولـــم أنتبـــه ... لمَـــا خـــط ربٌ قـــديرٌ علِـــي

فـــلا تنكئـــي الجـــرح ، أو تعتبـــي! ... كفـــاني مؤاخـــذة العُـــذل

دعينـــي بجرحـــي ومَرثيتـــي ... فـــإن الـــبلاءاتِ كالأجبُـــل

ظلمتُـــك دهـــراً ، ولـــم أكتـــرث ... بمـــا قـــد تخبـــأ فـــي الغيـــب لـــي

ظننـــتُ بـــأني أصـــبتُ ، لـــذا ... ســـعيتُ بـــدرب الشـــقا المُمْحِـــل

ويومـــاً حَملتُـــكِ مســـتكثراً ... عليـــكِ المعيشـــة فـــي منزلـــي

أردتُ لـــكِ المـــوت مســـتغنياً ... بأختيـــكِ عنـــك ، ولـــم أخجـــل!

وألقيـــتُ - بالمَهـــد - مســـتكفياً ... بثنتـــين ، مـــا لِـــيَ مـــن مَعْـــدِل

ســـوى أن ألـــوذ بـــزوج تفـــي ... بأبنـــاءَ - فـــي النـــاس - كالأشـــبُل

يكونـــون ردءاً يصـــون الحِمـــي ... ويبنـــون - بـــالعز - مســـتقبلي

يـــذودون عنـــي إذا نـــالني ... عـــدوٌ بعدوانـــه المُعضـــل

وكـــلٌ يهـــب إلـــى نصـــرتي ... كـــأني - بهـــم - قائـــدُ الجَحْفـــل

فكـــانوا عِقابـــاً علـــى فعلتـــي ... بمســـكينةٍ غـــادةٍ عُطبُـــل

فـــذقت الأمَـــرَّين مِـــن كيـــدهم ... ومـــا الظـــن بالشـــيبة المُهمَـــل؟

كـــأن العقـــوق حســـامٌ ، لـــذا ... أصـــاب الكرامـــة فـــي مقتـــل

لقـــد جرّعـــوني صـــنوفَ الأذى ... وعشـــتُ - عـــن الخيـــر - فـــي معـــزل

وآثـــرتُ مـــوتي علـــى قـــربهم ... فمـــا نفـــع قربـــيَ مـــن أرذل؟

وكـــم بـــتُّ - فـــي الكـــرب - مـــن ليلـــةٍ ... بقلـــبٍ بنـــار الجَـــوى مُثقـــل!

وكـــم نمـــتُ يعصـــر بطنـــي الطـــوى ... لأن الهمـــوم غـــدت مـــأكلي!

وكـــم عشـــتُ أصْـــلى بجمـــر الأســـى! ... كـــأن العـــذاب غـــدا منهلـــي

تواصَـــوْا جميعـــاً علـــى نقمتـــي ... فـــآخرهم كـــان كـــالأول

وســـاعَدَهم أننـــي أشـــيبٌ ... تعثـــر فـــي ليلـــه الأليـــل

وأنـــي بـــذلتُ الـــذي اســـطعته ... ولـــم أبْـــق لـــو حفنـــة القســـطل

وأنـــي ربطـــتُ حيـــاتي بهـــم ... فعشـــتُ - بخُـــدلانهم - أصـــطلي

وأنـــي التمســـتُ الهنـــا عنـــدهم ... فكـــان هنـــائي الشـــقاءَ الجلـــي

يمينـــاً تحمّلـــتُ مُـــرّ الضـــنا ... وقلبـــي تميَّـــز كالمِرجـــل

وللشـــيب حُكـــمٌ ، فـــلا تعجبـــي! ... وإنـــي رُددتُ إلـــى الأرذل

فهـــل قـــد علمـــتِ لمـــاذا البُكـــا ... بـــدمع يفطـــر قلـــب الـــولي؟

وكنـــتُ احتفظـــتُ بســـري الـــذي ... أعيـــذكِ منـــه ، فـــلا تســـألي

ألا فاصـــفحي عـــن أب مُجـــرم ... ومُنّـــي بعفـــوكِ لا تبخلـــي

عرفتـــكِ أوّابـــة بـــرَّة ... فجـــودي بعطفـــكِ يـــا مـــوئلي!

كلتاهما قصت ضفيرتها

(خطب القائد المنصور ابن أبي عامر – رحمه الله – وهو قائد عربى أندلسي مسلم – قاد خمسين غزوة وحارب النصارى ، وأدخل عدداً من الديار في الإسلام ، وأوصى عند وفاته أن تدفن معه ثيابُ غزواته! هذا القائد المظفر خطب في الناس يحثهم على الجهاد والغزو من أجل نصرة الإسلام وانتشاره. فلم تملك إحدى النساء المؤمنات الحاضرات في المسجد إلا أن قطعت ضفيرتها - أي جديلة شعرها - ، وألقتها بين يدي ابن أبي عامر قائلة: إننى لا أستطيع أن أجاهد ، ولا أملك ما أتصدق به للجهاد سوى ضفيرتي ، فخذها يا ابن أبي عامر واجعلها رباطاً لأحد خيول النصر. "وتلك قصة مشهورة في كتب التاريخ ، ويستشهد بها الكثيرون". وعلى النقيض من ذلك: امرأة تؤمن بالموضة أكثر مما تؤمن بالله اليوم ، عصرية متمدينة حضارية ، تقوم بقصّ ضفيرتها لأن الموضة تأمرها بذلك. حتى صارت تشبه الرجال بعد قص شعرها. فيا لله بين هذه وتلك! كم بينهما من الفرق الهائل! كلتاهما قصت ضفيرتها ، فأما الأولى المؤمنة فلتجعل من ضفيرتها رباطاً لخيول المجاهدين. وأما الثانية الجاهلية فقصّت ضفيرتها استجابة لأوامر أرباب الموضات والأزياء. ورضيَ الله – عز وجل – عن أمّنا أم المؤمنين الصديقة عائشة بنت الصديق أبي بكر ، التي كانت تشيد وتمتدح وتقسم بالذي زان الرجال باللحى وزان النساء بالذوائب والعفاف! فتبارك الله أحسن الخالقين. والعجيب أن موضات الشعر اليوم بلغت حداً غريباً ومؤشراً خطيراً ، حيث أصبحتْ آخر التقليعات أن تحلق المرأة شعرها وتصبح صلعاء! فيا لله ، أي زينة في ذلك وأي جمال؟! وأين الوازع الديني؟ وأين القياس العقلي السليم؟ وأين الأعراف والعادات والتقاليد؟ وأين الأهل والأزواج؟ نسأل الله العافية والسلامة من موت الضمائر والقلوب. أنشدتُ في ذلك منددا أقول:-)

لا يستوي الماءُ في الميزان والزبدُ ... مادام - في القلب - نورُ الله والرشَدُ

فالماءُ يمكث كي تبقى الحياة به ... إذ ليس يحيا هنا بدونه أحد

يسري فتغتبط الحياة ضاحكة ... تسعى ، ويُتحفها النعيمُ والرغد

ومنه تشربُ أنسامٌ وماشية ... والنبتُ للسيل - في البيداء - مُرتصد

هذا هو الماءُ خيرٌ إن أصاب قرىً ... وليس يَبقى حَبابُ الماء والزبد

أقام رب الورى الدنيا على سَنن ... ويعلمُ الله مَن خابوا ومَن سعدوا

فمِن خلائقه عبدٌ لشهوته ... جان على نفسه ، مثل الألى فسدوا

ومنهمُ العبدُ تستهويه معصية ... فلا يقارفها ، فذاك مقتصد

ومنهم العبدُ - بالخيرات - مستبقٌ ... فذلك العبد - في الطاعات - يجتهد

وتســـــتهين - ببـــــأس الخـــــالق - امـــــرأةٌ وفـــي المعاصـــي وفـــي الســـوآى لهـــا جلَـــد

وترتجـــــي عفـــــو رب العـــــزة امـــــرأة ففـــي الفـــؤاد جـــوىً - مِـــن خلفـــه - كَمَـــد

فهـــــذه فـــــذة قصّـــــتْ ضـــــفيرتها حـــبلاً - بأعنـــاق خيـــل الحـــرب - ينقعـــد

ترجـــو الجهـــاد ، وللرجـــال قـــدرتهم وهـــــذه قـــــدرة الرجـــــال تفتقـــــد!

ولـــيس تملـــك مـــن مـــال يُبلغهـــا تقـــول: ضـــاقت عـــن الإنفـــاق فيـــه يـــد

مـــاذا عليهـــا؟ ومـــاذا قـــد يُنـــاط بهـــا؟ لقـــد عفـــا عنـــكِ يـــا أخيّـــة (الصـــمد)!

لكـــنْ تجـــود بشَـــعر كـــان زينتهـــا فهـــل - علـــى خـــاطر - مـــا قـــد أتـــت يَـــرِد؟

هـــذه الجديلـــة - فـــي الميـــزان - راجحـــة والـــوزن - عنـــد مليـــك النـــاس - يطـــرد

تقبـــل الله منـــكِ الشـــعر جُـــدتِ بـــه وأنـــتِ خيـــرٌ صُـــوىً مِـــن الألـــى قعـــدوا

ولننظـــــر الآن - للشـــــقية - اختبلـــــتْ قصّـــت ضـــفيرتها تُرضـــي الألـــى جحـــدوا

واستســـلمتْ - لهـــوى المُوضـــات - طيعـــة وقصّـــــرتْ شـــــعرها ، كأنهـــــا الولـــــد

مـــا ردّهـــا خلـــقٌ عـــن غـــيّ ســـاقطةٍ أمَـــــا لهـــــا قـــــيمٌ تحمـــــي ولا خلـــــد؟

وأيـــــن أهـــــلٌ وأصـــــحابٌ ومجتمـــــعٌ؟ ســـــاءت ممارســـــة! وســـــاء معتقـــــد!

كلتاهمـــا جـــدعت - عمـــداً - ضـــفيرتها وفعـــــلُ كـــــلٍّ لـــــه نـــــصٌ ومســـــتند

فللشـــــــقية موضـــــــات وآلهـــــــة تهـــدي - إلـــى النـــار - مَـــن أزيائهـــا عبـــدوا

وللتقيـــــــة مولاهـــــــا وخالقهـــــــا جـــــلّ المليـــــك الإلـــــه الواحـــــد الأحـــــد

غراب البين

(إن الغراب الذي أعني هو نوعٌ من الطفيليات التي تتشدق بما لا تعلم وتنطق به ، وتهرف بما لا تعرف ، وتتصدر المجالس ، وتفتي بغير علم. نوعٌ من البشر لا يقر لهم قرار إلا إذا أضلوا الناس وأغروا بينهم العداوة بالجهل المطبق الذي يسبحون فيه. الواحد منهم أشبه ما يكون بغراب البين أو بالرويبضة (أي الرجل التافه الحقير يتكلم في أمر الأمة والعامة). لقد كثر هذا النوع من الناس في زماننا ، واستحق قصيدة تريه حجمه الحقيقي وتفضحه ، وتبين له أنه مهما جاء ظلماً وزوراً ، ومهما حرّف الكلم عن مواضعه ، ومهما استغل إعجاب العوام والجهلاء به ، فإنه لن يغير الحقائق أبداً. وغراب البين الذي أقول فيه هذه القصيدة تطاول هذه المرة على اللغة العربية التي لم تسلم من المتخرصين الدجالين ، من الذين يلوكونها بأفواههم ولم تعقلها عقولهم وليس لهم في علمها أدنى باع وليس في القلوب أدنى أثارة من علم بنحو أو بصرف أو ببديع أو ببيان أو بعروض أو باشتقاق أو ببلاغة أو بفصاحة. والأمر كما قلت أنه كان ولا بد من قصيدة عصماء ترد الأمر إلى نصابه! أنشدتُ من شعري أقول لغراب البين المتحذلق المتفيهق أقول:)

مِـــن أي قـــوم أنـــتَ يـــا متفيهـــقُ؟ وبـــأي حـــق فـــي الـــورى تتحـــذلقُ؟

تُفتـــي بـــلا علـــم ، وتنشـــرُ بـــاطلاً وخلاصـــة الأقـــوال جهـــلٌ مُطبِـــق

وأراك تهـــذي عابثـــاً متخرصـــاً وبكـــل جهـــل تســـتطيل ، وتنطـــق

وتحـــرّفُ الألفـــاظ عـــن مـــدلولها وعلـــى الـــذي حَرّفـــتَ بعـــدُ تعلـــق

وتُحمّـــل الكلمـــات مـــا لـــم تحتمـــلْ ولقـــد تزيـــد تكلفـــاً ، وتلفـــق

أقصـــرْ غـــرابَ البـــين ، وادرسْ وانتصـــحْ! فـــإلى متـــى فينـــا تئـــز وتنعِـــق؟

مازلـــت تتخـــذ التصـــنع منهجـــاً وإذا انكشـــفت أتيتنـــا تتملـــق

أتُـــراك تحســـب مـــا ســـطرت حقيقـــة قـــد صـــاغها متثبـــتٌ متحقـــق؟

أتـــراك تبصـــر بالـــذي روّجتـــه؟ بـــئس الـــذي روجـــت! بـــئس المنطـــق!

أتـــراك قـــد دققـــت مـــا تهـــذي بـــه؟ بـــئس الـــذي أشـــهرت! بـــئس مـــدقق!

أتـــراك تقطـــع فـــي الكـــلام تســـوقه قطـــعَ الـــذى يهـــوى الصـــواب ويعشـــق؟

أتـــراك تطلـــق كـــل حكـــم زاعمـــاً أن الـــذي أطلقـــت جـــد موثـــق؟

وأراك تنقـــل لـــم تغربـــلْ كالـــذي بـــين الـــدجى والنـــور لـــيس يُفـــرِّق؟

تجنـــي علـــى (الضـــاد) البريئـــة عامـــداً ... وتبيـــت - فـــي كيـــل الأذى - تســـتغرق

هـــي يممـــتْ غربـــاً ، تـــود نجاتهـــا ... وأراك توغـــل فـــي الجفـــا وتشـــرّق

كيـــف اســـتبحت حِياضـــها وتراثهـــا ... حتـــى اشـــتكت – منـــك - الحِيـــاضُ الـــدّفق؟

كيـــف ارتضـــيت لهـــا الرضـــوخ لمـــا تـــرى ... ممـــا يشـــين مـــن الهـــراء ويُوبـــق؟

كيـــف اســـتعرت لهـــا لباســـاً باليـــاً؟ ... أيكـــون – للضـــاد - اللبـــاس الأخلـــق؟

أعلـــى حســـاب الضـــاد ترجـــو سُـــمعة ... وتريـــد جمعـــاً يَحتفـــي ويُصـــفق؟

إنـــي أعـــزي الضـــادَ فيمـــا نالهـــا ... فـــالعينُ تـــدمعُ ، والمشـــاعرُ تشـــفِق

والـــنفس تأســـفُ ، والعواطـــف تشـــتكي ... والقلـــب يزعجـــه المصـــيرُ المحْـــدِق

والشـــعر - ويـــح الشـــعر- يـــدفع جاهـــداً ... قومـــاً بمـــا كســـبت أيـــاديهم شـــقوا

وعلـــى (غـــراب البـــين) ألقـــى صـــخرةً! ... دُرراً تـــؤدّبُ مَـــن غـــدا يتفيهـــق

وتصـــد هجمـــة جاهـــل متعـــالم ... ســـمج الكـــلام ، ولفظَـــه يتحـــرق

يبكـــي - علـــى الفصـــحى - بكـــاءً زائفـــاً ... إذ مثـــلُ هـــذا لـــيس يومـــاً يَصـــدق

أيظنهـــا صـــيغت علـــى مـــا يشـــتهي؟ ... ولـــذا يزّيـــف مـــا يشـــاء ، ويســـرق

أيظنهـــا لغـــواً بغيـــر قواعـــدٍ؟ ... كـــلا ، فللضـــاد الأصـــيلة منطـــق

ولهـــا أصـــولٌ خطهـــا أجـــدادنا ... وبهـــا غـــدت شمســـاً تضـــيءُ وتشـــرق

أعلمـــتَ شـــيئاً يـــا غـــراب البـــين مِـــن ... نحـــوٍ بـــه - عنـــد التخاصـــم - يوثـــق؟

أفقهـــتَ شـــيئاً مـــن بلاغـــة ضـــادنا؟ ... أم إنـــه الجهـــلُ الغـــويّ الأخـــرَق؟

أقـــرأتَ فـــي الصـــرف الـــذي هـــو عُمـــدة ... عنـــد الخِـــلاف وواحـــة تترقـــرق؟

أقـــرأت - فـــي علـــم البيـــان - عبـــارة ... ليســـوقها هـــذا اللســـان الأذلـــق؟

أدرســـتَ فـــي علـــم البـــديع صـــحيفة ... أســـلوبها عطـــر السلاســـة شـــيق؟

أوعيتَ - من علم الفصاحة - فكرة ... في عَرضها حُجَجٌ تصولُ ورونق؟

هذي علومُ الضاد هل أدركتها ... ووعيتها ، يا أيها المتحذلق؟

أتظنها الشطرنجَ بين هُواتها ... مَلِكٌ يفارق ، ثم يُولد بَيدق؟

أتظنها - بين الحواضر - رحلة ... بحْرية ، لك - في مَداها - زورق؟

أتظنها - بين الحدائق - نزهة ... فالوردُ يُترع سُوحها والزنبق؟

أتظنها المطعومَ طاب لطاعم ... نهب القدور ، وما اكتفى ، بل يلعق؟

أتظنها فَرُشاً بطائنُها حلتْ ... لمُريدها ، إذ زانها الإستبرق؟

أتظنها عِطراً زهتْ جوْناته ... وأريجُه - بين الخلائق - يَعْبق؟

أتظنها سيارة تسبي النهى ... إن سابقت ريحَ الدبور ستسبق؟

أتظنها قصراً مَشيداً في الفلا ... وكأنه - بين القفار - الجوسق؟

أتظنها بين الخرائد غادة ... تزجي الغرام ، وحُسنها يتفتق؟

أتظنها الأموالَ تربحُ صفقة ... والعز - بعد خِتامها - يتدفق؟

الضادُ أرفعُ مِن ظنونك رُتبة ... إذ إنها صدقاً أجلّ وأعرق

هي رغم أنف الكل سيدة اللغا ... ومِن اللغات جميعها هي أعمق

فاعقلْ (غرابَ البين) ما تلغو به ... وزِنِ الكلامَ ، فإن ذلك أليق

وادرسْ ، ولا تكُ هازلاً متسرعاً ... تفتي خزعبلة ، ولست تحقق

إني نصحتك ، والمهيمنُ شاهدٌ ... لمّا رأيتك في غرورك تغرق

فارجع - هداك الله - عما قلته ... فلئن رجعت ، فأنت أنت الأوثق

ولسوف يُكْبرُك الجميعُ تودداً ... ويُضَم شملٌ جُلّه يتفرق

ضِدان ما اجتمعا!

(جلس الشاعر ينتظر خروج زوجته من غرفة الطبيبة ذات مساء. وفجأة جاءت امرأة لا تكاد العين تبصر منها شيئا بالمرة. فالعَباءة سابغة سوادءُ ساترة فِضفاضة ، والإسدال على الوجه سميك فضفاض ، وكذلك القفازان على اليدين ، والجوارب السوداء السميكة تستر القدمين ، والنعال السوداء التى لا تصدر صوتاً ولا تشف عن حجم القدم فضلاً عن إبراز عِظامه. وألقت هذه المرأة السلام على صويحابتها في هدوء وبصوت هو للهمس أقرب منه للجهر. وجلستْ في مكان انتظار النساء وسطهن ، وعلى مقربة من مكان انتظار الرجال. واكتمل مكان انتظار النساء إلا مقعداً واحداً عن يسار هذه المرأة آنفة الذكر. وبعد وقت ليس بالطويل ولا بالقصير جاءت امرأة شبه عارية. نعم ، كانت ـ للعُري البهيمي العجماوي السافر البغيض القبيح المرذول ـ أقربَ منها إلى الستر المحترم الذي يناسب الآدمية. (يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يُواري سوآتكم وريشاً ، ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون). وإذن فلباس الحشمة والتستر مطالبة به المرأة لكونها إنسانة تنتسب انتساباً لآدم وحواء – عليهما السلام – بقطع النظر عن كونها تدين بالإسلام أو لا تدين. ويبقى الفرق بينها في تسترها وحجابها وحشمتها وبين المسلمة ، أن هذه المسلمة تلتزم بالحجاب لأنه جزء من شعائر دينها ، فهي مأمورة به ديناً وتؤجر عليه شريعة. أما هذه العارية التي انحرفتْ عن فطرة آدم وحواء ، وراحت تتابع بيوتات الأزياء والموضات ، وقد أخذت من العطور والمساحيق ما لا أظن أن أمراة غربية داعرة – لا تدين دين الحق – تعمل في حان بغاء وفجور تضعها لزبائنها. وجلست على يسار المحتشمة المحترمة تلك. فكان الذي أراه ضدين ما اجتمعا! وكان تناقضاً صارخاً يستلفتُ كل انتباه ويأخذ كل لب ويذهب بكل بصر!)

حَلـــتْ علينـــا التـــي تحبُهـــا القـــيمُ ... حشـــيمة ـ مِـــن جميـــع النـــاس ـ تُحتـــرمُ

عفيفـــة ثوبُهـــا يُخفـــي محاســـنها ... وبَـــرّة نهجُهـــا الإيمـــانُ والسَّـــلم

تمشـــي الهـــوينى ، فـــلا تِيـــهٌ ولا فـــرحٌ ... ولـــيس تضـــرب أرضَ الســـاحة القـــدم

ولا يفـــوحُ مِـــن العصـــماء أي شـــذى ... ومـــا بـــدا كَـــتَمٌ فـــي الكـــف ، أو عَـــنَم

ولا تلـــوّن وجـــهٌ ناشـــراً فتنـــاً ... إذ المســـاحيق صـــدقاً مَرتـــعٌ وَخِـــم

ولا تكشّـــفَ شَـــعرٌ عـــن جدائلـــه ... قـــد زانهـــن الســـنا والمِـــيشُ والكَـــتَم

ولا خضـــوعٌ بقـــول يســـتميل فتـــىً ... فـــي قلبـــه مـــرضٌ مســـتفحلٌ عَـــرِم

ولا تبـــذلُ فـــي فعـــل ولا عمـــل ... إن التبـــذل ـ بـــين النـــاس ـ يُـــتهم

لـــم تُنســـها عِلـــة أمســـت تصـــارعُها ... لُـــبسَ الحجـــاب ، فـــذي منهاجُهـــا لَقِـــم!

وكـــم تعـــاني مـــن الأســـقام صـــابرة ... ولـــيس يصـــرفها - عـــن ســـترها – ســـقم!

جوزيـــتِ خيـــراً عـــن الإســـلام شِـــرعتنا ... يـــا مـــن بشـــرع الهُـــدى والحـــق تعتصـــم

يـــا أخـــت بعـــدكِ جاءتنـــا معربـــدة ... ليســـت - وربـــك - بالإســـلام تلتـــزم

تُبـــدي مفاتنهـــا للنـــاس باســـمة ... حتـــى متـــى تلـــك تؤذينـــا ، وتبتســـم؟

تزجـــي الخضـــوعَ بقـــول لـــيس يســـتره ... حيـــاءُ ســـاقطةٍ عِلاجُهـــا الـــبَكم

تحللـــتْ مـــن هُـــدى المختـــار فانحـــدرتْ ... إلـــى الحضـــيض ، فهـــان الحـــق والحُـــرُم!

وأقبلـــتْ وعيـــونُ الصّـــيد تلعنهـــا ... وتســـأل الله أن لا تنـــزل الـــنقم

ضـــدان مـــا اجتمعـــا: رجـــسٌ ومَطهـــرة ... والـــنفسُ تعصِـــرُها الآهـــاتُ والألـــم

وكـــم تـــذوبُ قلـــوبُ المتقـــين جـــوىً ... ويســـتطيلُ عليهـــا البـــؤسُ والوَصـــم!

لِمَـــا تعـــاينُ فـــي الأصـــقاع مِـــن ضَـــلل ... وإن نناصـــحْ يَسِـــلْ - فـــوق الـــدروب - دم

يـــا رب إنـــا غلبنـــا رغـــم قوتنـــا ... وكـــم قهرنـــا! وكـــم أودت بنـــا الغُمَـــم!

وكـــم دعونـــا إلـــى الإســـلام مَـــن فســـقوا! ... فمـــا اســـتجابو لمَـــا قلنـــا ، ولا التزمـــوا

لهـــم عقـــول ، ولا يسترشـــدون بهـــا ... كـــذاك آذانهـــم أصـــابها الصـــمم

وبالحديـــد وبـــالنيران قـــد غلبـــوا ... فعمّـــتِ المِحـــنُ الكـــأداءُ والظلَـــم

وأصـــبح الـــدعر فـــوق الأرض منتشـــراً ... وكـــم يضـــيق بـــه كهـــلٌ ومُحـــتلم

وأصـــبح الفســـقُ بـــين النـــاس مشـــتهراً ... رغـــم الأنـــوف ، ومـــن ينكـــرْ فمُجتـــرم!

رب انتصـــرْ عـــاجلاً ممـــن يروّجـــه ... ومَـــن ســـواك مِـــن الفجـــار ينـــتقم؟

من أجل عاشق

(في ص 88 من كتاب (حدث في المحكمة) للعمري قصة العاشقة التي زنت ، وقتلت زوجها بمساعدة عشيقها. وابنتها اعترفتْ لعمها عن مكان جثة الأب في حديقة المنزل. (امرأة تعيش مع زوجها ولها طفلتان في أمن وأمان. ويأتى عامل أجنبي وافد تخادنه هذه المرأة. فيمكث الشيطان ويجري بينهما ويلعب لعبته. فتقرر هذه الخائنة أن تتخلص من زوجها برفقة هذا الخائن وتآمرت عليه ، وتغلق الأم على ابنتها الغرفة ، وتطل إحدى البنتين من شرفة المنزل ، وترى المشهد الدامي. مشهد ذلك العامل وهو يأخذ الفأس فيضرب به ظهر كفيله زوج المرأة ، والمرأة وهي تأخذ خشبة ، وتواصل الضرب على رأسه فيموت ، وتحفر الحفرة الكبيرة فيدفن فيها هو وكل أثر له. ثم ترعب الصَّبيّة فتنام ، وأختها الثانية قد لهت في ألعابها ولم تشعر بشئ ، ربما لم تكن تعقل ما يجرى حولها لصغرها. وأما هذه التي تعقل كل ما يدور وتختزنه في الذاكرة فقد تظاهرتْ بأنها نائمة حينما سمعت خطى أمها تأتي لتترقب الوضع ، وخافت ورعبت رعباً شديداً ثم استمرت نائمة. وذهبت هذة المرأة الخائنة برفقة هذا العامل لتبلغ الجهات الأمنية ، بأن زوجها قد فقد ولا تعلم له مكاناً ، ولتبحث عنه ولتذرف عليه دموع التماسيح. ويأتى أخو الزوج من بلاد بعيدة فيلتقي بالطفلتين وبالأم ويسأل بإلحاح شديد عن أخيه فلا يجد جواباً. فسأل ابنة أخيه بإلحاح. ولكن هذه البُنية بعد أن استوثقت من عمها واطمانت إليه ، انفردتْ به انفراداً بعيداً عن أمها ، وأخذ هو يلح في التساؤل ، وأعطاها الأمان والعهود أخبرته بما رأت. فتكتم على الأمر ، ثم لجأ إلى الجهات الأمنية المختصة ، وأخبرهم بالذي وقع. فاكتشفوا الحفرة وما فيها من مصيبة وبلاء ، واستخرجوا الجثة ليبدأ التحقيق في الحادث).هـ. تعس العشق الحرام! وتعس أهله! وأسأل: ما الذي مع هذا العامل الأجنبي الحقير وليس مع زوجها؟ وما الذي عنده وليس عند زوجها؟! وكم سمعنا الكثير من المحن عن العشق المستهتر وأهله. أنشدتُ في عاشقة قصيدتنا (بُدور) هذا النص:)

أمـــات - لـــدى المُتيّمـــةِ - الضـــميرُ ... ليحملهـــا - علـــى القتـــل - الغَـــرورُ؟

أجنـــدلها الغـــرامُ ، فلـــم تميِّـــز ... وأضـــحتْ - فـــي هواجســـها - تســـير؟

ألـــم تعلـــم بـــأن العِشـــق يُـــزْري ... بفضـــلى لـــيس تعلـــم مـــا المصـــير؟

ومـــا جـــدوى الصـــبابة فـــي حيـــاةٍ ... تـــئن مـــن الخـــداع وتســـتجير؟

وكـــم خـــرب الهُيـــامُ بيـــوت غِيـــدٍ؟ ... ألا خـــاب التبـــرج والســـفور!

وكـــم للحـــب ، يـــا كـــم مـــن ضـــحايا! ... وتشـــهد بالنهايـــات القبـــور

وكـــم مـــن نظـــرة قـــادت لجُـــرم ... توَقـــد - مِـــن مكامنهـــا - الســـعير!

وتخطـــئ مَـــن تظـــن الطيـــف ســـهلاً! ... ونـــارُ الطيـــف يُشـــعلها المُـــرور

ومِـــن أجـــل العشـــيق تشـــن حربـــاً ضروســـــاً ، ثـــــم ينـــــدلعُ النفيـــــر

ويمـــــتحنُ القلـــــوبَ لظـــــى هواهـــــا وبـــــــالزفرات تخـــــــتلجُ الصـــــــدور

وتضـــــطربُ المشـــــاعرُ والســـــجايا ويُصـــــبحُ جـــــائراً مَـــــن لا يجـــــور

ويُمســـــي النـــــاسُ فـــــي فـــــتن ضـــــوارٍ يحـــــار - لهولهـــــا الفـــــذ - البصـــــير

وتنقلـــــبُ الحيـــــاه إلـــــى جحـــــيم تذرِّيـــــــه الزوابـــــــعُ والـــــــدَّبور

ومَـــن تعشـــقْ علـــى بعـــل تُحطـــمْ ويُمســـــي قلبهـــــا قِـــــدراً يفـــــور

وتُسْـــلم نفســـها للـــدعر طوْعـــاً لتُكـــرم مَـــن يَهـــيمُ ومَـــن يـــزور

وترضـــى بالدنيـــة فـــي أمـــور ولـــيس تعـــودُ هاتيـــك الأمـــور

وترتكـــبُ الفـــواحشَ ، لا تبـــالي فقـــد ثـــوتِ المشـــاعرُ والضـــمير

وبالســـوآى تجـــاهرُ فـــي البرايـــا فلـــيس يهمهـــا إلا العشـــير

وتقتـــل مَـــن يهـــدد مُبتغاهـــا ولـــيس يُجيـــره - منهـــا - مجيـــر

ألـــيس الـــزوجُ بالإعجـــاب أولـــى؟ وربـــي إنـــه بـــكِ للجـــدير

أحـــب فعـــف ، واختـــار التســـامي كمـــا يُعلـــي أميرتـــه الأميـــر

زواجٌ حسْـــب شـــرع الله قطعـــاً وبـــارك أهلـــه الـــرب القـــدير

لمـــاذا تعمَـــدين إلـــى التـــدني ليســـرق قلبـــك العبـــدُ الحقيـــر؟

ليلبســـك المخـــازيَ والخطايـــا وعُقبـــى مـــا ظفـــرتِ بـــه الثبـــور

ويظهـــر ذات يـــوم كـــل شـــئ أبَـــى (زيـــدٌ) ، أو اعترضـــتْ (بُـــدور)!

وإن يـــكُ فـــي الثـــرى ، أو فـــي الثريـــا فـــإن الله مطلـــعٌ خبيـــر

ويأخـــذ كـــل مجتـــرم جـــزاه ورب النـــاس – للحـــق - النصـــير

(نالت إحدى المترفات وتدعى (نائلة) من موحّد فقير ، لم يشفع له عندها دينه ولا خلقه. فراحت تزدريه وتهمزه وتلمزه ، وتعيب عليه بغير حق . فاحتار كيف يرد عليها ويوقفها عند حد ، وينتصر لكرامته التي أهينت ولحُرمته التي انتهكت ولعِرضه الذي هتك. فقال: مهما كنتُ فلست مثل (جُليبيب). إلا أنه يفضلني في صحبته للنبي – صلى الله عليه وسلم - وباتباعه له وبثناء النبي – صلى الله عليه وسلم - عليه باستشهاده مقبلاً غيرَ مُدْبر وبزواجه من أنصارية شابة موحّدة من حور الدنيا وله في جنات الله من الحور العين ما الله به عليم جزاءً بما قدّم! ويكفي قول النبي – صلى الله عليه وسلم - عنه: (هذا مني وأنا منه) ، وأنه عاش ومات في القرن المفضل الأول. ولكن جُليبيباً عانى من ستة طوام عِظام كان ذلك الموحد القانت بفضل الله - سبحانه وتعالى- ورحمته قد عوفيَ منهن جميعاً بين الناس: أولاً: كان عبداً رقيقاً ، فهو يباع ويشترى شأن كل عبد في ذلك الزمان. وثانياً: كان دميماً ، بمعنى أنه كان غير وجيه الخِلقة ، وأما صاحبنا فإن لم يكن وسيماً فليس بالدميم. وثالثاً: كان قصيراً بائن القصر ، ومعلوم أن القصر عيب خِلقي أيضاً ، وأما صاحبنا فطويل الطول المعقول المناسب. ورابعاً: أنه كان معوذاً فقيراً جداً شأن كثير من العبيد في زمانه. وخامساً: كان جليبيب إذا حضر بين أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم – لم يُعرف ، وإذا غاب لم يُفتقد. وظل كذلك حتى في يوم استشهاده رضي الله عنه ، وأما صاحبنا فأغلب الناس يعرفونه. وسادساً: كان الناس يأنفون من تزويجه من ابنة من بناتهم. ولكن صاحبنا عرض عليه غير واحد الزواج من ابنته عرضاً ، ويشهد على ذلك الله رب الناس. والحقيقة أنه لا يجوز الاستهزاء بالناس أو السخرية منهم أو تعييرهم بعيب أو ذنب أو خطيئة ؛ كما سمعتُ من الشيخ المنجد وقرأت له! وذلك لعموم قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ). وقال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ). والهمز يكون بالإشارة ، واللمز يكون بالقول ، واللماز هو العيّاب الطعان ، والويل: واد في جهنم. قال ابن كثير رحمه الله في تفسير آية الحجرات: "ينهى تعالى عن السخرية بالناس ، وهو احتقارهم والاستهزاء بهم ، كما ثبت في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (الكِبْر بطر الحق وغَمْص الناس) ويُروى: (وغمط الناس). والمراد من ذلك: احتقارهم واستصغارهم ، وهذا حرام ، فإنه قد يكون المحتقر أعظم قدراً عند الله وأحب إليه من الساخر منه المحتقِر له ؛ ولهذا قال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ) ، فنص على نهي الرجال وعطف بنهي النساء. وقوله: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي لا تلمزوا الناس. والهمَّاز اللَّماز من الرجال مذموم ملعون ، كما قال تعالى: (وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ) ، فالهمز بالفعل ، واللمز بالقول ، كما قال: (هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ). أي: يحتقر الناس ويهمزهم طاعنًا عليهم ، ويمشي بينهم بالنميمة وهي: اللمز بالمقال ؛ ولهذا قال هاهنا: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) ، كما قال: (وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يقتل بعضكم بعضاً. قال ابن عباس ، ومجاهد وسعيد بن جبير ، وقتادة ، ومقاتل بن حَيَّان: (وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ) أي: لا يطعن بعضكم على بعض. وقوله: (وَلا تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ) أي: لا تتداعوا بالألقاب ، وهي التي يسوء الشخص سماعها".

انتهى. وقد بين نبينا صلى الله عليه وسلم أن الإيمان يحمل صاحبه على حسن الخلق ، والتواضع للناس ، وترك أذاهم بالقول والفعل ، كما قال صلى الله عليه وسلم: (لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلا اللَّعَّانِ وَلا الْفَاحِشِ وَلا الْبَذِيءِ) رواه الترمذي ، وصححه الألباني في صحيح الترمذي. وأرشد صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوله الإنسان إذا رأى مبتلىً ، فقال: (مَنْ رَأَى صَاحِبَ بَلاءٍ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَافَانِي مِمَّا ابْتَلاكَ بِهِ ، وَفَضَّلَنِي عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقَ تَفْضِيلًا إِلا عُوفِيَ مِنْ ذَلِكَ الْبَلَاءِ كَائِنًا مَا كَانَ مَا عَاشَ). رواه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي. والأصل: (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) ، والقاعدة الأصيلة للتقييم: (لا فرق لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح) ، أما تقييم الناس بالمال أو بالثياب أو بالكلام أو بالجاه أو بالحسب والنسب ، بمَنأى عن التقوى والعمل الصالح فهذي موازين أهل الجاهلية الذين لا يُعتدّ بكلامهم أبداً. فلما سمعتِ المترفة المعتدة بمالها هذا الكلام دمعتْ عيناها ، فكتبتُ في هذا:-)

بأخلاقه المرءُ يا هازلة ... وبالهمّة الفذة الصائلة

وبالعلم ينشرُه في الورى ... بنفس لآساسه حاملة

وبالدين يدعو له قومه ... بروح لأسبابه باذلة

وبالأدب العفّ يحيا له ... ويهفو لآفاقه الفاضلة

ويسمو بآماله للعُلا ... وبالقيَم العفة الكاملة

وليس يسودُ بأزيائه ... وحُلته الغضة الرافلة

ولا يبلغ المجدَ في أهله ... هُمامٌ بأمواله الطائلة

ولا يرتقي الشهمُ في داره ... ولا يستمي راكباً حافلة

وليس يُحقق آماله ... بنفسيةٍ فجّةٍ خاملة

لماذا تنالين من طيب ... وتلقين أقوالك الباطلة؟

وتسترسلين بلا ضابطٍ ... كأنكِ خداعة خاتلة؟

وتستخرين بلا رادع ... بلهجتكِ الفظة السافلة؟

وتستهزئين بأضحوكةٍ ... وإن كنتِ خارجة داخلة؟

رويدكِ لا تنكئي جرحه ... بسُخفكِ والنبرة الهازلة

ولا تســـــــــتهيني بأناتـــــــــه إذا كنـــــــتِ راشـــــــدة عاقلـــــــة

كفـــى مـــا يُعانيـــه فـــي أرضـــكم! ومثلـــكِ ليســـت بهـــا جاهلـــة

دهشْـــة النـــوازلُ مثـــل اللظـــى تتـــــــابَعُ نازلـــــــة نازلـــــة

ســـــلي عنـــــه كـــــي تعلمـــــي مَـــــرارَ الإجابـــــات يـــــا ســـــائلة

وإن الـــــدواوين كـــــم سَـــــجلتْ مآســـــيَ - مِـــــن هولهـــــا - قاتلـــــة!

قصـــــائدُ تحمـــــلُ مُـــــرّ الجـــــوى وتشـــــكو القرابـــــة والقافلـــــة

وتبكـــــي ، ولـــــيس يُفيـــــد البُكـــــا علـــــى المـــــرء تخذلـــــه العائلـــــة

وتنعـــي الوفـــاء ثـــوى وانقضـــى وفـــي الصـــدر مِـــن فقـــده غائلـــة

ألا فاقرئيهـــــا لكـــــي تُنصـــــفي إذا كنـــــتِ صـــــادقة عادلـــــة

وظنـــــي بأنـــــكِ أهـــــلٌ لهـــــا وإن تـــــكُ - فـــــي حُكمهـــــا - فاصـــــلة

لأنـــــي رســـــمتُ بهـــــا واقعـــــاً أزاهيـــــرُ روضـــــته ذابلـــــة

قصـــــائد ســـــطرتها بالـــــدما ففـــــي كـــــل نـــــص دِمـــــاً هاطلـــــة

وإن (جُلبيـــــبَ) لـــــي أســـــوة وقصـــــة تزويجـــــه هائلـــــة

هـــيَ اليـــومَ فيصـــلُ مـــا بيننـــا ومختصـــــرُ الهُـــــوة الحاصـــــلة

ألا فادرســـــيها لتسترشـــــدي بمـــــن لـــــم تغـــــرُّهمُ العاجلـــــة

ولكـــــنهم أبصـــــروا رُشْـــــدهم وشـــــدوا الرحـــــال إلـــــى الآجلـــــة

أرانـــــي أطلـــــتُ الجـــــواب علـــــى ســـــؤال كـــــوتني بـــــه (نائلـــــة)!

لعلـــــي دحضـــــت أظانينهـــــا بمـــــا سُـــــقت مِـــــن حُجـــــج قاصـــــلة

وفيَّة وفاء أبيها

(كتاب مجالس النساء ص (11) يورد قصة زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – في فدائها بزوجها وقد وقع أسيراً وكان على شركه وهي على إسلامها. وافتدته بقلادةٍ لها كانت أمها خديجه قد أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. وذلك طمعاً في إسلامه ، فأطلقه الصحابة وأسلم بعد ذلك. وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لا يحل بمكة ولا يحرم ، مغلوباً على أمره ، وكان الإسلام قد فرّق بين زينب بنت رسول الله - صلى الله عليه وسلم – حين أسلمتْ وبين زوجها أبي العاص بن الربيع. إلا أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان لا يفرّق بينهما لأنه لم يؤمر بذلك بعد ، فلقد كان ذلك منه في أول التشريع ، بمعنى أنه كان جائزاً. فأقامت معه على إسلامها وهو على شركه ، حتى هاجر رسول الله – صلى الله عليه وسلم - ، فلما صارت قريش إلى بدر ، صار فيهم أبو العاص بن الربيع فأصيب في الأسارى يوم بدر ، فكان بالمدينة عند النبي - صلى الله عليه وسلم -. قال ابن إسحاق: وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، عن أم المؤمنين عائشة – رضي الله عنها - قالت: لمّا بعث أهل مكة في فداء أسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في فداء أبي العاص بن الربيع بمال ، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها ، قالت: فلما رآها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رق لها رقة شديدة ، وقال: إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها مالها ، فافعلوا. فقالوا: نعم ، يارسول الله ، فأطلقوه ، وردوا عليها الذي لها. ولقد أسلم أبو العاص بن الربيع فيما بعد. والحقيقة أنني توقفت كثيراً عند هذا الموقف الجميل البديع الذي أتمنى أن تقفه كل زوجةٍ اليوم مع زوجها إن كان في حاجة إلى عونها. فلتكن منها المساعدة الدالة على الوفاء بغير منّ ولا أذى وباحترام منقطع النظير. وعليها أن تثبت جدية الاقتداء والتأسي! بقطع النظر عن صحة الخبر عن النبي – صلى الله عليه وسلم – فهذا له مظانه ومراجعه وعلماؤه.)

وفـــاؤكِ صـــدّقي بلـــغ الثريـــا ... وسُـــطر - فـــي الصـــحائف - عبقريـــا

وحـــار الشـــعر كيـــف يصـــوغ بِـــراً ... عـــن التصـــوير مســـتمياً علِيـــا؟

أزينـــبُ علمـــي الزوجـــاتِ قِســـطاً ... مِـــن الأخـــلاق محترمـــاً أبيـــا

فـــإن نســـاءنا أولـــى - وربـــي - ... بقســـطٍ يُخـــرج الشـــحّ الخبيـــا

لقـــد أضـــحى التعامـــلُ مســـتحيلاً ... ومـــا حُـــزنَ الحلائـــلُ منـــه شـــيا

فـــزوجٌ ترتـــدي دِرعَ التحـــدي ... كـــأن الـــزوج بـــات الســـامريا!

وزوجٌ تمـــلأ الـــدنيا ضـــجيجاً ... بـــدون مبـــرّر تشـــكو الوليـــا!

وزوجٌ تقتـــل الـــزوج انتقامـــاً ... وقـــد حملـــتْ حُســـاماً ســـمهريا!

وزوجٌ - فـــي التعنـــت - لا تُبـــارى ... وكـــم ســـمعتْ خيـــالاً مســـمَعَيا!

وزوجٌ لا تطيـــع - ولـــو لأمـــر - ... وتتبـــع الســـلوك الجاهليـــا

وزوجٌ أهلهـــا كـــم خبّبوهـــا ... فألبســـتِ النشـــوز المُـــرَّ زِيـــا!

وزوجٌ لـــم تصـــنْ بيتـــاً عزيـــزاً ... ولا زوجـــاً ولا ولـــداً تقيـــا

أزينـــبُ لقنـــي الزوجـــاتِ درســـاً ... عظـــيمَ الوقـــع مِفصـــاحاً وضِـــيا

فإنـــكِ فقـــتِ كـــل نســـاء قـــومي ... وجئـــتِ تـــبعّلاً نضِـــراً وفيـــا

وعشـــتِ علـــى المكـــارم والمعـــالي ... مُطهـــرة الســـريرة والمُحَيـــا

تبـــوأتِ الفضـــائلَ والســـجايا ... فقـــد تابعـــتِ والـــدك النبيـــا

وأمّـــاً - فـــي الولائـــد - مثـــل بـــدر ... يجـــاور فـــي الســـماوات الثريـــا

فكـــم وفـــتْ! وكـــم بـــذلتْ وضـــحّتْ! ... وكـــان عطاؤهـــا عبقـــاً زكيـــا

وصـــدقتِ النبـــي بـــلا جـــدال ... وأخلصـــتِ العِبـــادة والمُضِـــيا

وآوت دون مَجبنـــــةٍ وخـــــذل ... وكـــان العـــونُ مِقـــداماً قويـــا

وأعطاهـــا المهـــيمنُ خيـــر وُلـــدٍ ... فكـــلٌّ لازمَ الـــدربَ الســـويا

وكـــان أبـــوك خيـــر النـــاس هـــدياً ... وعـــن مـــدح الـــورى كـــان الغنيـــا

وعـــاش مبـــرأ مـــن أي نقـــص ... ورب النـــاس كـــان بـــه حفِيـــا

وهـــل - بعـــد النبـــوة - مِـــن مقـــام؟ ... ولـــم نعلـــمْ لـــه أبـــداً سَـــمِيا

أحـــب (خديجـــة) حبـــاً تســـامى ... وعـــاش بحبهـــا أبـــداً رضـــيا

تـــذكرَ بـــالقلادة عـــذبَ ذكـــرى ... ومَـــن أهـــدتك فـــي العُـــرس الحُليـــا

فعـــاد الـــزوج مـــن أســـر طليقـــاً ... وأعطيـــتِ القـــلادة كالثريـــا

بشراكِ يا منيرة

(أحيِّي في هذه القصيدة الدكتورة / منيرة محمد ناصر الدوسري ، على كتابها البديع (أسماء سور القرآن الكريم وفضائلها) ، الصادر عن دار ابن الجوزي. ولقد تجاوزت صفحات البحث 700 صفحة ، نالت به الباحثة المباركة درجة الماجستير في تفسير علوم القرآن من كلية الآداب للبنات بالدمام. اقتصرتْ في ذكر فضائل القرآن على الأحاديث الواردة في الكتب التسعة. وقدمتْ لكل سورة بمقدمةٍ حللتْ فيها عدد الآيات وبعض أغراض السورة. وقسمتْ أسماء كل سورة إلى توقيفية واجتهادية. وشرحتْ بعض أسماء سور القرآن الغامضة معتمدة على كتب اللغة أو التفسير. وقامت بعمل توجيه لكل اسم من الأسماء. وذكرتْ فضل كل سورة مقتصرة على ما ورد في الكتب التسعة. وتتبعت الأحاديث الضعيفة والموضوعة في فضائل بعض السور ، وبينت عدم صحة الاستشهاد بها ، لأن في الصحيح والحسن غُنية والحمد لله. ولم تورد حديثاً في رسالتها إلا وخرجته وبينت درجة الصحة. وعرفت بالأعلام غير المشهورين في البحث. وشرحت كل كلمة غامضه وردت في البحث. وكنتُ قد قرأتُ الكتاب كله مستلهماً منه الدروس والعِبَر والمواعظ. ولقد استفدتُ منه كثيراً ، وانتفعتُ بما حوى من العلم النافع ووجهات النظر الصحيحة الثمينة. وألفيتُ الكتاب ذا صبغة موسوعية توسّعية في إيراد الرأي والرأي المخالف ، ودحض الأدلة الواهية حول ما يخالف الصحيح من الأخبار الواردة بشأن السور القرآنية وفضائلها. والكتاب لا غنى لطالب علم عنه أبداً. وبارك الله في هذه الدوسرية المفسّرة حفيدة العلامة المفسّر والمحدث والفقيه والمنظر العبقري الفذ (عبد الرحمن الدوسري رحمه الله) ، وسليلة القبيلة العربية الدوسرية ، قبيلة العلماء والأدباء والشعراء والفحول من حملة الرسائل العلمية التي تنوعت في شتى العلوم. ولا نزكّي على الله ربنا أحداً ، والله حسيبُ الجميع ووكيلهم. (إن نظن إلا ظنا ، وما نحن بمستيقنين). وما شرّفتِ امرأة قومها وقبيلتها بمثل ما شرفت الدكتورة منيرة الدوسرية ، إنه الشرف العظيم والمجد التليد والسؤدد الخالد على مر الدهور وتعاقب العصور ، سِفر في علم التفسير يملأ طِباق الأرض علماً ، وأي علم ؟ إنه علم تفسير القرآن الكريم ، وكفى به شرفاً وعزة اتصاله المباشر بالقرآن. ولقد كنا نعتقد أن أغلب نسائنا في هذا الزمان قد اعتزلن العلم والعلماء ، والبعض اتبع بيوتات الأزياء العالمية ـ عليها وعلى القائمين عليها والمروّجين لوجباتها العُهرية – لعنة الله وغضبه إلى يوم الدين ، فصارت النسوة بهذه التبعية الذليلة وبهذا الانصياع المَقيت الرخيص المروذل أشبه ما يكن بالبهائم والعجماوات والسوائم! إلى أن فاجأتنا الدكتورة الدوسرية بهذا الكتاب العظيم الذي يُعجز البلغاء والفصحاء ، ويثري المكتبة العربية والإسلامية من حيث ندرة مجاله وقلة من بحثوه قديماً وحديثاً! ومن هنا سطرتُ هذه القصيدة في الإشادة بالكتاب وبمؤلفته ابتغاء مرضاة الله. وذلك لأن هذا الصنيع أي القصيدة ديْن عليّ أداؤه والوفاء به.)

تحيتـــي صـــاغها الفـــؤادُ أشـــعارا ... لكـــي تظـــل ـ مَـــدى الأيـــام ـ تـــذكارا

أجِـــلُّ أهـــل كتـــاب الله ، أغـــبطهم ... وأكْبِـــر العلمـــاء الصّـــيد إكبـــارا

وكـــم أهـــيمُ بمـــا خطـــوه مـــن دُرر! ... منهـــا تفـــيض دمـــوعُ العـــين أنهـــارا

وكـــم أرجّـــعُ فـــي الأســـحار مـــا ذكـــروا! حتـــــى أجمّـــــل بـــــالترجيع أســـــحارا

وكـــم أطـــالعُ فـــي سِـــر وفـــي علـــن حتـــــى أبـــــارك بـــــالقراءة الـــــدارا

وكـــم أكـــرّر أرجـــو فهـــمَ غامضـــة وأشْـــهر العِلـــم - مثـــلَ الســـيف - إشـــهارا

وللمنيـــرة - فـــي التفســـير - مدرســـة إذ أبحـــرتْ - فـــي بحـــار العلـــم - إبحـــارا

وأخرجـــتْ سِـــفرها كالشـــمس ســـاطعة يشِـــع - فـــي لجـــج الظلمـــاء - أنـــوارا

يهـــدي الحيـــارى لمَـــا يُزيـــل حَيْـــرتهم ويُلهـــــمُ النـــــاسَ آراءً وأفكـــــارا

ويُخـــرجُ العقـــلَ مِـــن تيـــهٍ يُجندلـــه وعنـــــه يـــــدفعُ أخلاطـــــاً وأوضـــــارا

(والدوســـرية) فـــي إخراجـــه اجتهـــدتْ حتـــى احتـــوى - مِـــن لبـــاب العلـــم - أســـرارا

وضـــــمنته أحاديثـــــاً لهـــــا أرجٌ وخللـــــتْ رَوضـــــه ورداً وأزهـــــارا

ونقحتـــــه لكـــــي يرتـــــاح قارئـــــه وأوردتْ فيـــــهِ أنبـــــاءً وآثـــــارا

وخرّجـــتْ كـــل مـــا خطتـــه مِـــن خبـــر وقـــلّ مَـــن خرجـــوا رؤىً وأخبـــارا!

وحققـــتْ كـــل مـــا احتاجـــت مباحثهـــا حتـــى احتـــوى السِـــفرُ فـــي التحقيـــق أســـفارا

ودققـــــت لفظـــــه لمـــــن يُطالعـــــه حتـــــى ســـــبا أممـــــاً تتلـــــو وسُـــــمّارا

وســـــخّر الله مَـــــن أقـــــال عثرتهـــــا مِـــــن المغـــــاوير أعوانـــــاً وأنصـــــارا

كـــلٌّ يعـــينُ بجهـــدٍ لا حـــدود لـــه وأثمـــر الجهـــد - فـــي الإخـــراج - أثمـــارا

(منيـــرة) الخيـــر حُـــزتِ المجـــدَ أجمعَـــه وكنـــتِ أعـــذرتِ – للـــرحمن - إعـــذارا

جُزيـــت خيـــراً علـــى سِـــفر يُبصّـــرنا إذ احتـــوى النـــورَ - للآنـــام - مغـــزارا

عاشق الزبالة

(ذات يوم سأل عبد الله ابن الإمام أحمد بن حنبل أباه قائلاً: حتى متى الكتابة والتدوين يا أبت؟ فأجاب الإمام: يا بني ، مع المِحبرة حتى المَقبرة. تلك المقولة الجليلة التي تمثلها فيما بعد شيخ الإسلام ابن تيمية الحراني – رحمة الله عليه –. وأسال أين هذا التصور السامي لرسالة الإنسان في الحياة من تصور الزبّال الأمريكي (أندي رستون) الذي أوردتْ قصته كاملة مقالة في كتاب (الروضة السندسية فى الإذاعة المدرسية) للأستاذ / عبد الناصر محمد مغنم ص31. أختصر فأقول: "بعد الوفاة للزبال الأمريكى (أندي رستون) الذي عمل في مجمع القمامة مدة 22 عاماً ، وضع في تابوت هو عبارة عن صندوق قمامة أخضر اللون ، ونقل إلى المقبرة في سيارة نقل القمامة بناءً على وصيته. وقد اختار الزبال طريقة دفنه بصندوق القمامة لأنه يفتخر بعمله. الحقيقة أن أبا الطيب المتنبي قد أصاب إذ قال منشداً لأصحاب الهمم العالية ومتغنياً بإرادتهم:

على قدر أهـل العزم تأتي العزائــمُ وتأتي ـ على قـدر الـكرام ـ المكارمُ

وتعظم في عين الصغيــر صغارها وتصغر ـ في عين العظيم ـ العظائم

أما عاشق الزبالة ، والذي يُوصي بأن يشيع إلى قبره محمولاً على عربتها وفي أحد صناديقها ، فإنني أراه قد أضاف إلى سوء معتقده من نسبته الصاحبة والولد إلى الله – عز وجل – وكفى بها فِرية ، أضاف سوء السلوك وإهانة النفس وهي حية ثم بعد أن فارقت الحياة. إن أصحاب الهمم العالية تبقى أعمالهم وإنجازاتهم عالية سامية سمو وعلو همم أصحابها. أما أصحاب الهمم المتدنية الرخيصة فأعمالهم وإنجازاتهم تبقى رخيصة ومتدنية دنو ورخص همم أصحابها. وهذا مشاهد ملموس في واقعنا وعلى مختلف الأصعدة. والرواية المشهورة عن الإمام العظيم ابن حنبل في رده على ابنه عبد الله سؤاله: (حتى متى في طلب العلم والدعوة إليه والجهاد في سبيله يا أبتاه؟ فمتى الراحة إذن؟) فيكون جواب الأب ذي الهمة العالية والإرادة الحديدية الصارمة في الحق والخير والعدل: (في الجنة إن شاء الله تعالى). إن الفرق كبير جداً بين من يعيشون لقضيةٍ ولرسالةٍ يضحّون في سبيلهما بالغالي والنفيس ، وبين آخرين يعيشون حياة هي إلى الحيوانية والعجماوية أقرب منها إلى الإنسانية والآدمية. فهذا الصنفُ من الناس لا قيمة لهم ولا تأثير لهم في الحياة ولا الأحياء. والكل راحلون: أصحاب القيم الذين يعملون لها ويضحون في سبيلها راحلون. والأشقياء الذين لا رسالة لهم ولا قضية أيضاً سيموتون وسيرحلون. وإنها لقصيرة تلك الحياة التي يفتن بها اليومَ الكثيرون ويعبدها كذلك الكثيرون. ومن مات فقد قامت قيامته. أنشدتُ من شعري أستهجن صاحب كل ذي همة حقيرة متدنية كعاشق القمامة هذا أقول:)

مِــن المهــد للحــد تهــوى القمامــة وتــــزعُم أنْ قــــد بلغــــت الإمامــــة

عشــــقت الزبالــــة سِــــراً وجهــــراً وعشــــت تــــبش لهــــا بابتســــامة

كــــأن الزبالــــة (جولييــــت) تهفــــو و(روميــــو) يغنــــي ، ويُبــــدي غرامــــه

وتشـــجي القـــذارة إحســـاسَ فـــظٍ يهـــيمُ إذا أنعشـــتْه الزهامـــة

بأوســـاخه كـــم ينـــام قريـــراً! ويُصـــبح لا تعتريـــة الســـآمة

تخـــط الجـــراثيم للعِلـــج دربـــاً لـــيُعْظم شـــأن الأذى والقمامـــة

وتشـــدو الصراصـــير: (مرحـــى بأنـــدي) وتحـــدو الخنـــافس: تحيـــا الزعامـــة

ويُـــدلي الـــذبابُ بـــرأي وجيـــهٍ يقـــول: ببيـــت الـــزعيم الإقامـــة

فيعلـــو الطنـــين بكـــل الزوايـــا وتبـــدو التقاســـيم مثـــل المقامـــة

وتـــأتي البعوضـــات مـــن كـــل صـــوب لتصـــعق كـــل خبيـــثٍ وهامـــة

ويســـعي الجـــرادُ إلـــى بيـــت أنـــدي جحافـــلُ فـــي الجـــو مثـــلُ الغمامـــة

وتلقـــي المزابـــلُ مـــا خـــاس فيهـــا فأعفانهـــا أصـــبحت قـــدْرَ قامـــة

تحيِّـــي ابـــن (رســـتون) أغلـــى زبـــون بهـــذي الوظيفـــة بـــاع الكرامـــة

وقمَّـــمَ فـــي كـــل وَعـــر وسَـــهل يُفـــتش عـــن نخـــوةٍ أو شـــهامة

فحصَّـــلها فـــي كنيـــفٍ وكهـــفٍ وأدرك مـــا يشـــتهيهِ أمامـــه

وحـــلّ بهـــذا الرذيـــل احتضـــارٌ يســـوق لـــه المنتهـــى والندامـــة

فأوصـــى الـــذين أتـــوْا أن يصـــيخوا لأقوالـــه دون أدنـــى ملامـــة

بـــأن يحملـــوه بكـــل اعتـــزاز علـــى مَـــتن ســـيارةٍ للقمامـــة

بـــداخل صـــندوقها بافتخـــار ليضـــمن مِـــن عاذليـــه الســـلامة

ألا يـــا ربيـــبَ الأذى والمخـــازي بموتـــك قامـــت عليـــك القيامـــة

ســـتندمُ أنـــك لا لـــم توحّـــد إلهـــك ، لـــم تتبـــعْ الاســـتقامة

طلقها زيد ، وتزوجها عمرو لأنها عقيم

(كانت (هند) امرأة صالحة عابدة ، لكنها عقيم ، هذه إرادة الله فيها. فلما تزوجت طلقها زوجها بسبب عقمها. بعد أن أذاقها الأمرين لسوء خلقه (رغم تدينه للأسف!). ثم منّ الله تعالى عليها بزوج ذاق من العقوق ما علمت البشرية منه وما لم تعلم على يد أولاده ، فزهد في الأولاد. وصمم على أن يتزوج من عقيم لأنه لا يريد الولد ، فهداه الله إلى هذه الصالحة العابدة ، فعاش معها أسعد الأيام. وكان السبب الرئيسي في زواجه منها عقمها. فسبحان الله ، السبب واحد ، ولكن الغرض والهدف مختلفان. فسبحان من له في خلقه شؤون! فبينما هو في الطريق إلى أهلها ليخطبها ، عاش بين هواجس الماضي بما حوى من محن وإحن ، وجراح وأتراح ، وأطياف المستقبل بما ينطوي عليه الغيب من مفاجآت ، الله أعلم بها. لقد حُكي له عنها الكثير: (هند ، تلك الصالحة التقية الورعة ، قوامة الليل صوامة النهار ، لكنها فقط عاقر ، هذا كل ما يعيبها وكل ما ينتقصها الناس من أجله!). وبما أن الرجل قد رزق بالأولاد ، وذاق على أيديهم العقوق بمرارته ولوعته ، فهو لا يطمح أبدا إلى الولد. وإذن فهو شعور غريب ومطلب عجيب في بداهة العقل والمنطق. إذ الناس في الأرض كل الأرض تنشد الولد. والأنبياء والمرسلون يحبون الأولاد ، ويرغبون في تكثيرهم! وحكى الله تعالى عن زكريا عليه السلام دعاءه: (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتْ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا). وكانت الأمم تفاخر بكثرة عدد أبنائها وشبابها! إن الأولاد نعمة لا يدرك قيمتها إلا من فقدها! وأثنى الله تعالى على عباده الصالحين بمحامد كثيرة منها قوله: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا). وأخبر الله تعالى أن شعيباً عليه السلام أمر قومه أن يذكروا نعمة الله عليهم إذ جعلهم كثرة بعد قلة فقال: (وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلا فَكَثَّرَكُمْ). ولقد ذكر الإمام الغزالي في (الإحياء) أن الرجل إذا تزوج ونوى بذلك حصول الولد كان ذلك قربة يؤجر عليها من حسنت نيته ، وبَيَّن ذلك بوجوه: * الأول: موافقة محبة الله عز وجل في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان. * الثاني: طلب محبة الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في تكثير من يباهي بهم الأنبياء والأمم يوم القيامة. * الثالث: طلب البركة ، وكثرة الأجر ، ومغفرة الذنب بدعاء الولد الصالح له بعده. روى أبو داود عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنِّي أَصَبْتُ امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ وَجَمَالٍ وَإِنَّهَا لا تَلِدُ أَفَأَتَزَوَّجُهَا قَالَ لا ثُمَّ أَتَاهُ الثَّانِيَةَ فَنَهَاهُ ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: تَزَوَّجُوا الْوَدُودَ الْوَلُودَ فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمْ الأُمَمَ . صححه الألباني في إرواء الغليل. وهذا الحديث يدل على الترغيب في نكاح المرأة الولود أو كثيرة الولادة ؛ حتى تكثر الأمة المسلمة ، ويحصل بذلك مباهاة ومفاخرة النبي صلى الله عليه وسلم بأمته على سائر الأمم ، وفي ذلك الترغيب في كثرة الأولاد والذرية الصالحة. وحكى الله تعالى عن دعاء إبراهيم عليه السلام ربه قائلاً: (رَبِّ هَبْ لِي مِنْ الصَّالِحِينَ). ولكنّ هند قصيدتنا وزوجها من نوع آخر ولهما ما يبرر رؤيتهما! فتوقفت كثيراً عند طلاق يُشهر من أمة صالحة ـ من إماء الله عابدة قانتة ـ لأنها عقيم ، وزواج يعلن من ذات الأمة لأنها عقيم! أنشدت على لسان ذلك الخطيب الجديد أقول:)

كـــم قضـــايا الـــدليلُ فيهـــا تبـــدّى ... والســـفيهُ بـــالرأي فيهـــا اســـتبدا!

كـــم أردنـــا (عَمْـــراً) لأمـــر دهانـــا ... وأراد الـــــديان للأمـــــر (زيـــــداً)!

نتمنـــــى ، والأمنيـــــات ســـــرابٌ ... والرضـــا - بالأقـــدار - أرجـــى وأجـــدى

نشـــتهي العـــيش لـــيس فيـــه ابـــتلاءٌ ... والحيـــاة كـــالبحر جـــزراً ومَـــدا

نرتجـــي النعمـــى دون بـــذل وســـعْي ... هـــل نعـــيمٌ ، والعبـــد لـــم يـــأل جهـــدا؟

نخطِـــب الحســـنا دون مهـــر يـــوافي ... مـــا عليـــه حَســـنا مـــن الحُســـن أنـــدى!

كـــم غنِـــي بالمـــال أضـــحى تعيســـاً ... مالُـــــه بـــــالأفراح والأنـــــس أودى

وفقيـــرٍ عـــاش الحيـــاة ســـعيداً ... لـــم يكـــن يـــدري للســـعادة حـــدا

هكـــذا الـــدنيا بالتنـــاقض مـــلآى ... كـــم يحـــار مَـــن ينقـــد العـــيش نقـــدا!

إيـــهِ يـــا (هنـــد) ، فيـــكِ حـــارت ظنـــوني ... إذ ســـردتُ الأخبـــار بالشـــعر ســـردا

زادنـــي الـــراوي مِـــن حكايـــات فضـــلى ... فانفعلـــتُ ، وازددتُ حزنـــاً ووَجـــدا

كـــم تحملـــتُ الظلـــمَ يُـــدْمي ويُشْـــقي ... مِـــن حليـــل أعطـــى قلـــيلاً وأكـــدى!

مـــا اشـــتكيتُ إلا إلـــى الله حـــالاً ... سُـــووَه مـــن فـــرط العـــذاب اشـــتدا

كـــم رمـــاكِ - بـــالعقم - زوجٌ جهـــولٌ ... فـــي الـــذي قـــد رمـــاكِ لـــم يـــؤت رشـــدا!

إن هـــــذا قضـــــاء رب البرايـــــا ... خـــصَّ ربـــي - بـــالعقم والصـــبر - (هنـــدا)

فتلقـــت هـــذا بشـــكر وحمـــدٍ ... واحتســـاب يزْكـــي الثنـــا والحمـــدا

إن ربـــي لِمـــا يشـــاء لطيـــفٌ ... والجميـــعُ يومـــاً سيُحشـــر وفـــدا

حكمـــة المـــولى فـــي عطـــاءٍ ومنـــع ... قـــد يفيـــد - إذ يمنـــع الـــرزق - عبـــدا

إن يجُـــدْ بالأبنـــاء ، هـــذا امتحـــان ... ليـــرى المـــولى شـــكر (لبنـــى وسُـــعدى)

أو يجُـــدْ بالبنـــات ، هـــذا اختبـــارٌ ... أو يخـــصَّ ربـــي بـــالاثنين (دَعـــدا)

كـــل هـــذا - مـــن المليـــك - ابـــتلاءٌ ثـــم قـــد لا يبلـــي بـــالاثنين (شـــهدا)

لـــم يكـــن مولانـــا ليُســـألَ عمـــا قـــد أتـــى ، والإنســـان يُســـأل فـــردا

والإلـــه يـــا (هنـــد) أغنـــى وأقنـــى خـــاب مَـــن ظـــن أن لله نِـــدا

أبـــدلَ الفضـــلى إذ دعـــتْ فـــي الـــدياجي مِـــن مَـــرار فرحـــاً ويُمنـــاً وودا

حيـــث جـــاء الحليـــل يرجـــو عقيمـــاً بعـــدما عـــانى مـــن بنيـــه الســـهدا

جرعـــوه الآلام كأســـاً فكأســـاً والكبيـــر - مـــن حمقـــه - يتحـــدى

والصـــغار - خلـــف الكبيـــر - قطيـــعٌ عاهـــدوه - خـــابوا - علـــى الجَـــوْر عهـــدا

ثـــم كـــان العقـــوق مـــنهم جميعـــاً والقلـــوب اهتاجـــت ســـعيراً وحقـــدا

وإذا بـــالأم الكســـيرة تمضـــي بعـــد لأي ، والآن تســـكن لحـــدا

أغضـــبوها ، لمـــا أهـــانوا أبـــاهم! وأبـــوهم مـــنهم تبـــرأ عمـــدا

قـــال: إنـــي مســـتأنسٌ بعـــروس لا أريـــد منهـــا - مـــدى الـــدهر - وُلـــدا

لا أريـــد الأولاد مصـــدر ذل يمـــلأون الحيـــاة ضـــنكاً وصـــدا

إن (هنـــداً) - بـــالعقم - أغلـــى وأحلـــى وأرانـــي - والله - أحســـنتُ قصـــدا

مـــا زهـــدتُ فيهـــا ، ولا نلـــت منهـــا بـــل زهـــدتُ الأولاد منهـــا زهـــدا

ربمـــا عشـــتُ مـــا تبقـــى عزيـــزاً أو تســـنمتُ بـــالزواج المجـــدا

ربمـــا أدركـــتُ التقـــى والمعـــالي ربمـــا فـــي الأخـــرى دخلـــتُ الخلـــدا

لـــيس شـــيئٌ علـــى المليـــك عزيـــزاً رب زدنـــي إذا تزوجـــت رفـــدا

جريدة (المساء) – العدد 715 ص 9

المسمى الوظيفي: (واعظ الشركة)

(عملوا معاً في تصدير واستيراد ورق وأحبار الطباعة وقطع غيار الحواسيب بالجملة. وبسبب أمانتهم وصدقهم في التعامل ، ذاع سيطهم وانتشرت شهرتهم في الأمصار انتشار أشعة الشمس في الآفاق. فأصبحوا والقاصي والداني يعرفهم. وكانوا في العقيدة مِللاً شتى ، فسبعة كانوا متمسلمين (نصيب الإسلام منهم التسمي فقط) ، وأربعة منهم روافض من غلاة المتشيعة ، وعشرة منهم نصارى ، وأحدهم كان مسلماً ملتزماً بالإسلام جاداً فيه عاملاً به مجتهداً في الدعوة إليه ، ولكن بضاعته في العلم الشرعي وأساليب الدعوة وإفحام الخصوم كانت بضاعة مزجاة. فالتقى في سفرة من الأسفار برجل هندي داعية مسلم كان يجيد العربية إجادة أهلها (عن علم ودراسة). فتعرّف عليه وعرض عليه بعد جلسة طالت بينهما في الفندق أن يأتى معه ليعمل واعظاً في الشركة هنا في الخليج فوافق. واتخذوا له كرفانة صغيرة يؤذن ويصلي فيها بالمسلمين من أصحاب الشركة وعملائها. وكان للرجل علم بالنصرانية والرافضة ومعرفة بعقيدة كلٍّ ومذاهب كل. وكانت له جلسات وعظٍ في مكاتب رجال الأعمال ، ركزها في أول الأمر على الأخلاق العامة (التي يتفق عليها كل أصحاب قيم ودين وأداب وأخلاق ، وإن كانوا غير مسلمين). ثم طوّرها فصارت بعنوان: (لماذا خلقنا الله؟) ثم طوّرها بالحديث عن الأنبياء والرسل والمصلحين والدعاة على مر التاريخ. فكانت لقاءات فكرية هادفة تختلف كثيراً عن خطب ودروس ومحاضرات المرتزقة (تلك التي ما أريد بها وجه الله قط ، لأنها تخرج من حناجر مأجورة ، فهي أقرب إلى حصص القراءة الفاشلة منها إلى الخطب والمواعظ). وكان ليناً هاشاً باشّاً في وجوه أصحاب الشركة ، الأمر الذي جعلهم يحبونه ويحرصون على المناقشة معه والدخول في حوارات فكريه طويلة المدى. وما هي إلا ستة أشهر ونصف حتى صار الكل على الإسلام الحق ، بفضل الله أولاً وآخراً ، ثم بجهود هذا الشيخ المجاهد الفذ. فعمل واعظاً في الشركة واستمرّ به الحال ، فازداد رزق رجل الأعمال الذي عينه بمهنة واعظ في الشركة ، ولقبه بالنبراس (منتصر) واعظ الشركة. ولقد خطب الدكتور صالح بن علي أبو عرَّاد أستاذ التربية الإسلامية المساعد بكلية المعلمين في أبها تحت عنوان: (من أخلاق الداعي إلى الله تعالى) قال ما نصه: (أُشيرُ إلى أبرز وأجمل هذه الأخلاق والسلوكيات ومنها: * الصدق والأمانة: وهما خُلقان متلازمان وصفتان مُتكاملتان تُشيران إلى مراقبة الإنسان لله تعالى في القول والعمل والنية ، فلا يقول إلا الحق ، ولا يعمل إلا الخير ، ولا ينوي إلا النية الصالحة. وهذا يعني أن معناهما يتسع ليشمل كل جزئيةٍ في حياة الإنسان وكل شأنٍ من شؤونه ، الأمر الذي يمكن التأكيد معه على أنه لا يمكن للداعي إلى الله تعالى أن ينجح في دعوته بدون التحلي بهما لما يحملانه من جميل المعاني وكريم الصفات. * التواضع والتسامح: إذ لهما أثرٌ كبيرٌ ودورٌ فاعلٌ في تقبل المدعوين لشخصية الداعي إلى الله تعالى ، وقبولهم لما يدعو إليه ، ولأن فيهما منافاةً للكبر والغرور والخُيلاء ، كما أن فيهما خفضٌ للجناح ولين الجانب والعفو عن زلات الآخرين وأخطائهم. ومن التواضع أن يسأل الله تعالى الإخلاص والصلاح في النية ، وأن يسأل الله تعالى قبول عمله ، وأن يحذر من الرياء أو العُجب الذي قد يحبط ما قام به. * الرفق واللطف والرحمة بالمدعوين: والمعنى أن يكون الداعي مُتحلياً بصفات اللين واللطف ، والرحمة والشفقة بالمدعوين ، والصبر على ما قد يصدر منهم ، أو ينتج عن دعوتهم من متاعب ومشاق ولا سيما

إذا كانوا حديثي عهدٍ بالدخول في الدين ، ثم لأن في التحلي بمجموع هذه الأخلاق منافع عديدة تُثمرُ وتؤثر - بإذن الله تعالى - في قلب المدعو ، فيأنس للدعوة ، ويلين لها، ويتأثر بها ، ويتجاوب معها . كما أن على الداعي إلى الله تعالى أن يكون حريصاً على إرادة الخير للمدعوين ودلالتهم عليه. * موافقة القول العمل: وهي صفةٌ خُلقيةٌ رئيسةٌ يجب أن يكون الداعي مُتصفاً ومُتحلياً بها في كل شأنه ، وتعني أن يكون قدوةً صالحةً وأُسوةً حسنةً فيما يدعو إليه من القول والعمل والنية. وهذا الخُلق لا يتحقق بغير الالتزام بما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، والبعد عما لا فائدة فيه ولا نفع منه من مجريات الحياة وإن كانت من المباحات ، يُضاف إلى ذلك الترفع عن الدنيا ، وعن التنافس فيها والطمع فيما عند الله تعالى حتى يكسب الداعي حب المدعوين وثقتهم. * معايشة الواقع والتعاطف الحي معه: وهذا خُلقٌ يقوم على ضرورة معايشة الداعي إلى الله تعالى للواقع بما فيه ومن فيه ، وضرورة التعرف على مجرياته ، وسبر أغواره ، وعدم الانعزال عنه. كما أن ذلك الخُلق يعني الشعور الصادق بما يشعر به المدعوين من مشاعر وأحاسيس مختلفة).هـ. أقول في انتصار للحق وأهله: إن مثل هذا السلوك القويم الرشيد ليغفل عنه اليوم أغلبُ أصحاب الأعمال ، إذ يهتمون فقط بالربح والصفقات ، ويهمّشون التدين تماماً. ألا ليت رجال الأعمال يفطنون إلى مثل هذا السلوك ليغنموا مرتين: الأولى في دنياهم من الأرباح المباركة ، والثانية في الآخرة. أنشدتُ أمتدح منتصراً الداعية الفذ ، وأطريه شعراً مشيداً بأخلاقه وذكائه ونجاحه!)

فخـــرُ الـــدعاة - وربِّ النـــاس - (منتصـــرُ) وإننـــــي اليـــــومَ – بـــــالنبراس - أفتخـــــرُ

لـــم يـــألُ جهـــداً ، ولـــم يتـــركْ مناســـبة إلا وكـــــان لـــــه حشْـــــدٌ ومـــــؤتمر

ولـــم يقـــل: لقمتـــي ، أعـــيش أحرسُـــها إنـــي إليهـــا - بكـــل الصـــدق - مفتقـــر

ولـــــم يقـــــل: رزق أولادي وعـــــائلتي والكـــل - فـــي (الهنـــد) - للأمـــوال ينتظـــر!

ولـــم يقـــل: إننـــي فـــردٌ ، وذي فِـــرَقٌ مـــاذا سأصـــنع إن كـــادوا وإن مكـــروا؟

ولـــم يقـــل: حِيلتـــي - فـــي القـــوم - واهيـــة وكـــم وعظـــتُ ، فمـــا تـــابوا ولا اعتبـــروا!

ولـــم يقـــل: أكرمـــوني ، كيـــف أنقـــذُهم؟ وإن نقـــــدتُ فحتمـــــاً ســـــوف أعتـــــذر

ولـــم يقـــل: كلهـــم يرجـــو مصـــاحبتي فكيـــف أنكـــر شـــراً هـــم بـــه اشـــتهروا؟

ولـــم يقـــلْ: تلـــك أحـــزابٌ موزعـــة وكـــل حـــزب بـــه - مِـــن أهلـــه - زمـــر

ولـــم يقـــلْ: ربنـــا يهـــدي مَـــن انحرفـــوا منـــي الـــدعاءُ ، وعنـــدي الـــوِردُ والصـــدَر

ولـــم يقـــلْ: إننـــي بـــالعلم مرتـــزقٌ والنهْـــي مـــا قـــد نهَـــوا ، والأمـــرُ مـــا أمـــروا!

وإن رجعتُ إلى أهلي شقيتُ بهم ... إذ كسْرُ فاقتهم لا ، ليس ينجبر

بل واجهَ الكل يدعو دونما خَوَر ... ماذا يفيد اعتلاجُ النفس والخور؟

وجاء كلاً بما يهدي بصيرته! ... العقلُ هشّ له ، والسمعُ والبصر

وجادل الجمعَ بالحُسنى بدون هوىً ... ولم يُزِغ قلبَه ضيقٌ ولا ضجر

وللنقاش براهينٌ تعضدُه ... وصاحبُ الحق – بالبرهان - ينتصر

إن الأدلة - إن صحّت - تشعُ هُدىً ... وكم يُسرّ بها ، ويَطرَبُ النظر!

والعبقري الذي يزجي نصيحته ... للآخرين بها الدروسُ والعِبَر

ولا يُقَنطهم مِن عفو خالقهم ... لكنْ ببُشرى الرضا ، والتوب يبتشر

ولا يعيِّرهم بالذنب جندلهم ... ولم تفدهم أحاديثٌ ولا نذر

ولا يضيقُ بهم ذرعاً فيحرجهم ... لا ينفع الوعظ ، والمزاجُ معتكر

ولا يحَقرُهم ، أو يستهينُ بهم ... إذ ليس - في قلبه - لؤمٌ ولا دَبَر

وإن (منتصراً) وفى لدعوته ... وظل ينصحُ مَن يدعو ، ويصطبر

قومٌ بمال لهم عن ربهم شغِلوا ... والمالُ في (البنك) موفورٌ ومُدخر

رجال أعمال ، الأرباحُ قِبلتُهم ... شأن الكثيرين مِن ناس قد اتجروا

حتى أتى مَن دعا لله محتسباً ... ولم تغيِّره أثمانٌ ولا أجَر

فبدّل الله أوضاعاً وأفئدة ... والناسُ تسأل: ما الأحوالُ؟ ما الخبر؟

فأصبحوا لا تُرى إلا استقامتهم ... وبالتمسّك بالإسلام قد جهروا

واستمسكوا بعُرَى التوحيد ، واعتدلوا ... ومِن هواجس ما دانوا به طهُروا

وأخلصوا الدينَ للرحمن ، وارتقبوا ... حسن الثواب ، وللديان كم شكروا!

والله بارك - في الدنيا - تجارتهم ... إن المهيمن فتاحٌ ومُقتدر

حسان أشعر منها

(إنه درسٌ لكل شاعر وأديب أن يعلم: (وفوق كل ذي علم عليم). وعلى أن الخنساء صحابية شاعرة قديرة ، أحبُها وأجلها ، ولا أنتقص قدرها أبداً – رضي الله عنها وأرضاها –. إلا أنني أذهب إلى أن حسان بن ثابت كان أشعر منها ومن النابغة الذبياني. وقد قرأتُ ودرستُ ديوان كلٍّ منهم فألفيت حساناً شاعراً لا يعاب ، وسطرت فيه قراءتي الأسلوبية التحليلية المعروفة ، انتصاراً لمكانته بين شعراء الصحابة (تلك القراءة الأسلوبية التي تقع في ثلاثمائة صفحة من القطع الوسط. وهي عبارة عن مجموعة مقالات أدبية نشرت جميعها في جريدة الوحدة العربية ما بين 1993م وحتى 1996م في التسعينات من القرن المنصرم). في ص 135 من كتاب (الأجوبة المسكتة) لإبراهيم عبد الله الحازمي ، يقول: (عرضت الخنساء شيئاً من شعرها في معرض الشعر في عكاظ على النابغة الذبياني رئيس الموسم ، فقال لها: اذهبي فأنت أشعر من كل ذات ثديين ، ولولا أن الأعمي (يعنى الأعشى الشاعر) أنشدني قبلك لفضلتك على شعراء هذا الموسم. وكان ممن عرض شعره حسان بن ثابت الشاعر المعروف ، فغضب وقال للنابغة: أنا أشعر منك ومنها. فقال النابغة الذبياني: أجيبيه يا خنساء. فقالت الخنساء مُعقبة ، وبكل ثقة من الفوز: يا حسان ، ما هو أجود بيت في قصيدتك هذه التي عرضتها الآن؟ فقال حسان – رضي الله عنه - بكل ثقة: أجوده قولي:

لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى وأسيافنا يقطرن مِن نجدةٍ دما

فقالت الخنساء: والله يا حسان لقد ضعف افتخارك في ستة مواضع: * أولا: قلت: (الجفنات) وهي ما دون العشر ، ولو قلت: (الجفان) لكان أكثر. * ثانياً: قلت: (الغر) ، والغرة: البياض في الجبهة. ولو قلت: (البيض) لكان أكثراتساعاً. * ثالثاً: قلت: (يلمعن) ، واللمع شئ يأتي بعد شئ ، ولو قلت: (يشرقن) لكان أكثر ، لأن الإشراق أدوم من اللمعان. * رابعاً: قلت: (بالضحى) ، ولو قلت: (بالدجى) لكان أكثر للطارقين. * خامساً: قلت: (أسياف) وهي ما دون العشرة ، ولو قلت: (سيوف) لكان أكثر. * سادساً قلت: (دماً) ، والدماء أكثر من الدم. فسكت حسان ولم يحر جواباً).هـ. إن كثيراً من النقاد العرب وغير العرب في القديم والحديث يدندنون على هذا الشاهد ليثبتوا بأن الخنساء – رضي الله عنها – بذلك تكون أكثر شاعرية ودقة في فهم ونقد الشعر من حسان بن ثابت. وهم لا يقولون ذلك إحقاقاً للحق ، بل للنيل من حسان فقط. على منهج الأصمعي عندما ذهب إلى أن شعر حسان قد لان بعد دخوله الإسلام ، الأمر الذي لو كانت الخنساء حية ما أقرته على حسان بعد إسلامه. إن هذه المغالطات يعرفها كل من له خبرة وعلم بالشعر العربي تأليفاً ونقداً. والحقيقة أنني حللتُ هذا الخبر ، ووقفت عنده وتأملته طويلاً. ثم درستُ أقوال النقاد وآراءهم فيه. وكانت النتيجة أن حسان بن ثابت أشعر منها بمراحل. إذ الشاعر لا يُحكمُ عليه من بيت أو بيتين ولا من قصيدة بأكملها أو قصيدتين. إنما العُمدة على مُجمل شعره. والذي يطالع ديوان حسان كاملاً ، ويُحلل مادته الشعرية يمكن بسهولة ويسر أن يدرك ما لحسان من المكانة بين شعراء العربية في زمانه وفي زماننا هذا. وعلى النقيض من ذلك فالذي يطالع ديوان الخنساء يدرك أن المادة الشعرية فيه قد تغلب جانب فيها على آخر. فأصبحت الخنساء بهذا الديوان رائدة الرثاء بين شواعر العرب. على حين كان ديوان حسان روضاً مئنافاً يشتمل على كل فنون وأغراض الشعر من الوصف والغزل والفخر والرثاء والمدح والانتصار للحق وأهله. ومن هنا جاز القول عندي بدون تحفظ بأن حسان

أشعر منها. وفي كلٍّ خير. هذه صحابية مباركة ، وهذا صحابي مبارك. وكان رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يعجبه شعر كل منهما ، ويتذوقه ويطلب الاستزادة منه ، والشواهد على هذا كثيرة ولله الحمد والفضل والمنة. والحقيقة أن حسان منذ أسلم ضمّن شعره كثيراً من النصوص القرآنية والنبوية. وتابع الدكتور أسامة عطية عثمان رسالة علمية تثبتُ صدق الذي نقول! حيث نوقشت بقاعة الواحة بكلية الآداب رسالة الماجستير التي تقدم بها الطالب محمد بن حامد الشمري وعنوانها: "التناص في ديوان حسان بن ثابت". وقد عرض البحث ما انتهت إليه جوليا كريستيفا من نتائج بحوثها الإجرائية في هذا المجال بعد أن استفادت من الإرث النظري ، الذي حدد معالمه ميخائيل باختين في دراساته العميقة في مفهوم الحوارية ، حيث طورت جوليا كريستيفا النتائج البحثية التي انتهى إليها باختين وقسمت مفهومها للتناص إلى ثلاثة مستويات هي: * الاجترار: هو أخذ النص السابق بمعناه ومبناه. * الامتصاص: هو الاكتفاء بأخذ معنى النص السابق دون المبنى. * التجاوز: هو إذابة النص السابق في النص اللاحق إذابة يتعذر معها الوقوف على النص الأصلي ومعرفته لدى القارئ المتعجل. وقد كشفتْ دراسة ديوان حسان بن ثابت في ضوء ظاهرة التناصّ عن طبقات النصوص التي يستخدمها الشاعر ولا يصرح بها في أغلب الأحيان في إنشاء نصوصه الشعرية التي تتميز بالانفعال الكامل بالإسلام والتأثر الواضح بالقرآن الكريم ، والتركيز الجلي على صفات الرسول صلى الله عليه وسلم والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها ، وصناعة هذه الأشعار صناعة فنية تتخذ من التناص سمة بارزة لشعره ، ولقد توصل البحث إلى نتائج منها: أنّ حسان بن ثابت أنشأ أشعاره وهو متمثّل النصّ القرآني والأحاديث النبوية والأحداث التاريخية تمثّلاً جيّداً. وهو ما يؤشّر على مدى إعجاب الشاعر بهذه النصوص الدينية التي قامت عليها الدعوة الإسلامية من جهة ، وبالنصوص التاريخية التي وثّق البحث لها ، من جهة ثانية. إذا لم يعلن الشاعر عن النصّ المصدر الذي يبنى عليه نصّه اللاحق ، فإنّ القارئ لا يجد صعوبة في العثور على نسق التناصّ الذي هو بصدده ، إذ غالباً ما يرد التّناصّ في ديوان حسّان بن ثابت النسق الاجتراري ، يليه النسق الامتصاصي ، فالنسق التجاوزي ، وهو ما يثبت ولع الشاعر بهذه النصوص واتجاهه الواضح نحو الاقتباس منها اقتباساً مباشراً. كما أظهر البحث تشكّل شعر حسّان من نسيج علاقات تناصّية جعلته ملتقى نصوص وقيم عاضد بعضها وعارض بعضها الآخر ، فكشف بآلية التناصّ عن تحوّلات عقائدية وتاريخية واجتماعية أعادت النظر في أبرز الثوابت والقيم الجاهلية).هـ. وإنما انصب كلامي على: (من الأشعر منهما حسان أم الخنساء؟) وخلصتُ إلى أن حسان هو الأشعر. ورحتُ أنشد في الإشادة بحسان – رضي الله عنه – هذه القصيدة!)

حســـــانُ شـــــمسٌ بالقصـــــائد تشـــــرقُ فيُضـــــاء مغربُنـــــا بهـــــا ، والمشـــــرقُ

هـــو نهـــرُ شـــعر ، لـــيس يَنضـــبُ مـــاؤه بـــــل بالفضـــــائل دائمـــــاً يتـــــدفق

لـــــم يَحـــــرم التـــــالين لـــــذة شـــــعره بـــــل كـــــان - بـــــالفحوى - يفـــــيض ويُغـــــدق

أشـــــعاره فاحـــــت أريجـــــاً زاكيـــــاً فلكـــــل بيـــــت - فـــــي القصـــــيدة - رونـــــق

ولكـــــل تصـــــوير مبـــــاهجُ جمـــــة ... ولكـــــل تشـــــبيهٍ عبيـــــرٌ يعبـــــق

لان البيـــــانُ لـــــه ، فصـــــاغ رمـــــوزهُ ... شـــــعراً قصـــــائدُه حيـــــاضٌ دُفـــــق

هـــــو رد كيـــــد المشـــــركين بشـــــعره ... حتـــــى اســـــتكانوا - فـــــي النـــــزال - وأطرقـــــوا

هـــــو زاد عـــــن عِـــــرض النبـــــي ودينـــــه ... ولســـــانه - فـــــي النيـــــل - مـــــنهم أذلـــــق

ودعـــــا النبـــــي لـــــه ، فـــــأطلق شـــــعره ... نـــــاراً تـــــؤز الكـــــافرين ، وتحـــــرق

حُممـــــاً مـــــن التبيـــــان يُلهـــــب وَهجهـــــا ... تكـــــوي الـــــذي يهجـــــو النبـــــيَ ، وينعـــــق

يتتبـــــعُ الأنســـــاب كـــــي يتحســـــروا ... وبكـــــل مـــــا يفـــــري المشـــــاعرَ ينطـــــق

ويـــــذيقهم مِـــــن ذل مـــــا قـــــد خبـــــأوا ... ولـــــه دليـــــلٌ لا يُـــــرَدّ ومَوْثـــــق

ويعيـــــب أجـــــداداً تُفـــــرّق جمعُهـــــم ... حـــــين الجـــــلاد ، وقبـــــلُ لـــــم يتفرقـــــوا

وكلامـــــه فـــــيهم أشـــــدّ مـــــن الـــــردى ... وقلـــــوبهم - مِـــــن كـــــل حـــــرفٍ - تخفِـــــق

مـــــازال يُصْـــــليهم ويَـــــدحضُ مكـــــرهم ... والشـــــعرُ يشـــــكرُ قولـــــه ويُصـــــدِّق

فـــــي مســـــجد المختـــــار كـــــان قريضـــــه ... دُرراً غـــــدتْ مِـــــن حُســـــنها تتـــــألق

وكـــــأن (حســـــان) انتقـــــى ألفاظهـــــا ... والســـــامعون - لمَـــــا يقـــــولُ - تشـــــوّقوا

هـــــو فـــــارسُ الكلمـــــات يُبـــــدعُ نظمَهـــــا ... وعليـــــه لـــــم تكـــــن الـــــرؤى تســـــتغلَق

ســـــبحان مَـــــن رَزق المواهـــــبَ مِنـــــة! ... هـــــذا لـــــه - فـــــي كـــــل هيجـــــا - فيلـــــق

ومُكلـــــفٌ رُزِق المكانـــــة فـــــي الـــــورى ... ولـــــه مقـــــالٌ - فـــــي الأنـــــام - ومنطـــــق

ومكلـــــفٌ رزقَ الـــــدراهم والمَـــــلا ... فتـــــراه يُمســـــك تـــــارة ، أو يُنفـــــق

ومكلـــــفٌ رزقَ العلـــــومَ ، فلـــــم يـــــزلْ ... يـــــدعو الغفـــــاة إلـــــى الهُـــــدى ، ويُحقـــــق

ومكلـــــفٌ رزقَ المـــــزارعَ غضـــــة ... والمـــــاء - بـــــين ثمارهـــــا - يترقـــــرق

ومكلـــــفٌ رزقَ القبـــــولَ تكرمـــــاً ... وإلـــــى الشـــــفاعة إنـــــه للأســـــبق

ومكلـــفٌ رزقَ الشـــجاعة فـــي الـــوغى وفـــؤاده بلِـــوا الجهـــاد معلـــق

ومكلـــفٌ رزق القناعـــة والرضـــا إن التشـــبث - بالمطـــامع - يوبـــق

ومكلـــفٌ رزق التعفـــف منهجـــاً إن التعفـــف – بالموحـــد - أليـــق

ومكلـــف رزق الشـــهامة والمَضـــا فلديـــه بيـــتٌ بابُـــه لا يغلـــق

ومكلـــف رزق القصـــور أنيقـــة فـــي كـــل صُـــقع عِزبـــة أو جوســـق

ومكلـــف رزق العيـــال ، لهـــم هـــوىً فـــي قلبـــه - يســـبي النهـــى - وتشـــوق

ومكلـــف رزق الوظيفـــه ، فاســـتمى فـــي ثـــوب مختـــال ، غـــدا يتـــأنق

ومكلـــف رزق الوســـامة والبَهـــا فتحبـــه (لبنـــى) ، و(ليلـــى) تعشـــق

ومكلـــف رزق الثيـــابَ جميلـــة مِـــن سُـــندس نســـجتْ ، عليـــه اســـتبرق

ومكلـــف رزق الســـدادَ ، فرأيُـــه عنـــد الخـــلاف الشـــمسُ لمّـــا تشـــرق

ومكلـــف رزق الـــذكاء موفقـــاً إن القليـــل مـــن الـــذكاء يوفـــق

ومكلـــف آتـــاه ربـــي حكمـــة فتـــراه فيمـــا ينتـــوي لا يخفـــق

ومكلـــفٌ مُـــنح البيـــان وســـيلة تهـــدي الطريـــق إذا الـــدياجي تغســـق

والله ربـــي خـــصّ حســـاناً بهـــا لا يُســـأل الـــرزاقُ عمـــا يَـــرزق

حســـان أقـــوى شـــاعر وطـــئ الثـــرى وبـــرغم مَـــن يبغـــي عليـــه ويحنـــق

هـــو قـــد أجـــاد مـــن القـــريض فنونـــه هـــو لـــم يكـــن فـــي شـــعره يتفيهـــق

هـــو أنشـــد الأشـــعارَ وفـــق بحورهـــا للخزرجـــي بكـــل بحـــر زورق

فـــي (المـــدح) لـــم يـــكُ فـــي المـــدائح مثلـــه وكأنمـــا أمداحُـــه تتحقـــق

مـــدحَ الملـــوكَ لـــذا ترفـــع شـــعرُه هـــو لـــم يكـــن - فـــي مدحـــه - يتملـــق

فـــي (الفخـــر) كـــل النـــاس تعـــرفُ فخـــره هـــو لـــم يكـــن - فـــي فخـــره - يســـترزق

لكنـــــه فخـــــرٌ بشِـــــرعة ربـــــه ... ليغـــيظ مَـــن ســـبوا النبـــي ولفقـــوا

وأجـــاد ترجيـــع (الرثـــاء) بنبـــرةٍ ... ملتاعـــةٍ تشـــجي الفـــؤادَ ، وتشـــفق

وأجـــاد ترجيـــع (الهجـــاء) لمُغـــرض ... يهجـــو النبـــيَ بعزمـــةٍ تتحـــرق

وأجـــاد فـــي (الوصـــف) الـــذي يحلـــو لـــه ... إن كـــان يُثبـــت مـــا يـــرى ويُوثـــق

ورأيـــتُ (خنســـاء) الحنيفـــة آيـــة ... ترتـــاد أفـــق الشـــعر ، ثـــم تحلـــق

بلغـــتْ ســـماءً فـــي القـــريض عليّـــة ... بقصـــائدٍ فـــي كـــل حـــين تســـمُق

لكـــنْ لحســـان عليهـــا رُتبـــة ... إذ رَدعُهـــا الكفـــارَ ردعٌ ضـــيق

رغـــم المآخـــذ أصـــدرتها مـــا اعتلـــتْ ... كـــالخزرجيّ جـــوادَ شِـــعر يســـبق

أمـــا (ابـــن ذبيـــان) فلـــيس بحجـــة ... وجميـــعُ مـــا قـــد قـــال عنهـــا شـــيق

فليلـــزم الأصـــنامَ إذ هـــو عبـــدُها ... وكلامُـــه عنهـــا أدقُ وأعمـــق

والعـــذرُ ملـــتمسٌ لـــه فـــي حُكمـــه ... فلربمـــا ألقـــاه لـــيس يـــدقق

ولربمـــا (حســـان) كـــال مديحَـــه ... يُطـــري الملـــوك فكافـــأوه ، وأغـــدقوا

ولربمـــا لـــو كـــان أنصـــت للـــذي ... يتلـــوه (حســـانُ) الهـــدى ، ويصـــدق

لتغيـــرتْ آراؤه وثنـــاؤه ... إذ مـــات قبـــل نبينـــا فـــيمن شـــقوا

لـــم يســـتمع (حســـان) بعـــد هدايـــةٍ ... أضـــحى بفضـــل صـــلاحها يتـــألق

(حســـان) أشـــعرُ مَـــن علمـــتُ ، وربنـــا ... مهمـــا هجـــاه مخـــرفٌ متحـــذلق

(وأبـــو بصـــير) دونـــه بمراحـــل ... مهمـــا تخـــرّصَ أرذلٌ متفيهـــق

إن لـــم يكـــن شِـــعري يُبلغنـــي الهـــدي ... لعبـــادة الـــرب الـــذي هـــو يخلـــق

مـــا قيمـــة الأشـــعار أنشـــدها إذن ... إن كنـــتُ - فـــي الأخـــرى - بنـــار أحـــرق؟

انسي الذي بيننا!

(أراد رجلٌ صالح أن يُعَدّد فيتزوج من الثانية ابتغاء وجه الله وإشفاقاً على إحدى العوانس تسمّى (زنابى) ، كان قد نوى الارتباط بها كزوجةٍ على كتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – بكل عزم وجدّية. فإذا بها تشترط على الدكتور الزوج أن ينسى زوجته وأولاده فيُطلقهم قبل الدخول بها! فقال في ثقة المؤمن وإيمان الواثق: لماذا لا أنساكِ أنت؟ وأعلنها مدوية: انسي الذي بيننا ، وزوجتي وأولادي أولى بي وأنا أولى بهم. وكنتُ قد تناولتُ موضوع التعدّد في شعري منذ سنوات في قصيدة عنوانها: (الزوجة الثانية نعمة لا نقمة) ، وأشرتُ في مقدمتها الطويلة إلى سبب كتابتها. وبينتُ لمن أهديتها ، وأفصحتُ عن دور أستاذي أبي إسحاق الحويني فيها. وكنتُ قد أهديته الديوان الواردة فيه ليُصحّحها. وواجهتُ بعض الانتقادات في زماننا هذا الذي علا فيه شأنُ كثير من النسوة على شأن الرجال ، كما ارتفعتْ أصواتهن فوق أصوات الرجال. كما أنني رحتُ بكل صدق وحزم وغيرة أدافع عن الإسلام وشريعته ، وأستهجن أبيات ذلك الأعرابي المبتدأة بقوله: (تـــزوجـــتُ اثـــنـــتـــيـــن لـــفـــرط جـــهـــلـــي بـــمـــا يـــشـــقـــى بـــه زوج اثـــنـــتـــيـــن!) حتى لاح لي طيفُ كتابة هذه القصيدة التي تضرب على ذات الوتر. ولستُ الآن بصدد الحديث عن الإباحة أو الحظر للتعدد. إذ الذي يريد الوقوف على هذا الأمر بالتفصيل فليذهب إلى مقدمة قصيدة: (الزوجة الثانية نعمة لا نقمة). وواضح من عنوانها رأي كاتبها في التعدد ، تماماً مثل تراجم الإمام البخاري: (يُعرف رأيُه في المسألة من خلال ترجمته للباب الذي تنسب إليه تلك المسألة). وكان الصديق الحبيب والأخ الأكبر العزيز وصاحب الفضل علينا بعد الله في نشر شعرنا وتوزيعه خلال التسعينات الدكتور/ صلاح الدين جاب الله الأجاوي – حفظه الله – وراء هذه القصيدة (انسي الذي بيننا). حيث إنه أعطاني جوّها النفسي ومناسبتها ، فانطلقتُ في كتابتها آملاً أن أعرضها عليه في القريب العاجل عندما يجف الحبر عنها. وكم للدكتور من أيادٍ علينا في الخير ، فجزاه الله خيراً كثيراً وجمعنا به في الفردوس الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.)

أفصِـــحي عمـــا قلتِـــه (يـــا زنـــابَى) كـــــي تفيقـــــي متيمـــــاً يتصـــــابَى

علمـــي الصـــبّ كيـــف يُطريـــك حبـــاً؟ وي كـــأن الولهـــانَ يهـــوى الرضـــابا!

عذبيـــــه بـــــالرمش يصـــــطاد قلبـــــاً شـــــربَ الـــــذل ، واستســـــاغ العـــــذابا

حطمـــــي أعصـــــابه بـــــالتثني بعـــــدما تـــــاه - فـــــي الـــــدلال - وذابـــــا

واجعلـــــي منـــــه عِبـــــرة للبرايـــــا ربمـــــا حُـــــزتِ مَغنمـــــاً وثوابـــــا

وافضـــحيه ، إذ جـــاء ينشـــدُ زوجـــاً يـــؤثر الأجـــرَ طاعـــة واحتســـابا

وامنحيـــه مِـــن ســـيئ الظـــن قســـطاً واغمُريـــــه مَســـــبة وارتيابـــــا

واصـــدميه بالشـــرط يكـــوي فـــؤاداً ... للألاعيـــــب والتـــــدني اســـــتجابا

يســـتحقُ منـــكِ العـــذاباتِ تتـــرى ... والهـــــوانَ مقنطـــــراً والسِـــــبابا

يســـــتحقُ أن تســـــتطيلي عليـــــهِ ... ثـــم ترمـــي - نصـــب العيـــون - الحِرابـــا

يســـتحقُ أن يشـــربَ الـــذل كأســـاً ... خيـــرٌ الـــذلُ للـــدنيء شـــرابا

يســـتحق أن ترفضـــيه حلـــيلاً ... كـــي تـــوفِي - للمســـتكين - النصـــابا

أنـــتِ مـــا أخطـــاتِ انتقامـــكِ هـــذا ... بـــل ومـــا ضـــاعفتِ الجـــزا والعقابـــا

أنـــتِ مـــا جـــاوزتِ الحـــدودَ احتيـــالاً ... عنـــدما أدّبـــتِ الـــذي يتغـــابى

أيهـــا الصـــب عُـــد لزوجـــك ، واعلـــمْ ... أن أمـــراً ترجـــوه يُرْبـــي المُصـــابا

سَـــقطة هـــذي ، الشـــهمُ منهـــا بـــرئٌ ... كيـــف تهـــوى يـــا عبقـــريُّ الســـرابا؟

كيـــف ترضـــى بمثـــل هـــذا التـــردي؟ ... أم تُـــراك تهـــوى الصِـــبا والكِعابـــا؟

لـــم نقـــل فـــي حكـــم التعـــدّد شـــيئاً ... بـــل نـــراه أمـــراً مباحـــاً صـــوابا!

ثـــم فـــي القـــرآن الأدلـــة تهـــدي ... إن ربـــي قـــال: "انكحـــوا مـــا طابـــا"!

وأحاديـــث المصـــطفى شـــاهداتٌ ... واســـألوا إمـــا ارتبـــتمُ الأصـــحابا

لكـــن اختـــرْ ذات التقـــى والمعـــالي ... لا يغرنْـــك حالهـــا والحجابـــا!

عنـــدما قلـــتَ: انســـي ولا تـــذكريني ... وانشُـــدي غيـــري - فـــي الـــورى - الخُطابـــا

كـــان هـــذا منـــكَ انتصـــاراً لأهـــل ... لا يُطيقـــون – للحليـــل - غيابـــا

قلتَهـــا لـــم تُـــذعن لأنثـــى اســـتبدتْ ... وأرادتْ للبيـــت - جبـــراً - خرابـــا

قلتهـــا لـــم تنـــدمْ علـــى أي حـــرفٍ ... بـــل ولـــم تفـــتحْ - للخلافـــات - بابـــا

قلتهـــا لـــم تطلـــب عليهـــا ثنـــاءً ... بـــل جعلـــت الألفـــاظ هـــذي جوابـــا

صـــاح ، أبشـــر بـــالخير يـــأتي تِباعـــاً ... إذ نجـــوت يـــا صـــاحبي مـــن (زنـــابى)

يا صاح أدماني الجوى

(سألني الأستاذ / أبو مسلم الشحات – معلم اللغة العربية بمدرسة أم القرى بأم القيوين عن آخر ما كتبت عن (غزة). وذلك إبّان المذبحة الصهيونية التي ابتليت بها غزة وأهلها على يد الصهاينة العُتاة. فقلت: والله يا أبا مسلم ، كم كتبت عنها! والحقيقة أنني أدماني الجوى لما أرى وأسمع ، وعزائي أن الله يسمع ويرى. ماذا أقول وما هل عساي أقول: إن العين لتدمع ، وإن القلب ليخشع ، وإنا للذي يجري لك يا غزة ولأهلك لمحزونون لمحزونون ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون. والحقيقة التي يجب أن تعلمها غزة وأهلها والعالم كله أن غزة جزء من أرض الرباط ، وأن أهلها في رباط إلى يوم القيامة. روى الترمذي وابن حبان والنسائي والحاكم من حديث عثمان بن عفان – رضي الله عنه - أنه قال: سمعتُ رسول الله – صلى الله عليه وسلم يقول: (رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من ألف يوم فيما سواه من المنازل). وروى الشيخان من حديث سهل بن سعد – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (رباط يوم في سبيل الله خيرٌ من الدنيا وما فيها). وروى مسلم من حديث سلمان – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (رباط يوم وليلة خيرٌ من صيام شهر وقيامه ، وإن مات فيه جرى عليه عمله الذي كان يعمل ، وأجريَ عليه رزقه وأمن الفُتان). والفُتان هما ملكي سؤال القبر (منكر ونكير). والمطلوب من غزة وأهلها الصبر على هذا البلاء والاحتساب عند الله – عز وجل – حتى تنقشع الغمة وتزول الكربة. يقول الله - تعالى -: (والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤون بالحسنة السيئة أولئك لهم عُقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عُقبى الدار). وروى الحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم وله شواهد كثيرة أن أبا سعيد الخدري – رضي الله عنه – دخل على رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو موعوك عليه قطيفة (أي: كساء له خمل) ، فوضع يده فوق القطيفة وقال: ما أشد حُمّاك يا رسول الله. قال: (إنا كذلك يُشدّد علينا البلاء ويضاعف لنا الأجر). ثم قال: يا رسول الله ، مَن أشد الناس بلاءً؟ قال: الأنبياء. قال: ثم من؟ قال: العلماء. قال: ثم من؟ قال: الصالحون ، كان أحدهم يُبتلى بالقُمّل حتى يقتله ، ويُبتلى أحدُهم بالفقر حتى ما يجد إلا العباءة التي يلبسها ، ولأحدُهم أشدّ فرحاً بالبلاء من أحدكم بالعطاء). وخرّج الطبرانيُ بإسناده عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (يؤتى بالشهيد يوم القيامة ، فيوقف للحساب ، ثم يؤتى بالمتصدق فينصب للحساب ، ثم يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان ولا ينصب لهم ديوان فيصب عليهم الأجر صباً ، حتى إن أهل العافية ليتمنون في الموقف أن أجسادهم قُرّضت بالمقاريض من حسن ثواب الله). وغزة جزء لا يتجزأ من أرض الشام وتشملها في فضائل ومناقب الشام وأهله من المؤمنين أحاديث كثيرة للنبي – صلى الله عليه وسلم – منها: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرو بن العاص رضي اللَّه عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إني رأيتُ عمودَ الْكِتَابِ انْتُزِعَ مِنْ تَحْتِ وِسَادَتِي ، فنظرتُ فَإِذَا هُوَ نورٌ ساطعٌ عُمِدَ بِهِ إِلَى الشَّامِ ، أَلا إِنَّ الإِيمَانَ -إِذَا وَقَعَتِ الفتن- بالشام». أخرجه الحاكم ، وصحّحه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي ، وصحّحه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام). وعن عبد الله بن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ:

قَالَ لنا النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم يومًا: «إني رأيتُ الملائكة في المنامِ أخذوا عمود الكتاب ، فعمدوا به إلى الشام ، فإذا وقعت الفتنُ فإن الإيمان بالشام». (أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق وصحّحه الألباني في تخريج أحاديث فضائل الشام لأبي الحسن الربعي). وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رأيتُ عمودًا من نور خرج من تحت رأسي ساطعًا حتى استقر بالشام». (أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ، وابن عساكر في تاريخ دمشق ، وصحّحه الألباني في المشكاة. وعن ابن حَوالة رضي اللَّه عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيصير الأمرُ إلى أن تكونوا جُنوداً مُجَنَدَةً: جندٌ بالشام ، وجندٌ باليمن ، وجندٌ بالعراق» قال ابن حَوَالة: "خِرْ لي يا رسول الله! إن أدركتُ ذلك؟" فقال: «عليك بالشام ؛ فإنها خيرةُ الله مِنْ أرضه ، يَجْتَبِي إليها خِيرتَهُ منعباده. فأما إن أبيتم ؛ فعليكم بيمنكم ، واسقوا من غُدُركم فإن الله توكل لي بالشام وأهله». (أخرجه أحمد ، وأبو داود ، وصحّحه الألباني في صحيح الجامع الصغير. وعن عبد الله بن حوالة رضي اللَّه عنه: كُنّا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكونا إليه العُرْيَ والفقر وقلة الشيء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أبشروا ؛ فوالله! لأنا من كثرة الشيء أخوفُ عليكم من قلته ، والله! لا يزال هذا الأمر فيكم حتى يفتح الله عز وجل أرض فارس وأرض الروم وأرض حِمير ، وحتى تكونوا أجناداً ثلاثة: جنداً بالشام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن ، وحتى يُعطى الرجل المئة فيسخطها». قال ابن حوالة: "فقلتُ: يا رسول الله! اختر لي إن أدركني ذلك؟" قال: «إني أختار لك الشام ؛ فإنه صفوة الله عز وجل من بلاده ، وإليه يحشر صفوته من عباده. يا أهل اليمن! عليكم بالشام ؛ فإنه صفوة الله عز وجل من أرض الشام ، ألا فمن أبى ؛ فليسق من غُدر اليمن - جمع غدير الماء - ؛ فإن الله عز وجل قد تكفّل بالشام وأهله». (أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق. وليذكر أهل غزة كلمة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – مبيناً حلاوة الصبر وقيمته في الحياة: (عليكم بالصبر ، فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد ، ولا خير في جسد لا رأس معه ، ولا في إيمان لا صبر معه). وليذكر أهل غزة بيتي مصطفى الغلاييني:

اصبرْ على سود الليالي وادرع ... بعزيمة كالطود إن خطبٌ نزلْ

فالصبر مفتاحُ النجاح ، ولم نجد ... صعباً بغير الصبر يبلغه الأمل

ونعود للأستاذ أبي مسلم لنلبي طلبه ولو بعد حين. أنشدتُ هذي القصيدة عن غزة الحبيبة ومأساة أهلها ، وذلك في معرض الردّ على أبي مسلم من البحر المنسرح مجزوءاً.)

كم تحتويني همومُ ... وفي فؤادي غمومُ

والنفسُ تشكو البلايا ... لمّا دهتها الكُلومُ

والقلبُ ممّا يُعاني ... في كل حين سَقيم

في (غزةٍ) كيدُ كفر ... أغرى ذويه الهجومُ

واغتـــــال بالقصـــــف قـــــومي خـــــاب العـــــدو الغشـــــوم!

فللأباتشـــــــــــيْ أزيـــــــــز منـــــــه الروابـــــــي صـــــــريم

وفـــــي الضـــــواحي هـــــديرٌ تفـــــور منـــــه التخـــــوم

والـــــدُورُ أمســـــت خرابـــــاً إذ دكّهـــــا مَـــــن يســـــوم

والأرضُ باتـــــــت ســـــــعيراً بـــــئس الـــــوغى والجـــــريم!

والنـــــاسُ تشـــــكو جحيمـــــاً وهـــــل يُطـــــاقُ الجحـــــيم؟

والطفـــــل مـــــات انتقامـــــاً لمّـــــا رمتـــــه الخصـــــوم

ذي محنـــــــــة لا تبـــــــارى لـــــم تـــــنجُ منهـــــا الحـــــريم

مـــــــاذا أرادت يهـــــــودٌ؟ هـــــذا التحـــــدي ذميـــــم

جنـــــد الأعـــــادي اســـــتبدّوا فالكيـــــدُ كيـــــدٌ عمـــــيم

وللضـــــــــحايا أنـــــــينٌ يُبْكـــــي ، ولفـــــظ كظـــــيم

يـــــا صـــــاح ، فاســـــأل ، وحـــــدّث هـــــذا قتـــــالٌ ظلـــــوم

منـــــه الجـــــوى هـــــز قلبـــــي ثـــــم احتـــــواني الوُجـــــوم

ســـــطرتُ بالـــــدمع حزنـــــي وشـــــاهدي ذا الســـــجوم

قصـــــائدي نـــــوْحُ بـــــاك وليـــــل شـــــعري بهـــــيم

وللقـــــــريض انتحـــــــابٌ يكـــــوي وجَـــــرْس ألـــــيم

وللقـــــــوافي لهيـــــــبٌ لمّـــــا اعتلاهـــــا الحمـــــيم

يـــــا صـــــاحبي لـــــم أبـــــالغ إن قلـــــتُ: خطبـــــي جســـــيم

فـــــي (غـــــزةٍ) بُـــــحّ صـــــوتي مضـــــى الصـــــفا والـــــرنيم

يـــــا رب فـــــارحمْ ، ويسِّـــــرْ أنـــــت الـــــرؤف الـــــرحيم

شؤم العقوق

(في صـ 48 من كتاب (حدث فى المحكمة) لسلمان العمري قصة الطبيبة التي عقت أباها وتزوجت صعلوكا بدون إذن أبيها ولا علمه. وحين طلقها ، عادت للأب فلم يقبلها ، وظلت منبوذة. أدخل الأب ابنته كلية الطب لتتعلم. ولأنها عايشت شيئاً كبيراً من الاختلاط فقد رغبت وعشقت رجلاً من غير قومها وعلى غير عادات عشيرتها ، ورأت فيه فارس أحلامها وعملاق نجدتها وبطل حياتها فتشبثت به. وتقدم خاطباً لها من أهلها لأنه رجل نزيه يعي أمانة الشرع المطهر ويريد الخير له وللمرأة ، فجُن جنون أوليائها ، ورفضوا ذلك وأصروا على الرفض. فانطلق الخاطب والعشيقة إلى سماحة الإمام العلامة فريد مصره ووحيد عصره عملاق العلماء وإمام الأئمة في وقته سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله - ليستفتيانه في أمرهما. فكان هذا العملاق أباً رحيماً ودوداً إذ كتب كلمات لا تكتب إلا بمداد الذهب قال: أرى أن الذي رآه أبوك خيرٌ وبركة ، فأطيعيه والزمي أمره وفيه كفاية – إن شاء الله –. فما أطاقت هذا الأمر ، ولا رضيت بهذه الفتيا ، فأصرت ثم لجات إلى القضاء ، فرفض القضاء أن يستجيب لطلبها لعدم الكفاءة بينهما ومنعاً للمشاكل والأضرار البالغة ، ولأنها طبيبة تعودت التبرج والسفر وحدها ، وأهملها أهلها فقادها اختيار قومها إلى بلاد أجنبية ، وغادر هو معها وهناك تقدما إلى مركز إسلامى فكان الزواج بلا ولي ولا موافقة من الأهل! وتزوجا وبقيا في تلك الديار فترة ثم عاد الزوجان ولم يكن أمام الأب الصابر المهمل لابنته إلا أن يتجرع مرارة الإهمال وعلقمه ، فقد أصبح أمام الأمر الواقع فزوّجها إياه زواجاً صحيحاً صحح العقد الأول ، ولفظ ابنته لفظ النوى وبقيت في قلبه حسرات مؤلمة موجعة ، ولبثت المرأة مع زوجها وإن شئت فقل عشيقها سنين قصيرة ، رزقا فيها بولدين كالليل والنهار ، ثم ما لبثا أن نشبت الخلافات بينهما ، وتهاوى عش الزوجية وانهار سريعاً ، فطلق الرجل تلك المرأة وبقيتْ تصارعُ همومها وآلامها ، وانطلقتْ إلى أبيها تطرق بابه ، فلم يستقبلها. قال: أنت أصبحت ذات دخل ووظيفة ومركز وقد أصررت على رفض رأيي ونلت من مكانتي فلا أقبلك اذهبي لصاحبك. فعادت لبعض إخوانها فقبلوها على مضض بعد استئذان والدهم حين غلبت عليه الرحمة والشفقة. ولكن ظلت المرأة مكروهة من مجتمعها منبوذة من عشيرتها ، كلما تقدم إليها أحد يريد الزواج منها ثم يعلم بحالها ولى مدبراً ولم يعقب ، فسار قطار الزوجية مولياً دبره إياها ، وبقيت ساكنة في بحر آلامها وهمومها! وكم حار العلماء والباحثون في إحصاء الأسباب وطرق الوقاية والعلاج. فكيف تجرؤ شابة على مثل هذا الانحطاط والتردي والجرأة على الله وشريعته؟ إن الذي يدفع ثمن مخالفة الشرع المطهر هو من خالفه ولا يضر إلا نفسه. ولنرجع البصر في حكاية هذه المرأة (موضوع قصيدتنا) هل نرى من رشد؟ وأنا على يقين أننا لو أرجعنا البصر كرتين في أمرها لانقلب إلينا البصر خاسئاً وهو حسير! وعندنا سؤال وجواب: من الذي دفع الثمن من الطرفين أالرجل أم المرأة ؟ لقد ذهب الرجل والتمس امرأة أخرى يعيش معها قصة حب وعشق ، وهكذا دواليك. ووالد المرأة كما هو في داره معزز مكرم ، وكذلك إخوانها وأخواتها في دورهم جميعا مكرمون معززون. أنشدت في هذا كله من البحر العروضي الخفيف وقافية الحاء أقول:)

دمعُهـــا أمســـى بالشـــقا مجـــدوحا منـــذ ردّت رأيـــاً صـــواباً رجيحـــا

واســـــتبدتْ برأيهـــــا دون وعـــــي ثـــــم ضـــــنتْ بســـــرّها أن تبوحـــــا

بعـــد أن عقـــت والـــداً لـــم يقصّـــرْ بـــل حباهـــا إحســـانه الممـــدوحا

لـــم يُهنهـــا ، بـــل كـــان بـــراً لطيفـــاً مستســـاغاً قلبـــاً ونفســـاً وروحـــا

لـــم يُنِلهـــا مِـــن التعنـــت شـــيئاً بـــل ســـقاها التســـهيل والتبريحـــا

لـــم يؤجّـــلْ توجيههـــا ذات يـــوم بـــل أجـــاد الإرشـــاد والتصـــحيحا

لـــم يجـــاهرْ أمامهـــا بالمعاصـــي بـــل تزكّـــى ، إذ أكثـــر التســـبيحا

لـــم يُـــذقها مـــن الحـــرام فتاتـــاً بـــل رأى للحـــرام وجهـــاً قبيحـــا

كيـــف هـــذي خانتـــه فـــي العِـــرض عمـــداً لـــم تلمّـــح يومـــاً لـــه تلميحـــا؟

عرّســـت طوعـــاً دون إذن ولـــي قـــبحَ الفعـــل والصـــوى تقبيحـــا!

إن هـــذا هـــو الزنـــا والتـــدني يســـتحق أصـــحابه التجريحـــا

إن تـــردتْ طبيبـــة فـــي المخـــازي وارتضـــت ـ دربـــاً تشـــتهيه ـ الفضـــوحا

مـــا الـــذي أبقـــت للتـــي لـــم تُعلّـــم؟ مَـــن تكيـــلُ ـ للعالمـــات ـ المـــديحا

ربـــة الطـــب زايلتـــكِ المعـــالي إذ عـــدمتِ الـــرأيَ الصـــوابَ الصـــحيحا

ثـــم طلقـــتِ دون أدنـــي احتـــرام عنـــدما قاســـيتِ الـــبلا والقروحـــا

صـــدقيني إن قلـــتُ أنـــكِ بلهـــا تـــدّعين ـ بـــين الأنـــام ـ الطموحـــا

كيـــف خادعـــتِ الـــنفس دون اكتـــراثٍ إذ جنحـــتِ ـ للموبقـــات ـ جُنوحـــا؟

وانطلقـــتِ للهـــزل مـــن غيـــر قيـــدٍ إذ نزحـــتِ ـ للجعظـــري ـ نزوحـــا

عِبـــرة أنـــتِ بـــين كـــل الصـــبايا تلبســـين ثـــوب التدسّـــي مُسُـــوحا

ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض

(في الصحيح قول النبي – صلى الله عليه وسلم -: "دخلت امرأة النار في هرة حبستها لا هي أطعمتها ولاهي تركتها تأكل من خشاش الأرض" وأنا هنا لا أكتب عن هذه المرأة ، ولكن عن أخ لها في القرن العشرين جاءته سائلة آدمية وهو مدير في إحدى القطاعات ، وشكتْ حاجة وغربة وعيالاً وموت زوج ، فأمرها بالانتظار وموظفوه ينظرون ، وأوهمها بأنه سيعود بالذي تقر به العيون. فإذا به يتصل بالذين أخذوها فحبسوها حبس المرأة للهرة فلا هم أطعموها ولا هم أكرموها ولا هم تركوها تأكل من نوال المحسنين. وحُجتهم أن التسول لا يليق بقريتهم إذ هو مظهر مؤذ للشعور ومناف للحضارة. والأصلُ يا قساة القلوب من الذين تدُعّون اليتيم ولا تحاضون على طعام المسكين أن الواحد منكم إن لم يشأ أن يعطي فيجب عليه أن لا يؤذي. (قولٌ معروفٌ ومغفرة خيرٌ من صدقةٍ يتبعها أذى ، والله غني حليم). وقد علمتنا أمهاتنا وجداتنا ونحن صغار أن نعطي المساكين والمحتاجين واليتامى ونشفق عليهم ونرضيهم ولو بالقليل. فإذا لم نعط علمننا أن نقول للمسكين أو السائل أو المحروم أو اليتيم: (الله يحنن عليك!) والمعنى المراد أنني لن أعطيك لضيق ذات يدي فأسأل الله أن يحنن قلوب الآخرين لإعطائك ما تريد. وأما استعداء من انتزعت الرحمة من قلوبهم ليُعاقبوا المسكين أو اليتيم على سؤاله فهذا أمرٌ لم نقرأ عنه حتى في أمم الصليب والتلمود. ونعنون للقصيدة بجزء من ذات الحديث (ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض). لعلنا بهذا نبين أن قهر اليتيم وردّ المسكين دون جبر خاطر ولو بقول معروف واستعداء قساة القلوب وجبابرة الأرض لينتقموا من المسكين أو من اليتيم ، كل هذه الممارسات قرائن لدخول النار بشهادة النبي العظيم نبي المرحمة ونبي الملحمة محمد – صلى الله عليه وسلم –. أكتب في هذا من البحر المتقارب لأقرّب بين الأغنياء والمساكين في أمة الإسلام ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً ، وعلى قافية الميم الساكنة سكون المساكين الذين أسكنتهمُ حاجتهم وكرامتهم عن الطلب من الناس فأقول:)

بمثلـــــك يُقهـــــرُ قلـــــبُ اليتـــــيمْ ... ويُمْســـــي رهـــــينَ الأســـــى والهمـــــومْ

ويقتلـــــه - لـــــو علمـــــت - الجـــــوى ... ويحيـــــا يُصـــــارعُ وخـــــز الغمـــــوم

ويعـــــتلجُ الهـــــمّ فـــــي نفســـــه ... ويَشـــــمتُ فيـــــه جميـــــعَ الخصـــــوم

ويجتـــــرّ - ممـــــا فعلـــــت - الأســـــى ... ويصـــــمتُ صـــــمت الكئيـــــب الكظـــــيم

وينـــــدمُ أن جـــــاءكم ســـــائلاً ... نـــــوالاً مـــــن الجعظـــــري الظلـــــوم

ويســـــحقة اللـــــوم بـــــين الـــــورى ... ولـــــيس المَعيـــــب ، ولـــــيس المَلـــــوم

تســـــولت الأمُ فـــــي حاجـــــةٍ ... وجلبابُهـــــا اليـــــوم رث رَديـــــم

ولـــــم يطعَـــــم اللحـــــمَ أبناؤهـــــا ... وأنـــــى لهـــــم بشـــــراء اللحـــــوم؟

وكـــل فتـــىً قـــد ثـــوى ثوبـــه ... فعـــاش بثـــوب رثيـــثٍ قـــديم

وعـــانى الجميـــعُ اغترابـــاً طغـــى ... ومـــوت الأب العبقـــريّ الـــرحيم

وقســـوة أهـــل بـــدا خـــذلهم ... فكـــلٌ - بجَـــورٍ - يَـــدعُّ اليتـــيم

تســـولتِ الأم ، مـــا أجرمـــتْ ... ومَـــن ردهـــا إن ذاك الجـــريم!

أتســـخرُ منهـــا ، ولـــم تعطهـــا ... ألا إن هـــذا صـــنيعُ اللئـــيم؟

أتغـــري بهـــا يـــا عـــديم الحيـــا ... لـــتطعن أولادهـــا فـــي الصـــميم؟

فأمـــا أبـــوهم ففـــي قبـــره ... وهـــل فـــي المقـــابر إلا الـــرميم؟

وأمهـــمُ قـــد غـــدرتم بهـــا ... ألا ترحمـــون انكســـار الحـــريم؟

قســـوتم عليهـــا ، ولـــم تعطفـــوا ... أمـــا كـــان - فـــيكم - جـــوادٌ كـــريم

يمُـــن عليهـــا ، ويحنـــو علـــى ... صـــغار - علـــى أمـــرهم - ذي تقـــوم؟

أراكـــم كســـرتم فـــؤاد التـــي ... أتـــتكم بقلـــب نقـــي ســـليم

فأكملـــتِ اليـــوم فـــي ســـجنها ... وليـــلُ الســـجون طويـــلٌ بهـــيم

فيـــا ليـــتكم إذ مكـــرتم بهـــا ... وعظـــتم بلفـــظٍ يُزيـــلُ الوجـــوم

وأخرجتموهـــا إلـــى عـــالم ... بـــه مَـــن يجـــود ، ولـــيس يلـــوم

كمثـــل التـــي حبســـتْ هـــرة ... ألا إن هـــذا لفعـــل ذمـــيم

فمـــا أطعمتهـــا ، ولا قـــدمتْ ... شـــراباً بيـــوم بئـــيس وجـــيم

ولا أطلقتهـــا لتأكـــل مِـــن ... خشـــاش تخبّـــأ تحـــت الأديـــم

فماتـــت مـــن الجـــوع إذ غالهـــا ... ألا إن هـــذا مصـــابٌ وخـــيم

وكـــان الجـــزاء علـــى موتهـــا ... دخـــول الوليـــة نـــار الجحـــيم

ليأخـــذ جميـــع الـــورى عِبـــرة ... لقـــد ينفـــعُ الـــدرسُ مَـــن يســـتقيم

مدين بتسعة وخمسين كلباً

(إن هي إلا حكاية طريفة صادقة حكى لي زبدتها الأستاذ / مصطفى العيسوي ، والذي يقوم بأعمال وكيل مدرسة رأس الخيمة الحديثة. وأثناء عملي بالمدرسه كمعلم للغة الإنجليزية ، حكى الأستاذ مصطفى هذه القصة كاملة. والقصة تبدأ بامرأة زوّجها أبوها ممن تحب ويحب ، وبذل لها وله النفيس الغالي والنفيس فلا لوم عليه ، ونعم الصهر هو بشهادة الجميع! وبعد أن تزوجت ابنته – والخلاف سنة – دارت رحى الخلاف بينها وبين زوجها ، وكثر الوشاة والمفسدون والمخبون ، وسعَوْا بالنميمة لإفساد ذات البين. وحاول الزوجُ السيطرة على نفسه وأعصابه فلم يستطع ، فكان أن سب زوجته قائلاً: (يا بنت الكلب!). فتركت بيتها زاعمة أنها ظفرتْ بحُجة ثمينة ، إذ إنه قد سب أباها ذلك الصهر الذي لطالما دافع عنه ووقف بجانبه وضحّى من أجله بالكثير ، فها هو ذا يُشتم ويُصبح (كلباً) على لسان زوج ابنته. فلما عاد أبوها ووجدها في بيته سأل: أين زوجك؟ فقالت: في داره. فعقب قائلاً: إذن هو جاء بك إلى هنا وذهب إلى داره وسيأتي لاحقا؟ فقالت: لا. بل جئتُ وحدي. فقال: نعم لأن أباك لم يُحسن تربيتك. فقالت: لقد قال لي: (يا بنت الكلب). فقال: وهل زاد أبوك إذ لم يحسن تربيتك عن الكلب؟ اغربي عن وجهي الآن. وقام الصهر بجمع أفراد وكبراء العائلة والأهل والأصحاب داعياً زوج ابنته إلى الضيافة وسط هذه الفئام من الناس. وراح يخطب في الجميع وكان من كلامه (... إن زوج ابنتي قد قال لها: (يا بنت الكلب) إنه مدين لي بالكثير أليس كذلك؟ فقال المخبون والمفسدون (بلى) ، ونراه قد تجاوز حدوده وتعدى. فقاطعهمُ الصهرُ الوفيُ المخلصُ قائلاً: إن زوج ابنتي مدين لي بتسعة وخمسين كلباً. لأن عادة أهل مصر (ستين): (يا بنت ستين كلب!). وأردف: اذهبي إلى بيت زوجك ، ولا تبرحيه بعد اليوم دون استئذانه. إنه بهذا يكون قد خط خطاً لابنته ودرباً تسير عليه. ونحن لا نجيز الشتم ولا السب ، لا ابنة الكلب ولا ابنة ستين. ولكن الهدف من هذه القصة والقصيدة هو بيان أن الصهر يجب أن يتنازل ويُصلح عند وجود الخلاف ولا يوَسع هوة الشقاق لأن الله يقول: "إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون" ، ويقول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ للمخببين: "من خبّب امرأة على زوجها فليس منا ". وإذن فأين هذا الصهر من أصهار كل هدفهم أن يطلقوا ابنتهم من زوجها أو يفسدوا الحياة بينهما ، إلى الحد الذي تصبح معه الحياة جحيماً لا يطاق أو بالتدخل السافر في حياتها لإفساد ذات البين؟ وأسلافنا الكِرام كانوا يُثمنون الجود والعطاء والكرم! قال يحيى البرمكي: "أعط مِن الدُّنْيا وهي مقبلة ؛ فإنَّ ذلك لا ينقصك منها شيئًا. فكان الحسن بن سهل يتعجَّب مِن ذلك ويقول: لله درُّه! ما أطبعه على الكَرَم وأعلمه بالدُّنْيا". [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري]. وكان يُقَال بين العرب: "مَن جاد بماله جاد بنفسه ، وذلك أنَّه جاد بما لا قوام لنفسه إلَّا به". [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري]. وقال الماورديُّ رحمه الله تعالى: "اعلم أنَّ الكريم يجتزي بالكرامة واللُّطف ، واللَّئيم يجتزي بالمهانة والعنف ، فلا يجود إلَّا خوفًا ، ولا يجيب إلَّا عنفًا ، فاحذر أن تكون المهانة طريقًا إلى اجتدائك ، والخوف سبيلًا إلى عطائك ، فيجري عليك سفه الطَّغام وامتهان اللِّئام ، وليكن جودك كرمًا ورغبة ، لا لؤمًا ورهبة". [أدب الدنيا والدين للماوردي]. وعن حسن بن صالحٍ قال: "سُئِل الحسن عن حُسْن الخُلُق فقال: الكَرَم والبَذْلة والاحتمال". [الكرام والجود وسخاء النفوس للبرجلاني]. وقال بكر بن محمَّد العابد: "ينبغي أن يكون المؤمن مِن

السَّخاء هكذا، وحثا بيديه". [مكارم الأخلاق للخرائطي]. وقال بعض الحكماء: "أصل المحاسن كلِّها الكَرَمُ ، وأصل الكَرَم نزاهةُ النَّفس عن الحرام ، وسخاؤها بما تملك على الخاص والعام ، وجميع خصال الخير مِن فروعه". [المستطرف للأبشيهي]. وقال ابن المبارك: "سخاء النَّفس عمَّا في أيدي النَّاس أعظم مِن سخاء النَّفس بالبَذْل". [ربيع الأبرار ونصوص الأخيار للزمخشري]. وقال بعض العلماء: "السَّخيُّ مَن كان مسرورًا ببذله ، متبرِّعًا بعطائه ، لا يلتمس عرض دنياه فيحْبَطُ عملُه ، ولا طلب مكافأة فيسقط شكرُه ، ولا يكون مَثَلُه فيما أعطى مَثَلُ الصَّائد الذي يلقي الحَبَّ للطَّائر ، ولا يريد نفعها ولكن نَفْعَ نفسه". [صلاح الأمة لسيد العفاني]. أكتب في هذه القصة نصاً وفكرة وعنواناً!)

حطم الجهالُ قلباً يكتئبْ ... من فعال الناس أضنتة الكُرَبْ

هل وعَوْا درساً سمتْ آثارُه ... ساقه - في عالم النسيان - أب؟

ما انتوى تخريبَ بيت عامر ... إذ أتاه السببّ ، لا لم يحترب

ما ارعوى طوعاً لأهواءٍ عتتْ ... تختِلُ الرشدَ ، وتودي بالأدب

لم يكن يُصغِي لمن لم يرحموا ... إنما بالحِلم والصبر اختضب

لم يعش يصطاد أخطاء الورى ... أو لزلات البرايا يرتقب

لم يُبيّت نقمة تُزري به ... مثل أرباب التجني والريَب

لم يُغلب نعرة تمحو الإخا ... إنما قد كان – للصفح - الغلب

لم يقلب ماضياً أوراقه ... تُذهب الوُد ، وتغتال العَتب

لم يُيَئِس من متاب مذنباً ... إنما التيئيسُ عجز وتبب

أي صهر أنت؟ قل لي ، بالذي ... عنده الخيرَ جميعاً نحتسب؟

أي علم حُزت في هذي الدنا ... كان للأخلاق والتقوى السبب؟

لقن الأصهارَ درساً شافياً ... في التحلي بالرضا عند الغضب

في التسامي عن دنايا لا تفي ... بمقام المرء ، بل ذي تجتنب

علّم الأصهار أنْ لا يحرقوا ... منزل البنت بإيقاد اللهب

خصّ بالنصح الألى لم يفقهوا ... إنما النصحُ مَعينٌ يُطلَب

وابـــذل الـــوعظ لمـــن لـــم يعلمـــوا ... واهجـــر الفـــظ الـــذي لـــم يســـتجيب

مثلـــك - اليـــوم - قليـــلٌ بيننـــا ... ولهـــذا كـــم نعـــاني مِـــن كُـــرَب!

كـــم بيـــوتٍ تعتلـــي مَـــتن الشـــقا ... وأرى الـــبعضَ تدمّيـــهِ النـــوب!

بصّـــر الأصـــهار يـــا خِلـــي بمـــا ... يجعـــلُ الأزواج فـــي دنيـــا الطـــرب

واضـــرب الأمثـــال حتـــى يُـــدركوا ... كـــل حـــق - نحـــو أهلـــيهم - يجـــب

قـــل لهـــم عـــن صـــهرك الشـــهم الـــذي ... جعـــل الكلـــبَ لـــك اليـــوم اللقـــب

أزه الشـــيطان فانصـــاع لـــه ... لـــم يُفـــرّقْ بـــين قـــشٍ والـــذهب

فـــإذا بـــاللفظ يـــؤذي ســـيداً ... وإذا بالســـب يـــأتي بـــالوَدَب

وإذا بالزوجـــة الفضـــلى ســـعتْ ... نحـــو بيـــت الأهـــل ، نعـــم المنقلـــب!

لـــم تعـــد تقـــوى علـــى الشـــتم الـــذي ... حطـــم الشـــريانَ ، واجتـــث العصـــب

لـــم تـــردّ الصـــاعَ صـــاعين لـــه ... إنهـــا مـــن بيـــت أصـــل وحســـب

لـــم تقبّحْـــه علـــى أن ســـبّها ... إنمـــا قـــد ردّهـــا عنـــه النســـب

وأبوهـــا قـــال: مرحـــى بـــالتي ... شـــرفتْ قومـــاً إلـــيهم تنتســـب

فاشـــتكت زوجـــاً جفـــتْ ألفاظـــه ... بعـــد أن جافـــاه مِـــن قبـــل اللبـــب

وأبوهـــا لـــم يُجـــاوز داره ... إنـــه - فـــي البـــأس - ذو قلـــب حَـــدِب

قـــال: لا تبكـــي ، ولا تستحســـري ... إنمـــا الـــدمعُ رصـــيدُ المكتئـــب

لا تبـــالي بالـــذي عاينتـــه ... كـــم يهـــز الـــنفسَ قلـــبٌ ينتحـــب!

وارحمـــي نفســـكِ مِـــن وخـــز الجـــوى ... واشـــحذي فيهـــا التـــروّي والـــدأب

منطـــقُ العـــيش احتفـــالٌ وبُكـــا ... واهتنـــاءٌ بعـــد لأي ولغُـــب

هـــذه الـــدنيا متـــاعٌ زائـــلٌ ... زينـــة تمضـــي ، ولهـــوٌ ولعـــب

مـــا عنـــاكِ الـــزوجُ لمّـــا ســـبني ... فـــاربئي بـــالنفس عـــن هـــذا النصـــب!

يـــا ابنتـــى هـــذا عنـــاني ، صـــدقي ... وأنـــا غلبـــتُ رفقـــي والحَـــدب

فـــارجعي بيتـــك ، هـــذا مـــا أرى ... قبـــل أن يفنـــى بتســـعير الشـــهب

واحـــم بيتـــاً قـــد تهـــاوى أسّـــه ... ثـــم أمســـى دون ذنـــب يضـــطرب

إنـــه مـــأواكِ ، جـــدّي ، واعقلـــي ... وارقبـــي الأمـــر فتـــاتي عـــن كثـــب

يـــا ابنتـــي زوجُـــك محتـــاجٌ إلـــى ... زوجـــةٍ ترضـــيه دومـــاً إن غضـــب

عنـــدها تحظـــى بمرضـــاة الـــذي ... أرســـل الرسْـــل بـــدين وكتـــب

زوجـــة تعفـــو وتصـــفو دائمـــاً ... إن رماهـــا الـــزوج – يومـــاً - أو ضـــرب

زوجـــة تعطـــي وترضَـــي دهرَهـــا ... فالرضـــا - صـــدقاً - دواءٌ مختلـــب

زوجـــة إمـــا أهينـــتْ ثـــابرتْ! ... بالحصـــى ترمَـــى ، فتلقـــي بالعنـــب

يـــا ابنتـــى أخطـــاتِ مـــذ فارقتـــه ... دون إذن منـــه ، أو حتـــى طلـــب

هكـــذا ربيـــتُ بنتـــي؟ أفصـــحي ... هكـــذا بنتـــي الخطايـــا ترتكـــب؟

قـــوِّمي نفســـكِ ، بـــل واســـتغفري ... إن الاســـتغفار مـــن أرجـــى القـــرَب

لا تزيـــدي النـــار فـــي قلـــب فتـــىً ... مـــن عـــذاب الـــنفس أمســـى يكتئـــب

والطفـــي بـــالزوج دومـــاً ، وارأفـــي ... ربمـــا الحـــال لضـــدٍ ينقلـــب

لا تلوميـــــه ، ولا تســـــتعتبي ... واصـــدقي فـــي الحـــب ، لا يجـــدي الكـــذب

واهجـــري الواشـــين مهمـــا زخرفـــوا ... إنهـــم يلقـــون للنـــار الحطـــب

وإحـــذري أن تكشـــفي ســـراً لمـــن ... فـــوق أســـرارك كـــم ألقـــى الحُجُـــب!

وأت بيتـــي ضـــيفة لا تمكثـــي ... لـــكِ داري اليـــومَ مـــأوى المغتـــرب

جعلم الله حنفاء له

(أحد الأصحاب المؤمنين من جنوب شرق آسيا ، تعرّفنا عليه هنا في غربتنا ، وكان قد رزقه الله تسعة أولاد وست بنات. فسماهم كلهم أسماء مقرونة بلفظ الجلالة (الله)! فأما أسماء الأولاد فكانت: (عبد الله – صقر الله – عطاء الله - دفع الله - جار الله - سيف الله - نصر الله - ثواب الله - كرم الله). وأما أسماء البنات فكانت: (أمة الله - مرضاة الله – بقية الله - تقوى الله - منة الله - هبة الله). فدعوتُ لهم معقباً بأن يجعلهم الله من جنوده الحنفاء. وكان أبناء عمومة له قد سمّوا أبناءهم أسماء مقرونة بالدين مثل: (شمس الدين - عماد الدين - قمر الدين - بدر الدين - سيف الدين - سراج الدين - حسام الدين - كمال الدين - عز الدين - علاء الدين - شهاب الدين - مجد الدين - نجم الدين - نور الدين - فخر الدين - غرس الدين - صلاح الدين - نصر الدين - ضياء الدين - لواء الدين - خير الدين). وأخ ثالث له رزق بتسع بنات سماهن جميعاً بأسماء أمهات المؤمنين! على أن هذا الأخ وأبناء عمومته من العجم. فقلت: سبحان الله الذي يجند قوماً من غير العرب يقومون على أمر هذا الدين إما تقاعس عنه أهله. فلننظر إلى بعض أسماء الأولاد والبنات في ديارنا اختارها لأبنائهم وبناتهم آباء وأمهات منهزمين أمام الافتتان بحضارة الغرب المزعومة ، ومنها: (شاهي - ماهي - ماجي - ديميس - جون - جورج - أنّا - داليا – مادونا - مارلين – كنزي - بريجيت - ووري - روتشان - فوندا – جين – نيرفانا – روفانا – رينادا – يارا - سالي). وسبحان الله: الغربيون لا يحبون أي شيء يمت بصلة للعرب ولا للإسلام فلماذا الانهزام؟ وإن كانت القضية في حقيقتها ليست بالأسماء ولا بالمسميات ، بقدر ما تكون في حقيقتها بالتربية على منهاج الله وشريعته. والأصل أن التصورين يكونان معاً التسمية والتربية. وكلنا يذكر موقف عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – مع الرجل الذي اشتكى عقوق ابنه عند عمر. فسأل عمر الولد عن ذلك. فأوضح لعمر بأن أباه قد اختار أمه أمَة سوداء ، وأنه أسماه (جعران) ، وأنه لم يعلمْه شيئاً من القرآن ولا شيئاً من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم –. فكان تعليق عمر: يا هذا عققت ولدك ، وجئت تشكو عقوقه لك؟ والشاهد هنا هو استهجان الابن للاسم . والأصل أن الأب مسؤولٌ بين يدي الله عن تسمية ولده. والعلامة المحقق / بكر بن عبد الله أبوزيد ، ذكر في هذه المسألة نقاطاً مهمة منها: * أولاً: قال: (أما تلك الأسماء الأعجمية المولدة لأمم الكفر ، المرفوضة لغة وشرعا..... ومنها: آنديرا ، جاكلين ، جولي ، ديانا ، (سوزان) ومعناها: الإبرة أو المحرقة....). * ثانياً: قال: (وتلك الأسماء الغرامية الرخوة المتخاذلة: أحلام ، أريج ، تغريد ، غادة ، فاتن ، ناهد ، (هُيام) ، وهو بضم الهاء: ما يُشبه الجنون من العشق أو داء يصيب الإبل ، وبفتحها: الرمل المنهار الذي لا يتماسك). * ثالثاً: قال: (وأقول: إنني تأملتُ عامة الذنوب والمعاصي ، فوجدتُ الذنوب والمعاصي إذا تاب العبد منها ، فإن التوبة تجذمها وتقطع سيء أثرها لتوّها ، فكما أن الإسلام يجب ما قبله - وأكبره الشرك - ، فإن التوبة تجب ما قبلها متى اكتملتْ شروطها المعتبرة شرعاً - وهي معلومة أو بحكم المعلومة -. لكن هناك معصية تتسلسل في الأصلاب ، وعارها يلحق الأحفاد من الأجداد ، ويتندر بها الرجال على الرجال ، والولدان على الولدان ، والنسوة على النسوان ، فالتوبة منها تحتاج إلى مشوار طويل العثار ، لأنها مسجلة في وثائق المعاش من حين استهلال المولود صارخاً في هذه الحياة الدنيا إلى ما شاء الله من حياته ، في شهادة الميلاد ، وحفيظة النفوس ، وبطاقة

الأحوال ، والشهادات الدراسية ، ورخصة القيادة ، والوثائق الشرعية... إنها تسمية المولود التي تعثر فيها الأب ، فلم يهتد لاسم يقره الشرع المطهر ويستوعبه لسان العرب ، وتستلهمه الفطرة السليمة). * رابعاً: وقال: (وهنا أذكر دقيقة تاريخية مهمة ، هي: أن التزام لفظة (ابن) بين اسم الابن وأبيه مثلاً كانت لا يعرف سواها على اختلاف الأمم ، ثم لظاهرة تبني غير الرشدة في أوروبا صار المتبني يفرق بين ابنه لصلبه فيقول: (فلان ابن فلان) ، وبين ابنه لغير صلبه فيقول: (فلان فلان) ، بإسقاط لفظ ابن ، ثم أسقطت في الجميع ، ثم سرى هذا الإسقاط إلى المسلمين في القرن الرابع عشر الهجري ، فصاروا يقولون مثلاً: محمد عبد الله! وهذا أسلوب مولد ، دخيل ، لا تعرفه العرب ، ولا يقرّه لسانها ، فلا محل له من الإعراب عندها. وهل سمعت الدنيا فيمن يذكر نسب النبي - صلى الله عليه وسلم - فيقول: محمد عبدالله! ، ولو قالها قائل لهجن وأدّب ، فلماذا نعدل عن الاقتداء وهو أهدى طريقاً وأعدل سبيلاً وأقوم قيلاً؟! وانظر إلى هذا الإسقاط كيف كان داعية الاشتباه عند اشتراك الاسم بين الذكور والإناث ، مثل: أسماء ، وخارجة ، فلا يتبين على الورق إلا بذكر وصلة النسب: (ابن) فلان ، أو (بنت) فلان خامساً: قال: (لا خلاف في أن الأب أحق بتسمية المولود ، وليس للأم حق منازعته ، فإذا تنازعا ، فهي للأب).هـ. جزا الله خيراً الدكتور بكر أبا زيد! والمهم أن نحسن التربية والتسمية معاً! أنشدتُ من شعري في هذا أقول:)

مبتغانـــا – يـــا صـــاحبي - الحنفـــاءُ ... والمعـــــالي حراسُـــــها الأتقيـــــاءُ

أنـــت أحســـنت الاختيـــار احتســـاباً ... وامتنانـــاً ، يـــا حبـــذا الأســـماء!

واســـــتعنت بـــــالله رب البرايـــــا ... واللســـــانُ يجـــري عليـــه الـــدعاء

تأمُـــلُ الخيـــر ، ثـــم ترجـــو المعـــالي ... والحيـــاة يزجـــي ســـناها الرجـــاء

مســـتبيناً دربَ الهُـــدى والســـجايا ... والهُـــدى تُســـتجلى بـــه الظلمـــاء

كـــم نلاقـــي - فـــي ذي الحيـــاة - الـــدواهي ... ســـاقها - فـــي أصـــقاعنا – الأعـــداء!

أفســـدوا - بالفوضـــى - حيـــاة البرايـــا ... كـــي يكـــون - للمعتـــدي - مـــا يشـــاء

أشـــهروا الإعـــلام المـــدمر ســـيفاً ... والضـــحايا دَكـــتهمُ الهيجـــاء

أوهمونـــا أن الفنـــون ســـمو ... بـــالنفوس ، يهفـــو لـــه الأحيـــاء

أفهمونـــا أن التـــديّن يُـــزري ... شـــأنَ قـــوم طـــالتهم الأرزاء

أقنعونـــا أن التحلـــل يشـــفي ... مِـــن سِـــقام عـــاتٍ ، وأيـــن الـــدواء؟

أعلمونـــا أن التعفـــف يـــردي ... فاعترانـــا - بمـــا علمنـــا - الـــبلاء

ينشـــرون الضـــلال فـــي كـــل وادٍ لـــيس شـــيءٌ يطـــوي مـــداه الخفـــاء

إنمـــا حـــربٌ لـــم تـــدعْ مِـــن ديـــار شـــاهداها الإصـــباحُ والإمســـاء

ثـم تـأتي فـي عصـر (روزا وسـونيا)! وقطيـــع أزرت بـــه الأهـــواء

وأنـــاس هـــدّ الفســـادُ قـــواهم وديـــار - عـــن هـــديها - صـــماء

وتســـمي الأســـماء تشـــرقُ تقـــوى ويشـــعُ منهـــا الســـنا والإبـــاء

وتنيـــرُ دربـــاً دهتـــه الـــدياجي واعترتـــه البأســـاءُ والضـــراء

مقرنـــاً بالتوحيـــد أســـماء وُلـــدٍ هـــم بتوحيـــد ربهـــم أســـوياء

صـــاح إنـــي أرجـــو لهـــم كـــل خيـــر وفـــق شـــرع ســـما بـــه الحنفـــاء

كـــم نربّـــي ، وكـــم نؤمّـــلُ خيـــراً والمتاهـــاتُ لـــيس منهـــا نجـــاء!

كـــم نـــدل علـــى ســـبيل المعـــالي! إن هـــذا منهاجنـــا الوضـــاء

كـــم نقـــود إلـــى الرشـــاد غفـــاة هـــم - وربـــي - والضـــائعون ســـواء!

كـــم ننـــادي فـــي التـــائهين أفيقـــوا ثـــم لا يلقـــى مَـــن يفيـــق النـــداء!

إيـــه يـــا أبنـــاء الحنيفـــة جـــدّوا وافهمـــوا القصـــد ، إنكـــم فهمـــاء!

لا نـــراكم - خلـــف الأعـــادي - قطيعـــاً يـــؤثرُ الســـير حيـــث يرجـــو الرعـــاء

يســـتحلّ الحـــرام دون اكتـــراثٍ رافضـــاً عِلمـــاً خطـــه العلمـــاء

يقتفـــي آثـــار الـــذين تـــردّوا مثلمـــا يحيـــا الســـوقة الجهـــلاء

يهتـــدي بالأوهـــام تغتـــال جـــيلاً مســـتريحاً لِمَـــا ارتـــأى الكبـــراء

فلـــيكن للأســـماء هـــذي نصـــيبٌ مـــن مُســـماها أيهـــا الأبنـــاء

إن ديـــن الإســـلام يرنـــو إلـــيكم فانصـــروه ، يـــا حبـــذا النصـــراء!

(دموع التصبر)

(سُنة الله في خلقه تقلب الأغيار. فمن حال إلى حال ، ومن وضع إلى وضع. فسبحان من يغير ولا يتغير. وتعالى من لا يبقى على ما هو إلا الذي لا إله إلا هو. كنا في حديقة (الحميدية) في عجمان ، في إحد أيام شتاء عام 2008م. وفجاة يأتي ولدي (عمر الفاروق) حاملاً ذراعه الأيسر وقد كُسر. وكانت مأساة رزقني الله الصبر عند صدمتها الأولى فله الحمد والشكر. وبعد حين تضارب الأطباء في التشخيص واتخاذ القرار وبدء العلاج ، خانني التصبر ، ودمعت عيناي وانكسر قلبي. غير أن أحداً لم ير هذه الدموع التي ذرفتها بيني وبين ربي ، رجاء أن يشفي الله ذلك الولد. وفي اليوم الثاني استقرّ رأيُ الأطباء على إجراء عملية جراحية لذراع الولد ، جزءٌ منها زراعة مسامير ثلاثة في الذراع ، وذلك بهدف إعادة الذراع إلى مكانها الطبيعي ، بداعي أن الكسر من النوع العنيف. وعمد الأطباء إلى الغموض في الأمر ، وكأنها أول عملية من نوعها ، فلم يصارحونا بما جرى ولا بما يجري. فأخذتُ أطلساً طبياً ملوناً ، وذهبت إلى كبير الأطباء والذي يشرف على العملية ، ورحتُ أسأله قائلاً: هل يمكن إيضاحُ ما يجري لابني على هذا الأطلس الذي يحتوي على عشر صور ملونة للذراع؟ فنظر إليّ بازدراء ، وكأنني قلت منكراً من القول وزوراً ، ثم قال: ما هذا الكتاب إلى جوار ما درستُ؟ فقلت: أنا لم أسألك عن دراستك يا سيدي؟ أنا أريد إيضاح حالة ابني على الأطلس الطبي بوصفه وسيلة تعليمية ، وأنا معلم لغة إنجليزية أعرف جيداً دور الوسيلة التعليمية في إيضاح غوامض ودقائق أي علم. فعلتْ نبرة الدكتورالاستهجانية أكثر ، وقال: مؤلف هذا الكتاب أحرى به أن يبيع الفول! فقلت له: مؤلف هذا الكتاب دكتور مثلك ، وقد تفضل على البشرية بهذا الأطلس العظيم الذي احتوى على عشرات الصور لكل جزء من جسم الإنسان وعلى كل صورة تعليق يناسبها. فهدأ هدوء الذي أفحِم ولم يجد جواباً ، وأمسك بقلمه ، وراح يخط به في الكتاب على عادة الطلاب الموتورين الذين لا يرتاح الواحد منهم وهو يذاكر في كتاب ما إلا بعد أن يرسم هنا ويخطط هناك ويدون الأغنيات والذكريات هنالك! وبعد لأي عرفت منه عُشر معشار ما حدث للولد. أما ماذا هم فاعلون؟ فبسؤاله عن هذا قال في لهجة المحتقر والمستهين بمن يكلمه: عندما تأخذ سيارتك إلى الميكانيكي تضعها عنده وتمشي ويبقى هو حُراً في إجراءات التصليح ، أليس كذلك؟ فأجبته: لا يا سيدي ، بل أسأل وأتابع بنفسي لأعرف وأتعلم ، وقد تعلمتُ الكثير عن ميكانيكا السيارات بهذه الطريقة للدرجة التي تجعلني أقوم بإصلاح بعض الأعطال البسيطة في السيارة بنفسي ، وإن كان ثمة عطلٌ عويص فإنني على أقل تقدير أكون عارفاً به وإن أصلحه غيري. وفي الختام أجريتِ العملية وأخطأ فيها تقدير الأطباء. فأعيدتْ مرة ثانية ونجحتْ نسبياً. وحاولتُ تصبير عمر الفاروق وتصبير نفسي ، فسقت له باقة عطِرة من حديث رسول الله – صلى الله وسلم – وذلك ليهدأ ويعيش الموقف ويتحمّل! وزدتُ الأمر وضوحاً بضرب المثل بالابنة الفلسطينية (روان يوسف) المصابة في عمودها الفقري والذي احتاج زراعة مسامير بلاتينية ، وكذلك الأخت (وصال) المصرية المصابة في حادث سيارة! وكان من جملة ما قلت: أن العاقل من وعظ بغيره ، ومن رأى بلاوي الناس هانت عليه بلواه! عنْ أَبي هُرَيرة - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْراً يُصِبْ مِنْهُ). رواه البخاري. وعَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه -

قَالَ: قَالَ رسولُ اللَّه ﷺ: (لا يتَمنينَّ أَحدُكُمُ الْمَوْتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ ، فَإِنْ كَانَ لاَ بُدَّ فاعلاً فليقُل: اللَّهُمَّ أَحْيني مَا كَانَت الْحياةُ خَيراً لِي ، وتوفَّني إِذَا كَانَتِ الْوفَاةُ خَيْراً لِي). متفق عليه. وَعنْ أَبي سَعيدٍ وأَبي هُرَيْرة رضيَ اللَّه عَنْهُمَا عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: (مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حَزَن وَلاَ أَذًى وَلاَ غمٍّ ، حتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُها إِلاَّ كفَّر اللَّه بهَا مِنْ خطَايَاه). متفقٌ عَلَيهِ. وعن ابْن مسْعُود - رضي الله عنه - قَالَ: دَخلْتُ عَلى النَبيِّ ﷺ وَهُو يُوعَكُ فَقُلْتُ يَا رسُولَ اللَّه ، إِنَّكَ تُوعكُ وَعْكاً شَدِيداً قَالَ: (أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُم. قُلْتُ: ذلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْريْن؟ قَالَ: أَجَلْ ذَلك كَذَلك! مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى، شوْكَةٌ فَمَا فوْقَهَا إِلاَّ كَفَّر اللَّه بهَا سَيِّئَاتِهِ وَحطَّتْ عنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجرةُ وَرقَهَا). متفقٌ عَلَيهِ. يقول ابن باز تعليقاً: (تحثنا السنة على الصبر على المصائب ، وأن في ذلك الخير الكثير وتكفير السيئات وحط الخطايا ، فالمؤمن مأمورٌ بالصبر في جميع الأمور ، الصبر على طاعة الله ، والصبر على المصائب ، الصبر عن المكاره والمحارم ، هو مأمورٌ بهذا كله! إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ، (وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ). فالواجب على كل مؤمن ومؤمنة الصبر عما حرم الله ، والصبر على أداء ما أوجب الله ، والصبر عند المصائب ؛ ولهذا يقول ﷺ: (ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى حتى الشوكة ولا غم إلا كفر الله بها من خطاياه حتى الشوكة يشاكها) ، وهذا فيه رحمة الله وفضله وجوده وكرمه على عباده ، وأن هذه المصائب يكفر بها من الخطايا حتى الشوكة يشاكها ولو قليلة. وفيه أنه ﷺ كان يوعك يعني تصيبه الحمى أكثر مما يصيبنا كما يوعك اثنان منا ، قال له ابن مسعود: ذاك لأن لك الأجر مرتين؟! قال: نعم ؛ لأن له الأجر مرتين عليه الصلاة والسلام ، فهذا يفيد أن الرسول ﷺ تصيبه المصائب واللأواء والحمى والله يضاعف أجورهم جل وعلا ، أشد الناس بلاء الأنبياء، ثم الصالحون ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى المرء على قدر إيمانه وصبره. فالواجب عند البلاء الصبر والاحتساب وعدم الجزع ولا ينبغي له أن ينظر أهل الصحة والعافية بل ينظر أهل البلاء يتأسى بهم قد ابتلي الأنبياء ، وابتلي الصالحون بأنواع البلاء فصبروا وهم خير عباد الله ، وأفضل عباد الله ، فهكذا أنت تتأسى بالأخيار ، أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى المرء على قدر دينه ، فإن كان في دينه صلابه شدد عليه في البلاء).هـ. وكان إنشاد هذه القصيدة عندما أدخل عمر إلى غرفة العمليات للمرة الثانية. وقد غلبني تصبري وتجلدي فرُحتُ أستهلها بالمطلع ، وتوالت الأبيات!)

خـــان التصـــبرُ قلبـــاً كـــاد ينفطـــرُ ... والـــدمع فـــوق جـــوى المأســـاة ينهمـــرُ

والحـــزنُ يســـرقُ مـــن نفســـي تجلـــدها ... كـــي يســـتبد بهـــا - فـــي المحنـــة - الخـــوَر

والكـــرب يُشْـــهرُ ســـيفاً لـــيس يرحمنـــي ... وكيـــف مِـــن طعنـــه الفـــرارُ والـــوَزَر؟

والوَجـــدُ يبـــذر - فـــي دربـــي - دغاولـــه ... وكيـــف أصـــنع إمّـــا طمّـــتِ الغِـــيَر؟

والهـــمّ ينســـجُ ثوبـــاً ، بعضُـــه ألمـــي ... كـــأنني - بلبـــاس الهـــم - مـــؤتزر!

والغـــم يـــزرعُ أشـــجاناً تســـربلني ... وفـــي الأحاســـيس - مـــن أهوالهـــا - كـــدر

لمّـــا أتـــاني الفتـــى تبكـــي مدامعُـــه ... فقلـــتُ: مـــاذا جـــرى؟ مـــا الحـــال؟ مـــا الخبـــر؟

مـــاذا أصـــابك مـــن عـــين بُليـــت بهـــا ... حتـــى دهتـــك بكسْـــر لـــيس ينجبـــر؟

والعـــينُ حـــقٌ ، فـــلا شـــئٌ يســـابقها ... إلا قضـــاءٌ مـــن الـــديان ، أو قـــدر

العـــين أســـكنتِ الإنســـانَ حُفرتـــه ... وكـــم بهـــا ضـــمّتِ الأجـــداث والحُفـــر!

والعـــينُ أدخلـــتِ البعيـــرَ جفنتـــه ... وكـــم بهـــا أصـــبحت طعامـــاً الجُـــزُر!

يـــا لهـــفَ نفســـي - علـــى الآهـــات - أطلقهـــا ... إصـــر المصـــيبة - مِـــن بـــين الـــورى - (عمـــر)!

حســـبي اصـــطباري وآيـــاتٌ أرتلهـــا ... إذ - فـــي الـــبلاء - تفيـــد المبتلـــى الســـور

وعُـــدّتي دمعـــة لله أذرفهـــا ... ممزوجـــة بابتهـــالات الألـــى صـــبروا

وللـــدعاء - علـــى اللســـان - دندنـــة ... فبالـــدعاء يـــزولُ البـــأسُ والضـــرر

وللّجـــوء إلـــى المـــولى حلاوتـــه ... ولـــيس يُـــدركُها إلا مَـــن ادّكـــروا

ابنـــي الحبيـــبَ: لعـــاً لمَـــا تصـــارعُه ... إنـــي إليـــك - بـــدمع العـــين - أعتـــذر

اصـــبرْ لحكـــم مليـــك النـــاس ، وارضَ بـــه ... إذ لـــيس يعصـــمُ - مِـــن مقـــدوره - حـــذر

والمـــرءُ - فـــي هـــذه الحيـــاة - ممـــتحن ... والعـــيشُ - بـــين الـــورى فـــي ذي الـــدنا - ســـفر

ولـــيس حـــالٌ - بمخلـــوق - يـــدومُ لـــه ... وتشـــهدُ الأرضُ والتـــاريخ والبَشـــر

واســـأل معـــى أيـــن مَـــن مِـــن قبلنـــا ملكـــوا؟ ... وأيـــن مَـــن هـــدموا؟ وأيـــن مَـــن عَمَـــروا؟

وأيـــن مَـــن صـــلحوا؟ وأيـــن مَـــن فســـدوا؟ ... وأيـــن مَـــن جحـــدوا؟ وأيـــن مَـــن شـــكروا؟

وأيـــن مـــن عـــدلوا؟ وأيـــن مـــن ظلمـــوا؟ ... وأيـــن مـــن خـــذلوا؟ وأيـــن مـــن نصـــروا؟

وأيـــن مـــن حقـــدوا؟ وأيـــن مـــن حســـدوا؟ ... وأيـــن مـــن كســـبوا؟ وأيـــن مـــن خســـروا؟

وأيـــن مـــن آمنـــوا بـــالله خـــالقهم ... فأخلصـــوا ديـــنهم؟ وأيـــن مـــن كفـــروا؟

وأيـــن مـــن حمـــدوا عطـــا المليـــك لهـــم ... فـــزادهم شـــرفاً؟ وأيـــن مـــن بطـــروا؟

وأيـــن مـــن نـــدموا علـــى كبـــائرهم؟ ... وأيـــن مـــن - بحـــرام الله - كـــم جهـــروا؟!

وأيـــن مـــن أوســـعوا أهـــل التقـــى شـــرفاً؟ ... وأيـــن قـــوم - مـــن الأبـــرار - كـــم ســـخِروا؟

وأيـــن مـــن حـــاربوا الإســـلام دون حيـــا؟ ... وأيـــن أهـــلُ تقـــىً – للمصـــطفى - انتصـــروا؟

وأيـــن مـــن نـــافقوا؟ وأيـــن مـــن صـــدقوا؟ ... وأيـــن مـــن فســـقوا؟ وأيـــن مـــن قهـــروا؟

ابنـــي الحبيـــبَ هـــي الـــدنيا وســـيرتها ... تُـــزري بجَوقـــتها دومـــاً ، وإن كثـــروا

جـــزاك ربـــك خيـــراً ، لا تكـــن قنِطـــاً ... يعـــيش يخطـــئ مـــا يـــأتى ، ومـــا يـــذر

أنـــا وأمـــك كـــم ســـالت مـــدامعُنا! ... لأنـــك الســـمعُ (يـــا فـــاروق) والبصـــر

وفـــي الفـــؤاد جَـــوَىً يغتـــال فرحتنـــا ... وفـــي الضـــمير - لمَـــا عاينتـــه - ضـــجر

هـــذا ذراعـــك لـــو يـــدري فجيعتنـــا ... لمّـــا يكُـــنْ - لعـــلاج القـــوم - يفتقـــر

بـــل قـــام يضـــرب مَـــن يـــودي بعزمتنـــا ... ويســـتخفّ بأوبـــاش - بنـــا - مكـــروا

لكـــنْ - شـــفاه إلـــهُ النـــاس - جنـــدلنا ... إذ لـــم يكـــن عُجَـــرٌ فيـــهِ ، ولا بُجَـــر

واليـــوم يلتـــاعُ ، لا نـــدري تعِلتـــه ... ومِـــن عُظيمتـــه المَـــزاجُ معتكـــر!

تلـــك التـــي أبـــتِ التطبيـــبَ دون هـــدىً ... والأمـــرُ - بـــين أســـاة الطـــب - مشـــتهر

لكـــنْ علينـــا بـــلا حـــق لهـــم بخلـــوا ... فاليـــأس مِـــن بعـــده التيئـــيس مـــدخر

مـــا زوّدونـــا بتشـــخيص يُطمئننـــا ... بـــل كـــل لفـــظٍ لهـــم كأنـــه السُّـــمُر

هـــل الشـــفاءُ غـــدا حكـــراً علـــى فئـــةٍ ... لســـنا نراهـــا - مِـــن التطبـــيب - تَعتبـــر؟

كأنهـــا ألفـــتْ دمـــاء مَـــن جُرحـــوا ... أو قطّعـــوا إربـــاً - فـــي الحـــرب - أو نحِـــروا

إن الأطبـــاء أنـــدى سُـــمعة وصُـــوَيً ... ففـــي القلـــوب تقـــىً ، وفـــي الـــروى نظـــر

والله أطلعهـــم بحُكـــم مِهنـــتهم ... علـــى خفايـــا - عـــن الأنظـــار - تســـتتر

وخـــــصّ أغلـــــبهم بسِـــــر صَـــــنعته ... فـــي عـــالم الإنـــس ، نِعـــم العلـــم والـــذكر!

وبعـــدُ أجـــرى - علـــى أيـــديهمُ - نِعـــماً ... مِـــن الشـــفاء لهـــا - بـــين الـــورى - صـــور

وكـــان أحـــرى بهـــم أن يســـتكينوا لـــهُ ... ويرحمـــوا الخلـــقَ - فـــي المصـــائب - انـــدحروا

لا أن يُضِـــيفوا - إلـــى الـــبلاء - فاجعـــة ... إذ القلـــــــوب أذى البلـــــــواء تعتصـــــــر

لـــم ينقـــذونا مـــن الوســـواس حطمنـــا ... يـــا ليـــتهم رأفـــوا بالحـــال ، أو عَـــذروا

ســـلمت (يـــا عمـــر الفـــاروق) ، يـــا ولـــدي ... وأطربتـــك المُنـــى فـــي العـــيش والبُشُـــر

أنينـــك اليـــوم نأســـى إذ يباغتنـــا ... كـــأن أحرفـــه - فـــي صَـــعقها - سُعُـــر

لـــو كنـــتُ أمتلـــك التطبيـــب جُـــذْتُ بـــه ... وعِشـــتُ أهـــلاً لمَـــن - مِـــن أهلـــه - نفِـــروا

وعِشـــتُ أرحـــمُ مَـــن آهاتـــه عظمـــتْ ... وأصـــبحتْ تـــزعجُ المرضـــى ، وتنتشـــر

لـــو كـــان عنـــدي - مـــن الأمـــوال - أوْفرُهـــا ... بـــذلتُها ، كـــي أرى (الفـــاروق) يبتشـــر

ولا التمســـتُ طبيبـــاً دون مَبخلـــةٍ ... ولـــم تعُـــقْ كَرمـــي الأثمـــانُ والأجَـــر

مـــا المـــالُ إن لـــم يكـــن عبـــداً لصـــاحبه؟ ... مـــا المـــالُ إن لـــم يكـــن يُقضَـــى بـــه الـــوطر؟

وزاد مِـــن ألمـــى مَـــن ضـــاعفتْ شـــجني ... وأقبلـــتْ كـــالردى - مـــن حولهـــا - زمـــر

قبّحـــتِ مِـــن أمَـــةٍ تختـــالُ فـــي صَـــلف ... عليـــك ثـــوبٌ عليـــه الوشْـــيُ والحِبَـــر

لـــولاه كنـــتِ غرابـــاً لـــيس ينظـــره ... إلا رذيـــلٌ غفـــا ، فـــي عينـــه عَـــوَر

شـــمطاءُ مـــا احترمـــتْ دنيـــاً ولا خلقـــاً ... كـــلا ، ومـــا ردّهـــا - عـــن هزلهـــا - كِبَـــر

ســـوداءُ يُبرزهـــا المكيـــاجُ فاحمـــة ... وصـــفحة الوجـــه يُبـــدي قبحَهـــا القتـــر

مـــا كـــان أجملهـــا لـــو أنهـــا اتبعـــتْ ... هـــديَ الرســـول ، لقلنـــا: هـــذه قمـــر!

لكنهـــا قبلـــتْ تـــدنيسَ فِطرتهـــا ... عمـــداً ، ومـــا شـــدّها ســـمتُ الألـــى طهُـــروا

فـــأين ســـوط مـــن (الفـــاروق) يَجلـــدُها؟ ... وأيـــن دِرّتـــه تعلـــو الألـــى فجـــروا؟

الـــــدردبيسُ أتـــــت تُـــــزري بمِشـــــيتها ... وفـــــي الفـــــؤاد الهـــــوى واللـــــؤمُ والـــــدَبَر

لـــــم تـــــرحم الأمَ (والفـــــاروقَ) فلـــــذتها ... وهـــــل - علـــــى وجههـــــا - مِـــــن رحمـــــةٍ أثـــــر؟

الحيزبـــــونُ أتـــــت ، والـــــزيّ ينفخهـــــا ... وخلـــــف هـــــذي خمـــــيسٌ واعـــــدٌ دَثِـــــر

هـــم الأســـودُ - علـــى أهـــل التقـــى - انطلقـــتْ ... لكـــــنهم قطـــــط علـــــى الألـــــى عَهـــــروا

سَـــلتاءُ لـــيس بهـــا مـــا يشـــتهي رجـــلٌ! ... لكنـــــه الـــــزيّ فـــــوق العظـــــم يزدهـــــر!

فـــي حُلـــةٍ نســـجتْ - مِـــن مالنـــا - علنـــاً ... ســـطا عليـــه الألـــى - علـــى الـــورى - ظهـــروا

جـــاءت لأمّـــك ، والشـــيطانُ يُرشـــدُها ... والصـــــبحُ يشـــــهدُ والآصـــــالُ والبُكُـــــر

مـــاذا وراءكِ مِـــن ســـوءٍ ومِـــن مِحـــن ... وعنـــدها - فـــي الـــوغى - الهنديـــة البُتُـــر؟

وأرســـلتْ سُـــمّها فـــي عِـــرض مؤمنـــةٍ ... والنـــارُ مبـــدأها مهمـــا زكـــتْ شـــرر!

فـــردتِ الأم - عـــن نفـــس - مدافعـــة ... لعـــــل طاغيـــــة تخـــــزى ، وتزدجـــــر

لكنهـــا استعْـــدتِ الأوبـــاشَ مَـــن سَـــفلوا ... وهـــم علينـــا - بمـــا قـــد خوّلـــوا - قـــدروا

وقيـــل كـــلُّ إلـــى مَـــن يســـتعين بـــه ... فقلـــتُ: إنـــا - بـــرب النـــاس - ننتصـــر

وكنـــــتُ آمـــــلُ أن تحيـــــا أنوثتهـــــا ... لكـــــنّ قلـــــب التـــــي قـــــد عانـــــدتْ حجَـــــر

وردّهـــــا اللهُ لـــــم تبلـــــغ مراميَهـــــا ... إن المليـــــك - علـــــى الضُـــــلال - مقتـــــدر

شـــفاك ربـــك (يـــا فـــاروق) ، أنـــت إلـــى ... رعايـــــــة الله والشـــــــفاء مفتقـــــــر

لا تبتـــئسْ ، أنـــت فـــي نُعمـــى وعافيـــةٍ ... وســـــوف يأتيـــــك مـــــا ترجـــــو وتنتظـــــر

هـــذي (رَوان) ، اعتبـــرْ ممـــا ألـــمّ بهـــا ... ولـــيس عنـــدك - مِـــن مُصـــابها - العُشـــر

آهاتهـــــا أحرقـــــتْ فـــــؤاد ســـــامعها ... والـــــدمعُ - مِـــــن عينـــــيّ البُنيّـــــة - النهـــــر

لـــــولا المصـــــابُ لَمَـــــا أنـــــتْ بحُرقتهـــــا ... ولـــــم تضـــــجّ - بزفـــــراتٍ لهـــــا - الخـــــدُر

واســـأل أباهـــا ، ودمعـــاً لـــم يضـــنّ بـــه ... خلـــف الســـتار - علـــى الخـــدين - ينحـــدر

وأمهـــا تأكـــلُ الأحـــزانُ عزمتهـــا ... لكـــنْ تواجـــه مـــا تلقـــى وتصـــطبر

(روانُ) لا تجزعـــي مـــن محنـــةٍ نزلـــتْ ... وبعـــدها جثمـــتْ مصـــائبٌ أخـــر

هـــذا نصـــيبك ، والمـــولى مُقـــدّره ... إن القضـــاء - بـــأمر الله - يـــأتمر

والصـــبرُ أولـــى ، إذا القضـــاء عاجلنـــا ... أو جـــاء يســـتبقُ الخطـــا ، ويبتـــدِر

مكلومـــة أنـــتِ ، والكلـــومُ غـــائرة ... والظهْـــر يَـــدّخر البلـــوى ويَحتكـــر

وللبلاتـــين - فـــي فقراتـــه - ألـــق ... كالعِقـــد تســـترُه - فـــي جيـــدكِ - الخمُـــر

غاصـــت كلاليبـــهُ - فـــي الظهـــر - مُوغلـــة ... وبالجلابيـــب - فـــوق الجلـــد - تختمـــر

أقـــام ظهـــرك - للأضـــياف - حفلتـــه ... وطـــاب - للزائـــرين - الأنـــسُ والســـهر

قـــالوا: نقـــيمُ ، وهـــذا الظهـــرُ قِبلتنـــا ... جيـــرانُ - بالجـــار - نســـتهدي ونفتخـــر

فـــيم التوجـــعُ والآهـــاتُ ترســـلها ... (روان) مردفـــة قـــولاً بـــه هَـــدَر؟

يـــا بنـــت (يوســـفَ) لا تأسَـــيْ ، كفـــاكِ بُكـــا ... يؤذيـــكِ دمـــعٌ - مِـــن العينـــين - مُنهمـــر

بنتـــاه ، أهـــلُ التقـــى إمّـــا ابتلـــوا صـــبروا ... وللمهـــيمن - فـــي جـــنح الـــدجى - جـــأروا

وبعـــدُ أرجـــعُ للفـــاروق أخبـــره ... أن المصـــاب - بفضـــل الله - مبتشـــر

وذي (الشـــرائحُ) يومـــاً ســـوف يخرجُهـــا ... مَـــن دسّـــها - فـــي الـــذراع - تشـــتجر

وســـوف تـــذهبُ أورامٌ شـــقيت بهـــا ... كـــذا الثآليـــل والتشـــويه والثعـــر

وفـــي الإلـــه احتســـبْ آلامَ مُبتـــئس ... واشـــكرْ جهـــود الآلـــى عليـــك كـــم ســـهروا!

واعـــذر أبـــاك علـــى التقصـــير أوجـــده ... حـــالٌ يســـببه الطـــاغوتُ والتتـــر

لا شـــأن لـــي فـــي الـــذي أحيـــاه مِـــن ضـــنكٍ ... فالشـــأن فيمـــا نهـــى الأوغـــادُ ، أو أمـــروا

تحكّمـــوا فـــي حيـــاة النـــاس قاطبـــة ... كأنمـــا النـــاسُ - فـــي أعـــرافهم - بقـــر

وأخضـــعوهم لمَـــا ســـنوه مِـــن نظـــم ... بـــلا مُشـــاورةٍ ، كـــأنهم حُمُـــر

ابنـــي أطلـــتُ قصـــيداً كنـــتُ أحســـبُه ... مقطوعـــة كـــلّ مَـــا سَـــطرْتُ تختصـــر

ولـــم يكـــن بيـــدي طـــولٌ ولا قِصـــرٌ ... مِـــن عنـــدِ ربـــك طـــولُ الشِـــعر والقِصَـــر

فـــلا رأينـــاك إلا فـــي بُلهنيَـــةٍ ... مِـــن عيشـــةٍ مَلؤهـــا الســـرورُ والسَـــمَر

وجُـــدتَ بـــالروح - للإســـلام - هينـــة ... إن الحـــريصَ - علـــى دنيـــاه - ينتحـــر

واســـألْ (وصـــالاً) عـــن البلـــوى التـــي جثمـــتْ ... أتـــى بهـــا حـــادث مستبشـــعٌ عســـر

فاشـــكر لربـــك لطفـــاً لا يُحِـــسُ بـــه ... إلا مـــريضٌ هُـــنا مصـــابُه وعِـــر

واصـــبرْ علـــى إبـــر يـــأتي الشـــفاءُ بهـــا ... هـــي المعافـــاة ، مـــا التجبيـــر؟ مـــا الإبـــر؟

ودُمـــت للسِـــلم جنـــدياً يتيـــهُ بـــهِ ... علـــى يديـــه يكـــونُ العـــز والظفـــر

وعشـــت تعبـــدُ رب النـــاس دون هـــوى ... بـــل الكتـــابُ هُـــدىً ، والسُـــنة الفِكَـــر

فبالحنيفـــة تحيـــا العمـــرَ مُبتهجـــاً ... والجاهليـــة كـــم يشـــقى بهـــا العُمُـــر!

وعـــشْ عزيـــزاً ، ولا تحفـــلْ بمَـــن قبلـــوا ... دنيـــة ، إنمـــا يســـمو بـــك الأثـــر

والحـــقْ بأهـــل التقـــى ، واركـــبْ سَـــفينتهم ... واهجـــرْ ســـفائنَ مَـــن - فـــي غـــيهم - ســـدروا

هـــذي الســـفائنُ إن الله مغرقهـــا ... فـــلا تســـيرُ بهـــا الألـــواحُ والدُسَـــر

واصـــدقْ حـــديثك ، إن الصـــدق منقبـــة ... وأحـــرفُ الصـــدق - فـــي دنيـــا الـــورى - دُرَر

واســـأل مليـــك الســـما غفـــران ذنـــب أب ... بـــدعوةٍ منـــك هـــذا الـــذنبُ يُغتفـــر

وصـــلّ رب علـــى نبينـــا أبـــداً ... مـــادام - فـــي ذي الســـماء - الشـــمسُ والقمـــر

يـــا رب وارضَ عـــن الأهلـــين أجمعِـــم ... والصـــحب ، إنهـــمُ الأماجـــدُ الغُـــرر

أب للبيع

(وأما هذا العنوان فلم أختارْه. إنما اختاره الكاتب الذي كتب قصة هذا الفتى في مجلة: (دار الملاحظة) في عددها الثاني. ومختصرُه أن ابن وأخته تموت أمهما ، ويتزوجُ الأب من خالة الأولاد ظناً منه أنها الأصلح. فأساءت معاملة الصبي وأخته ، وجعلت منهما خادمين: الابن خارج البيت وأخته داخله. وكانت نهاية الابن الانحراف والانسياق مع قرناء السوء. ثم النجاة التي كتبها الله له هناك في دار الملاحظة. لقد اهتممت جداً بمثل هذه القضايا الاجتماعية التي تعطينا العظات والعبر والدروس ، وذلك للاستفادة منها في واقع الحياة. وأوردت المقدمات الطويلة والقصيرة مع علمي بأنها مملة عند بعض القراء الذين يؤثرون الدخول في الموضوع مباشرة ، ويعتبرون طول المقدمات خللاً فنياً في القصيدة. عموماً أنا مستمر في طريقتي وأورد القصة فأقول: يروى أحد المدرسين فى دار الملاحظة - وهي دار مخصصة للأحداث الذين يرتكبون الجرائم الأخلاقية أو غيرها من الجرائم المعروفة - يقول: من أعجب الحالات التي قابلتنا في ميدان العمل الاجتماعي حالة (حدث) كان موجوداً لدينا في الدار محكوماً عليه في قضية (أخلاقية). فبعد انتهاء مدتة في الدار قمت بإبلاغها بإنتهائها ، وأنه سيطلق سراحه في الأسبوع القادم ، ومطلوب منه إبلاغ أهله بالزيارة لإحضار الكفالة اللازمة. فانخرط الحدث في بكاءٍ شديدٍ جداً. ظننت في البداية أنها دموع الفرح لخروجه من الدار. ولكن استمرار البكاء وتعبيرات الحزن والقلق على وجهه جعلتني أتنحى بعيداً عن إخوانه وأسأله عن سبب ذلك. فإذا به يقول: لا ، لا أريد أن أطلع من الدار ، أرجو إبقائي هنا! فقلت له متعجباً: ماذا تقول؟ قال: أريد أن أبقى في الدار ، فالدار بالرغم مما فيها من قيود لحريتي إلا إنها أفضل من بيت أبي! قلت له: لا شك أنك مخطئ ، فلا يوجد مكان أفضل من منزل الأسرة. فرد قائلاً: اسمع قصتي واحكم بنفسك. قلت هات ما عندك. بدأ الحدثُ ابن الثالثة عشرة يروي قصته ، فقال: توفيتْ والدتي منذ حوالى ثمانية أعوام وتركتني أنا وشقيقة أصغر مني بعامين. وبعد وفاتها بعدة شهور أبلغني أبي بأنه سيتزوج ، وستكون لي خالة في مقام أمي ، لم أستوعب هذا الكلام جيداً لصغر سني. وبعد حوالي أسبوع أقام والدي حفل عُرس كبير وجاءت زوجة أبي التي هي خالتي في الأصل إلى المنزل. عاملتنا خالتي في بداية الأمر معاملة طيبة للغاية ثم بدأت معاملتها تتغير بالتدريج ، فكانت دائمة الشكوى لوالدي كلما عاد إلى المنزل من عمله ، فتقول له غاضبة: ابنك فعل كذا وابنتك فعلت كذا. ولم يكن أبي الذي يعود مرهقاً من عمله لديه استعداد أبداً لسماع المشكلات وحلها ، كما إن صغر سننا وضعف قدرتنا أنا وشقيقتي على التعبير لم يكن يسمح لنا بالدفاع عن أنفسنا أمام القصص التي تختلقها خالتنا زوجة أبي وتجيد حبكها وروايتها. في البداية كان أبي ينصحنا وأحياناً يوبّخنا ، ثم تطوّر الأمر مع استمرار القصص والشكاوى إلى الضرب والسباب والإهانات ، وازداد الأمر سوءاً بعد سوءٍ عندما رزق أبي بثلاثة أولاد من زوجته. وبمرور الأيام تحوّلتُ أنا وشقيقتي إلى خادمين بالمنزل ، علينا أن نلبي طلبات خالتي وأبنائها ، فأنا مسؤول عن شراء كل ما يحتاجه البيت من السوق ، وشقيقتي مسؤلة عن التنظيف والعمل بالمطبخ. وكنا ننظر بحسد شديد إلى أبناء أبي الذين يتمتعون بالحب والتدليل ، وتستجاب رغباتهم وطلباتهم. وكان أبي يشعر بأنني أنا وشقيقتي عبءٌ عليه وعلى سعادته ، وأننا دائماً نتسبب في تكدير جو البيت بما تقصه عليه خالتي من قصص مختلقة عنا ، وكان رد فعل أبي

السباب الدائم لنا ، ونعتنا بالأبناء العاقين ، وأنه لن يرضى عن إلا إذا رضيتْ عنا زوجته وأبناؤه ، كما أطبق علينا النعوت السيئة. وكان الجميع بالمنزل ينادوننا بها ، حتى كدنا حقيقة ننسى أسماءنا الحقيقية. وكنا محرومين من كل شئ – حتى المناسبات التي تدعى إليها الأسرة – كنا نحرم منها ولا نذهب معهم. ونجلس وحدنا في الدار ننعي سوء حظنا. وهناك حادثة لا أنساها حدثت في الشتاء الماضي ، فقد أحسستُ بتعب شديدٍ في بطني ، وطلبت مني خالتي أن أخرج لشراء خبز للعشاء ، وكانت البرودة شديدة ، فقلت لها: إنني مريض ولا أستطيع الخروج الآن. فقالت لأبي: أنني أتمارض حتى لا أقوم بما هو مطلوب مني ، فانهال أبي عليّ ضرباً وصفعاً وركلاً ، حتى سقطت من المرض والإعياء ، واضطروا إلى نقلي إلى المستشفى عندما ساءت حالتي ، ومكثت في المستشفى خمسة أيام. وعلى الرغم من الألم والتعب فقد استبشرت خيراً بهذه الحادثة ، وقلت لعلها توقظ ضمير أبي وتجعله يراجع نفسه ، إلا أنه استمر على ما هو عليه. وبدأتُ بعد ذلك أعرف طريق الهروب من المنزل ، والتقطني بعض الشباب الأكبر مني سناً ، وأظهروا لي بعض العطف الذي كنت في حاجةٍ شديدةٍ إليه. وفي خلال هذه المشاعر المزيفة استطاعوا خِداعي ، وانزلقتُ معهم في الانحراف الأخلاقي ، ولم أكن أدرك بشاعة ذلك لصغر سني وعدم إدراكي ، إلى أن قبض عليّ في قضية أخلاقية وأدخلت الدار ، وعرفتُ مقدار الخطأ الذي وقعت فيه ، وأحمد الله على توبتي....وإلى هنا انتهى الفتى من قصته. والقصة واقعية مؤثرة في كل من قرأها. والحقيقة التي يجب علينا أن نؤمن بها أن الأب الذي يبتلى بتطليق زوجته التي له منها الولد أو يبتلى بموتها عنه ، ثم هو يشرع بعد ذلك في الزواج من أخرى ، فإنه يجب عليه أن يتحرى ويُحسن الاختيار قبل أن يدمر أولاده باختيار امرأة لا تصلح بالمرة. وإذا كان عليه أن يتحرى ويحسن الاختيار عندما يتزوج للمرة الأولى ، فإنه يجب أن يضاعف جهوده في التحري وحسن الاختيار في حالة كهذه. ولقد أورد القصة كذلك الأستاذ / محمد السيد رشاد الخولي في موسوعته الموسومة بالقصص الواقعية ص 56. وفي جريدة الجزيرة الصادرة يوم الخميس 6 ذو القعدة 1439هـ - 19 يوليو 2018م. تقول الكاتبة أمل الحسين تحت عنوان: (زوجة الأب) ما نصه: (كثيراً ما تنادى زوجة الأب من قبل الأبناء بما تنادى به الأم الحقيقية ، وتعيشان الزوجة الجديدة وضرتها كأنهما أختان ، وإن غضبت إحداهما من الزوج ساندتها الأخرى بهذا الغضب ، حتى يضطر الزوج لأن يرضي الأولى لترضى الثانية ، وكأن الأخرى بموقفها هذا تدافع عن أختها ، وليس عن منافستها في زوجها. ولذلك قال البعض بأن العدل بين الزوجات يكنّ هن أساسه ومستقره وليس الأزواج. وهناك زوجات إن لم يذكر لك أنها زوجة أب لم تعرف الحقيقة ، وذلك لمَا تراه من تصرفات لا تصدر إلا من أم حقيقية. وهذه إحدى زوجات الأب وهي عقيم ، عاشت مع زوجها مع ما يقارب من العشرة من الأبناء من ذكور والإناث ، ووالدتهم الحقيقية مازالت على قيد الحياة ، يعيشون مع بعضهم في منزل واحد رغم وفاة الأب منذ أكثر من عشرين عاماً ، ومع قدرة زوجة الأب على العيش إما بمفردها أو مع أحد إخوانها ، حيث هذا ما يراه ويختاره الجميع على أنه أمرٌ طبيعي ، خاصة بعد وفاة الزوج الذي يعتبر حبل الصلة بين الزوجة وزوجته الثانية وأبنائه! إلا أن مشاعر الأم التي تربي الطفل حتى يصبح رجلاً ، والطفلة حتى تتزوج وتنجب ، يختلف عنما يعتقده البعض. هذا الاختلاف ألزم هؤلاء الأبناء أن يراعوا الأم الثانية أثناء مرضها لسنوات دون ملل أو تذمّر ، وكأنهم يخدمون والدتهم التي أنجبتهم. وهذا الاختلاف أيضاً جعل زوجة الأب وهي تصارع الآلام المبرّحة ، وتشعر بدنو

أجلها ان تحرص على وجود جميع أبنائها حولها لتخرج نفسها براحة بعد أن قرّت بقرب أحبابها).هـ. فأنشدتُ شعراً بعد قراءتها هذه القصيدة التي تحمل عنوان (أب للبيع) لعلها توقظ ضمائر الغافلين من الآباء المتنصلين من المسؤولية والسادرين في غي البعد عن أبنائهم. فعسى أن يعلم هؤلاء أن الآباء لا يباعون في الأسواق ، وإلا لكان سهلاً يسيراً على المحسنين الميسورين من المسلمين أن يشتروا من الأسواق آباء لأيتام حُرموا آباءهم. ولعل هذا العنوان أن يهمس في آذان بعض الأمهات أو اللائي أخذن أماكن الأمهات من زوجات الآباء أن يعلمن أن الأيام دول: يوم لك ويوم عليك ، وأنه كما تدين تدان ، وأن الكأس الذي تسقي منه أبناء زوجها اليوم يمكن أن يشرب منه أبناؤها بموتها مثلاً أو بموت أبيهم ، أو على أيدي أبنائها وبناتها يوم يجعلهم الله عاقين لها فلا يطيعونها ، بل يذيقونها العذاب بكل ألوانه ونيرانه. وأنشدتُ القصيدة على لسان الفتى ليُوجهها إلى أبيه باعتباره المسؤول الأول عن كل ما جرى له ولأخته ، عندما كان يصدّق الأكاذيب والأغاليط دون تحقيق ودون متابعة. ولتكون أوقع في التأثير على قلوب القراء قدر المستطاع.)

أبـــي بخـــذلك لـــكْتُ الســـوءَ والعـــارا ... لمّـــا صـــحِبتُ صـــعاليكاً وأشـــراراً

هـــل الشـــوارع تُـــوْوِي مَـــن يلـــوذ بهـــا ... متاركـــاً قومـــه والأهـــلَ والـــدارا؟

وانســقتُ طوعــاً لأهــل الشــر ، أحســبُهم ... ســـيُغْدِقون - علـــىَّ الخيـــرَ - مِـــدرارا

وغصْـتُ - فـي لجـج الأهـواء - عـن رغـب ... وبعـــدُ أبحـــرتُ - فـــي الأرجـــاس - إبحـــارا

مســـتعذباً كـــل مـــا ألقـــاه مِـــن جُـــرُمٍ ... فكـــم ولجـــتُ دهـــاليزاً وأوكـــارا!

وكـــم فجـــرتُ فجـــوراً لا حـــدود لـــهُ ... لمّـــا رأيـــتُ جميـــع الصـــحب فجـــارا

مستحســـناً كـــل مـــا ســـاقوه مـــن شُـــبَهٍ ... وكـــم حملـــتُ بمـــا استحســـنتُ أوزارا

إذ للمعاصـــــى بريـــــقٌ لا يُقاومـــــه ... عبـــــدٌ يُجـــــالسُ أوغـــــاداً وأزيـــــارا

وللســـقوط ســـبيلٌ خـــاب ســـالكه ... وذات يـــوم ســـيجني القـــبحَ والعـــارا

أبـــي تزوجـــت مَـــن أزرتْ بعِشـــرتنا ... وجرّعتنـــا شـــقاء العـــيش مِكثـــارا

ودمّرتنـــا ، ونالـــت مِـــن كرامتنـــا ... وأطمعتنـــا الشـــقا والـــرّق أمـــرارا

وأوقعـــتْ بيننـــا العـــدوان مســـتعراً ... وأوقـــدت - فـــي الخـــلاف الـــدائم - النـــارا

وأشـــعلتْ فتنـــة - فـــي الـــدار - موقـــدة ... وأســـدلتْ - فـــوق مـــا تأتيـــه - أســـتارا

وســـــخرتني وأختـــــي كالعبيـــــد لهـــــا ... وإن أبينـــــا مضـــــت تستشـــــهد الجـــــارا

وإن رفضـــنا الـــذي جاءتـــه مـــا اعترفـــتْ ... بـــل أنكـــرتْ كـــل مـــا قلنـــاه إنكـــارا

وكـــذبتنا ، وحاكـــت مـــا يطيـــبُ لهـــا ... لمّـــا أصـــرتْ - علـــى التلفيـــق - إصـــرارا

حتـــى إذا ضـــربتْ أبشـــارنا فرحـــتْ ... وكـــم عـــلا الســـوط أطرافـــاً وأبشـــارا!

فتلـــك عنـــد أبـــي الولهـــان صـــادقة ... فـــلا تـــزوّرُ - عنـــد القـــول - أخبـــارا

أبـــي انحرفـــتُ لأنـــي لـــم أجـــدك أبـــاً ... يحنـــو علـــيّ ، ولكـــنْ كنـــتَ جبـــارا

عـــاملتني - فـــي الـــورى - أخـــزى معاملـــةٍ! ... بشـــؤمها ذقـــتُ آلامـــاً وأخطـــارا

وأنـــت ترفـــلُ - فـــي النعمـــاء - مغتبطـــاً ... عليـــك منهـــا يـــرى الجميـــعُ آثـــارا

زوجٌ وبيـــــــتٌ وأولادٌ وخادمـــــــة ... وخـــادمٌ دمعُـــه قـــد فـــاض أنهـــارا

وعشـــت تظلمنـــا ، حتـــى تمـــتعهم ... وبعـــدُ آثـــرتهم – بـــالعطف - إيثـــارا

أنـــا وأختـــى كرهنـــا العـــيش مـــذ رحلـــتْ ... أم تـــذر الهنـــا - فـــي البيـــت - مِغـــزارا

كـــم ناصـــحتك ، فلـــم تســـمعْ نصـــيحتها ... وأنـــذرتك - عـــن الإجحـــاف – إنـــذارا!

فجُـــرتَ ، حتـــى تركـــتُ البيـــت معتـــذراً ... عـــن المُقـــام ، ومـــا أبـــديت أعـــذارا

وفـــي الشـــوارع ألفيـــتُ الألـــى التقطـــوا ... وزرتُ - مـــن بعـــدها - المـــاخورَ والبـــارا

فـــي رحلـــةٍ لـــم تكـــن - والله - هينـــة ... وكـــم تقلبـــتُ - فـــوق الجمـــر – مختـــارا!

حتـــى انطلقـــتُ إلـــى (دارٍ) أتيـــهُ بهـــا ... وجـــدتُ فيهـــا مغـــاويراً وأبـــرارا

(دار الملاحظـــة) الشـــهباءُ مثـــل ســـما ... تهـــدي البريـــة - عنـــد القحـــط - أمطـــارا

إنـــي التمســـتُ بهـــا أهـــلاً أبجّلهـــم ... والـــنفسُ تُطـــري غطاريفـــاً وأخيـــارا

أبـــي اطمـــئن علـــى مَـــن بعـــت حظوتـــه ... حتـــى غـــدا بالـــذي أحـــدثت مُنهـــارا

هـــذا نصـــيبي ، وفـــي الآلام تجربـــة ... ولســـتُ أمقـــتُ - مهمـــا كـــان - أقـــدارا

أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه؟

(حكاية عجيبة جداً تلك التي حدثتْ هناك على أرض البوسنة في التسعينيات من القرن المنصرم وتحديداً في عام 1993م. عندما كانت محنة سراييفو على يد الصرب المعتدين. والأصل أن جنود (الناتو) جاؤوا لإحلال السلام في المنطقة ولكن الحقيقة غير ذلك. وكم من مبالغات وهالات نزاهة قد نصبتْ على كثير من الهيئات والمنظمات هنا وهناك ، والله يشهد أن ليس لها نصيب من الصدق ولا المصداقية قط إلا في التسمي زوراً وبهتاناً. حيث اعتاد هؤلاء الجنود على اصطياد النساء والاعتداء على ذويهن علناً. وإنْ هى إلا قصص مكرورة مشهورة. غير أن الذي لفت انتباهي في هذه القصة أنها لامرأة عفيفة شابة تحفظ القرآن وتُدرّسه لبنات حيّها. قتل جنود الناتو والصربيون ذويها. وظفروا بها ، وكانوا سبعة جنود. وبتهديد السلاح ألجؤوها إلى إحدى غرف البيت ، وراحوا يغازلونها ، ويتحرشون بها ، وشرعوا في تعريتها ليتعاوروا عليها كالكلاب الضارية أو الذئاب الشرسة ، فدعت الله وتذكرت: (أمّن يجيبُ المضطرَ إذا دعاه ويكشف السوء؟) ، فقالت: يا رب أعمهم فلا يرون مني ، وأرسل عليهم الشلل فلا يتعاورون عليّ. وقد كان ، فعموا وشُلوا في التو واللحظة. فما رأوْها عارية ، ولا تعاوروا عليها ، وحِيل بينهم وبين ما يشتهون. فلبستْ ما طرحوه من ثيابها. وتناولتْ سلاح أحدهم ، وقتلتهم جميعاً ، وخرجت سالمة بفضل الله ورحمته. إنني أسطر هذه القصيدة لكل باحث عن الحقيقة ولكل مبتلى في سبيل الحق والحقيقة ، حتى إذا ما عاش أحدهم أو إحداهن الابتلاءَ في سبيل هذا الحق وتلك الحقيقة ، كان له أو لها رصيد من القدرة على مواجهة الطواغيت الكفرة أياً كان مكانهم أو زمانهم. وأياً كان سلاحهم وعتادهم وذخائرهم. أكتب وأنشد وأروي وأسجل للأجيال القادمة من باب (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوةٍ ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم) ، ومن باب وصية الله عز وجل لنبيه – صلى الله عليه وسلم –: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم) ، ومن باب قول النبي – صلى الله عليه وسلم – في مدح قوة المؤمن والإشادة بها: (المؤمن القويّ خيرٌ وأحب الى الله من المؤمن الضعيف). ومن باب وصية لقمان الحكيم فيما صح عنه: (ثلاثة لا يُعرفون إلا في ثلاثة: الشجاع في الحرب ، والكريم في الحاجة ، والحليم في الغضب). إنني لا أريد بالذي أنشده من هذا القبيل أن أروّع أو أسبّط الهمم كما قيل لي من البعض. إن هذه القصيدة انتصارية للحق ، وتبصيرية بمدى ما يحتويه سبيله من تبعاتٍ وابتلاءات. إنني ما أردت بها إثارة الرعب. بل أريد أن أبصّر سالكي درب الحق وسبيل الحقيقة أن هذا الدرب ليس مفروشاً بالورود والرياحين ، بل مفروش بالعذابات والبلاءات والإحن والمِحن والآلام. إن الورود والرياحين في زماننا مرتصدة للمفسدين في الأرض والمفسدات. وأحرى بأهل الحق والخير أن يداوموا على اتباع حقهم والذود عنه مهما كانت التضحيات والأثمان. إن أهل الباطل لا يكفون عن نشر باطلهم طرفة عين ولا أقل من ذلك. إن هذه الأخت المباركة التي تشرّفت بها قصيدتنا قد ضربتْ أروع الأمثلة في التضحية والفداء من جهة ، وضربتْ أروع الأمثلة في صدق التوكل على الله واليقين فيه وحسن اللجوء إليه عز وجل والاعتصام به بكل ما تعنيه الكلمة من معان. لقد ردّدتها آية ، وكانت فيها صادقة مخلصة ، فحقق الله عز وجل لها ما تريده. وكأني بها والله حسيبها ووكيلها قد صدقت مع الله الإيمان والدعاء والإخلاص فصدق الله – عز وجل – معها الاستجابة

ومنحها التوفيق ، وحقق لها النصر المؤزر المبين. فلله الفضل والمنة. (إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ). قال ابن كثيرٍ ـ رحمه الله ـ: «المراد بالنصر الانتصارُ لهم ممَّن آذاهم ، وسواءٌ كان ذلك بحضرتهم أو في غَيْبَتِهم أو بعد موتهم كما فَعَلَ بقَتَلَة يحيى وزكريا وشِعْيَا: سلَّط عليهم من أعدائهم مَن أهانهم وسَفَك دماءَهم...وأمَّا الذين راموا صلْبَ المسيح عليه السلام من اليهود فسلَّط الله تعالى عليهم الرومَ فأهانوهم وأذلُّوهم ، وأظهرهم الله تعالى عليهم ثمَّ قبل يومِ القيامة سينزل عيسى ابنُ مريم عليه الصلاة والسلام إمامًا عادلًا وحَكَمًا مُقْسِطًا ، فيقتل المسيحَ الدجَّال وجنودَه من اليهود ، ويقتل الخنزيرَ ويكسر الصليب ، ويضع الجزيةَ فلا يقبل إلَّا الإسلامَ ، وهذه نصرةٌ عظيمةٌ وسُنَّة الله تعالى في خَلْقه في قديم الدهر وحديثِه: أنه ينصر عبادَه المؤمنين في الدنيا ويُقِرُّ أعينَهم ممَّن آذاهم. ففي صحيح البخاريِّ عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «يقول الله تبارك وتعالى: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ بَارَزَنِي بِالحَرْبِ». وفي الحديث الآخَر: «إِنِّي لَأَثْأَرُ لِأَوْلِيَائِي كَمَا يَثْأَرُ اللَّيْثُ الحَرِبُ»).هـ.)

الحمـــــــد لله الـــــــذي نجـــــــاني ... مـــــن كيـــد أهـــل الكفـــر والطغيـــانِ

حمـــــداً كثيـــــراً طيبـــــاً ومباركـــــاً ... مـــــلء الســـــما والأرض والأكـــــوان

بـــل مـــلء مـــا شـــاء المهـــيمنُ ربنـــا ... جـــلّ المليـــكُ البـــر ذو السُـــبحان

نِعَـــمُ الإلـــه علـــى العبـــاد غزيـــرة ... فلـــه عليهـــا وافـــرُ الشـــكران

لا يخـــذل المـــولى الألـــى اعتصـــموا بـــه ... ويبـــوء مَـــن جحـــدوه بالخـــذلان

والله ناصـــرُ مـــن يلـــوذ ببابـــه ... ومُجيـــره مِـــن مكـــر كـــل جبـــان

ويُعـــينُ عبـــداً يســـتعينُ بـــه فـــلا ... ينهـــارُ تحـــت مطـــارق العـــدوان

ويُغيـــث ملهوفـــاً ، ويَقبـــلُ تائبـــاً ... ويقابـــلُ الإحســـانَ بالإحســـان

ويُجيـــبُ مضـــطراً دعـــا متوســـلاً ... ودموعُـــه جـــادت بهـــا العينـــان

وأقـــول هـــذا مـــن عميـــق تجـــارب ... فيـــه الـــدليلُ يشـــع بالبرهـــان

وإليـــك قصـــة حُـــرةٍ منكوبـــةٍ ... أسِـــرتْ بأيـــدي عابـــدي الصـــلبان

لـــو لـــم أعـــشْ أحـــداثها وعظاتهـــا ... وختامهـــا واللهِ عشـــر ثـــوان!

لـــو لـــم أعـــاين دِقهـــا وجَليلهـــا ... لنكرتهـــا فـــي عـــالم الحَـــدَثان

ولقلت هذي فريةٌ مكشوفة ... لا درب يُوصِلها إلى الأذهان

هي - للخيال المَحْض - أقرب رتبة ... إن لم تكنْ ضرباً مِن الهذيان

أنا - بين أهلي - كنت أحيا غادة ... مثلي كمثل بقية النسوان

ونعيشُ للإسلام يعرفنا الورى ... وأنا نذرتُ العمر للقرآن

ومَظلة التقوى تظلل دارنا ... وتحيطنا بكرامةٍ وأمان

وأبي وأمي مُسلمان كلاهما! ... برئا مِن الإشراك والكفران

وأنا وزوجي والصغارُ عِيالنا ... نحيا على الإسلام والإيمان

لا شيئ ينقصُنا سوى حسن اللقا ... أعني لقاء الواحد الديان

ثم ابتلينا بالنصارى كالردى ... وطئوا الديارَ بجحفل عُدواني

فتعقبوا أهل المدائن والقرى ... حتى أبادوا أغلبَ السكان

ومدافعُ الكفار سَوّتْ دورَنا ... بالأرض بعد تساقط الجدران

حتى المساجد هدّموها عنوة! ... سُقيا لعهد شعائر وأذان!

وأتوْا على جيراننا في بيتهم ... فرأيته يهوي على الجيران

وأتى علينا الدورُ داخلَ بيتنا! ... فعلوا الذي ما كان في الحُسبان

قتلوا أبي ، لم يُغن عنه مَشيبُه ... وتعقبوا - برصاصهم - إخواني

ونصيبُ أمي القتلُ حيث دعتْ على ... أعدائها بنحيبها الهتان

وأتوْا على الأبناء في وحشيةٍ ... فرأيتُ بعض ملابس الصبيان

ورأيتُ أشلاء الجميع تناثرتْ ... والبيتُ أقفرَ مِن سَنا الولدان

وعليَّ جاء الدور ، كيف أصدّهم؟ ... هل صدّ هذا البغي في إمكاني؟

قلتُ: اقتلوني بالرصاص شهيدة ... لتكفِكِفوا مِن فورة الشنآن

عَيشي - بدون الأهل - مَوتٌ للتي ... فقدتْ جميع الآل والخلان

عيناي أبصرتا الذي لم تبصِرا ... في عالم الآساد والعقبان

والقلبُ تغمرُه الدماءُ رخيصة ... وكأننا في عالم الحيوان

هيا اقتلوني ، واظفروا بمُرادكم! ... إن المراد إبادة الإنسان

قالوا: سننفعل بعد أن نحظى بما ... يحظى بهِ رجلٌ خلا بحَصَان

سترين منا ما يَشيبُ لهوله ... ولنار فتنته فتى الفِتيان

سنصبُ فوقك مِن عذاب سُعارنا ... ما قد يفوقُ وساوسَ الشيطان

ولسوف نجعلُ منكِ أنكى عِبرةٍ ... لحرائر الإسلام في (البَلقان)

وتجوبُ قصتك الحواضرَ والقرى ... وتروجُ - بين الناس - في البلدان

ولسوف ننسيكِ الذي ذاكرته ... ووعيته مِن سُنة العدنان

أوَما رأيتِ سلاحنا وعتادنا ... ورجالنا كالأسْد في الميدان؟

قلتُ: اعلموا أنأ لستُ وحدي ها هنا ... سأمُدّ هذا الكف للرحمن

ولسوف أجارُ - للقدير - بدمعةٍ ... ليُعيذني مِن صَولة الذؤبان

رباه قلّتْ حِيلتي في مِحنةٍ ... أعتى من التحريق بالنيران

في لجةٍ فيها تطاول سبعة ... فقدوا الحيا أقوى مِن الحيتان

ذبحوا جميع الأهل دون هوادةٍ ... وأنا غدوتُ رهينة الحِيطان

مات الحُماة ، فمن سيحمي حُرة ... تلقى - من الأعداء - كل هوان؟

عِلجٌ يُساومُها ليهتك عِرضها ... ولهاثه مثلُ الحميم الآن!

وسواه ينزعُ - للرفاق - نِقابها ... ويَمينه امتدتْ إلى الفستان

والثالث المحتالُ غازلها لكي ... تفضِي إليهِ بغِبطةٍ وتفان

والرابـــعُ الغجـــريُ شـــط بـــه الهـــوى ... فـــــإذا بـــــه يهتـــــاجُ كالســـــكران

والخـــامس الهمجـــيُ أرســـل ضـــحكة ... أصـــداؤها كالرعـــد فـــي الأركـــان

والســـادسُ الـــدهقانُ دبّـــرَ خطـــة ... حتـــى يســـاعدَ زمـــرة الأخـــدان

والســـابعُ ارتعـــدتْ فرائصُـــه لمَـــا ... ينتابُـــه مِـــن شِـــدة الهيَجـــان

وكـــأنهم ظفِـــروا بصـــيدٍ أعـــزل ... والأكـــلُ منـــه - اليـــومَ – بالمجـــان!

ربـــاه حِلمـــك غـــرّهم ، فتمـــرّدُوا ... والجمـــعُ راهـــنَ أن يزيـــلَ صِـــياني

وأنـــا عجـــزتُ ، وأنـــت تعلـــم طـــاقتي ... فتـــولني بعطائـــك الربـــاني

أغْـــمِ العُلـــوجَ ، فـــلا يـــرَوْا لـــيَ عَـــورة ... لا عـــين ترقبنـــي مِـــن العميـــان!

وابعـــث علـــى العِيـــر الكُســـاحَ بمـــا جنـــوْا ... والعـــنهمُ يـــا رب كـــل أوان

أنقـــذ وليتـــك التـــي ظفـــروا بهـــا ... ظفـــرَ الجحافـــل بالأســـير العـــاني

فـــإذا بنصـــر الله ينـــزلُ عـــاجلاً ... وإذا بآيـــة ربنـــا المَنـــان

أعمـــاهمُ فتخبطـــوا ، وترنحـــوا ... وبَصُـــرُتهم لـــمْ يهتـــدوا لمكـــاني

ثـــم ابـــتلاهم بالكُســـاح ، فأخلـــدوا ... لـــلأرض فـــي زل وفـــي إذعـــان

وهنـــا التقطـــتُ ســـلاحَ أشـــقى رهطِهـــم ... وقتلـــتُ ســـبعتهم بـــذي النيـــران

وتحوّلـــتْ فـــي التـــوّ دَفـــة حَربنـــا ... وتقاســـما دَوْرَيهمـــا الخصـــمان

مَـــن كـــان مَجنيـــاً عليـــه هنـــا اســـتمى ... حتـــى غـــدا فـــي ذا اللقـــاء الجـــاني

أمـــا الجُنـــاة فجُنـــدلوا وتحسّـــروا ... والجمـــعُ بـــاء بنكبـــة الخســـران

ســـبحانك اللهـــم أنقـــذت التـــي ... ذكرتـــك فـــي ثقـــةٍ وفـــي اطمئنـــان

وجعلتهـــا تحظـــى بعاجـــل ثأرهـــا ... مِـــن مُجـــرمين تـــذرّعوا بسِـــنان

يـــا رب أنـــت ظهيرُنـــا ونصـــيرُنا ... إمـــا غزانـــا عابـــدو الأوثـــان

وإن تطيعوه تهتدوا

(كتب ولحّن وأنشد المنشدُ الكبير أبو الجود (محمد منذر سرميني) أنشودته الشهيرة الجهيرة (رسول الله). فتخيّل نفسه فيها يوجّه رسالة للنبي - ﷺ - يُبيّن فيها أن أحوال العالم عربيّه وغربيّه لا تعجبه - ﷺ -. وكان الأستاذ عبد الحميد الخطيب معلم التربية الإسلامية بالمدرسة الوطنية بعجمان ، قد طلبَ إليّ أن أسَطر رسالة للنبى - ﷺ - على غرار ما كتب أبو الجود. فاستحييتُ أن أعارضَ أبا الجود ، الشاعر الملحن المنشد الشادي الحادي فقلتُ: بل أتخيلُ الرسول الكريم – عليه السلام - يردّ على أبي الجود كلامه الذي مطلعه:

رسولَ الله لا يرضيك هذا الحال للعُرْبِ ولا يرضيك هذا الظلم للإسلام في الغرْبِ

وفعلاً تصوّرتُ أن الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم – يُعقب على كلام أبي الجود بأنه لا يعجبُه وأنشدتُ أحكي شعراً ما لو أن الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – لنا في هذا الحال الرث ، حياً لقاله والله أعلى وأعلم! ولم يكن الأمر سهلاً هيّناً ولكنّ الله – سبحانه وتعالى – سهلهُ عليّ!)

أنـــا والله لا أرضـــى بـهـــذا الـحـــال لـلـعُـــربِ

ولـكـــنْ أبتـغـــي - لـلـنـــاس - كـــل الخـيـــر والحُـــب

وأرجـــو الله نصـــرَ الحـــق والإســـلام مِـــن قلبـــي

ولا أرضـــى بمـــا يجـــري مـــن التـهـريـــج فـــي الغـــرب

ولـيـــس يَـروقـنـــي الإفـــراط فـــي التـقـتيـــل والحـــرب

ولا أحـنـــو علـــى قـــومٍ بمـــا ابتدعـــوا قـــلوْا دربـــي

ويلفـحُـنـــي لظـــى الأهـــواء ، عـــن بُعـــد وعـــن قـــرب

ويُـــؤذيني فـريـــقٌ جـــدَّ فـــي رَسْمـــي وفـــي سَـبـــي

ويُحزننـــي الألـــى كـــالوا فظـــيع الطعـــن فـــي صـــحبي!

ويُؤلـمُـــني مَـــن انخدعـــوا بزيـــف الشـــك والريْـــب

وتجرحُـنـــي الـرعـــيّة لـــم تـــؤدّ أمانـــة الـــرب

ويُقلقني الموظف يكتسي بالزور والكِذب!

ويكسر خاطري التلميذ بالتغشيش والنصب

وخالف سُنتي الأستاذ عن تقواه لم يُنب

وجانبَ شِرعتي جيلٌ ثوى في الأكل والشرب

وأعيا القلبَ شرذمة تداوي الوضعَ بالشجب

ألا إني رسولُ الله للأعجام والعُرب!

وخيرُ الرسْل قاطبة ، وجئتُ بأفضل الكُتْب

وبايعني - على الإسلام - خيرُ الناس والرّكْب

ومكّن لي المليكُ بهم ، وعاش - على الهُدى- حزبي!

وما وهنوا ، وما ضعفوا ، وما عمدوا إلى الحوب

نصِرتُ بهم - يمينَ الله - بالأجناد والرعب

لذا عظموا ، فليس بهم ولو شيئٌ من العَيب!

صحابي كالنجوم الزهْر في الأفلاك والسحْب

ومن أزرى بسُمعتهم تمرّغ في دجى الذنب

أقول أجلّ سِيرتهم ، وحسبي خالقي حسبي!

سينصرُهم وقد ظلِموا ، ويُعْلي شأنهم ربي!

ألا يا أمه التوحيد فانقادي إلى التوب

أقيمي شِرعة الإسلام في ذا المأزق الصعب!

ولا تهني ، ولا يُثنيكِ كيدُ الشرق والغرب

عفواً أرسلتْ صورتها فقط!

(أسرة صغيرة تضمّ أخاً أكبر وأخاً أصغر بينهما (الهنوف) أختٌ لهم في العشرين. كانت ضحية (هدى) التي أقنعتها بإرسال صورة لها عبر (الإنترنت). وأرسلت الهنوف صورتها لتركِي ، ذلك النذلُ الساقط الذي دمّر حياتها بتلك الصورة. حيث أصابها بحالةٍ نفسيةٍ عاتية تقاومها اليوم فى مصحةٍ نفسيةٍ بعد طلاقها من زوجها (عبد العزيز) الذي لم يَسْلم هو الآخر. بل أصيب بالشلل الرّباعى ويسير بكرسى متحرك. فإنا لله وإنا إليه راجعون. عائلة صغيرة ومتحابّة تجمعُها الألفة والمودة ، لا تفرّقها الظروف ، يعملُ أفرادُها سوياً لأجل أن يبقوا معاً! هذه العائلة مكونة من سعد ذلك الشاب اليافع الذي يبلغ 22سنة ، ويَدرسُ فى آخر مستوى تخصص إعلام وعنده أخته الهنوف وتبلغ20سنة وتدرس في كلية التربية ، وأخوهما الصغير فيصل16 سنة. وهذه العائلة فاقدة للحنان بعد وفاة والدتهم قبل ست سنوات في حادث سيارة مع خالهم! وكانت الهنوف أشبه بالوردة اليانعة! فهي فتاة ودودة ، وحنونة ، ومؤدبة. وكانت باختصار حُلم كل الشباب ، حدثتْ للهنوف بعض المشاكل في دراستها واضطرت أن تنسحب قليلاً من الدراسة ، وتجلس في البيت لفترةٍ مؤقتةٍ ، ربما تطولُ وربما لا! وأما هدى فهي ابنة خالة الهنوف ، وهي فتاة متهورة قليلاً منفتحة كثيراً على العالم الخارجي وليست مثل الهنوف في شيء. وكانت الهنوف قد استكانت لهدى ، وخالطتها كثيراً لقضاء فترة الفراغ التي تحيط بها خصوصاً بعد حذف الترم والجلوس في المنزل . ارتبطت الهنوف بهدى كثيراً ، وأصبحت تقضي معها أوقاتاً بطولها ، ومرت الأيام والأسابيع والاثنتان أمام بعضهما البعض! وبدأت عندها هدى بتسميم أفكار الهنوف ودسّ السم في تلك الزهرة اليانعة لإفسادها ، دعونا نقول من دون قصد! مرّت الأيام وانتشرت لعنة الإنترنت في المجتمع. وبدأ الناس يتحدثون كثيراً عن هذا المدعو إنتر نت! هذ الضيف الغريب المخيف نوعاً ما. زرعتْ هدى أول لغم فتاك في رأس الهنوف ، وذلك بإدخال الإنترنت عنوة في حياة الهنوف. ولم ترشدها للاستخدام المفيد النافع له! ويوماً وراء يوم وهدى تتكلم عن هذا الإنترنت أمام الهنوف ، ومن باب حب الاستطلاع أرادت الهنوف الغوص في غمار هذا الإنترنت لمعرفة المزيد عنه ، ربما من باب المعرفة لا أكثر ولا أقل ، ولكنها لم تعلم أن هذا الإنترنت هو بداية النهاية بالنسبة لها. وأما سعد أخو الهنوف فكان شاباً مثالياً لا يرد أخته في أي طلب ، وكان واثقاً فيها كل الثقة. ذهبت الهنوف لسعد وخاطبته قائلة إنها تريد أن تشغل نفسها بشيئ يقضي وقت فراغها عوضاً عن الذهاب لبنت خالتها هدى! عندها استغرب سعد وسأل سؤالاً عاماً مثل ماذا يا هنوف؟ أجابت: الإنترنت! ولم يكن سعد هو الآخر يعلم شيئاً عن مخاطر الإنترنت ، ولم يكن يريد أن يردّ أخته في أي طلب ، خصوصاً بعد أن تركت الدراسة مؤقتاً ، لأنه لا يريد أن يُشعرها بالنقص أبداً. ذهب سعد مسرعاً وأحضر كل المستلزمات المتطلبة من جهاز كمبيوتر واشتراك إنترنت ، وكل ذلك لأجل عيون أخته الهنوف ، فرحت الهنوف لذلك كثيراً ، ولم تستطع أن تتمالك نفسها ، فذهبت إلى الهاتف وهاتفت هدى وهي فرحة مسرورة لتخبرَها بأن الإنترنت أصبحَ بين يديها وهي لا تعلم أنها بدأت بحفر قبرها للتو! ضحكتْ هدى قليلا ثم قالت للهنوف: اصبرى ، أنا قادمة إليك ، الآن سوف نعيش فعلاً! تلك الكلمة المخيفة التى تحمل في طياتها الكثير من المعاني المتوجسة! أتت هدى وأخذت تغوص في بحور الإنترنت ، ومعها الهنوف كمتفرجة فقط! بدأت بالشاتات مروراً

بالماسنجر وانتهاء بالمحادثة الصوتية ، والهنوف مازالت متفرجة .تركتها هدى وذهبت ، وبقيت الهنوف وحدها مع الجهاز !! فى ليل مظلم !! لا تعلم ماذا تفعل .عادت بها الذكريات قليلاً وقالت : لم لا أفعل كما فعلت هدى ولكن بحذر !! دخلت الهنوف إحدى الشاتات التى دخلتها هدى. وهناك وبينما هي تتفرج ، فوجئت بتركي أحد زوار الشات يطلب التحدث معها ، لم تمانع لأنها لا تعلم ماذا يُخفي! تحدثت الهنوف معه وأعجبها أسلوبه ولباقته وجمال كلامه ، بدأ تركي يتغلغل في أعماق الهنوف ، وبدأ يعمل كملهمها الأول في الإنترنت. ويوماً ما طلب تركي من الهنوف أن تضيفه ماسنجر؟ لم تكن الهنوف تعلم ما هو الماسنجر فما كان منه إلا أن عمل لها واحداً ، وأضاف نفسه فيه ، وأهداه إياها ، ففرحت الهنوف لذلك كثيراً ، وبدأت تدخل يوماً وراء يوم بحثاً عن المدعو تركي! مرّت الأيامُ والهنوف وتركي يغوصان سوياً فى بحار الإنترنت! وفي يوم من الأيام سأل تركي الهنوف سؤالاً غريباً! فقال: يا هنوف ، هل لديك اسكانر؟ كان هذا سؤاله الغريب والذي يطمع من ورائه للكثير والكثير؟ فأجابت الهنوف بكل عفوية. ما هو الاسكانر؟ فأخبرها وبدأ بمدحه أمامها إلى أن فرحت الهنوف لذلك كثيراً ، ووضعته كهدف جديد تريد تحقيقه وامتلاكه. ذهبت الهنوف لأخيها سعد وأخبرته بأنها تريد اسكانر! فلم يمانع لأنه يثق فيها ثقة عمياء كما أسلفنا ، وجلب لها اسكانر. لم يكن سعد يعلم بأنه قد جلب لأخته رصاصة الرحمة التي سوف تقتلها. جلبت الهنوف الاسكانر ، ودخلت لتجد الذئب البشري تركياً أمامها جاثماً ينتظر فريسته على أحرّ من الجمر فأخبرته وأخبرها كيف تستخدمه. وطلب منها أن تجلب صورة لكي تجرب لترى إن كان الإسكانر يعمل أم لا! فصدقت الهنوف وجلبت إحدى صورها واستخدمتها بالاسكانر ، وقتها كان تركي يحاول الغوص في أعماق جهاز الهنوف ليحصل على مراده! وفعلاً استطاع ذلك لقلة خبرة الهنوف! دخل جهازها ووجد الصور فتفاجأ بجمالها الأخاذ ، وقرّر أن يلعب لعبته الدنيئة. أكمل تركي يومه معها كالمعتاد ، ولم يفعل شيئاً ونامت الهنوف تلك الليلة ، وفارس أحلامها تركي في بالها لم يفارقها دقيقة. وفي اليوم التالي دخلت الهنوف ولم تجد تركياً! فاستغربت جداً ، وبعد ذلك فتحت بريدها لتجد رسالة من تركي توقعتها اعتذاراً منه أو توضيحاً لأمر ما. وفتحت الرسالة ولم تصدق ما ترى! وجدت صورتها أمام عينيها وتحتها رقم جوال المدعو تركي! اتصلى وإلا سأنشر الصورة ، هكذا كان عنوان رسالتة الحقيرة! خافت الهنوف وضاقت الدنيا بها ، ولم تستطع أن تفكّر في الأمر مجرد التفكير ، حتى لم تصدق أن تركيا ذلك الشاب النقي الصالح يفعل ذلك! عرفت أنها وقعت ضحية لصيّاد متمرّس ، خافت من الفضيحة ، تذكرتْ أخاها سعداً ، التقطت الجوال واتصلت بتركي! وحادثها وأملى عليها شروطه ، ولكنها لم ترضخ له ، بل قاومته كثيراً بكل ما تستطيع وتركته. وعملت كل ما تستطيع لنسيان ذلك! وغيّرت رقم جوالها وقررت أن تترك الإنترنت للأبد لتبدأ حياتها من جديد. تذكرتْ أن لها ابن عم يُدعى عبد العزيز يحبها أيما حب! تذكرته الآن بعد فوات الأوان! تمنت أن يتقدم لخطبتها ، تمنت أن تتزوج! طلبت من سعد أن يسأل عبد العزيز ليرى إذا كان مازال يريدها أم لا؟ لم يصدق عبد العزيز وتقدم لخطبتها وتم زواجها ، زواج الهنوف على عبد العزيز في ليلة بهيجة وفرح بهيج! مرت الشهور شهراً وراء شهر والهنوف تعيش أحلى حياة مع عبد العزيز. حياة لا تشوبها شائبة. حياة سعيدة حقاً! أخلصت لعبد العزيز. وسخرت حياتها كلها له ، وتفانت في خدمته وإسعاده وأحبته كثيراً وأحبها كثيراً! وكان عبد العزيز ميسور الحال وفي وظيفة مرموقة ، وفي يوم من أيام الوظيفة العادية والمعتادة دخل عليهم موظف جديد! تقرب

عبد العزيز من هذا الموظف كثيراً بداعي أنهم في مكتب واحد! ويوماً بعد يوم أصبحا صديقين! وأحب عبد العزيز هذا الموظف ، وفتح هو قلبه لعبد العزيز وصارحه بكل شيئ. وفي يوم من الأيام وذات صباح ، أتى هذا الموظف لعبد العزيز وقال له: يا أبا سعود ، هل تريد أن ترى أجمل فتاة رأتها عيني في يوم من الأيام؟ من باب طيش الشباب لم يمانع عبد العزيز ، وقال: أجل أرني إياها ، وليته لم يُره إياها ، ليت عمره توقف قبل أن يراها ، ليت عقارب الساعة أعلنت رحيلها قبل أن تحدث هذه اللحظة. سكت عبد العزيز ولم يستطع الحركة ، ووقع من هول الصدمة ، لم يفهم تركي ماذا يحدث! وقع عبد العزيز ولم يقف على رجليه بعدها! نعم لقد أصابه شللٌ رباعي كامل من هول الصدمة. عندما أفاق عاد إلى بيته هذه المرة على كرسي متحرك ، وكانت الهنوف بانتظاره ، ولم تكن تعلم أنها تنتظر طلاقها. لقد طلقها وتركها وحيدة! تصارع أمواج الحياة العاتية! كان ذلك الموظف تركي قد رسم نهاية أسعد عائلة بيده ، وفرق بين حبيبين لم يتصورا يوماً أن هذا سيحدث بعد عشر سنوات! ثم توفي عبد العزيز ، والهنوف مرضت مرضاً نفسياً ، وهي الآن في إحدى المصحّات ، وتركي رئيس في عمله وموظف ناجح. وإلى هنا انتهت المأساة. وأورد القصة الأستاذ الخولي في قصصه الواقعية ص 634. وكم شرّد الإنترنت من صغار وكم طلق من نساء وكم دمر من أسر والبقية تأتي. إن كل أب مسئول بين يدي الله – عز وجل – عن إفساد أسرته بمثل هذم التقنيات إذا لم يكن هناك رقابة أسرية صارمة وخطوط حمراء لا يجوز تجاوزها ، وإلا رفعت هذه التقنيات وأخرجت من البيوت إلى غير رجعة (وكذلك كل أم وكل ولي أمر ورب أسرة). إن دور الأسرة لا ينبغي أن يقتصر على الإطعام والإسكان والإيواء فقط. إن للأسرة دوراً في الرعاية التربوية والسلوكية التي ترشد الأبناء والبنات إلى صراط الله المستقيم ودينه القويم. قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل). وقال: (الوحدة خَيْرٌ مِنَ الجليس السُّوء ، والجليس الصَّالح خَيْر مِنَ الوحْدَة ، وإملاء الخير خَيْرٌ مِنَ السُّكوت ، والسُّكوت خَيْر مِنْ إملاءِ الشَّر). وقال: (لا تصاحب إلا مؤمناً ، ولا يأكل طعامك إلا تقي). وإن كان هذان الحديثان الأخيران ضعيفين إلا أن المعنى صحيح! وقال :(مَثَلُ الجليس الصالح مثل الداريّ إن لم يُحذِك من عطره علقك من ريحه ، ومثل الجليس السوء مثل الكِير إن لم يحرقك من شرار ناره علقك من نَتَنِه). ورواية أخرى: (مثل الجليسِ الصَّالح مَثَل العَطَّار ، إنْ أصابَك منه وإلا أصابك من ريحه ، ومثلُ الجليسِ السُّوء مثل القين ، إن أصابك منه وإلا أصابَك من دخانه). وعن أبي ذَر أنَّه قال: يا رسول الله ، الرجل يُحِبّ القَوْم ولا يستطيع أن يعمل كعملهم؟ قال: (إنَّك يا أبَا ذَرٍّ مَعَ مَنْ أَحْبَبتَ) ، قال: "فإنّي أُحِبُّ اللهَ ورَسُولَهُ ، قال: (أَنْت يَا أبا ذَرٍّ مَع مَنْ أَحْببتَ). وعن أبي موسى ، قال: أَتَى النَّبيَّ - صلى الله عليه وسلم - رجلٌ فقال: "يا رسول الله ، أرأيتَ رَجُلاً يُحِبّ القَوْم ولمَّا يَلْحقْ بهم؟"، قال: (المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ). ولا ألوم هدى هداها الله ، ولكن ألوم الهنوف! أنشدت في هذه القصة بدمع فؤادي ومداد قلمي وانكسار مشاعري أحكي شعراً ما وعيت منها وأحذر الجميع آباء وأبناء من الاستخدام السيء لـ (الإنترنت) وأدعو إلى وجوب أخذ الحيطة والحذر قبل اقتنائه في البيوت ، وإلا بكى الكل وندموا ، ولات ساعة مندم. أنشدتُ من شعري وعلى بحر الرجز أقول:)

حكايـــــــة مَريـــــــرة مَهولـــــــة وقصـــــــة قصـــــــيرة طويلـــــــة

ومـــــــأزقٌ فصـــــــوله المنايـــــــا لأنـــــه قضـــــى علـــــى الفضـــــيلة

وخيبـــــة علـــــى (الهنـــــوف) حلّـــــتْ وخيّمـــــــتْ رموزهـــــــا الجبيلـــــــة

وزلـــــــة تـــــــدمّرُ الســـــــجايا وتُحـــــــرجُ الـــــــديار والقبيلـــــــة

وزوجـــــــة بنارهـــــــا تلظـــــــتْ وأصـــــــبحت مَهينـــــــة ذليلـــــــة

لأنهـــــــا تبـــــــذلتْ وهانـــــــت وودعـــــــتْ خلالهـــــــا البجيلـــــــة

وحطمـــــــتْ حليلهـــــــا ، وخانـــــــت ورحّبـــــــتْ بعـــــــالم الرذيلـــــــة

وراهنـــــتْ - علـــــى العفـــــاف - جهـــــلاً وباعـــــت الحيـــــا بـــــدون حيلـــــة

بصـــــــورةٍ لعابـــــــثٍ رمتهـــــــا توثـــــــق العلاقـــــــة الوبيلـــــــة

فقـــــــط تريـــــــده خلـــــــيلاً! لكـــــي تكـــــون - فـــــي الخفـــــا - خليلـــــة

وجرّهـــــــا الحقيـــــــر للتـــــــدني بـــــــرغم أن هـــــــذه حليلـــــــة

ونـــــال مـــــا يريـــــده دنـــــيءٌ ولـــــــوّث الكريمـــــــة الأثيلـــــــة

وعـــــــذّب الضـــــــحية انتقامـــــــاً وســـــالت الـــــدما مـــــن القتيلـــــة

وجنـــــــدل العشـــــــيرة انتصـــــــاراً لنفســـــــه المريضـــــــة العليلـــــــة

وســـــــربل الجميـــــــعَ مســـــــتغلاً ســـــــذاجة الحليلـــــــة الخجولـــــــة

وســـــعّر اللظـــــى بـــــلا احتســـــاب لوقفـــــة القيامـــــة المهولـــــة

ولـــــم يبـــــال بالعـــــذاب عقبـــــى وبالنجـــــاة إذ تكـــــون مســـــتحيلة

وأخلـــــدتْ (هـــــدى) إلـــــى التخفّـــــي إذ ابتغـــــت لغيّهـــــا الوســـــيلة

وأوبقـــــتْ صـــــديقة وبيتـــــاً فعاقـــــب المليـــــكُ ذي العميلـــــة

ونالهـــــا بنقمـــــةٍ وكيـــــدٍ لأنهـــــا رفيقـــــة حســـــيلة

ولـــــيس ذا - علـــــى الإلـــــه - صـــــعباً ويـــــا رحـــــيم أنقـــــذ الأصـــــيلة

(يقول الله عز وجل: (إن الله وملائكته يصلون على النبي ، يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً). وروى أحمد والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من صلى عليّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشر صلوات وحط عنه بها عشر سيئات ، ورفعه بها عشر درجات). وروى الطبراني من حديث أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: (من صلى عليّ بلغتني صلاته ، وصليت عليه ، وكتب له سوى ذلك عشر حسنات). وخرج البزار بإسناده من حديث عمار بن ياسر – رضي الله عنه – أن النبي – صلى الله عليه وسلم - قال: (إن الله وكل بقبري مَلكاً أعطاه أسماع الخلائق ، فلا يصلي عليّ أحد إلى يوم القيامة إلا أبلغني باسمه واسم أبيه: فلان بن فلان قد صلى عليك). وروى الترمذي وابن حبان من حديث ابن مسعود – رضي الله عنه – أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: (إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليّ صلاة). وأورد أستاذنا المحترم الفاضل / محمد عبد العاطي بحيري – حفظه الله – في كتابه الرائع (منهاج الصالحين في الآداب الإسلامية) ، وتحديداً في أدبه الثاني والذي عنوانه (الأدب مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) أورد الأستاذ استهلالاً ص 33 جاء فيه: (ذلكم النبي الذي أخرجه ربه من أفضل المعادن منبتاً ، وأعز الأرومات مغرساً ، ومن الشجرة التي صدع منها أنبياءه وانتخب منها أمناءه. عِترته خير العتر ، وأسرته خير الأسر ، وشجرته خير الشجر ، نبتتْ في حرم ، وبسقتْ في كرم ، لها فروع طوال ، وثمرة لا تنال. فهو إمام من اتقى وبصيرة من اهتدى ، وهو سراجٌ لمع ضوؤه ، وشهاب سطع نوره. سيرته القصد ، وسنته الرشد ، وكلامه الفصل ، وحكمه العدل. أرسله ربه على حين فترة من الرسل ، فترة ضل الناس فيها رشادهم ، ومجّدوا عقولهم ، وملأوا الأرض جَوْراً وظلماً ، حتى استغاثت الأرض بالسماء. فلطف الله بعباده فأرسله ربه رحمة للعالمين ، فكان أعدل الناس ، وأصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة ، وأشجع الناس وأكرمهم. اعترف له مجاوروه وأعداؤه ، وكان أشد الناس تواضعاً ، وأبعدهم عن الكبر ، كان أوفى الناس بالعهود ، وأوصلهم للرحم ، وأعظمهم شفقة ورأفة ، وأحسنهم عشرة وأدبا. كان يحب المساكين ويجالسهم ويشهد جنائزهم. كان لا يحقر فقيراً لفقره ، ولا يحسد غنياً لغناه ، كان متواصل الأحزان ، دائم الفكرة ، ليست له راحة ، لا يتكلم في غير حاجة ، طويل الصمت مستغرق السكوت ، يتكلم بجوامع الكلم ، يُعظم النعمة وإن دقت ، ويشكر إن كثرتْ أو قلت. يؤلفُ أصحابه ولا يُفرّقهم ، يُكرم كريم كل قوم ، ويُوليه عليهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم. كان خلقه القرآن بل كان وكأنه قرآن يمشي على الأرض ، كان أجود الناس بالخير ، كان أشد الناس حياءً وأطيبهم كفاً وأزكاهم رائحة). وصفه شاعره الصحابي الجليل والشاعر الفحل حسان بن ثابت – رضي الله عنه - الذي هو أعجوبة زمانه وأيقونة عصره فقال :

وأجمل منك لم تر قط عيني وأحلى منك لم تلد النساءُ
خلقت مبرَّأ من كل عيب كأنك قد خلقت كما تشاء

لقد زكى الله - عز وجل عقله – صلى الله عليه وسلم – فقال: (ما ضل صاحبكم وما غوى) ، وزكى بصره فقال عز وجل: (ما زاغ البصر وما طغى) ، وزكى قلبه فقال: (ألم نشرح لك صدرك؟) وزكى ذِكْره فقال: (ورفعنا لك ذكرك) ، وزكى عِلمه فقال: (علمه شديد القوى) ، وزكاه كله فقال: (وإنك

لعلى خلق عظيم).هـ. ومن هذا المنطلق رحتُ أصلي في هذه القصيدة على النبي – صلى الله عليه وسلم – وأل بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغر العدول الميامين والأبطال المحجّلين ، وعلى رأسهم الأربعة الخلفاء الراشدين ، وتابعيهم بغير تبديل إلى يوم الدين. وصغتُ صلاتي تلك شعراً هذه المرة ، وذلك لأن تحية الشعراء يجب أن تكون شعراً! وإنما أقول ذلك عنه – صلى الله عليه وسلم – لعظم مكانته وكبير امتنانه! فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَومَ القِيَامَةِ ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ القَبْرُ ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ». أخرجه مسلم. وهو أفضل النبيين والمرسلين. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُنْيَاناً فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ ، وَيَعْجَبُونَ لَهُ ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ». متفق عليه. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم- قال: «فُضِّلْتُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ بِستٍّ: أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الكَلِمِ ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الغَنَائِمُ ، وَجُعِلَتْ لِيَ الأَرْضُ طَهُوْراً وَمَسْجِداً ، وَأُرْسِلْتُ إِلَى الخَلْقِ كَافَّةً ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ». أخرجه مسلم. وقال الله تعالى مبيناً عظيم فضل رسوله – صلى الله عليه وسلم -: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا}. وقال: {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ، وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ، ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}. وقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}. وهذا كله من فضل الله عليه – صلى الله عليه وسلم – ومن عظيم فضله علينا أن هدانا لدينه القويم واتباع هدي نبيه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم!)

صلّ يا ربي على خير الورى ... وعلى آلٍ وصحبٍ في الذرى

وعلى (الكبرى) التي أنوارُها ... طلعتْ بدراً على أم القرى

وعلى (الزهراء) مَن أخلاقها ... هذبتْ قلباً سليماً نيّراً

وعلى الصافي (عليٍّ) مَن سَما ... فوق وصفي دون شكٍ أو مِرا

وعلى (السبْطين) إذ كانا معاً ... جحفلاً يغتالُ آسادَ الشرى

وعلى الأتباع حتى المُنتهى ... كلما ليلٌ تبدّى أو سرى

وعلى الصِدّيقة الفضلى التي ... بُرِّئت مِن كل إفكٍ مُفترى

وعلى (الصدّيق) مولانا الذي ... كان - في الغار - رفيقاً خيّرا

إنهم باعوا النفوسَ حِسبة ... وكذا الأموال ، واللهُ اشترى

زمـــرة جلـــت ، فلـــو قيـــل اشـــهدوا ... قلـــتُ: هـــم - والله - ســـاداتُ الـــورى

أســـــلموا لله ، هـــــذا مَجـــــدُهم ... ثـــم صـــانوا الـــدين صـــوناً والعُـــرى

واستســـاغوا البـــذل فـــي نصـــر الهُـــدى ... لـــم يعـــودوا - فـــي الجهـــاد - القهقـــرى

وأقـــاموا الـــدينَ والـــدنيا معـــاً ... باجتهـــــادٍ كـــــان حقـــاً مُثمـــــرا

قـــد تأسَّـــوْا بـــالنبي المصـــطفى ... وبـــآل البيـــت بـــاتوا أطهـــرا

وبأصـــــحاب كِـــــرامٍ أيقظـــــوا ... عـــالم الإنـــس ، فجافـــاه الكـــرى

كـــل فـــذٍ كـــم لـــه مِـــن موقـــف ... لاح كالصـــــبح إذا مـــــا أســـــفرا!

صـــلّ يـــا ربـــي علـــى مـــن صـــاغهم ... مثلمـــا الصـــائغ صـــاغ الجـــوهرا

يـــا رســـول الحـــق هـــذه مِـــدحتي ... مـــا احتـــوتْ أبياتهـــا زيفـــاً يُـــرى

مِـــن فـــؤادي صـــغتها أرجـــو بهـــا ... رحمـــة المـــولى ، ودمعـــي قـــد جـــرى

بـــاذلاً فـــي نقشـــها مـــا يُشـــتهى ... مـــن أحاســـيسَ تســـلي مَـــن قـــرا

مُســـــتعيراً كـــــل لفـــــظٍ مُـــــبهج ... فـــاق - إن مـــس اللســـانَ - الســـكّرا

كـــن شـــفيعي عنـــد ربـــي عنـــدما ... يشـــهدُ العبـــدُ الضـــعيفُ المَحْشـــرا

واســـقني المـــاء الـــذي يـــروي الظمـــا ... حيـــث أعطـــاك المليـــك الكـــوثرا

لـــو شـــربتُ يومهـــا مـــاء الـــدنا ... مـــا ارتويـــتُ ، لـــو عَبَبْـــتُ الأنهـــرا

يـــا إلهـــي فـــيّ شـــفعه غـــداً ... إذ أذاقتنـــــي خطايـــــايَ الثـــــرى

إن يكـــنْ ذنبـــي عظيمـــاً مُفرطـــاً ... فالرجـــا - فـــي الله - أمســـى أكبـــرا

إشارة أبلغ من الكلام

(في (المنهاج الأسنى) ج1 صـ 80 قصة شاب نشأ على المعاصي ، تزوّج من امراة صالحة ، فأنجبتْ له مجموعة من الأولاد من بينهم ولد أصم وأبكم. فحرصتْ أمه على تنشئته تنشئة صالحة فعلمته الصلاة ، والتعلق بالمساجد منذ نعومة أظافره. وعند بلوغة السابعة من عمره صار يشاهد ما عليه والده من انحراف ومنكر. فقرر النصيحة والإشارة لوالده للإقلاع عن المنكرات والحرص على الصلوات ، ولكن دون جدوى. وفى يوم من الأيام جاء الولد وصوته مخنوق ودموعه تسيل ، وكان قد وضع المصحف أمام والده ، وفتحه على سورة مريم ، ووضع إصبعه على قوله تعالى: "يا أبت إني أخاف أن يَمسّك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا" ، وأجهش بالبكاء. فتأثر الأب لهذا المشهد وبكى معه ، وشاء الله سبحانه أن تنفتح مغاليقُ قلب الأب على يد هذا الابن الصالح ، فمسح الدموع من عيني ولده ، وقبّله ، وقام معه إلى المسجد. وهذه ثمرة صلاح الزوجة! فاظفر بذات الدين تربت يداك. ولقد سئل الإمام عبد الله بن المبارك – رحمه الله -: "أي الأعمال أفضل؟ قال: النصح لله" ، ومنه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله – في المجموع: "والموعظة الحسنة تجمع التصديق بالخبر والطاعة للأمر ولهذا يجيء الوعظ في القرآن مراداً به الأمرُ والنهيُ بترغيب وترهيب كقوله: (ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً). قال الإمام إسماعيل بن محمد الأصبهاني - رحمه الله -: "وأما أهل الحق فجعلوا الكتاب والسنة إمامهم ، وطلبوا الدين من قِبَلهما ، وما وقع لهم من معقولهم وخواطرهم عرضوه على الكتاب والسنة ، فإن وجدوه موافقاً لهما قبلوه ، وشكروا الله حيث أراهم ذلك ووفقهم إليه ، وإن وجدوه مخالفاً لهما تركوا ما وقع لهم وأقبلوا على الكتاب والسنة ورجعوا بالتهمة على أنفسهم". الحجة في بيان المحجة. وقال الشيخ ابن سعدي - رحمه الله -: "ليكن دعاؤك للخلق مسلمهم وكافرهم إلى سبيل ربك المستقيم ، المشتمل على العلم النافع والعمل الصالح. (بالحكمة) أي: كل أحد على حسب حاله وفهمه وقبوله وانقياده ومن الحكمة الدعوة بالعلم لا بالجهل ، والبدأة بالأهم فالأهم ، وبالأقرب إلى الأذهان والفهم ، وبما يكون قبوله أتم ، وبالرفق واللين. فإن انقاد بالحكمة ، وإلا فينتقل معه إلى الدعوة بالموعظة الحسنة ، وهو الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب. إما بما تشتمل عليه الأوامر من المصالح وتعدادها ، والنواهي من المضار وتعدادها. وإما بذكر إكرام من قام بدين الله ، وإهانة من لم يقم به. وإما بذكر ما أعد الله للطائعين ، من الثواب العاجل والآجل ، وما أعد للعاصين من العقاب العاجل والآجل". تفسير السعدي. يقول عليه الصلاة والسلام: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، وإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان). وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: بلغوا عني ولو آية ، وحدّثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. رواه البخاري. وجاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "من دعا إلى هدىً كان له من الأجر مثلُ أجور من تبعه لا ينقصُ ذلك من أجورهم شيئًا ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثلُ آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئًا". وقال: صلى الله عليه وسلم: "لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا خيرٌ لك من حمر النعم". وقال أبو عثمان النيسابوري- رحمه الله -:"من أمَّر السنة على نفسه قولاً

وفعلاً نطق بالحكمة ، ومن أمَّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة". حلية الأولياء لأبي نعيم. وقال ابن عطاء البغدادي – رحمه الله -: "من ألزم نفسه آداب السنة ، نوّر قلبه بنور المعرفة! ولا مقام أشرف من متابعة النبي – صلى الله عليه وسلم - في أوامره وأفعاله وأخلاقه". مدارج السالكين لابن القيم. وأنشدتُ في ذلك من البحر البسيط حكاية على لسان الأصم الأبكم ، ذلك الداعية الذي حمل لأبيه المصحف ليقرأ فيه من سورة مريم ما جعله يتوب! فأقول:)

أصـــمُ أبكـــمُ ، لا ســـمعٌ ولا كلِـــمُ ... ولـــمْ يَعُـــقْ صَـــممٌ نصـــحي ، ولا بَكَـــمُ

أحـــبُ - للنـــاس - كـــل الخيـــر مُحتســـباً ... والحـــب يســـلبُ ألبـــابَ الـــذين عَمُـــوا

ولا أقـــــنّطَ عاصـــــيَهم ومُـــــذنبهم ... إن القنـــــوط بـــــه تســـــتجلبُ الـــــنقم

وأنصـــحُ الكـــل فـــي ســـر ، وفـــي علـــن ... وبالـــــذي أنصـــــحُ الآنـــــامَ ألتـــــزم

وأحمـــــلُ الكتـــــبَ التـــــي تكلمُهـــــم ... وعِلمهـــا - رغـــم أنـــف الكـــل - يُحتـــرم

وقـــد أشـــيرُ إلـــى الآيـــات ، أجعلهـــا ... مَحجـــــة أسّـــــها الأخـــــلاقُ والقِـــــيَم

ويفـــــتحُ الله بينـــــي دائمـــــاً أبـــــداً ... وبـــين مَـــن جهلـــوا البيـــانَ ، أو عملـــوا

حتـــى وجـــدتُ أبـــي - فـــي الغـــي - منجـــدلاً ... فهـــالني حالـــه ، وكِـــدتُ أنهـــزم

وكـــم وعظـــتُ ، ولا جـــدوى لمـــوعظتي ... كأنمـــا بـــأبي - فـــي ســـمعه – صـــمم!

فقلـــتُ: أحرجُـــه بآيـــةٍ نزلـــتْ ... حتـــى تفارقـــه الأهـــواءُ والجُـــرُم

حتـــى يتـــوب عـــن الـــذنوب تحرمُـــه ... رضـــا الإلـــه ، فخـــاب الـــذنبُ واللمـــم!

وآيتـــي تثبـــت الـــولاء ، تصـــقلة ... إنـــي - بـــأي كتـــاب الله - أعتصـــم

أشـــرتُ أحملـــه علـــى قراءتهـــا ... فلـــم يجـــادلْ ، وفـــاض الـــدمعُ والنـــدم

فـــي موقـــفٍ لـــم يكـــن ســـوى منـــاورةٍ ... بهـــــا تمرقـــــتِ الأوزارُ والإزم

والنـــورُ عـــمّ أبـــي فـــي كـــل عيشـــته ... مـــن بعـــدما انقشـــع الســـرابُ والظلـــم

يـــا رب ثبّـــتْ - علـــى الإيمـــان - قلـــب أبـــي ... أنـــت القـــدير علـــى مـــا قلـــتُ يـــا حكـــم

طفل أوجز فأعجز

(لا يزال بعضُ الأطفال يُجري الله تعالى على ألسنتهم بعضَ المواعظ التي يعجز الكبار عن الإتيان بمثلها. وقد تغير موعظة ما – يُجريها الله على لسان طفل ــ مجرى حياة أسرة بأكملها رأساً على عقب. ومن ذلك ما أورده الخولي في قصصه الواقعية ص (689) أن أمّاً جلستْ ذات مساء تساعد أبناءها في مراجعة دروسهم ، وأعطت طفلها الصغيرالذي هو في الرابعة من عمره كراسة للرسم حتى لا يشغلها عما تقوم به من شرح ومذاكراة لإخواته الكبار الباقين. وتذكرتْ فجاة أنها لم تحضر طعام العشاء لوالد زوجها الشيخ المسن الذي يعيش معهم فى حجرة خارج المبنى في حوش البيت ، وكانت تقوم بخدمته ما أمكنها ذلك ، والزوج راض بما تؤديه من خدمة لوالده الذي كان لا يترك غرفته لضعف صحته. أسرعت بالطعام إليه ، وسألته إن كان بحاجة لأي خدمات أخرى ثم انصرفت عنه. وعندما عادت إلى ما كانت عليه مع أبنائها ، لاحظت أن الطفل يقوم برسم دوائر ومربعات ، ويضع فيها رموزاً ، فسألته: ما الذي ترسمه؟ فأجابها بكل براءة: إنني أرسم بيتي الذي سأعيش فيه عندما أكبر وأتزوج. فأسعدها رده ، فقالت: وأين ستنام؟ فأخذ الطفل يبراءة يريها كل مربع ، ويقول هذه غرفة النوم ، وهذا المطبخ ، وهذه غرفة استقبال الضيوف ، وأخذ يعدّد كل ما يعرفه من غرف البيت ، وترك مربعاً منعزلاً خارج الإطار الذي رسمه. فعجبتْ وقالت له: ولماذا هذه الغرفة خارج البيت منعزلة عن باقى الغرف؟ فأجاب: إنها لكِ سأضعك فيها تعيشين كما يعيش جدي اليوم. فصعقتِ الأم لما قاله وليدها! وقالت تخاطب نفسها: هل سأكون وحيدة خارج البيت في الحوش دون أن أتمتع بالحديث مع ابني وأطفاله ، وآنس بكلامهم ومرحهم ولعبهم عندما أعجز عن الحركة؟ ومن سأكلم حينها؟ وهل سأقضي ما بقي من عمري وحيدة بين أربع جدران دون أن أسمع لباقي أفراد أسرتي صوتاً؟ فأسرعت بمناداة الخدم ، ونقلت بسرعة أساس الغرفة المخصصة لاستقبال الضيوف والتى عادة ما تكون أجمل الغرف وأكثرها صدارة في الموقع ، وأحضرت سرير والد زوجها ، ونقلت الأثاث المخصص للضيوف إلى غرفته خارجاً في الحوش. وما إن عاد الزوج من الخارج تفاجأ بما رأى ، وعجب له ، فسألها قائلا: وما الداعي لهذا التغيير؟ فأجابته والدموع تترقرق في عينيها: إني أختار أجمل الغرف التي سنعيش فيها أنا وأنت إذا أعطانا الله عمراً وعجزنا عن الحركة ، وليبق الضيوف في غرفة الحوش. ففهم الزوج ما قصدته وأثنى عليها. فما كان من الطفل إلا أن مسح رسمه وابتسم. وإذن فالإحسانُ أولى بالذي يطمعُ وبالتي تطمعُ في دخول الجنان والنجاة من النيران. ويوماً ما سنلقى الله جميعاً ، فلماذا الظلم والعُسف؟)

قلّبتُ قولك بكرة وأصيلا ... فوجدتُه اتخذ الرشادَ سبيلا

ألقيته لفظاً تناسق جَرْسُه ... وأقمتَ - في ثقة - عليه دليلا

وجعلته يغشى الجدالَ غضنفراً ... والخصمُ أصبح - في النزال - الفيلا

وسقيته أرجَ البراءة والذكا ... وغدوت - فيما قلته - بُهلولا

ورسمت - للغد - يا موفق صورة ... تئدُ الخيال ، وتفرضُ المعقولا

لـــم يُمْلهـــا أحـــدٌ عليـــك نِكايـــة ... لتعيـــد مثـــل الببغـــاء القِـــيلا

لـــم تســـتمعْ يومـــاً لـــبعض حروفهـــا ... بـــل خضـــت - فـــي درب الحقيقـــة - مِـــيلا

أعجـــزتَ إذ أوجـــزت كلمـــة راشـــدٍ ... لمَّـــا يكـــنْ- فـــي قولـــه - مخبـــولا

بوركـــت مِـــن طفـــل يعـــي كلماتـــه ... إذ فـــاق - فـــي كيـــل البيـــان - كهـــولا

لقنتهـــا درس الحيـــاة مُنقِحـــاً ... ومُكمِـــلاً نقصـــانه تكمـــيلاً

ومُزخرفـــاً ألفاظـــه وحروفـــه ... ومُجمِـــلاً نبراتـــه تجمـــيلاً

وأقمـــت حُجـــة قـــائم بوصـــيةٍ ... يـــده علـــى التنفيـــذ حقـــاً طَـــولى

وجعلـــت أمـــك فـــي عســـير مواقـــفٍ ... حتـــى تغيِّـــر طابعـــاً ومُيـــولاً

ولأنـــت أكثـــر هيبـــة وتعففـــاً ... ولأنـــت أقـــومُ لهجـــة ومَقـــيلاً

تحيـــا بقلـــب لـــيس يحمـــلُ غلظـــة ... كـــلا ، ولا حقـــداً ولا تـــدجيلا

والأم لـــم تُســـمعْك مُـــرّ عِتابهـــا ... بـــل كافـــأتْ هـــذا الجميـــلَ جميـــلا

واســـتدركتْ مِـــن أمرهـــا مـــا اســـتدبرتْ ... وتبتلـــتْ لمليكهـــا تبتـــيلا

واســـتغفرتْ رب الســـما ممـــا جنـــتْ ... واللهُ خيـــرٌ غـــافراً ووكـــيلا

وأتـــت علـــى مـــا أفســـدتْه ، فأصـــلحتْ ... واستحضـــرتْ ثقـــلَ العـــذاب وبـــيلا

وتأملـــتْ قـــول الصـــبيّ ، وأمعنـــتْ ... فيمـــا ارتـــآه - مِـــن العِقـــاب - طـــويلا

هـــو لـــم يُـــرد فيمـــا ارتـــآه عقوبـــةً ... بـــل ربنـــا جعـــل المقـــال رســـولا

حتـــى ينبّـــه مَـــن عشـــتْ عـــن ذكـــره ... كيمـــا تنفّـــذ مـــا تـــراه بـــديلا

والظلـــم دَيْـــنٌ لـــيس يُتـــرك أهلـــه ... واســـأل - عـــن العُقبـــى - القـــرونَ الأولـــى

قـــد يُمهلـــون ، وللمهـــيمنُ أخـــذة! ... ولقـــد يُمتـــعُ مَـــن يجـــور قلـــيلا!

العيد يجيب على السؤال

(كم فى حياة الواحد منا من أعياد. ويوم عيد المرء الحقيقي يوم تتحقق أمانيه التي يصبو إليها ، ويعمل من أجلها ويحيا لها. وليس للمسلم قط من أعياد إلا يوم الفطر السعيد ويوم الأضحى المجيد ، كما أخبر بذلك الرسول العظيم محمد - ﷺ -. وكثيراً ما ردد الناس بيت أبي الطيب المتنبي الذي لا يعرفون حقيقته ولا مناسبة إنشاده كتابته إذ يقول:

عيـــدٌ بأيّـــة حـــال عُـــدت يـــا عيـــدُ؟ بمـــا مضـــى؟ أم بـــأمر فيـــك تجديـــدُ؟

ومراد الناس متابعة العيد أو محاسبته ، أما العتاب فلا بأس. ولكن لا للحساب ولا للعقاب. إذ العيد ما هو إلا ظرف للزمان ولا شأن له بالأحداث على الإطلاق. وعموماً نخطئ كثيراً عندما نحاسب العيد ، ونلقي عليه باللائمة ونحمّله أخطاءنا وعثراتنا. وكنتُ أتحدث إلى أم أولادي وحبيبة فؤادي أم عبد الله يوم عَرفة وأقول: ماذا يختلف هذا العيد عندما يُطالعنا يوم غدٍ عن العيد الذي سبقه في العام المنصرم؟ فركزت أم عبد الله على المناسبة الغالية الفارقة ، وهي أن الله عز وجل منَّ علينا بالزهراء الغالية ابنتنا فاطمة. هذا ، ولقد طالعتُ شروحاً كثيرة لقصيدة المتنبي منها المادح لها ومنها القادح فيها! غير أني تأثرتُ أكثر بكلام الدكتور بكري شيخ أمين! لقد أقام أبو الطيب بعد أن أنشد أثناء إقامته في مصر قصيدته البائية سنة ، لا يلقى الأسود إلا أن يركب فيسير معه في الطريق لئلا يوحشه وقد عمل على مراغمته والرحيل عنه ، فأعد الإبل وخفف الرحل. وقال أبو الطيب هذه القصيدة في يوم عرفة من سنة خمسين وثلاثمائة وذلك قبل مسيره من مصر بيوم واحد. وتحت عنوان: (المتنبي يهجو كافوراً الإخشيدي) بقلم الدكتور: بكري شيخ أمين ، نضمّن كلامنا هذه المقتطفات من شرحه الماتع للقصيدة: يقول بالنص مع تصرف تتطلبه ضرورة التأليف: (كان أبو الطيب قد وصل إلى مرحلة اليأس والقنوط والإحباط في مصر ، ودخل في مرحلة نفسية معتمةٍ ، فلا هو في العير ولا هو في النفير. أهمل مجالسَ كافور ، فما عاد يتردد عليها ، وحين كان يطلب منه قصيدة مادحة ، كان الشاعر الحزين يرفض القول والنشيد فلا ينقاد للطلب. وهجَر عِشرةَ الناس ، ولقاءَهم ، وصار ينفرد بذاته ، ويخلو بنفسه ، ويجترّ آلامه ، ويرسم الخطط التي تنقذه من هذا الشَّرَك الذي أوقعه به كافور. وبدأ المرجل النفسي يغلي شيئاً فشيئاً ، ويضطرب ويزداد اضطراباً ، ثم راح يقذف بالزبد ، ويتعالى صوت جَيَشانه. وقبل أن يطفح الكيل ، جاء إلى كافور وسأله صراحة عن وعده بحكم ضيعة أو ولاية أو أي مكان. وبَيَّن له أنه ما قدِم إلى مصر إلا بعد أن اطمأنّ إلى وعوده البراقة. فأجابه كافور: "أنت في حال الفقر وسوء الحال وعدم المُعين سَمَتْ نفسك إلى النبوة ، فإن أصبتَ ولاية صار لك أتباع ، فمن يطيقك؟". وسواء أكان رد كافور عنيفاً أم لا ، فهذا لا أهمية له ، فلن يخدع الشاعر بعد الآن ، لقد كانت نقمته على الرجل الملوّن المخادع ، وخيبة أمله في انهيار مشاريعه عظيمتين. ولم يخطئ كافور في تعرّف نوايا أبي الطيب ، فقد أدرك حقيقة مشاعره نحوه ، وكان يعلم أنه سيفرُّ من الفسطاط عند سنوح أول فرصة ، وأنه سيعقب فراره بشعر هجائي وسخرية لاذعة ، فنشر الجواسيس يراقبون أبا الطيب ؛ وعرف المتنبي كل هذا فكظم غيظه وأخفى عواطفه وخططه. ويبدو أنه أتخذ لنفسه حُراساً انتقاهم من عبيده الأشداء لمقاومة كل هجوم محتمل ، وكانت خطته زيادة في إمكانية نجاحها أن يغتنم فرصة احتفالات الناس

بعيد الأضحى للخروج من الفسطاط ، وكان التاسع من شهر ذي الحجة ، وهو مناسبة تجري فيها مراسم واستعراضات ، تجلب جمهوراً كبيراً من الناس ، وهي خير فرصة للهرب والتخفي. وفي اليوم التاسع من الشهر المذكور ، خرج المتنبي سراً من الفسطاط ، تتقدمُه الإبل المحملة بالسلاح والأمتعة والزاد لعدة أيام ، وأغذَّ السير ، فاجتاز برزخ السويس ، ثمّ أوغل في صحراء التيه شمالي سيناء. وتنبّه القومُ بسرعة إلى فراره ، فلم يستطيعوا اللحاق به ؛ وكان غيظ كافور شديداً جداً ، وأراد المتنبي بعد أن أصبح بعيداً وآمناً أن يشهَد الناس مرة واحدة – على الأقل - على الازدراء الذي يكنّه لسيده القديم ، وتولت أيدٍ أمينةٌ إيصالَ قصيدة هجائية مقذعة إلى الخصيِّ كافور! ولكن العملية لم تنجح ، لأن كافوراً شكّ في محتواها ، فأمر بإحراقها ، ولم يقف على ما فيها. وفي رأيي لو أنَّ كافوراً أعطى أبا الطيب حُكْم مصر كلها لكان خيراً له من أن تقال فيه هذه القصيدة الرائعة الخالدة ، فحكمُ مصر ينتهي بانتهاء حياة المتنبي أو كافور ، ثمّ يأتي بعدهما حاكم آخر ؛ أما القصيدة فلا ينتهي أثرها بانتهاء حياة هذا أو ذاك ، وإنما هي باقية خالدة ، ترددها الأجيال بعد الأجيال ، ويدرسها الطلبة في مدارسهم على اختلاف درجاتها ومستوياتها ، يحفظونها عن ظهر قلب ، ويستشهدون ببعض أبياتها في مناسبات شتى وفي مختلف أقطار الوطن العربي. لقد أخطأ كافور في عدم تولية المتنبي حكم صيدا ، أو أيّ ضيعة أو ولاية ، وكان بإمكانه أن يتفادى النقمة الكبرى ، بل الفضيحة الخالدة على مر العصور وكرّ الدهور. فالقصيدة لا تشبه هجاء حسان بن ثابت لقريش ، ولا هجاء جرير للفرزدق أو الأخطل ، ولا الكُميت لبني أمية ، ولا هجاء جميع الشعراء لحُكامهم أو لخصومهم ، وإنما هي نسيج وَحْدِه ؛ خالدة على مر الزمن ، لم تنقص الأيام والسنون حرارتها ، لم تطفئ لهبها ولم تخمد سعيرها. ولا شكَّ أنّ سر نجاحها وروعتها في المقام الأول: صدق عاطفة صاحبها ، وشِدة ثورته ، بل غليان مرجله النفسي إلى درجة الانفجار ؛ وحقاً كان ذلك الانفجار. ولو تخيّلنا صورة الشاعر وتعبيرات وجهه ، وهو ينظم القصيدة هالنا المنظر ، وروّعتنا تلك التعبيرات ، وأخافتنا تلك الزمجرات ، واصطكاك أسنانه من شدّة الانفعالات).هـ. وأشكر من أعماق الفؤاد هذا التأصيل التاريخي والأدبي للدكتور بكري شيخ أمين! فلقد أفادني جداً. فرحتُ أصححُ القصيدة السيئة المسيئة للمتنبي في ذم كافور قبل رحيل المتنبى من مصر. وأنا هنا لا أدافع عن كافور فهذا أحد الطواغيت الذين منيت مصر وأهلها بهم على مر الدهور وتعاقب السنين! وإنما أردتُ أن أثبت للناس وللتاريخ أن طبيعة المتنبي لا تختلف عن طبيعة أغلب الشعراء! تلك الطبيعة التي تنشد الشعر حسب العطاء ، وتهجو حسب الحرمان والمنع! (إن أعطيَ رضي ، وإن لم يعط لم يرض). ولم أقل أن قصيدة المتنبي ضعيفة معاذ الله ، ولم أذهب إلى أن قصيدتي أفضل من قصيدة المتنبي! بل الحكم متروكٌ للتاريخ وللجمهور من أهل فن الشعر! وأتذكر مع زوجتي مِنن الله علي ، فوجدتها كثيرة جداً ، فلله الفضل والحمد والمنة على ما أعطى ومنح. وأعود إلى المتنبي الذي أنشد داليته في النيل من كافور ، لأنه لم يوف له بما وعده من قبل. وكان ذلك من المتنبي يوم عَرفة. فتذكرتُ الناس تستغفر وتتوب إلي الله وترجو رحمته وتخشى عذابه يوم عرفة ، والمتنبي مشغولٌ بهجاء كافور وسِبابه والنيل منه. ذلك الحاكم الذي كم تفضل على المتنبي وأعطاه من قبل ، فكانت معلقات المتنبى تتوالى في المدح والثناء على كافور ، حتى لكأن الأرض لم تعرف حاكماً سواه! وهكذا الكثير من الشعراء إنْ أعطوا مدحوا ، وإن حُرموا ذموا. فقلتُ: لا بد من تصحيح يبين براءة العيد. وتخيلتُ العيد يُصحح معي مجال الفكر والنظر ، ويقول

لي: تذكرْ نعم الله عليك ولا تلمني. وآثرتُ البحر البسيط وقافية الدال كما آثرهما المتنبي لقصيدته ، ورأيتُ أن أنفع البشرية بهذا الطرح الشعري. ولكنْ ليس على منهج أبي الطيب في التشفي ، إلى أن قال مستهزئاً بكافور ، وبالغا في هجائه الذروة ، ومبينا طبيعة العبيد والأرقاء العاتية الجافية:

لا تشتر العبدَ إلا والعصا معه ... إن العبيد لأنجاسٌ مناكيدُ!

فإذا كان أبو الطيب قد انهال على العيد لوماً وعتاباً ، فإنني أعطي الفرصة للعيد للدفاع عن نفسه. وإذن فإنني قد أنشدت هذه القصيدة على لسان العيد ، وتخيلتُ العيدَ يقول لي مدافعاً عن نفسه:)

إليك عدتُ ، وتحدوني الأغاريدُ ... والنصرُ - فوق جبين الحال - معقودُ

ألا ترى الخيرَ قد دفتْ بوادرُه ... وللحُبور - إلى عينيكَ - تمهيد؟

وللصفاء ترانيمٌ لها عبَقٌ ... مِن بعد أن زال تنغيصٌ وتنهيد

وللتراحم - في الآفاق - ألوية ... مِن بعد أن ودع الأكبادَ تنكيد

وللتهاني عباراتٌ مُزركشة ... قِوامُها الحبُ والإخلاصُ والجُود

واسألْ إذا شئت مَن جاؤوك يسبقهم ... شوقٌ إليك وإطراءٌ وتمجيد

أما رزقت بفضل الله (فاطمة) ... تغار مِن حُسنها الغيدُ الأماليد؟

أما اكتشفت خفايا كنت تجهلها ... في صحبةٍ قلتَ: هم رئبالة صِيد؟

ألم تعدِّلْ مساراً ذقت شِقوته ... وسربلتك ببلواه الأخاديد؟

ألم تفند أباطيلاً خدِعت بها ... حتى أفادك تحقيقٌ وتفنيد؟

ألم تعدْ لرياض الأهل مُعتذراً ... عن التجاوز أملاه المناكيد؟

أشمت فيها عدواً عِشت تحسبُه ... مُهذباً ، صِيته - بالبر - معهود

يا صاح دَققْ ترَ التوفيق موعدَنا ... أم أن قلبك خانته المواعيد؟

ألم تقصِّدْ - مِن الأشعار - أصدقها؟ ... وكم يسرّك تأليفٌ وتقصيد!

ألم تعلمْ تلاميذاً تتيهُ بهم؟ ... والناسُ تشهدُ ، والأمصارُ والبيد!

ألم تطالعْ كتاب الله مُغتنماً ... بُحبوحة العُمر؟ إن العمر معدود!

ألـــم يـــزدْك ارتيـــادُ العلـــم تبصـــرة؟ والعلـــمُ - عنـــد أولـــي الألبـــاب - منشـــود

ألـــم تتـــبْ لمليـــك الخلـــق معتزمـــاً أنْ لا تعـــود؟ وفـــي الأيمـــان توكيـــد!

ألـــم تراجـــعْ مِـــن الأســـفار فـــي شـــغفٍ مـــا تشـــتهيه؟ وإن الفقـــه محمـــود

ألـــم يمُـــنّ عليـــك اللهُ مِنتـــه؟ ومَـــن يُخَـــصُّ بأفضـــال فمحســـود!

ألـــم تعـــشْ مســـتريحاً فـــي بُلهينـــة كأنمـــا أنـــت - بـــين النـــاس - صِـــنديد؟

ألســـت ترفـــلُ - فـــي النعـــيم - مُرتـــدياً ثـــوبَ الهنـــاء عليـــه الـــدر منضـــود؟

ألـــم تحقـــقْ - مِـــن الآمـــال - أعـــذبها؟ وكـــم أتـــاك - مِـــن الأحبـــاب - تأييـــد!

ألـــم تفاصـــلْ - علـــى الإســـلام - مَـــن هزلـــوا؟ وهـــل يَجـــدّ - ولـــو فـــي الحُلـــم – مفســـود؟!

ألـــم تقـــاطعْ - لأجـــل الـــدين - شِـــرذمة إذ لـــيس عنـــدهمُ لله توحيـــد؟

فـــيم التجنـــي علـــى (الأضـــحى) أتـــى غـــرداً؟ وكـــل عيـــدٍ لـــه جَـــرْسٌ وتغريـــد

لا يملـــك العيـــدُ أقـــداراً مقـــدرة! قـــد خطهـــا ملـــكٌ ربٌ ومَعبـــود

وانظـــر لعيـــدٍ مضـــى ، واســـأله مجتهـــداً أكـــان فيـــه لجـــرح القلـــب تضـــميد؟

هـــل كـــان فيـــه - مـــن الإنجـــاز - خردلـــة؟ هـــل كـــان فيـــه - علـــى التحقيـــق – تجديـــد؟

أراك تســـألني عـــن حالـــةٍ ســـلفتْ وفـــي الأقاويـــل يســـتهويك تجريـــد

وكيـــف تهـــزأ بـــي بـــنظم سُـــخريةٍ كـــلٌ يُردّدُهـــا ، وبـــئس ترديـــد!

يقـــول مطلعهـــا - والنـــاس تنشـــده -: (عيـــدٌ بأيّـــة حـــال جئـــت يـــا عيـــد؟)

والكـــل يجهـــلُ مـــا أراد شـــاعرُها مِـــن النكايـــة يأباهـــا الصـــناديد

ينـــالُ مِـــن رجـــل أســـدى جمائلـــه عليـــهِ يـــوم نـــأتْ عنـــه العبابيـــد

(كـــافورُ) جـــاد ، ولـــم يبخـــلْ بعارفـــةٍ والشـــعرُ يشـــهدُ أن الجـــودَ مَرصـــود

وأســـأل (أبـــا الطيّـــب) الـــذي قصـــائدُه مـــا شـــابهن - غـــداة الـــرَوْع - تنديـــد

بـــل كـــال مـــدحاً وإطـــراءً تتيـــهُ بـــه ... فرائـــدُ الشـــعر ، فيـــه الفخـــرُ مَشـــهود!

وللمغـــالاة - فـــي الأمـــداح - طابعُهـــا ... وكـــم بمـــدح فتـــىً راجـــت مَواجيـــد!

وعنـــدما ضـــن (كـــافورٌ) تعقبـــه ... وقـــال: بـــئس الملـــوكُ الأعبُـــدُ الســـود!

لـــم يغـــن عنـــه عطـــاءُ الأمـــس جـــاد بـــه! ... إذ الجميـــلُ - لـــدى الخســـيس – مـــوؤود!

بضـــاعة ســـاقها انتفـــاعُ صـــاحبها ... وكـــم يثـــور - لأجـــل المـــال - رعديـــد!

وكـــم تبـــاعُ - لحـــب المـــال - مِـــن ذممٍ! ... وهـــل ينـــال بمِلـــك الأرض تخليـــد؟

واســـأل عـــن الشـــعر أهـــل الشـــعر مـــذ وأدوا ... ضـــميرَه ، فمحـــا ســـيماه تبديـــد

ففرقـــة ســـجدتْ - للمـــال - راضـــية ... وكـــل بـــذل - لأجـــل المـــال - تعبيـــد

وفرقـــة شِـــعرُها يُـــزري بقارئـــه ... إذ غـــاب رُشـــدٌ وإرشـــادٌ وترشـــيد

وفرقـــة شِـــعرها وقـــودُ مهزلـــةٍ ... يُزْكِـــي الســـعيرَ بهـــا - فـــي العـــالم - الهـــود

وفرقـــة تغتـــذي دومـــاً بباطلهـــا ... كمـــا يعـــيش - علـــى أعفانـــهِ - الـــدود!

وفرقـــة بنشـــاز الشِـــعر كـــم صـــدحت! ... فهـــل تـــرنمَ – بالضـــجيج - غِريـــد؟!

لكـــنّ أهـــل الهُـــدى أشـــعارُهم شـــمختْ ... فلـــم يشُـــبْها - لـــدحض الخيـــر - توطيـــد

وجـــرّدتْ قولهـــا مِـــن كـــل لاغيـــةٍ ... وكـــم يُوصّـــل - للعليـــاء - تجريـــد!

إنـــي أنـــا العيـــد ، والأشـــعارُ تغمرنـــي ... تِيهـــاً ، إذا صـــاغها الشـــمّ الأجاويـــد

لا ذنـــب لـــي فـــي الـــذي تلقـــون مِـــن مِحـــن ... والقـــولُ فصـــلٌ ، ولـــي عليـــه تأكيـــد!

ولا أزهّـــد فـــي الآمـــال مَـــن يئســـوا ... إذ لـــيس يُـــذهبُ يـــأسَ الـــنفس تزهيـــد

فـــأطفئ اللـــوم ، لا تنكـــأ مؤاخـــذتي ... إنـــي - مِـــن اللـــوم - بـــالأغلال مصـــفود

فى ذمة الله

(قال الخولي في قصصه صـ 678: حدثتني أختي أن أحد المعلمين كان يشرح المادة لطلابة الصغار ، وكان مستدبراً لهم ووجهه للسبورة ، فرماه أحد الطلبة المشاغبين بالطبشور ، فصرخ المعلم قائلاً: من فعل هذا؟ ولم يجبْه أحد. فأشار الطالب الفاعل على زميله الذي يجلس أمامه (وهو لا يراه) ، فأمره الأستاذ بالنهوض ، وقال: لماذا رميت الطبشورة؟ والطالب يقول له: لم أفعل يا أستاذ ، فأخذه وذهب إلى المدير. فقال له المدير: هيا اعترف ، لماذا فعلت ذلك مع الأستاذ يا بُني؟! والطالب يحلف أنه لم يرم الطبشور ، وهنا أمره المدير أن (يفتح يده) ليضربه ، فأبى الطالب وقال له: لا تستطيع أن تضربني ، فصعق المدير ، كيف يقول ذلك؟! فقال المدير: بل أستطيع. فقال الطالب: لا تستطيع ضربي ، أولاً لأنني مظلوم ، وثانياً لأنني اليوم صليتُ الفجر في المسجد ، والرسول ﷺ قال: "من صلى الفجر في جماعة فهو في ذمة الله" ، فبكى المعلم والمدير معاً. وكانت عظة فذة! روى مسلم عن جندب بن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن صَلَّى الصُّبحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ ، فَلا يَطلُبَنَّكُمُ اللَّهُ مِن ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ فَيُدرِكَهُ فَيَكُبَّهُ فِي نَارِ جَهَنَّمَ). قال النووي في "شرح مسلم": "الذِّمَّة هنا: الضمان ، وقيل: الأمان" انتهى. قال الطيبي رحمه الله: "وإنما خصّ صلاة الصبح بالذكر ؛ لما فيها من الكلفة والمشقة ، وأداؤها مظنة خلوص الرجل ، ومنه إيمانه ؛ ومن كان مؤمناً خالصاً فهو في ذمة الله تعالى وعهده. "شرح مشكاة المصابيح للطيبي". وأورد الأستاذ محمد المنجد أن في المراد بالحديث قولين للعلماء: * الأول: أن يكون في الحديث نهي عن التعرض بالأذى لكل مسلم صلى صلاة الصبح ، فإن من صلى صلاة الصبح فهو في أمان الله وضمانه ، ولا يجوز لأحد أن يتعرض لِمَن أمَّنَه الله ، ومن تعرّض له ، فقد أخفر ذمة الله وأمانه ، أي أبطلها وأزالها ، فيستحق عقاب الله له على إخفار ذمته والعدوان على من في جواره. انظر: فيض القدير للمناوي. قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله "شرح رياض الصالحين": "في هذا دليل على أنه يجب احترام المسلمين الذين صدَّقوا إسلامهم بصلاة الفجر ؛ لأن صلاة الفجر لا يُصليها إلا مؤمن ، وأنه لا يجوز لأحد أن يعتدي عليهم" انتهى. ويدل لهذا المعنى ما رواه الطبراني في "المعجم الأوسط" بسنده ، وقال الألباني عنه في "صحيح الترغيب": صحيح لغيره: عن الأعمش قال: كان سالم بن عبد الله بن عمر قاعداً عند الحجاج ، فقال له الحجاج: قم فاضرب عنق هذا ، فأخذ سالم السيف ، وأخذ الرجل ، وتوجّه باب القصر ، فنظر إليه أبوه وهو يتوجه بالرجل ، فقال: أتراه فاعلاً؟! فردَّه مرتين أو ثلاثاً ، فلما خرج به قال له سالم: صليتُ الغداة؟ قال: نعم. قال: فخذ أي الطريق شئت ، ثم جاء فطرح السيف ، فقال له الحجاج: أضربت عنقه؟ قال: لا ، قال: ولِمَ ذاك؟ قال: إني سمعت أبي هذا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن صَلَّى الغَدَاةَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللَّهِ حَتَّى يُمسِيَ)! * القول الثاني: أن يكون المقصود من الحديث التحذير من ترك صلاة الصبح والتهاون بها ، فإن في تركها نقضاً للعهد الذي بين العبد وربه ، وهذا العهد هو الصلاة والمحافظة عليها. قال البيضاوي: "ويحتمل أن المراد بالذمة الصلاة المقتضية للأمان ، فالمعنى: لا تتركوا صلاة الصبح ولا تتهاونوا في شأنها ، فينتقض العهد الذي بينكم وبين ربكم ، فيطلبكم الله به ، ومن طلبه الله للمؤاخذة بما فرط في حقه

أدركه ، ومن أدركه كبّه على وجهه في النار ، وذلك لأن صلاة الصبح فيها كلفة وتثاقل ، فأداؤها مظنة إخلاص المصلي ، والمخلص في أمان الله" انتهى. نقلا عن "فيض القدير").هـ.)

لقـــد فاقـــتْ إجابتـــك الخيـــالا ... وأنـــت تســـوق زبـــدتها ارتجـــالا

وتلقـــي القـــولَ فصـــلاً دون خـــوفٍ ... فيغلـــبُ مـــا أجبـــت بـــه الســـؤالا

فلســـت تخـــاف - مِـــن أحـــدٍ - بتاتـــاً ... ســـوى مِـــن ربـــك المـــولى تعـــالى

فـــلا التهديـــدُ يُجـــدي الآن شـــيئاً ... ولا الضـــربُ الـــذي هـــو للكســـالى

ومـــا نفـــعُ العصـــا مـــع عبقـــري ... علـــى الـــرحمن يتكـــل اتكـــالا؟

يســـوق لنـــا المـــواعظ مُشـــرقاتٍ ... كضـــوء الشـــمس - فـــي الـــدنيا - تـــلالا

ويُتحفنـــا بـــأقوال تســـامت ... إلـــى أن فـــاق معناهـــا الخيـــالا

ويطـــرحُ - مِـــن هُـــدى العـــدنان - قِســـطاً ... يصـــدّ بـــه التوعـــد والوبـــالا

فأفحمنـــا بمـــا أمـــلاه رداً ... وفـــاق الـــردُ نقمتنـــا جـــلالا

وأخرســـنا فلـــم نهمـــسْ بحـــرفٍ ... وكيـــف يصـــوغ مَـــن خـــرس المقـــالا؟

وألزمنـــا الوجـــومَ فلـــم نعلّـــق ... ســـوى بالـــدمع - فـــوق العـــين - ســـالا

وأيقـــظ غـــافلين مِـــن التـــردي ... ولـــم يتـــركْ - لتعقيـــب - مَجـــالا

فتبنـــا عـــن معاصـــينا وعُـــدنا ... وأحســـنا المقاصـــدَ والفِعـــالا

وراجعنـــا ضـــميرَنا بصـــدق ... فزايلنـــا الرذائـــلَ والضـــلالا

فـــنحن اليـــوم أقـــربُ للمعـــالي ... لأن الطفـــل - فـــي التـــوبيخ - غـــالى

تحـــدّانا ، وبـــالغ فـــي التحـــدي ... وصـــعّد - فـــي المواجهـــة - الجـــدالا

ألا يـــا رب تـــبْ ، واغفـــرْ ، وســـامحْ ... فإنـــا اليـــوم نبتهـــلُ ابتهـــالا

ولا رسول الله

(يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "إنَّ الله منتقمٌ لرسوله ممن طعن عليه وسَبَّه ، ومُظْهِرٌ لِدِينِهِ ولِكَذِبِ الكاذب إذا لم يمكن الناس أن يقيموا عليه الحد ، ونظير هذا ما حَدَّثَنَاه أعدادٌ من المسلمين العُدُول ، أهل الفقه والخبرة ، عمَّا جربوه مراتٍ متعددةٍ في حَصْرِ الحصون والمدائن التي بالسواحل الشامية ، لما حصر المسلمون فيها بني الأصفر في زماننا ، قالوا: كنا نحن نَحْصُرُ الحِصْنَ أو المدينة الشهر أو أكثر من الشهر وهو ممتنعٌ علينا حتى نكاد نيأس منه ، حتى إذا تعرض أهلُهُ لِسَبِّ رسولِ الله والوقيعةِ في عرضِه تَعَجَّلنا فتحه وتيَسَّر ، ولم يكد يتأخر إلا يوماً أو يومين أو نحو ذلك ، ثم يفتح المكان عنوة ، ويكون فيهم ملحمة عظيمة ، قالوا: حتى إن كنا لَنَتَبَاشَرُ بتعجيل الفتح إذا سمعناهم يقعون فيه ، مع امتلاء القلوب غيظاً عليهم بما قالوا فيه".هـ. لقد كثرت الأقلام التي تنال من النبي – صلى الله عليه وسلم - ، (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون * أتواصوا به بل هم قوم طاغون). والأصل أنْ لا نقف مكتوفي الأيدي ، بل ندافع عن رسول الله ونصد هذه الهجمة الشرسة! قال الله تعالى: {قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين} ، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين). رواه البخاري. والله سبحانه وتعالى قد تولى الدفاع عن نبيه صلى الله عليه وسلم وأعلن عصمته له من الناس مهما كانت الظروف ، يقول الله - تعالى -: (والله يعصمك من الناس) وأخبر سبحانه أنه سيكفيه شرور الساخرين منه والمستهزئين به (إنا كفيناك المستهزئين) سواء كانوا من قريش أو من غيرهم ، إلى قيام الساعة ، وسواء في ذلك أكانوا عرباً أم عجماً! وذكر الله سبحانه وتعالى في مواضع أخرى أنه كفاه غيرهم كقوله في أهل الكتاب (فسيكفيكهم الله..) وقال: (أليس الله بكافٍ عبده)؟ قال الشيخ ابن سعدي رحمه الله: "وقد فعل تعالى ، فما تظاهر أحد بالاستهزاء برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به إلا أهلكه الله وقتله شر قِتلة.أهـ. والله تعالى يقول: (إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ). وروى البخاري في صحيحه من حديث أنس قال: " كان رجل نصراني ، فأسلم وقرأ البقرة وآل عمران ، وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم ، فعاد نصرانياً ، فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبتُ له ، فأماته الله ، فدفنوه ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فِعْل محمدٍ وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا فألقوه ، فحفروا في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح قد لفظته ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه". قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) ، وقال: (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَاباً مُّهِيناً). وقال: (فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ). وفي الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: "يقول الله تعالى: من عادى لي ولياً ، فقد بارزني بالمحاربة")

بـــالقريض العـــذب أطـــري المصـــطفى وجميـــــعَ الأهـــــل أربـــــابَ الوفـــــا

وجميـــــعَ الصـــــحب أعـــــلامَ الهُـــــدى رفقـــــةَ الخيـــــر وأصـــــحابَ الصـــــفا

يـــا نبـــيَ الحـــق لا تعبـــأ بمـــا ... خطـــه وبـــشٌ طغـــى ، واســـتنكفا

هجمـــة قـــد أضـــرمتْ نيرانهـــا ... عنـــدما أمســـى الغثـــا مُستضـــعفا

فـــإذا بـــالغرب يســـتعلي بهـــا ... مســـتخفاً ، رافضـــاً أن يَعْرفـــا

مُعلنـــاً حريـــة لـــم يحتـــرم ... مَـــن أقاموهـــا النبـــي المصـــطفى

واســـتباحوا عِرضـــه فـــي خســـةٍ ... وغـــدا التلفيـــقُ ســـيفاً أســـيفا

وأهـــاجوا كـــل عبـــدٍ مـــؤمن ... لانتصـــار الحـــق والتقـــوى هفـــا

واســـتمرّوا فـــي التعـــدي والأذى ... جهـــرةً حينـــاً ، وحينـــاً فـــي الخفـــا!

فتنـــة عمـــتْ بـــلاداً طالمـــا ... سَـــعرتْ حربـــاً يُغـــذيها الجفـــا

كـــل عِلـــج يحتســـي مِـــن قيحهـــا ... كلمـــا عـــبّ الكـــؤوسَ اســـتأنفا

مســـتغلاً ضـــعفَ قـــوم حُضّـــر ... جُلهـــم - فـــي العـــيش - يهـــوى الزخرفـــا

قنعـــوا بالـــدون حتـــى زُلزلـــوا ... كقطيـــع عـــن رُبـــا المرعـــى غفـــا

ضـــعُفوا عـــن أن يُعِـــزوا دِيـــنهم ... ثـــم بـــاتوا – بالمعاصـــي - أضـــعفا

تبعـــوا الأعـــداء فـــي إفلاســـهم ... فاســـتحال الرّبْـــعُ قاعـــاً صفصـــفا

وإذا بـــالكفر يبـــري قوسَـــه ... طامعـــاً - فـــي الـــدار - أن تســـتنزفا

جامعـــاً مِـــن كـــل صُـــقع جنـــده ... مُبـــدياً كيـــداً ، علينـــا مـــا اختفـــى

بعـــدما أغـــرق داري بالخنـــا ... واعتـــدى قســـراً ، وجهـــراً عجرفـــا

منطـــقُ القـــوة أغـــرى حمقـــه ... حيـــث أضـــحى - فـــي التجنـــي - مُجْحِفـــا

أيهـــا الغـــربُ لـــدينا صـــحوة ... لســـت تلقـــى - مِـــن لظاهـــا - مَصـــرفا

فـــي هجيـــر القـــيظ هـــذي واحـــة ... تمـــنحُ الظـــل الظليـــلَ المُورفـــا

تُرجـــعُ الحـــق ، وتُعلـــي شـــأنه ... وتعـــادي مَـــن غـــوى ، أو زيّفـــا

معاقة ذات همة

(تحكي كتب التاريخ أن كافور الإخشيدي وصاحب له كانا عبدين أسودين. فجيء بهما إلى قطائع بن طولون أمير الديار المصرية وقتها ليباعا في أسواق العبيد. جلس كافور وصاحبه يتحدثان. وبدأ كل منهما يسأل الآخر عن أمنيته وطموحه. فقال صاحبه: أتمنى أن أباع لطباخ. لآكل ما أشاء وأشبع بعد جوع. وقال كافور: أما أنا فأتمنى أن أملك مصر كلها لأحكم وأنهى وآمر فأطاع. وبعد أيام بيع صاحبه لطباخ وبيع كافور لأحد قادة مصر وما هي إلا أشهر حتى رأى القائد المصري من كافور كفاءة وقوة فقربه منه ولما مات مولى كافور قام هو مقامه واشتهر بذكائه وكمال فطنته حتى صار رأس القواد وما زال يجد ويجتهد حتى ملك مصر والشام والحرمين. بعدها مر كافور يوماً بصاحبه فرآه عند الطباخ يعمل في جد وقد بدا بحالة سيئة ، فالتفت كافور إلى أتباعه وقال: "لقد قعدت بهذا همته فكان ما ترون ، وطارت بي همتي فصرت كما ترون ، ولو جمعتني وإياه همة واحدة ، لجمعنا مصير واحد. هكذا أصحاب الهمم العالية! إن الإعاقة الحقيقية ليست في فقدان المرء ليديه أو رجليه. بل عندما يعوقه هواه عن الواجبات. أورد الخولي في قصصه الواقعية صـ 4:2 قصة هذه الشابة المعوّقة التي أصيبت في حادث أسفر عن شلل رباعي أقعدها في الفراش أكثر من 15 عاماً. لم تستسلم للإعاقة بل انطلقت في الدعوة من خلال البيت: تهدي الكتب وتستقبل وتدعو وتنصح وتنفق ، وتأخذ من الميسورين النقود والمعونات الأخرى لتعطيها للفقراء ، وتزوّج الشابات بالشباب الصالحين وتحل المشاكل الزوجية بالهاتف. فكانت معاقة ذات همة. فتاة لها همة عالية ، فبالرغم من إعاقتها ، لكن عقلها متدفق وقلبها حيٌ مؤمن. ففكرتْ أن تخدم الإسلام ببعض الأمور ، فوجدت بعض الأساليب والطرق التي تنفع بها دين الله عز وجل ، أو تنفع بها نفسها وتنشر دين الله عز وجل ، فاحتوى برنامج حياتها الإصلاحي على مجموعة من الأفكار التي قامت بها وحدها مستعينة بالله وحده: 1– فتحت بيتها لمن شاء ، من النساء أن يزورها ، أو حتى من الناس من محارمها أن يزوروها ليعتبروا بحالها الذي آلت إليه ، فتأتيها النساء ودارسات التحفيظ ، ثم تلقي عليهن محاضرة بصوتها المؤثر الذي يسبي القلوب.2– جعلت بيتها مستودعاً للمعونات العينية والمادية للأسر المحتاجة. فتقول زوجة أخيها: إن ساحة البيت الكبيرة لا أستطيع أن أسير فيها من كثرة المعونات الخاصة بالأسر الضعيفة فلقد تضاعفت المعونات عندها جداً.3– تجهز المسابقات على الكتب والأشرطة وتوزعها على الأسر المحتاجة مع المواد الغذائية ، ويقول أحد محارمها: إنني لا أستطيع أن أحضر المسابقات إلا عن طريقها. فسبحان الله الذي وفقها وهداها إلى كل هذا. 4– لا تدع منكراً من منكرات النساء إلا وتتصل على صاحبة المنكر ، وتنكر عليها حرصاً منها على الخير وأهله.5– تساعد في تزويج الشباب والشابات عن طريق الهاتف. (في سرية تامة لا يعلمها إلا المعنيون بالزواج). 6– تسهم في إصلاح ذات البين وفي حلول المشاكل الزوجية).هـ. إن مثل هذه المرأة بين نساء أمتنا في زماننا هذا ، حقيقة بمثلها ينصلح حال هذه الأمة لتأخذ مكانها اللائق بها ولتمسك مرة ثانية بزمام البشرية الضائعة إلى خير الدنيا (إقامة دين الله الحق في الأرض) وخير الآخرة (جنات تجري من تحتها الأنهار). أنشدت أقول:)

رعـــــاكِ الله صـــــاحبة الحجـــــالِ وخصـــــكِ بالرشـــــادِ والاعتـــــدالِ

وزادكِ عـــــزة وهـــــدىً وتقـــــوى لتقضـــــي العمـــــرَ طيبـــــة الفعـــــال

وأورثـــــكِ الجنـــــان مزينـــــاتٍ بمـــــا تحويـــــه مـــــن أزكـــــى اللآلـــــي

وقلـــــدكِ الأســـــاور لامعـــــاتٍ تُـــــزيّن مـــــن تحلـــــت بالجمـــــال

وبـــــارك فيـــــكِ صـــــاحبة الســـــجايا بمـــــا أنفقـــــتِ مـــــن جهـــــد ومـــــال

لقـــــد كانـــــت إعاقتـــــكِ انطلاقـــــاً لطاعـــــة مـــــن تفـــــرد بـــــالجلال

فمـــــا استســـــلمتِ يومـــــاً لابـــــتلاء ومـــــا صّـــــرحتِ: ذا فـــــوق احتمـــــالي

ولكـــــن كـــــان ذلـــــك بـــــاب خيـــــر يوصـــــل للمثوبـــــة والمعـــــالي

ونافـــــذة تـــــرين الحـــــق منهـــــا منوطـــــاً بـــــالتجرد والكمـــــال

ودربـــــاً للهدايـــــة والتســـــامي عـــــن العـــــادين مـــــن أهـــــل الشـــــمال

فكـــــم أهـــــديتِ مـــــن كتُـــــب ونصـــــح تحـــــض علـــــى عظيمـــــات الخـــــلال!

وكـــــم أســـــديتِ مـــــن وعـــــظ وعتـــــب يبشـــــر بالنجـــــاح والابتهـــــال!

وكـــــم أصـــــلحتِ مـــــن أحـــــوال قـــــوم ســـــعوا نحـــــو الرذيلـــــة والخبـــــال!

وكـــــم أجزلـــــتِ مـــــن خيـــــر وبـــــر فجنبـــــتِ الـــــورى ســـــوء الوبـــــال!

وكـــــم زوَّجـــــتِ يـــــا أختُ الأيـــــامى بـــــرغم الفقـــــر بالمـــــال الحـــــلال!

وكـــــم زللـــــتِ أعســـــر معضـــــلاتٍ وكـــــان الحـــــل أجوبـــــة الســـــؤال!

وكـــــم أفتيـــــتِ أقوامـــــاً حيـــــارى لوجـــــه الله ، لا وجـــــه النـــــوال!

وكـــــم ســـــاعدتِ أزواجـــــاً كِرامـــــاً بحـــــل المشـــــكلات بـــــلا انفعـــــال!

شـــــفاكِ الله مـــــن شـــــلل وعجـــــز وأقـــــدركِ المليـــــك علـــــى المحـــــال

اخرجي ولكن استأذني!

(الآية واضحة بشأن قرار المرأة فى بيتها (وقرن فى بيوتكن ...) ، والحديث واضح بشأن الخروج ولكن بشرط الاستئذان (وأنْ لا تخرج من بيته إلا بإذنه). والوعيد واضح: (أيما امرأة خرجت من بيتها دون إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع). أورد الخولى فى موسوعته (القصص الواقعية) صـ 413 قصة امرأة اعتادت الخروج من بيت زوجها دون إذنه. وألفت التبرج والسفور والعطور كذلك إلى أن طرقت كلمات إحدى الداعيات قلبها فتابت وأنابت بعد أن كانت متهاونة في الصلاة. أما زوجها فكثير السفر ، ولذا فإنها اعتادت على الخروج دائماً من المنزل بلا استئذان ، وحتى مع وجود زوجها تخرج بدون استئذان ، وكان إذا قدم من السفر يغضب إذا رأى خروجها وينصحها بعدم الخروج ، ويحثها كثيراً على تربية الأولاد. تقول هذه المرأة: لم أهتم كثيراً بما كان يقول ، وكنت أخرج بدون استئذان ، وكنت ألبس الملابس الفاخرة ، وأتعطر بأحسن العطور ، وسمعت ذات مرة أنه سيقام في منزل أحد الأقارب محاضرة لإحدى الداعيات ، فذهبت إلى حضورها حباً للاستطلاع. فتحدثت هذه المرأة الداعية الحكيمة عن بعض مخالفات النساء ، حتى أبكت الحاضرات. قالت هذه المرأة المتهاونة: فتأثرت بها وسألتها عن حُكم الخروج من البيت من غير إذن الزوج ، فبينت لي أن هذا حرام إلا بإذن الزوج ، وأرشدتني أن لا أتبرج ، وأن أحافظ جداً على نفسي. قالت: فلما قدم زوجى من السفر اعتذرت له وطلبت منه السماح والعفو ، واستأذنته للخروج مرة من المرات ، فقال: منذ متى وأنت تستأذنين مني؟! فقالت له هذا الخبر وهذه القصة ، فحمداً الله عزوجل على نعمة الهداية. والأصل أن المرأة في بيت أبيها لا تخرج إلا بإذنه بوصفه ولي أمرها والقائم عليها. فإذا تزوجت انتقلت القوامة والولاية إلى زوجها بالعقد عليها ، ويزداد الأمر صرامة عندما تنتقل إلى بيت زوجها بوصفها زوجة. فلا تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه ، لأن هذا من الحقوق المكفولة الواجبة لهذا الزوج والمنصوص عليها كتاباً وسُنة وإجماعاً. إن طاعتها لأبيها قبل زواجها طاعة واجبة ، وأما إذا تزوجت فالطاعة الواجبة صارت لزوجها ، وأما طاعتها لأبيها فأصبحت مستحبة. فبعد الزواج إن قال أبوها في أمر مباح شرعاً: (افعلي) ، بينما قال زوجها في ذات الأمر: (لا تفعلي) وجب عليها أن تطيع زوجها. ولقد قال الشافعية والحنابلة من أئمتنا: (ليس للزوجة الخروج لعيادة أبيها المريض إلا بإذن زوجها ، وله منعها من ذلك. وذلك لأن طاعة الزوج واجبة ، فلا يجوز ترك الواجب بما ليس بواجب). وقد ذكر الأحناف أنها إن خرجت من بيت زوجها دون إذنه فله أن يؤدّبها. ومن فتاوى اللجنة الدائمة أن المرأة لا يجوز أن تخرج من بيت زوجها إلا بإذنه سواء كان ذلك الخروج للمسجد أو لغيره. وبالطبع يستثنى من ذلك كله الخروج الاضطراري الذي ألجأتها الضرورة إليه إلجاء كأن تنهدم الدار أو يشب فيها حريق أو تصاب المرأة إصابة يستحيل انتظار إذن الزوج فيها ، فهنا يقاس الأمر على الضرورة التي إنما اشتقت أصلاً من الضرر. وكم من بيوت خربت وكم من نساء طلقن وكم من جرائم ارتكبت بسبب خروج الزوجات من بيوت الأزواج دون إذن الأزواج وهم حاضرون وبعيداً عن الضرورات! وكانت أمهاتنا يستأذن أزواجهن بالأمس. فما الذي تغير؟ هل تغير الشرع؟ بالطبع ، لا. هل تغيرت الأرض أو الزمن أو المعايير؟ أيضاً لا. إن المرأة هي التي تغيرت!)

كنـــتُ أولـــى بطـــاعتي واجتهـــادي كـــي أعـــد ـ للمنتهـــى ـ خيـــر زادِ

كـــي أنـــال مرضـــاة ربـــي وزوجـــي ... وفـــق شـــرع الـــرحمن رب العبـــاد

كـــي أعـــيش فضـــلى ، اســـتقامتْ فعـــزتْ ... وثـــوابي - يـــوم الجـــزا - فـــي ازديـــاد

كـــى أكـــون - للصـــالحات - منـــاراً ... يُهتـــدى بـــي فـــي الســـير نحـــو الرشـــاد

لكـــن الشـــيطان اســـتبد بقلبـــي ... وانتحـــى بـــي نحـــو الهـــوى والفســـاد

أزّنـــي بالوســـواس حتـــى دهـــاني ... بالنشـــوز لمّـــا اســـتثار عِنـــادي

فاستســـغتُ الخـــروج مـــن بيـــت زوجـــي ... دون إذن فـــي جـــرأةٍ واعتـــداد

واســـتبحتُ الســـفور بـــين البرايـــا ... واصـــطحبتُ العطـــور فـــي كـــل نـــاد

وارتضـــيتُ الأوضـــاع تُـــزري بعرضـــي ... واجتهـــدتُ فـــي الســـوء شـــر اجتهـــاد

وانحـــدرتُ - نحـــو التـــدني - اختيـــاراً ... واحتـــواني الإفـــلاس فـــي كـــل واد

والجميـــعُ حـــولي أقـــرّوا صـــنيعي ... وافتقـــدتُ النصـــحَ الجميـــل الهـــادي

ثـــم لاحـــت فـــي الأفـــق أختٌ حَصَـــان ... علّمتنـــى ديـــن الهُـــدى باتئـــاد

بكُليمـــاتٍ تأســـرُ القلـــبَ طوعـــاً ... ثـــم يبقـــى إشـــراقها فـــي الفـــؤاد

أرشـــدتني حتـــى بصـــرتُ بـــدربي ... ثـــم أصـــلحتُ منهجـــي واعتقـــادي

فاســـترحتُ مِـــن كـــل مـــا يعترينـــي ... مِـــن عـــذاب ينتـــابني وسُـــهاد

والتمســـتُ عفـــو المليـــك بـــدمع ... مســـتكين ينســـابُ مثـــلَ العِهـــاد

ذرفتـــه العينـــان فـــي جـــوف ليـــل ... بعـــد لأي جافـــاهُ طعـــمُ الرقـــاد

كنـــتُ أحـــرى أن أســـتجيب لربـــي ... باحتســـاب ، يتلـــوه حســـنُ انقيـــاد

ربّ فاقبـــل حيـــرى تعـــدتْ ، وتابـــتْ! ... واغفـــر الـــذنب قبـــل يـــوم التنـــاد!

نصرانية تسلم ، وزوجها المسلم غير راض!

(مَن مِنا لا يحلم بأن يهدي الله على يديه عبداً من عبيده أو أمة من إمائه؟ والحديث واضح (خير لك من الدنيا وما فيها – خير لك من حمر النعم - خير لك مما طلعت عليه الشمس). ولكن عندما تكون المسألة بالعكس ، فإنه شيئ مخجل مؤسف مبك ، صـ 412 أورد الخولي في (قصصه الواقعية) قصة الأمريكية التي أسلمتْ وزوجها يمزق حجابها ، ويضربها ضرباً مبرحاً أجرت بسببه ثلاث عمليات في العمود الفقري. ولما رفعت دعوة ضده تذكرت أنها ستقف أمام القاضي وقد يكون هناك كشف طبي فيرى الأطباء جسمها فسحبت الدعوة. وصبرتْ عليه وبقيت على دينها. وهذا الذي يدَّعى أنه مسلم ، طوال السنوات الثمان لم يحدثها عن دينه ولو مرة واحدة. وبعد مدة تقول: رأيت رؤيا في المنام سمعت فيها الأذان ، وبعد مدة تشاهد التلفاز فتجد المسلمين في شهر رمضان فى إحدى الدول وسمعت الأذان مرة أخرى ، رأت المسلمين فقط في شهر رمضان ، قد يكونون ذاهبين إلى المسجد أو يفطرون أمام الحرم ، وسمعت الأذان مرة أخرى فارتاحت كثيراً ، وبدأت تقرأ وتبحث عن الإسلام ، فأسلمت. ومن أسباب إسلامها ، سألت عن أمر زوجها فقيل لها: إنه مسلم كمثل هؤلاء الذين يصومون رمضان. تقول: عندما أسلمت تحجبت ، فتلقاها زوجها سيئ الخلق بالضرب والسب ، ومزق حجابها ، لأنه رجل دبلوماسي كما يقول ، وهي تُحرجُه كثيراً بين المسؤلين بهذا الحجاب. وازدادت معاملته سوءاً يوماً بعد يوم ، وكان يضربُها بشراسةٍ وحقدٍ ، حتى بقيت في المستشفى عدة أشهر تتعالج بسبب ضربه لها ، وعملت ثلاث عمليات في العمود الفقري! واستعملت كرسي العجلات سنة ونصفاً ، ووصل بهما الأمر إلى الطلاق في مرة من المرات. واستمرت هذه المرأة على دينها متمسكة بحجابها ، ولم يغير دينها هذا الرجل سيئ الخلق. كم يسعد المنصرون في أماكن كثيرة من العالم ، عندما يرتد مسلم عن دينه ويدخل في دينهم. وهذا شعورهم منذ فجر التاريخ وإلى قيام الساعة. ولكن فرحتهم تلك يجب أن تتضاءل إذا قورنت بفرحة المؤمنين بإسلام كتابي أو مجوسي أو مشرك الأرض. ذلك أنه يجب التفريق بين رحلة إنسان من الباطل إلى الحق وآخر له رحلة من الحق إلى الباطل المحض. ونؤمن ونعتقد ونجزم ونقطع بأن الحق والخير والعدل في الإسلام وحده. وصدق الله ربنا – عز وجل – إذ يقول في كتابه: (إن الدين عند الله الإسلام) ويقول تعالى: (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين). وأعود إلى هذه الأخت المباركة فأقول: هكذا حلاوة الإيمان إذا خالطت بشاشته قلب المؤمن الموحد القانت! إنها تصقله وتجعله يواجه التحديات والمستحيل. تلك الحلاوة التي لا يحس بها كثيرون اليوم من الذين ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من المعاصي والموبقات ، حتى وهنت حقيقة لا إله إلا الله في قلوب الكثيرين منهم. إن للمعاصي قتاماً في القلوب يجعلها لا تحس بحلاوة الإيمان ، ولا تستشعر صنيعه فيها إن هي تابت وأنابت وأخلصت دينها لله عز وجل. وإنني أناشدُ كل مبتلىً أنْ لا يجاهر بالمعاصي ، لأنه إن جاهر بها الناس استمرأها واستباحها ، وباتت عنده كالحلال المحض ، وأن لا يجعل الله تعالى أهون الناظرين إليه عندما يخلو إليه. وليعلم أن الله سائله عن كل شيء اقترفه. وأكتفي بهذا المقدار وأنشد عن هذه الأخت الموفقة المبتلاة أقول:)

قلبـــي يـــذوبُ ، وخـــاطري يتحـــرّقُ ويكـــادُ يخنقنـــي الـــبلاءُ المطبـــقُ

وتهزنـــــي ممـــــا أعـــــاين لوعـــــة ... تأســـــى لهـــــا نفـــــسٌ تحـــــنّ وتشـــــفق

وتـــــدك أعمـــــاقي المصـــــائبُ جمـــــة ... والـــــروحُ - مِـــــن كيـــــد الخلائـــــق - تشـــــهق

مـــــاذا جـــــرى للنـــــاس فـــــي هـــــذي الـــــدنا؟ ... إن الـــــذي هـــــم فيـــــه لـــــيس يُصـــــدّق

هـــــل أمســـــت الطاعـــــاتُ أمـــــراً يُـــــزدرى ... وعليـــــه جهـــــراً - فـــــي المـــــدائن - يُحنـــــق؟

حتـــــى نـــــرى زوجـــــاً يُعنـــــف زوجـــــه ... ويبيـــــتُ يضـــــربُها ، ويُصـــــبحُ يخنـــــق

ويُهينهـــــا ، ويســـــبُها ، ويَغيظهـــــا ... بـــــئس الحليـــــلُ! وخـــــاب ذاك المنطـــــق!

ألأنهـــــا ارتضـــــتِ الحجـــــابَ شـــــعيرة؟ ... هـــــذي لمَـــــا شـــــرع المليـــــكُ تطبّـــــق

هـــــل غيـــــرة الإنســـــان ماتـــــت يـــــا تـــــرى؟ ... أم أن عبـــــداً - للخنـــــا - يتشـــــوق؟

هـــــل شِـــــرعة الـــــرحمن فينـــــا بُـــــدّلت؟ ... أم أن عبـــــداً - فـــــي الـــــورى - يتفيهـــــق؟

هـــــل وازعُ الأخـــــلاق فـــــي النـــــاس انمحـــــى؟ ... أم أن عبـــــداً - للســـــفور - يصـــــفق؟

هـــــل سُـــــنة العـــــدنان أظلـــــم نورُهـــــا؟ ... أم أن عبـــــداً - بالشـــــعائر - يَشـــــرَق؟

أختـــــٌ - علـــــى الإســـــلام - يغبطهـــــا الـــــورى ... وقلـــــوبُهم - بثباتهـــــا - تتعلـــــق

أتصـــــدّها عـــــن دينهـــــا يـــــا مَـــــن غـــــدا ... بجهالـــــةٍ وصـــــفاقةٍ يتحـــــذلق؟

يـــــا هـــــذه الأخـــــت احلمـــــي ، وتصـــــبري ... هـــــذا الـــــذي أرجـــــوه ، وهْـــــو الأليـــــق

لا تنكئـــــي جُرحـــــاً يجـــــرّ لـــــكِ الشـــــقا ... إن العـــــدو - لمثـــــل ذا - يتشـــــوق

لا ، لـــــن يُضـــــيّعكِ المليـــــك ، فأحســـــني ... فلعـــــل زوجـــــاً قلبُـــــه يترفـــــق

وتحمّلـــــي منـــــه الـــــبلاءَ مُقنطـــــراً ... فلعـــــل ذنبـــــاً - مِـــــن كتابـــــكِ - يُمحـــــق

برئـــــتْ شـــــريعتنا مِـــــن الضـــــرب الـــــذي ... فـــــي ظلـــــه الأضـــــرارُ كـــــم تتحقـــــق!

واللهَ أســـــألُ أن يـــــديم مـــــودةً ... يـــــا أختُ بينكمـــــا تســـــودُ وتعبـــــق

مرحى بشهر الصوم

(يعدّد الأستاذ خالد بن عبد الرحمن الدرويش طرق استقبال رمضان ، فإذا هي عشرة نقتبسها منه بتصرف: (* الطريقة الأولى: الدعاء بأن يبلغك الله شهر رمضان وأنت في صحة وعافية ، حتى تنشط في عبادة الله تعالى ، من صيام وقيام وذكر ، فقد روي عن أنس بن مالك – رضي الله عنه – أنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل رجب قال: (اللهم بارك لنا في رجب وشعبان وبلغنا رمضان). (رواه أحمد والطبراني). فإذا أهل هلال رمضان فادع الله وقل: (الله أكبر اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والإسلام ، والتوفيق لما تحب وترضى ربي وربك الله). [رواه الترمذي ، والدارمي ، وصححه ابن حيان]. * الطريقة الثانية: الحمد والشكر على بلوغه ، قال النووي – رحمه الله – في كتاب الأذكار: (اعلم أنه يستحب لمن تجددت له نعمة ظاهرة ، أو اندفعت عنه نقمة ظاهرة أن يسجد شكراً لله تعالى ، أو يثني بما هو أهله). * الطريقة الثالثة: الفرح والابتهاج ، ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يبشر أصحابه بمجئ شهر رمضان فيقول: (جاءكم شهر رمضان ، شهر رمضان شهر مبارك كتب الله عليكم صيامه فيه تفتح أبواب الجنان وتغلق فيه أبواب الجحيم...الحديث. (أخرجه أحمد). * الطريقة الرابعة: العزم والتخطيط المسبق للاستفادة من رمضان ، الكثيرون من الناس وللأسف الشديد حتى الملتزمين بهذا الدين يخططون تخطيطاً دقيقاً لأمور الدنيا. * الطريقة الخامسة: عقد العزم الصادق على اغتنامه وعمارة أوقاته بالأعمال الصالحة ، {فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ}. * الطريقة السادسة: العلم والفقه بأحكام رمضان ، فيجب على المؤمن أن يعبد الله على علم ، ولا يعذر بجهل الفرائض التي فرضها الله على العباد ، {فَاسْأَلوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ}. * الطريقة السابعة: علينا أن نستقبله بالعزم على ترك الآثام والسيئات والتوبة الصادقة من جميع الذنوب ، والإقلاع عنها وعدم العودة إليها ، فهو شهر التوبة فمن لم يتب فيه فمتى يتوب؟" قال الله تعالى: {وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. * الطريقة الثامنة: التهيئة النفسية والروحية من خلال القراءة والاطلاع على الكتب والرسائل ، وسماع الأشرطة الإسلامية من {المحاضرات والدروس} التي تبين فضائل الصوم وأحكامه حتى تتهيأ النفس للطاعة فيه. * الطريقة التاسعة: الإعداد الجيد للدعوة إلى الله فيه ، من خلال: (تحضير بعض الكلمات والتوجيهات تحضيراً جيداً لتوعية الأسرة. - إعداد (هدية رمضان) للفقراء والمساكين. - التذكير بالفقراء والمساكين ، وبذل الصدقات والهبات والزكاة لهم). * الطريقة العاشرة والأخيرة: نستقبل رمضان بفتح صفحة بيضاء مشرقة مع: (أ- الله سبحانه وتعالى بالتوبة الصادقة. ب- الرسول صلى الله عليه وسلم بطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه وزجر. ج- مع الوالدين والأقارب ، والأرحام والزوجة والأولاد بالبر والصلة. د- مع المجتمع الذي نعيش فيه قال صلى الله عليه وسلم:(أفضل الناس أنفعهم للناس).هـ. والآن نحيي رمضان شعراً!)

يـــا شـــهر الصـــوم ألا أبشـــرْ ســـــيزولُ الباطـــلُ والمُنكـــرْ

وســـنحيا فـــى كنـــفِ التقـــوى وســـيغدو الجـــوهرُ كـــالمَظهر

سنصـــومُ الشـــهرَ ، ونكرمُـــه هـــو أفضـــل مِـــن كـــل الأشـــهر

ولســـــوف نقـــــومُ لياليَـــــه وســـــنرقدُ بعـــــدُ ، ونتســـــحر

وســـــنتلو القـــــرآن بصـــــوتٍ ونرتـــــلُ حينـــــاً ، ونحبِّـــــر

إن القـــــرآن لنـــــا نهـــــجٌ نســـــمو بهُـــــداه ونستبصـــــر

رمضـــــانُ مَجيئُـــــك موعـــــدُنا للســـــير علـــــى الـــــدرب الخيّـــــر

والتوبـــــة ممـــــا نفعلـــــه مِـــــن آثـــــام ليســـــت تُحصَـــــر

رمضـــــان شـــــدَدنا مِئزرنـــــا والحكمـــــة مِـــــن شـــــد المئـــــزر

أن نحيـــــا وفـــــق شـــــريعتنا ومِـــــن العمـــــل الصـــــالح نكثـــــر

رمضـــــانُ تأمـــــلْ عزمتنـــــا نرجـــــو سُـــــقيا نهـــــر الكـــــوثر

بيـــــد المختـــــار ، وفـــــي المـــــأوى أحلـــــى يـــــا صـــــاح مـــــن السُّـــــكر

وإذا جـــــاءت ليلـــــة قـــــدر قمناهـــــا ، والـــــدمعُ تحـــــدّر

نغتـــــنمُ الليلـــــة فـــــي ثقـــــةٍ مِـــــن صَـــــفح الله ، ونستبشـــــر

فالصـــــومُ لـــــه ، وبـــــه يَجـــــزي واللهُ يُوفـــــــــــقُ ويُيســـــــــــر

وخلـــــوفُ فـــــم الصـــــائم أنـــــدى مِـــــن ريـــــح المســـــك أو العنبـــــر

رمضـــــان ألا كـــــن جُنتنـــــا إذ يســـــــــــألنا اللهُ الأكبـــــــــــر

واشـــــهدْ يـــــا شـــــهر لنـــــا ، واشـــــفعْ إنـــــا نخشـــــى هـــــولَ المنظـــــر

يـــــا بـــــاب الريـــــان أجزنـــــا وادعُ الـــــرحمن لنـــــا ، واجـــــأر

كـــــم فرطنـــــا فـــــي طاعتـــــه! لكـــــنْ مازلنـــــا نســـــتغفر

إنـــــا نحتســـــب عِبادتنـــــا ونخـــــافُ الآخـــــرة ونحـــــذر

لكـــــن نرجـــــو رحمـــــة رب كـــــم يمحـــــو الـــــذنب! وكـــــم يغفـــــر!

جيرانٌ أم جدران؟

(أسرة منكوبة تعيسة ، كانت قد ابتليت بجيران هم إلى الجدران أقربُ منهم لما تحتوية لفظة جيران من معان. كانت الأم تعاني آلام المخاض ، فاتصلت بزوجها في عمله ليوصلها إلى مستشفى الولادة القريبة. وجاء زوجها وأخذها ، وأغلق باب شقته على أبنائه الستة الذين لا يتجاوز عمْرُ أكبرهم الثامنة من عمره. وتاركاً البناية ذات الطوابق الثمانية والشقق التي جاوزت الثلاثين. وأوصل زوجته للمستشفى. وفي طريق عودته بسيارته صدم سيارته أحد المتهورين ، فمات ذلك المسكين البائس في الحال ، مخلفاً أبناء ستة لا يعلم بحالهم وأوضاعهم أحدٌ من الأهل ، وزوجة في المستشفى يعلم الله بحال الجميع. ولمّا عادوا بالخبر إلى زوجته أغمي عليها لمدة أربعة أيام من وقع الصدمة. أما الأولاد فاستمرّ صراخهم ونحيبُهم وبكاؤهم وطرقهم للأبواب والنوافذ بالقدر الذي أقلق سكان البناية (الجدران) أقصد (الجيران). ولم يبادر أحد الجدران بالاستجابة وبالسؤال ولا بمد يد العون ، ولا حتى بالاستفسار والسؤال: لماذا هذا الطرق المزعج الذي يقوم به الأبناء؟! فماتوا من الجوع جميعاً ، وذلك في اليوم الرابع. ووضعت الأم وليدها لتستقبل الحياة ، وقد فقدت زوجها وأبناءها. فيا لله ما هذه الجيرة؟ وما هذا الجوار؟ وما هؤلاء الجيران؟ وقال بعض الجيران للمحقق في الحادث: لقد كنا نتأذى من بكائهم ونحيبهم حيث كان عالياً جداً ، بالقدر الذي أقضّ مضاجعنا ، وأذهب نومنا ، وأفقدنا متابعة الأفلام والتمثيليات والمباريات! إن الوصية بالجار جاءت في القرآن والسنة صريحة لا خفاء فيها. يقول الله تعالى: (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل). وروى أحمد من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم – قال: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره). وكذلك روى أحمد من حديث عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه). وروى الترمذي من حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال: (اتق المحارم تكن أعبد الناس ، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس ، وأحسن إلى جارك تكن مؤمناً). وفي (منهاج الصالحين) أشار البحيري إلى بعض آداب التعامل مع الجيران منها: (وصل الجار والإحسان إليه – عدم إيذائه – تحمل أذيته والصبر عليها – إعطاؤه إن كان محتاجاً – مواساته بما عنده – إكرام الجار الأقرب فالأقرب – أنْ لا يحقر الجار عن جاره شيئاً ولو يسيراً – أنْ لا يمنع الجار جاره من غرز خشبة له في الحائط – صيانة عِرضه وماله وعياله – نصحه وتوجيهه – عدم هجره – أن يحب الجار لجاره ما يحب لنفسه من الخير).هـ. ولقد أفرد البحيري – حفظه الله – باب الإحسان إلى الجار وذكر صور الإحسان تلك ومنها: (إن افتقر الجار فعلى جاره أن يغنيه – وإن استقرضه أقرضه – وإن أصابه خير هنأه – وإن أصابه شر عزاه – وإن مرض عاده – وإن مات شيع جنازته).هـ. إن تعاليم ديننا الحنيف - إن هي طبقت بين الناس - جديرة بأن تصنع اليوتوبيا أو المدينة الفاضلة ، كما يحلم بها المفكرون والفلاسفة. ولكن الناس يظلمون أنفسهم بحرمانها من نور الرسالة الربانية فلا تجد طريقها إلى النور ، أعني التطبيق في عالم الواقع. والحقيقة التي لا مرية فيها أن إساءة الجوار من عادات الجاهلية التي بعث الله نبيه – صلى الله عليه وسلم - لتغييرها ، ويتضح هذا من جواب جعفر

بن أبي طالب للنجاشي حين سأله عن هذا الدين الجديد ، فقال له جعفر: "أَيُّهَا الْمَلِكُ ، كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّة ، نَعْبُدُ الأَصْنَامَ وَنَأْكُلُ الْمَيْتَةَ وَنَأْتِي الْفَوَاحِشَ وَنَقْطَعُ الأَرْحَامَ وَنُسِيءُ الْجِوَارَ ، يَأْكُلُ الْقَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ ، فَكُنَّا عَلَى ذَلِكَ حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا ، نَعْرِفُ نَسَبَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعَفَافَهُ ، فَدَعَانَا إِلَى اللَّهِ ؛ لِنُوَحِّدَهُ وَنَعْبُدَهُ وَنَخْلَعَ مَا كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ دُونِهِ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالأَوْثَانِ ، وَأَمَرَنَا بِصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَالْكَفِّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالدِّمَاءِ ، وَنَهَانَا عَنِ الْفَوَاحِشِ وَقَوْلِ الزُّورِ وَأَكْلِ مَالَ الْيَتِيمِ وَقَذْفِ الْمُحْصَنَةِ ، وَأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا ، وَأَمَرَنَا بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالصِّيَام - فَعَدَّدَ عَلَيْهِ أُمُورَ الإِسْلام - فَصَدَّقْنَاهُ وَآمَنَّا بِهِ وَاتَّبَعْنَاهُ عَلَى مَا جَاءَ بِهِ ، فَعَبَدْنَا اللَّهَ وَحْدَهُ فَلَمْ نُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا ، وَحَرَّمْنَا مَا حَرَّمَ عَلَيْنَا ، وَأَحْلَلْنَا مَا أَحَلَّ لَنَا". (رواه أحمد). والآن هذي قصيدتي المتواضعة عن هؤلاء الجدران ، أعني الجيران!)

بكـــى الفـــؤادُ علـــى تمـــرّق القـــيمِ ... والـــــنفسُ آلمهـــــا ترهـــــلُ الشِـــــيَمِ

والقلـبُ يرثـي لمَـا - فـي النـاس - مِـن مِحـن ... إذ خلفـــــتهم بـــــلا عـــــزم ولا همـــــم

والـــروحُ تأســـى - علـــى المناقـــب - انتحـــرتْ ... وموتُهـــــا يجعـــــل الحيـــــاة كالعـــــدم

إن المـــــروءة أكســـــيرُ الحيـــــاة لنـــــا ... بهـــــا تقـــــاسُ قـــــدورُ النـــــاس والأمـــــم

شـــتان بـــين كِـــرام النـــاس ، دَيـــدنهم ... بـــذلٌ يُزكّيـــه مـــا أوتـــوه مِـــن كـــرم

وبـــين قـــوم إذا جـــادوا بكَـــوْا أسَـــفاً ... وجُنـــدلوا فـــي مـــرار البـــؤس والوضـــم!

وللمكـــــارم أقـــــوامٌ تضـــــيئ بهـــــم ... مثـــل اليواقيـــت فـــي حنـــادس الظلـــم

والجـــارُ أولـــى ببـــذل الجـــود مَكرمـــة ... بحُكـــم قـــرب الجـــوا مـــن أي ذي رحـــم

بـــه الوصـــية - فـــي الإســـلام - قـــد قرنـــتْ ... بـــالإرث فـــي نهجنـــا المبـــارك اللقـــم

مـــازال جبريـــل يوصـــي المصـــطفى رغبـــاً ... فبـــات ظـــن النبـــي المجتبـــى الهَشِـــم

بـــأن للجـــار - فـــي الميـــراث - حصـــته ... كأنـــه مـــن خصـــوص الأهـــل والحشـــم!

نعـــمَ الشـــريعة تُنبـــي عـــن مُشـــرّعها! ... ســـبحانَ ربـــي الحكـــيم الواحـــدِ الحكـــم!

وإن يســـئْ جارنـــا الجـــوارَ مُغتبطـــاً ... فـــلا نعنتـــهُ بســـيّيء الكلـــم!

وإن طغـــى وبغـــى فـــالوعظ أفضـــل مِـــنْ ... سَـــب وشـــتم وتجـــريح وســـفك دم

وعُقبةُ بنُ أبي معيطِ جيرته ... في السوء لم يستطع تصويرَها قلمي

أساء عمداً - بلا حق له أبداً - ... جوار خير عِباد الله كلهم

والمصطفى قابلَ الإيذاء مُحتمِلاً ... لظاه ليس له - في الاحتمال - سَمي

والصحبُ عاشوا على ما عاش أسوتهم ... ومَن يُطعْ أمره والله يستقم

ثم ابتلينا بجيران مساوئهم ... تُفضي إلى الضنك والآلام والغمم

في الخذل والسوء لا تلقى لهم مثلاً ... بئس الجوار على الأخلاق لم يقم!

لا يسألون عن الجيران ، تحسبُهم ... قوماً أصابَهمُ الخذلانُ بالبَكم

جدران هم يا ترى؟ أم يا ترى خُشُبُ ... باتت مسندة تأوي إلى الخيَم؟

جدران ما احتفلتْ بها مجاورة ... رغم التظاهر بالألقاب والسِيَم

جدران ما التزمتْ شرعاً يُبلغها ... جنان رب البرايا خير مغتنم

جدران ما احترمتْ أعرافَ ضيعتها ... وكيف يرعى السجايا غيرُ محترم؟

جدران ما استقتِ الأخلاق ترفعها ... والمرء يُرفع - بين الناس - بالقيم

جدران ترقبُ في سر وفي علن ... وهل تفيد الورى رقابة الصنم؟

ما قيمة الجار إذ يشقى الجوارُ به ... ويستهينُ - أمام الكل - بالحُرُم؟

إني أسفت لهذي الأسرة امتُحنتْ ... بالعائدات أتتْ سيلاً من العَرِم

إذ أسلم الروحَ – للديان - عائلها ... والأم تسبحُ في بحر من الألم

جنى عليها مصابُ الزوج ، فاستعرتْ ... حزناً ، وسربلها الإيلامُ عن رغم

فما استطاعت لما تلقى مواجهة ... وقلبُها - بالمصاب المستبين - رُمي

واستسلمتْ لقضاء الله راجية ... منه الثوابَ على تحمّل القُحَم

والوعيُ غاب ، فلم تذكر زراريها ... وليس جرحُ التي غابت بملتئم

فمَـــن ســـيطعمُ محبوســـين محتســـباً أجـــرَ التفضـــل عنـــد الـــرزاق الحكـــم؟

ومـــن ســـينقذ أيتامـــاً ويكـــرمهم؟ ومَـــن ســـينجدهم مـــن أخـــذة الـــنقم؟

ومـــن ســـيرحم مكلـــومين ســـربلهم جهـــدُ الـــبلاء؟ ألا رفقـــاً بمـــنكلم!

ومـــن ســـيكفلُ محـــزونين آلمهـــم فقْـــدُ الكفيـــلُ ، ويطفـــي كبـــة السُـــدم؟

ومـــن ســـيؤوي المســـاكينَ الألـــى جُرحـــوا ويســـتقل الـــذي يُزجيـــه مـــن نعـــم؟

ومـــن ســـيكلأ كلمـــى دمعُهـــا نهـــرٌ؟ أبـــئسْ بـــدمع - علـــى المحبـــوب - منســـجم!

والأهـــلُ أيـــن ، وهـــم بالحـــال مـــا علمـــوا؟ إذن ســـيبذلُ جيـــرانٌ ذوو قـــيم

هـــم الأقـــاربُ والأهلـــون أجمعُهـــم وجيـــرة الصِـــيد كـــم فيهـــا مـــن الـــرُّحُم!

أمـــا إذا أصـــبح الجيـــران فـــي شـــغل عـــن الجـــوار فـــذا مـــن أخطـــر الجـــرم

فيـــاؤهم أبـــدلتْ بالـــدال مُـــذ خـــذلوا والخـــذل يُـــزري بمـــن يســـعى علـــى قـــدم

بالخـــذل قـــد نســـجوا أكفـــان جيـــرتهم وقـــدموها إلـــى الأوضـــار والإزم

وحطمـــوا جـــارة بقتـــل عِترتهـــا وهـــا هـــي اليـــوم تزجـــي عَبـــرة النـــدم

الجـــار للجـــار - مهمـــا كـــان – يـــا جُـــذُرٌ كـــلُّ لصـــاحبه فـــي موئـــل الخـــدم

وخيـــر كـــلٍّ لأهـــل الحـــي مُـــدخرٌ وتلـــك أعظـــم مـــا فـــي الجـــار مِـــن شِـــيم

للجـــار - فـــي ديننـــا - حقـــوق جيرتـــه تســـمو بتطبيـــق بَـــر مســـلم فهـــم

والله يجـــزي الـــذي يُقـــيمُ شِـــرعته ويهـــزمُ الله حتمـــاً خـــائن الـــذمم

إن المليـــك لـــذو عفـــو يجـــودُ بـــه علـــى المطيعـــين أهـــل البـــذل والكـــرم

والله ذو عـــزةٍ علـــى مَـــن انحرفـــوا ســـبحان ربـــك مِـــن مُجـــز ومُنـــتقم!

ماتوا وعاش الخبر!

(لا يزال الفساد بأهله حتى يُدَنسهم في الدنيا والأخرة. وهذه سُنة الله في المفسدين (عذاب الدنيا بالأمراض والسمعة السيئة ، وعذاب الآخرة بالفضائح والنار) إن لم يتوبوا فيتوب الله عليهم. وهذي حفنة من الأوغاد الفسقة ، تعرفواعلى ساقطة أوقعتهم في شباكها ، الوغد تلو الآخر. وفي كل مرةٍ تقوم بالتقاط الصور والاحتفاظ بالأدلة المادية. وأخذتْ تحتال عليهم لانتهاب ثرواتهم ونيل كل ما تريد منهم. وهم فعلاً من أثرياء الناس ووجائهم ، مستغلة في ذلك جمالها. وعندما هددتهم بالأدلة والأشرطة أخذوا يفكرون في الخلاص منها. فقال أكثرهم إعجاباً بها وتولهاً بها ودلالاً عليها والذي عرفهم جميعاً عليها وأوقعهم في شِراكها: نقوم بتهديدها بذات السلاح فلنلتقط لها التصاوير والأشرطة. وساعدهم الشيطان ، فنجحوا في ذلك بذات المقدار الذي كانت عليه (سمر) تلك الساقطة المرذولة. وأخذت تهددهم وتتوعدهم ، فراحوا (يهددونها ويتوعدونها. وقام الشيطان بإغراء الرجال بها وبإغرائها بهم) وأشعل فتيل الخلاص ، فقرروا قتلها وذلك في ذات الوقت الذي قررت قتلهم. فقامت هذه الداعرة الساقطة باستشارة إحدى صويحابتها من أصحاب الكار. واستقر الرأي على (السم) ، كما استقر رأي الأوغاد السفلة على السم. والعجيب أن اختيار السم من كلا الطرفين كان الوسيلة للخلاص من الآخر! رغم أنه لا يمكن أن يكون اتفاق بين الطرفين بالطبع! فأحضرتْ لهم طعاماً شهياً تعرف أنهم جميعاً يحبونه ، ودسّت فيه السم ، وهم كذلك أحضروا لها العصير والخمر كالعادة ، ولكن هذه المرة كان العصير والخمر قد تسمما بدرجة مكثفة. وتواعد هؤلاء جميعاً معها على ليلة من الليالى الحمراء. وشربتْ عصيرهم ، وأكلوا طعامها! فكان الجميع على موعد مع الموت ، ومات الجميع ، حيث كان كل فريق يأمنُ الآخر ، وذلك ليتم مقدور الله تعالى. وبقي الخبر الذي تولت إبلاغة الساقطة التي أشارت عليها. فلقد حكتِ القصة في رسالة وأرسلتها إلى المحققين في الجريمة تلك ، وبالطبع لم تذكر اسمها حتى لا تصوب إليها أصابع الاتهام! فلم نصبح أمام جريمة كاملة خفي فيها الدليل! ولعل الله – سبحانه وتعالى – فعل بها وبهم ذلك حتى ينكشف الأمر وتنشر الفضيحة على رؤوس الأشهاد في الدنيا ، وتكون عِبرة لكل مروّج للفاحشة! ثم ينشرها الله على رؤوس الأشهاد فى الآخرة. إن كل جريمة في الأرض لا بد لها من ثغرة منها تعرَفُ الخبايا والخفايا ، ويتوصل من خلالها إلى الأسرار ، وتدرك الحقائق ، وهذه الثغرة أشبه ما تكون بالخيط الذي تجر منه الحقائق المتصلة بالجريمة حقيقة وراء أخرى. وتلك نهاية كل من يلعب بالنار عابثاً زاعماً أنه بمنجى عن الاحتراق. ولقد أملاهم الله عز وجل بما فيه الكفاية ، وأمهلهم بالقدْر الذي تتحقق به الموعظة وتوجد التوبة والإنابة ، ولكن القوم كانوا سادرين في الغي. والحقيقة المُرّة أن الشيطان قد زيّن لهم جميعاً سوء أعمالهم فرأوها حسنة. والأصل أنْ لا يتبع المسلم خطوات الشيطان لأنها الطريق إلى كل خطيئة وكارثة. وكلما ابتعد الناس عن القيم والأخلاق والمباديء ، كلما ذاقوا الويلاتِ تلو الويلات واحترقوا بالنار تلو النار. وليس أليق بأن يصلح الإنسان إلا دينُ الله عز وجل (ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير؟) والحقيقة الأكثر مرارة أن الفضيحة أطول عمراً من أصحابها ، وهذا الذي أردتُ إيصاله للقاريء من خلال هذه القصيدة ، التي أعنون لها برأيي في القصة أصلاً. فلقد رأينا كيف مات هؤلاء ، وكيف بقيت قصتهم تتناقلها الأجيال تلو الأجيال ، وتلوكها الألسن في كل مكان. وفي يوم الخميس 2 مارس

2017م ذكرت سكاي نيوز عربية - أبوظبي صوراً من الانتقام تقول ما نصه: (رغم أن الانتقام ليس طبعاً في جميع النساء ، إلا أن من المعروف جداً أنه أسهل الطرق التي تلجأ إليها المرأة المجروحة عاطفياً من قبل شريكها. ففي السعودية ، قامت زوجة بنشر مقطع لزوجها أثناء مغازلته وتحرشه بالخادمة على مواقع التواصل الاجتماعي ، ليشهد الجميع على خيانته. وأما في الكويت ، فقد طلبت زوجة تسكن مع زوجها ، الذي قرر الزواج بامرأة ثانية ، في عمارة من 3 طوابق ، تسجيل الدور السفلي من المنزل باسمها ، وهو الطلب الذي نفذه الرجل. وبعد حصولها الفعلي على الشقة ، طالبت بالطلاق وتزوجت برجل آخر ، مما جعل زوجها الأول يصاب بالهوس الاكتئابي ، حيث كان عليه أن يشاهد في كل مرة زوجته السابقة تدخل وتخرج من منزلها مع رجل آخر. وفي أستراليا أقدمت إحدى النساء على سكب زيت مغلي على وجه زوجها ، بعدما علمت بعودته لزوجته الأولى ، مما أدى إلى تشوهه بشكل دائم. وبعدما اكتشفت خيانة زوجها لها ، انتقمت زوجة بريطانية منه بطريقة غريبة ، إذ لم تصارحه ، بل قصدت شركة إعلانات وحجزت لوحة إعلانية كبيرة على الطريق التي يسلكها زوجها إلى العمل. وكتبت عليها "إلى زوجي الخائن بول: أنت وهي تستحقان بعضكما ، عندما تعود إلى البيت الليلة لن تجدني ، استمتع بطريقك إلى العمل". وانتقمت بريطانية من زوجها بغرابة ، فبينما قامت زوجة تقطن في إقليم كازامنس السينغالي بإحراق خيمة عرس زوجها ، بعدما وصلها نبأ زواجه عليها. وراح حوالي 50 شخصاً ضحية الحادث. وفي الصين عملت سيدة تسكن مدينة هانتغشو شرق الصين ، على رش مبيدات حشرية سامة في ملابس داخلية قدمتها إلى زوجها "الخائن" على أنها هدية. وأمضى الرجل أسبوعين في العناية المكثفة ، بعد أن تدهورت حالته الصحية).هـ. أنشدت من شعري أقول في هذا الصدد:)

نفـــقَ الأوغـــادُ ، واغتيلـــتْ (ســـمرْ) وفئـــــامُ النـــــاس تجتـــــرُّ الخبَـــــرْ

لعبـــتْ بالنـــــار يكـــــوي وهْجُهـــــا كـــــل نـــــار بَـــدْوُها بعـــضُ الشـــرر

غرّهـــــا إبلـــيسُ ، فانصـــاعتْ لـــــه واســـــــتجابتْ لتردّيـــــــه القـــــذِر

وتـــــدنتْ فـــــي ســـــراديب الهـــوى دون خـــــوفٍ أو حيـــــاءٍ أو حـــــذر

واســـتكانت للألـــى لـــم يرحمـــوا ضـــعفَ أنثـــى - لِرَداهـــا - تنحـــدر

وصِـــــباها يـــــانعٌ مســـــتعذبٌ يأســـرُ القلـــبَ ، ويغتـــالُ النظـــر

والجمـــالُ الغـــضُ فيهـــا يُشـــتهى غـــادة تســـبي أحاســـيسَ البشـــر

قـــدّها الميـــاسُ غصـــنٌ يـــانعٌ وجمـــالُ الوجـــه يُـــزري بـــالقمر

وبعينيهـــا تنـــاغي مَـــن رَنـــا ثـــم تكويـــهِ بأطيـــاف الحَـــوَر

سِـــــحرُ عينيهـــــا ألـــــيمٌ أخـــــذه فـــــإذا ألقتـــــه أودى بالبصـــــر

ولهـــــا صـــــوتٌ يُسَـــــلي ســـــامعاً! دنـــــدناتُ العـــــود مِـــــن خلـــــف الـــــوتر!

لكـــــنِ الغـــــادة هـــــذي فرّطـــــتْ واســـــتعانتْ - فـــــي التـــــدني - بـــــالزمَر

واســـــتباحتْ كـــــل مـــــا تصـــــبو لـــــه مـــــا اتقـــــت رب الأنـــــام المقتـــــدر

واســـــتهانت - بالبلايـــــا - حولهـــــا مثـــــلُ هـــــذي كيـــــف تصـــــغي للنـــــذر؟

صـــــحبتْ للشـــــر أشـــــقى خلـــــةٍ فلهـــــا - فـــــي كـــــل يـــــوم - مـــــؤتمر

وزوايـــــا البيـــــت ضـــــاقتْ بـــــالتي مـــــلأتْ - بالـــــدعر - أركـــــانَ الحُجَـــــر

ســـــلمتْ عِرضـــــاً ومـــــالاً والحِمـــــى لضـــــيوف البيـــــت والعِيـــــر الأخـــــر

أمتعـــــتهم كـــــي يُلبـــــوا مـــــا اشـــــتهتْ لـــــم تخـــــف – يـــــا ليـــــت شـــــعري - مِـــــن ســـــقر

كـــــل نـــــذل يبتغـــــي مرضـــــاتها هاذيـــــاً فـــــي الســـــر والنجـــــوى (ســـــمر)

وأحـــــاطتهم بموفـــــور العطـــــا مِـــــن نقـــــودٍ أو ثيـــــاب أو (غتـــــر)

بيـــــنهم تمشـــــي الهـــــوينى ، تنتشـــــي وحواليهـــــا أكاليـــــلُ الزهـــــر

تنثنـــــي تيهـــــاً ، وتزجـــــي أنسَـــــها لـــــم تكـــــن تخشـــــى - مِـــــن القـــــوم - الخطـــــر

ثـــــم خانوهـــــا ، ورامُـــــوا ضـــــرّها ومِـــــن الأوغـــــاد كـــــم يـــــأتي الضـــــرر!

فاستشـــــارتْ - للتحـــــدي - حيّـــــة تســـــتعيرُ الكيـــــدَ حتـــــى تنتصـــــر

وعلـــــى الســـــم اســـــتقرتْ خطـــــة كـــــى يبيـــــت الكـــــل فـــــي جـــــوفِ الحفـــــر

وإذا الشـــــورى دمـــــارٌ ماحِـــــلٌ مُعْقـــــبٌ - فـــــي الـــــدار - بركـــــانَ الغِيـــــر

أخضـــــراً لمّـــــا يـــــدعْ ، أو يابســـــاً بـــــل أبـــــاد الكـــــل ، حتـــــى والأثـــــر

بقيـــــتْ تغشـــــى الـــــورى أخبـــــارُهم إن فيهـــــا للجميـــــع المُعتبـــــر

مَـــــن يبـــــعْ دينـــــاً بـــــدنيا ينهـــــزمْ والـــــذي يغشـــــى الـــــدنايا ينحـــــدر

لستم على شيء

(أورد أستاذنا الدكتور/ عدنان النحوي تحليلاً كاملاً عن أهل الكتاب – اليوم – وذلك في كتابه القيم الفذ الفريد (حوار الأديان) صـ 117: 120، ونصه: (لو أخذتَ من المجتمع النصراني مجموعة لا على التعيين ، ثم سألت كلا منها أسئلة محددة بغية التعرف على حقيقة الفكر والعاطفة والاتجاه ، فماذا تتوقع ان تكون النتيجة؟! ولنأخذ أمثلة توضح الموضوع: أ – هل درست دينك دراسة واضحة وأصبحت تعرفه؟! والجواب البديهي في أغلب الحالات: لا! ولا أعرف عنه شيئاً. ب – هل تكره المسلمين وتود محاربتهم؟! وفي أغلب الحالات: نعم ، هذا إن استطاع أن يبوح بمكنونات صدره بصدق. ج – لماذا تكره المسلمين؟! الجواب فى أكثر الحالات: هكذا نحن تعلمنا في بيوتنا ومعاهدنا ووسائل إعلامنا المختلفة! د – هل درست الإسلام وعرفت هل يستحق أن يحارب أو أن يتبع؟! الجواب طبعاً: لا! فلا هو درس ولا هو يعرف! إن معظم الجمهور النصراني واليهودي لا يعرف حقيقة دينه. ولا يعرف الإسلام. ونشأ على كراهية الإسلام والمسلمين ، من خلال مناهج محدّدة يضعها المجرمون الكبار في أسلوب هاديء يبلغ هدفه. هذا بالنسبة للعامة من الناس. أما بالنسبة لأهل السلطة والنفوذ والمصالح المادية الكبرى ، فقد أعلنوا نظامهم العلماني الذي حصر الدين في الكنيسة وعزله تماماً عن شؤن الحياة التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وغيرها. ولا يلجؤون إلى الدين إلا ليكون عنصراً مخدّراً للعامة والجمهور ، أو مقدمة لتحريك جبهات التنصير وتمويلها ، لتعمل جبهات التنصير والشركات التجارية مقدمة للجيوش المعتدية الزاحفة. وهذا التاريخ خير شاهد: المجرمون الضالون في الأرض لا حاجة لهم إلى دين إلا باستغلاله ، ليؤمّن لهم مصالحهم المادية ، وليخدر الناس فيرضوا بما قسم لهم المجرمون من نصيب من غنائم الحياة الدنيا. تحولت النصرانية واليهودية عند المجرمين في الأرض إلى أداة لتحقيق مصالحهم ، وانتظمت على شكل اقتصادي رأسمالي أو اشتراكي ، وعلى شكل نظام حكم ديموقراطي ، مما لم يعد له أي علاقة برسالة عيسى علية السلام والنصارى واليهود ، منذ أن حرفوا التوراة والإنجيل. منذ أن تبنوا نظرية التثليث فى المجمع المنعقد في "نيقية" والمسمى بالمجمع المسكوني أو النيقاوي "والذى أصدر قراراً بعقيدة "نيسين سي" ، يتبنى الطبيعة الثلاثية المزعومة لعيسى عليه السلام ، وذلك سنة (325هـ). منذ ذلك الوقت ، وربما قبله بقليل لم تعد النصرانية هي الرسالة التي جاء بها عيسى عليه السلام ، ولا الدين دينه عليه السلام. لقد كان دين عيسى عليه السلام هو دين الإسلام. وأصبحت النصرانية واليهودية اليوم نظاماً علمانياً من حيث الفكر ، رأسمالياً أو اشتراكياً أو شيوعياً من حيث الاقتصاد ، ديموقراطياً أو أي شيء آخر من حيث السياسة والحكم وخلافهما. هذا النظام العِلماني اليوم تقوده قوى تدعي الانتماء إلى النصرانية أواليهودية ، ويحمل الهجمة الشرسة على العالم الإسلامي ، وعلى المسلمين في جميع ديارهم ، مع محاولات مكشوفه من التخدير والخداع والتضليل. هذا النظام العلماني الذي يقود العالم اليوم ، والذي يزحف فى الأرض بأسلحته المدمرة المهلكة ، والذي يملأ الأرض مجازر. هذا النظام العالمي العلماني هو الذي يحتمي في ظلاله النصارى واليهود اليوم ، ويجدون الحماية والرعاية الكاملة ، وهؤلاء النصارى واليهود الذين ينعمون بكل أسباب الحماية ، هم الذين يطلب بعض دعاة المسلمين اليوم أن نرفق بهم ، وننظر في عافيتهم ، وأن نعاملهم مثل المسلمين ، حتى ابتدع

بعضهم فرية كبيرة بقوله: لهم ما لنا وعليهم وما علينا ، تلك العبارة التي قالها الإسلام لمن آمن وأسلم ودخل فى دين الله ، ثم جاء اليوم من ينقلها لتشمل اليهود والنصارى والكافرين والمشركين! ما أعظمها من فرية على الله ورسوله ، وعلى دين الله! إذا كنا نمرّ بمرحلة من الضعف والهوان ، دفعت بعض المسلمين إلى الاستسلام أمام ضغط الأحداث وإلى تبني مبادئ لا يُقرّها الإسلام ، فلا يجوز أن نحمّل ذلك على فقه الإسلام وشرع الله! اليهود والنصارى اليوم نظام سياسي اقتصادي منبت الصلة عن رسالة موسى وعيسى عليهما السلام ، إلا من بعض الشعارات والشعائر التي حملتْ صورها وأشكالها من وثنية العصور الوسطى في أوروبا. ولم يعد لليهود ولا للنصارى رسالة يقدمونها للبشرية إلا محاولة السيطرة والعدوان محتمين بالسلاح المدمر الخالي من أي معنى إنساني. السبب كما نعتقد ، أنهم من خلال تجاربهم الطويلة مع الإسلام منذ أيام نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وصلوا إلى قناعة أنه لا سبيل لهم من الإسلام ، كي يقر لهم جشعاً وعدواناً وظلماً. لقد وصلوا إلى حلول وسط مع جميع الأفكار والمبادئ ، تنازلت فيه المبادئ مقابل مصالح دنيوية يتبادلها الأطراف المعنيون ، إلا الإسلام الذي أنزل على محمد (صلى الله صلى الله وسلم) ، والذي تعهد الله بحفظه ، هذا الإسلام لا يساوم ولا يتنازل ولا يهون أبداً. إنه شديد المِراس ثابت على الحق الذي قامت عليه السموات والأرض. من أجل ذلك ، أخذ هؤلاء يمكرون ويكيدون ليبلغوا مآربهم من حماية أطماعهم ومصالحهم المادية. إن هذه المصالح تمثل الوثن الذي يعبدونه من دون الله. فمن أجلها يخاصمون ، ومن أجلها يهادنون ، ومن أجلها يقاتلون. أحلوا القتال والحرب والتدمير من أجل هذه الأطماع والمصالح ، وحرمّوا على غيرهم الدفاع عن أرضه وشرفه وسموا ذلك إرهاباً. هذا اليهودي براك يعلن: (قوتنا العسكرية العظمى أهم من سلام العرب) الشرق الأوسط العدد (7762) الإثنين (23 ذو القعدة 1420هـ - 28 شباط 2000م السنة 23). ووزير خارجية فرنسا يصرّح وهو في فلسطين: (إن دفاع اللبنانيين عن بلادهم ضد الاحتلال اليهودى عمل إرهابى!) هذه هي رسالة النصرانية واليهودية اليوم: قوة عسكرية ، مصالح مادية ، لا حق لأحد أن يدافع عن حقه ضدهم! قوة عسكرية لا علاقة لها برسالة عيسى عليه السلام ولا برسالة موسى عليه السلام ، ولا برسالة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، ورسالة الأنبياء والمرسلين جميعا).هـ. إن فهم هذه الحقيقة ضروري لفهم الواقع ومعرفة التعامل معه بأسلوب حق. إنني عندما طالعتُ هذه الكلمات أعجبتُ بها ، وأوردتها في مقدمة قصيدتي ليس من باب حبي للدكتور عدنان النحوي – حفظه الله – فقط ، بل لحرصي البالغ على إثراء ما أكتبه وتدعيمه وتوثيقه بالدليل الصادق. إذ إنني لم أتخصص في علم الشريعة الإسلامية ، بل تخصصي الدراسي في اللغة الإنجليزية. فكان لزاماً عليّ في كل مرة أتحدث فيها عن الإسلام ، وأتناول قضاياه ، وأطيل النفس في الكتابة عنه أو أقصر ، أن أردّ الأمر إلى نصابه والقوس إلى باريها ، أو بالمعنى المصري الدارج (أعطي الخبز لخبازيه وإن أكلوا نصفه!) وهذا مشاهد ملموس محسوس مدروس في ديوان السليمانيات كله. حيث لم أشأ له أن يكون ديواناً يملأ الأرفف بحجمه الذي تجاوز المجلدات الثلاثة والعشرين! بل أردت له أن يحتوي على الحقائق المدعمة بدليلها لتبرأ ذمة صاحبه من القول على الله - سبحانه وتعالى – أو القول على رسوله – صلى الله عليه وسلم – بغير علم. إن الكتابة أمانة ومسؤولية ، خاصة إن كانت تخصصية مَحضة. فلأن يتسلم زمامُ أمورها المتخصصون أحرى وأولى وأجدر وأليق من أن يتسلمها سواهم من الذين يهرفون بما لا يعرفون. قال تعالى: (قل يا

أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين). جاء في تفسير القرطبي: (قال ابن عباس: جاء جماعة من اليهود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: ألست تقر أن التوراة حق من عند الله؟ قال: بلى. فقالوا: فإنا نؤمن بها ولا نؤمن بما عداها ، فنزلت الآية أي: لستم على شيء من الدين حتى تعلموا بما في الكتابين من الإيمان بمحمد عليه السلام ، والعمل بما يوجبه ذلك منهما وجوباً ، وقال أبو علي: ويجوز أن يكون ذلك قبل النسخ لهما. وأما قوله تعالى: (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) أي: يكفرون به فيزدادون كفراً على كفرهم ، والطغيان تجاوز الحد في الظلم والغلو فيه ، وذلك أن الظلم منه صغيرة ومنه كبيرة ، فمن تجاوز منزلة الصغيرة فقد طغى ، ومنه قوله تعالى: (كلا إن الإنسان ليطغى) أي: يتجاوز الحد في الخروج عن الحق).هـ. وأنشدت من شعري في ذلك على البحر المنسرح أقول:)

هـــل بالأضـــاليل الفـــذ يَعـــتصبُ؟ فـــأين ولـــى الـــذكاء واللبـــبُ؟

أهـــل الكتـــابيْن - اليـــوم - فـــي عَمَـــهٍ كـــم جـــادلتْهم - فـــي غـــيّهم – كتـــب!

وكـــم أزاح الـــدجى ذوو رشـــدٍ وجاهـــدوا المُبطلـــين ، واحتســـبوا

مـــا قصّـــر الأفـــذاذ الألـــى ســـحقوا هـــذي الأباطيـــلَ بعـــدما كتبـــوا

لكـــنْ أبـــانوا ســـبيل مَـــن رشـــدوا حتـــى يـــزول الضـــلالُ والحُجُـــب

يـــا أيهـــا الكفـــار الـــذين عَمُـــوا لســـتم علـــى شـــيئ! قيـــل: مـــا الســـبب؟

أقـــول قـــولاً درســـتُ صـــحته مِـــن أنّ آراءكـــم هـــي الكـــذب

كـــم تبغضـــون الإســـلامَ يـــا همـــجٌ شـــأن الألـــى - بالضـــغائن - اعتصـــبوا

وذاك تـــــاريخكم نطالعُـــــه حروفـــــه - بالســـــعير - تلتهـــــب

فكـــم أبـــدتم بـــدون مرحمـــةٍ! ومِـــن دِمانـــا الكفـــوفُ تختضـــب

وكـــم هـــدمتم بيـــوت عُزلنـــا! فالـــدُورُ - حقـــاً - أزالهـــا التبـــب

مِـــن أجـــل نـــص بـــدتْ مخارفـــه فيـــه الهـــوى والشـــكوكُ والريـــب

مـــن أجـــل مُطـــران كـــان ضـــللكم إذ أشـــعلتْ نيـــرانَ الأذى الخطـــب

مِـــن أجـــل حاخـــام قولـــه غلـــط وذات يـــوم لحقنـــا الغلـــب

جورج والعيد

(قرأتُ هذه القصة القصيرة الظريفة ، وأعجبتُ بها وبالفكرة الغامضة التي لم يُفصح عنها المؤلف إلا بعد أحداث طويلة فيها. جورج رجل أمريكى بدين الجسم عريض المنكبين تجاوز الخمسين من عمره ، ويتمتع بصحة جيدة وحيوية ونشاط ، يعيش فى بلدة صغيرة شمال مدينة واشنطن ، ورغم المغريات المادية فى المناطق الأخرى إلا أنه أحب بلدته المطلة على النهر ، وأصر على العيش فيها حيث يقضى نهاره فى عمله التجاري متنقلاً بين أطراف المدينة ، وإذا أمسى النهار عاد إلى دوحتة الصغيرة مستمتعاً بالهدوء والراحة مع زوجته وابنتيه وابن شاب تجاوز مرحلة الدراسة الثانوية وبدأ يخطط للالتحاق بالجامعة. ولمّا أقبل شهر ذي الحجة بدأ جورج وزوجته وأبناؤه يتابعون الإذاعات الإسلامية لمعرفة يوم دخول شهر ذي الحجة ، وتمنوْا أن يكون لديهم رقم هاتف سفارة إسلامية للاتصال بها لمعرفة يوم عرفة ويوم العيد فلقد أهمّهم الأمر وأصبح شغلهم الشاغل ، فتوخوْا أمر المتابعة ، فالزوج يستمع للإذاعة ، والزوجة تتابع القنوات الفضائية ، والابن يمسح المواقع الإسلامية في الإنتر نت. فرح جورج وهو يستمع الإذاعة لمتابعة إعلان دخول شهر ذي الحجة وقال: الإذاعة مسموعة بوضوح وخاصة في الليل. ولمّا تحدد يوم الوقفة ويوم العيد وتردد في الكون تكبير المسلمين في أرجاء المعمورة ، شمّر جورج عن ساعده ، وأحضر مبلغاً كان يدخره طوال عام كامل. وبعد الظهيرة من اليوم التالي قال: عليَّ أن أذهب الآن لأجد الخروف الحي الذي لا يتوفر سوى في السوق الكبير شرق المدينة. ساوم جورج على كبش متوسّط بمبلغ عال جداً ، ولما رأى أن المبلغ الذي في جيبه لا يكفي ، بحث عن أقرب صراف بنكي وسحب ما يكفي لشراء هذا الكبش. فهو يريد أن يذبح بيده ويطبق الشعائر الإسلامية في الأضحية . مسح جورج على الكبش وحمله بمعاونة أبنائه إلى سيارته الخاصة ، وبدأ ثغاء الخروف يرتفع وأخذت البنت الصغيرة ذات السنوات الخمس تردد معه الثغاء بصوتها العذب الجميل ، وقالت لوالدها: يا أبي ما أجمل عيد الأضحى! حيث ألعب مع الفتيات دون الأولاد ونضرب الدف وننشد الأناشيد. سوف أصلي معكم العيد ، وألبس فستاني الجديد ، وأضع عباءتي على رأسي ، يا أبي: في هذا العيد سوف أغطي وجهي كاملاً فلقد كبرت. آه ما أجمل عيد الأضحى! سنقطع لحم خروف العيد بأيدينا ، ونطعم جيراننا ، ونصل أرحامنا ، ونزور عمتي وبناتها! يا أبي ليت كل أيام السنة مثل يوم العيد. ظهرت السعادة على الجميع وهم يستمعون للعصفورة كما يسمونها. انفجرت أسارير الأب وهو يلقي نظرة سريعة على الخلف ليرى أن مواصفات الكبش مطابقة لمواصفات الأضحية الشرعية ، فليست عوراء ولا عرجاء ولا عجفاء ، ولما قرب من المنزل توقفت السيارة هتفت الزوجة. يا زوجي يا جورج علمتُ أن من شعائر الأضحية أن يقسّم الخروف إلى ثلاثة أثلاث: ثلث نتصدق به على الفقراء والمساكين ، وثلث نهديه إلى جيراننا ديفيد ، وإليزابيث ، ومونيكا ، والثلث الآخر نأكله لحماً طرياً ونجعله لطعامنا في أسابيع قادمة! ولمّا قرب الكبش إلى الذبح احتار جورج وزوجته أين اتجاه القبلة! وخمنوا أن اتجاه القبلة ناحية السعودية وهذا يكفي! أحدَّ جورج شفرته ، ووجه الخروف إلى القبلة وأراح ذبيحته ، بعدها بدأت الزوجة في تجهيز الأضحية ثلاث أثلاث حسب السُّنة! وكانت تعمل في عجل وسرعة ، فزوجها قد رفع صوته وبدا عليه الغضب وانتفخت أوداجه: هيا لنذهب إلى الكنيسة فاليوم يوم الأحد! وكان جورج لا يدع

الذهاب إلى الكنيسة ، بل ويحرص أن يصطحب زوجته وأبناءه معه. انتهى حديث المتحدث وهو يروي هذه القصة عن جورج! وسأله أحد الحضور: لقد حيرتنا بهذه القصة هل جورج مسلم أم ماذا؟! قال المتحدث: بل جورج وزوجته وأبناؤه كلهم نصارى كفار. بل لا يؤمنون بالله ولا برسوله ويزعمون بأن الله ثالث ثلاثة (تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً) ، ويكفرون بمحمد (صلى الله عليه وسلم) ، ويحادون الله ورسوله! كثر الهرجُ في المجلس ، وارتفعت الأصوات ، وأساء البعض الأدب وقال أحدهم: لا تكذب علينا يا أحمد ، فمن يصدق أن جورج وعائلته يفعلون ذلك! كانت العيون مصوّبة والألسن حادّة والضحكات متتابعة! حتى قال أعقلهم: إن ما ذكرت يا أحمد غير صحيح ، ولا نعتقد أن كافراً يقوم بشعائر الإسلام! ويتابع الإذاعة ، ويحرص على معرفة يوم العيد ويدفع من ماله ، ويقسم الأضحية....و....! وهنا بدأ المتحدث يدافع عن نفسه ويرد التهم الموجهة إليه! وقال بتعجب: يا أحبابي ، لماذا لا تصدقون قصتي؟ لماذا لا تعتقدون بوجود مثل هذا الفعل من كافر؟! أليس هنا عبد الله وعبد الرحمن وخديجة وعائشة يحتفلون بأعياد الكفار! فلماذا لا يحتفل الكفار بأعيادنا؟! لم العجب؟ الواقع يثبت أن ذلك ممكن ، بل وواقعٌ نلمسه. أليس البعض يجمع الورود لعيد الحب ويحتفل آخرون هنا برأس السنة وبعيد الميلاد وعيد... وعيد...وكلها أعياد كفار! لماذا يُستكثر على جورج هذا التصرف ولا يُستكثر على أبنائنا وبناتنا مثل هذا؟! إذا كنتم تتعجبون من فعل جورج فأنا أتعجب من فعل أبناء وبنات التوحيد ، كيف تكون حال التبعية والانهزام لديهم! ولما ارتفت الأصوات وتسابقت السهام نحو أحمد قال: أنصتوا إليَّ هذه المرة لأروي لكم قصة لا تكذبونني فيها: (هذه عائشة ابنة هذا البلد من أسماها والدها باسم أم المؤمنين عائشة ـ رضى الله عنها ـ زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لما علمت بعيد اسمه عيد الحب وهو عيد من أعياد الرومان الوثنيين. يحتفل به الكفار كل عام ويتبادلون فيه الورود وهو يوم فساد وموطن إباحية! فكتبتُ هذه القصيدة مبيناً ما عليه جورج وأهل ملته من الكيد والاستهجان للإسلام وأهله ، وأنهم لا يقلدون المسلمين عن عقيدة في ذوات أنفسهم أنهم الأعلى والأصح ، وأن من عداهم من الأمم خاصة المسلمين هم الدون. بل المسلمون كفار عندهم! لأن المسلمين لا يؤمنون بأن عيسى ابن الله ولا أن الله ثالث ثلاثة ولا أن اليهود صلبوا المسيح ولا أن الله ضحى بابنه من أجلنا! تعالى الله سبحانه عن ذلك الكفر والإلحاد علواً كبيرا! ولا يعتقد المسلمون في ألوهية المسيح ولا التثليث: مع أن النصرانية كان أصل اعتقادها هو دين الإسلام حيث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (الأنبياء إخوة لعلات ، أمهاتهم ودينهم واحد) ، لكنه بعد ضياع الإنجيل الحق استقرت أصول وأسس عقائد النصرانية على ما يلي: (* الإله: الإيمان بالله الواحد الأب مالك كل شيء ، وصانع ما يرى وما لا يرى. * المسيح: أن ابنه الوحيد يسوع المسيح بكر الخلائق ولد من أبيه قبل العوالم ، وليس بمصنوع (تعالى الله عن كفرهم علواً كبيراً)! ومنهم من يعتقد أنه هو الله نفسه ـ سبحانه وتعالى عن إفكهم ـ. * روح القدس: وإن روح القدس الذي حل في مريم لدى البشارة ، وعلى المسيح في العماد على صورة حمامة ، وعلى الرسل من بعد صعود المسيح ، الذي لا يزال موجوداً ، وينزل على الأباء والقديسين بالكنيسة يرشدهم ويعلمهم ويحل عليهم المواهب ، ليس إلا روح الله وحياته إله حق من إله حق. * الأقانيم: ولذلك يؤمنون بالأقانيم الثلاثة: الأب ، الابن ، الروح القدس ، بما يسمونه في زعمهم وحدانية في تثليث وتثليث في وحدانية. وعلى هذا فالله عندهم ثالث ثلاثة! * الصلب والفداء: المسيح في نظرهم مات مصلوباً فداءً عن الخليقة لشدة حب الله للبشر ولعدالته

فهو وحيد لله - تعالى الله عن كفرهم - الذي أرسله ليخلص العالم من إثم خطيئة أبيهم آدم وخطاياهم وأنه دفن بعد صلبه وقام بعد ثلاثة أيام متغلباً على الموت ليرتفع إلى السماء. * الدينونة والحساب: يعتقدون بأن الحساب في الآخرة سيكون موكولاً للمسيح عيسى ابن مريم الجالس - في زعمهم - على يمين الرب في السماء. * مريم البتول: يعتقد النصارى على ما أضيف في قانون الإيمان أن مريم ابنة عمران والدة المسيح ، هي والدة الإله).هـ. فأنشدتُ من البسيط أقول:)

(جـــورجٌ) لـــه ضـــللٌ ، إليـــه ينتســـبُ ... وعنـــه يـــدفعُ مَـــن عـــابوا ، ويحتـــربُ

ولا يُفـــرِّط فـــي زيـــفٍ يـــدينُ بـــه ... ولا يُخـــــامرُه شـــــكٌ ولا ريَـــــب

يُحـــبُ باطلـــه حبـــاً يتيـــهُ بـــه ... بـــين الأنـــام ، أمـــا - فـــي عقلـــه - لبـــب؟

عقيـــدة رســـختْ فـــي قلـــب صـــاحبها ... وفـــي البيوتـــات - عـــن تضـــليلها - كتـــب

بهـــا تمسّـــك أهلوهـــا ، فمـــا رشـــدوا ... واســـتعذبوها ، وبالخرافـــة اختضـــبوا

مـــا قلـــدوا غيـــرَهم فيمـــا يـــدين بـــه ... لكـــنهم حـــاربوا التقليـــد ، واجتنبـــوا

بـــل نـــاوأوا أممـــاً تُبـــدِي مســـاوئهم ... ومـــا اســـتكانوا ، ومـــا كَلـــوا ، ومـــا نصـــبوا

فكيـــف قلـــد أهـــلُ السِـــلم مَـــن كفـــروا ... فـــي كـــل مـــا كرهـــوا ، وكـــل مـــا رغبـــوا؟

فـــي لبســـةٍ يمقـــتُ الحيـــاءُ مَنظرَهـــا ... إذ مـــا بهـــا قـــيمٌ - كـــلا - ولا أدب

فـــي شـــبه عُـــري غـــزا النســـاءَ قاطبـــة ... هـــل صـــار للعُـــرْي - فـــي الحواضـــر - الغلـــب؟

حتـــى بعِيـــدٍ لهـــم فَســـاقنا احتفلـــوا ... فـــيم التخاصـــمُ والإنكـــارُ والعَجَـــب؟

عـــارٌ علـــى عُصـــبة لهـــا مبادئهـــا ... وللحنيفيـــة الســـمحاء تنتســـب

أن تســـتجيب لأهـــواء الألـــى فســـقوا ... حتـــى غـــدا الحـــق - فـــي الأصـــقاع - يَضـــطرب

يـــا ليتنـــا نـــدرك الـــدروسَ لقنهـــا ... مستشـــرقٌ حـــذرٌ فـــي دسّـــه حَـــرِب

واليـــومَ (جـــورجٌ) يُـــداجينا بحِنكتـــه ... إذ لا يقلـــد مَـــن لشـــرعه طربـــوا

شـــتان بـــين فتـــىً يحيـــا لمِلتـــه ... وبـــين غِـــر - إلـــى الأهـــواء - ينقلـــب!

أنت جنتي

(مهما كتب شاعرٌ ما قصائد يهديها لزوجته التي أحبها في الله ، وتزوّجها على كِتاب الله وسُنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – فإنني أراه مقصراً في حقها جداً. لأنها تستحق منه الكثير ، خاصة إن كانت صاحبة تصوّر وعقيدة بكل ما تعنيه الكلمة من معان ، وبكل ما تحتويه من مفاهيم. والحقيقة أنني كتبت لأم أولادي أم عبد الله ، أطول ثاني قصيدة في جُملة ما كتبت ، والتي بلغ عدد أبياتها (650بيتاً من الكامل وقافية اللام). وإن دل ذلك على شئ فإنما يدل على فرط الحب في الله – عز وجل -. وكان عنوان هذه القصيدة (لوعة الرحيل) ، أنشدتها عندما فارقتني في غربتي لأول مرة في صيف 1995م ، وكان عمري آنذاك (32 سنة). ومن حقها أن تفاخر الآخرين والأخريات بهذه المعلقة التي تأتي في غير زمان المعلقات (على حدّ تعبير شاعرنا الفذ الكبير والناقد الأدبي العملاق الأستاذ / سالم النوبي). تفاخر بها لأنها أفضل من الأقرطة والعقود والأساور والجواهر والقلائد ، تلك التي يستطيع شراءها أغلبُ الميسورين متى توفر المال. في حين أن هذا الأغلب لا يستطيع قراءة بيت من أبيات (لوعة الرحيل) فضلاً عن تأليفه! تفاخر بها عندما تعايرها الجاهلياتُ بالثعابين والقلائد الذهبية! كما كان القرشيون يفاخرون بهبل وباللات والعزى في بدر فيقولون: (اعلُ هبل! العزى لنا ولا عزى لكم!) فيقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لأصحابه أجيبوهم! فيقولون وهم الشعراء النحارير والخطباء المغاوير احتقاراً لشخصياتهم وملكاتهم وحظوظ أنفسهم أمام رسولهم: (ماذا نقول يا رسول الله؟) فيقول لهم – صلى الله عليه وسلم -: (قولوا: الله أعلى وأجل ، الله مولانا ولا مولى لكم!) واليوم أكتب هذي القصيدة المتناغمة لزوجتي لأعبر بها عن خالص حبي وتقديري. وجعلتها هذه المرة على البحر العروضي المتدارك وقافية اللام. وسبق لي وأن أهديتها وأولادها جُل شعري غير نادم على ذلك. وكانت مناسبة هذه القصيدة العذبة جملة من الخلافات رانت على علاقتنا الوطيدة ، وكادت أن تودي بها لولا لطف الله تعالى. وحقاً الخلاف بين الخلائق وخصوصاً الأزواج سُنة لا تتبدل ولا تتخلف أبداً. ولو كان بيت ما من بيوت المسلمين يخلو من الخلاف لخلا من قبل بيت النبي – محمد - صلى الله عليه وسلم – ومن هنا رحتُ أبيّن لزوجتي مدى مكانتها عندي ، وذلك من باب: من أحب أخاً له في الله فليعلمه!)

ألا يـــــا زوجتـــــي الفضـــــلى ... وبهجـــــة خـــــاطري المُثلـــــى

رعـــــاكِ الله مُؤنســـــتي ... وطيّـــــب ذاتـــــك الخجلـــــى

أحِبـــــك أنـــــتِ مُرشـــــدتي ... لنيـــــل المَطمـــــح الأعلـــــى

فكـــــم ألهمـــــتِ ذاكرتـــــي ... بحُســـــن القـــــول يـــــا فضـــــلى!

علمتـــــكِ خيـــــرَ صـــــادقةٍ ... تحِـــــب الصـــــدقَ والعـــــدلا

وتنصـــــحُ أهـــــل شِـــــرعتها ... وفـــــيهم تنشـــــرُ الفضـــــلا

أراكِ - اليـــــــــومَ - عالمـــــــــة تصـــــــدّ الحمـــــــقَ والجهـــــــلا

وتـــــــدعو كـــــــل شـــــــاردةٍ إلـــــــى مـــــــا ينفـــــــعُ العقـــــــلا

أحبـــــــكِ أنـــــــتِ مُلهمتـــــــي وقلبـــــــي فيـــــــكِ كـــــــم أبلـــــــى!

أحـــــــبُ لأجلـــــــكِ الـــــــدنيا فأنـــــــت - مِـــــــن الـــــــدنا - أغلـــــــى

أحبـــــــكِ يـــــــا معلمتـــــــي طباعـــــــاً سَـــــــمتُها الأحلـــــــى

كـــــــأني (قـــــــيسُ) إذ طلعـــــــتْ لـــــــه - فـــــــي دُلجـــــــةٍ - (ليلـــــــى)!

وكـــــــم باهيـــــــتُ مُحتســـــــباً بـــــــزوج تُســـــــعد الـــــــبعلا

وتمـــــــلأ عيشـــــــه مرحـــــــاً وتبـــــــذلُ خيرَهـــــــا بـــــــذلا

أحبـــــــكِ زوجـــــــة رضـــــــيتْ بـــــــزوج زادهـــــــا شـــــــغلا

وتسترضـــــــي أقاربـــــــه وإن هـــــــم أتقنـــــــوا الخـــــــذلا

أحبـــــــكِ أنـــــــتِ مؤمنـــــــة توحّـــــــدُ ربهـــــــا الأعلـــــــى

وتبلـــــــي فـــــــي مصـــــــيبتها بـــــــلاءَ المـــــــرأة الثكلـــــــى

أحـــــــب عبـــــــاءة ســـــــترتْ حبيبـــــــة قلبـــــــيَ النجلـــــــى

لأن حجابـــــــكِ الأســـــــمى يُحيّـــــــي الـــــــدينَ والأصـــــــلا

أحـــــــب الـــــــدارَ كنـــــــتِ بهـــــــا لقلبـــــــي الـــــــزوجَ والأهـــــــلا

أحـــــــب الأرضَ أنـــــــتِ بهـــــــا وإن تـــــــكُ صفصـــــــفاً ســـــــهلا

حمـــــــاكِ اللهُ مِـــــــن عـــــــين تصـــــــيبكِ رمحُهـــــــا العجلـــــــى

فإنـــــــك جنـــــــة الـــــــدنيا تســـــــرّ الـــــــزوجَ والطفـــــــلا

مجلة (فصول) – العدد 275 ص 44

ألبوم (النور المبين) للمنشد الإماراتي الكريم / إبراهيم الهاجري

طالبات أم القرى (رأس الخيمة)

(أنشدتُ هذا النشيد حكاية على ألسنة طالبات مدرسة أم القرى في رأس الخيمة ، إشادة بالمستوى التعليمي الرائع الذي بدت عليه بعض الطالبات وخاصة في مسابقة القرآن الكريم في الحفل الختامى البهيج الذي أقيم في نهاية العام. وإنها لفرحة عظمى أن تتفوق الطالبات المحتشمات في مسابقة القرآن الكريم ومسابقة الحديث النبوي الشريف عن الأولاد. ويفزن بالجوائز الثمينة ويحققن المراكز الأولى في التميز والتفوق معاً. عن ابن عمر رضي اللهُ عنهما ، عن النَّبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: (لاَ حَسَدَ إِلاَّ في اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً ، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ). متفقٌ عَلَيْهِ. وتلاوته سبب للرفعة في الدنيا والآخرة: فعن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: أنَّ النبيَّ - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ: (إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أقْوَاماً وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ). رواه مسلم. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله أوصني. قال: «عليك بتقوى الله ؛ فإنه رأس الأمرِ كلِّه». قلت: يا رسول الله زدني. قال: «عليك بتلاوة القرآن ؛ فإنه نور لك في الأرض ، وذخر لك في السماء ». رواه ابن حبان. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: "ضمن الله لمن اتبع القرآن ألا يضل في الدنيا ولا يشقي في الآخرة ثم تلا: فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقي}. [أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف]. فأخذني جلالُ الموقف فأنشدتُ أحكي على لسان إحدى الطالبات المتميزات المتفوقات في مدرسة أم القرى برأس الخيمة ، وتخيلتها تصف أسلوبها في الاجتهاد فتقول:)

ضـــــاعفتُ جهـــــودي والعَمَـــــلا ... وببـــــــذلي حققـــــــتُ الأمَـــــــلا

ذاكـــــــرتُ صـــــــباحاً ومســـــــاءً ... وســـــلكتُ - إلـــــى العِلـــــم - السُـــــبلا

وســـــهرتُ الليـــــلَ بـــــلا تعـــــب ... وهجـــــــرتُ نعاســـــــي والكســـــــلا

وعملـــــــتُ بنصـــــــح مُعلمتـــــــي ... فطرحـــــــتُ - مِـــــن القلـــــب - المَلـــــلا

وقـــــــرأتُ القـــــــرآنَ كثيـــــــراً ... كـــــــي أصـــــــلحَ قـــــــولي والعَمَـــــــلا

وكتبـــــــتُ بـــــــأقلامٍ شـــــــتى ... وأطلـــــــــتُ نقاشـــــــي والجـــــــدلا

لأزوّدَ صـــــــــاحبتي دَوْمـــــــــاً ... بـــــــالعلم لكـــــي تصـــــبحَ فضـــــلى

وشـــــكرتُ - لأمـــــي - تشـــــجيعاً ... بثتـــــه ، فـــــذي مَثلـــــي الأعلـــــى

وشـــــكرتُ أبـــــي أنْ أدّبنـــــي ... وسَـــــما بـــــي مِـــــن أنْ أبتـــــذلا

وحمـــــدتُ الله علـــــى فـــــوز ... ونجـــــاح قـــــدّره المـــــولى

طالبات أم القرى (أم القيوين)

(مدرسة أم القرى احتوت طالباتٍ متفوقاتٍ ومعلماتٍ مُخلصات فضليات ، ولذا أنشدتُ هذه التحية الشعرية للمدرسة وبناتها في مدرسة أم القرى بأم القيوين! حيث درّستُ الإنجليزية فيها من 1996م : 2008م. عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في الصفة فقال: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلَا قَطْعِ رَحِمٍ»؟ فقلنا: يا رسول الله كلنا نحب ذلك. قال: «أَفَلَا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ ، وَثَلَاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلَاثٍ ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنْ الْإِبِلِ». رواه مسلم. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه فيما بينهم إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة ، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده». رواه مسلم. وثبت في الصحيحين أنّ النبي صلى الله عليه وسلم لما قال لأبي :«إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ». قَالَ أبيٌّ: آللَّهُ سَمَّانِي لَكَ؟ قَالَ: «اللَّهُ سَمَّاكَ لِي». قَالَ: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي. وهناك في الحفل الختامي الذي شاركت فيه بعض طالبات المدرسة المسلمات المحترمات ببعض الأناشيد الحُدائية عن الأقصى وبيت المقدس ، رحتُ أشيد بالأداء المحتشم المحترم الوضيئ وبالكلمات الجميلة ورحتُ أحيّي هؤلاء الطالبات المجتهدات الواعيات فأنشدتُ أقول:)

لـــــكِ الفخـــــرُ (أمَ القـــــرى) بمـــــن قـــــد بلغـــــن الـــــذرى

بنـــــاتٌ تـــــبعن الهُـــــدى وبـــــالعِلم فقـــــن الـــــورى

علـــــى سُـــــنة المصـــــطفى جعلـــــن التقـــــى جـــــوهرا

وحققـــــن مـــــا يُرتجـــــى بفـــــوز يُعِـــــز القـــــرى

نجـــــاحٌ ســـــعِدنا بـــــه وأحـــــرى بـــــأنْ نفخـــــرا

نبـــــاهي بغاداتنـــــا بشِـــــعرٍ غـــــدا نيّـــــرا

ففـــــي كـــــل بيـــــتٍ ســـــناً يـــــذرّ الضـــــيا عنبـــــرا

يُحَيّـــــي جموعـــــاً أتـــــت تخِـــــذن اللقـــــا مِنبـــــرا

وأنشـــــدن أحلـــــى صـــــدىً وذِعـــــن النـــــدى المُثمـــــرا

ألا بـــــارك الله فـــــي أزاهيـــــرِ (أم القُـــــرى)

ذلك ما كنا نبغ منذ اليوم

(أورد صاحب تذكرة الحفاظ (160/1) وكذلك صاحب وفيات الأعيان(2 / 511) ما نصه: (ورد أن أبا جعفر المنصور استدعى طاووساً - أحد علماء عصره – ومعه مالك بن أنس – رحمه الله تعالى - فلما دخلا عليه ، أطرق ساعة ثم التفت إلى طاووس وقال له: حدثني عن أبيك. فقال: حدثني أبي أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "أشد الناس عذاباً يوم القيامة رجلٌ أشركه الله في حُكمه فأدخل عليه الجور في عدله". فأمسك ساعة. قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه ، ثم التفت إليه أبو جعفر وقال: عِظني يا طاووس. قال: نعم يا أمير المؤمنين ، إن الله سبحانه وتعالى يقول: (ألم تر كيف فعل ربك بعاد ، إرم ذات العماد ، التي لم يُخلق مثلها في البلاد ، وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ، وفرعون ذي الأوتاد ، الذين طغوا في البلاد ، فأكثروا فيها الفساد ، فصب عليهم ربك سوط عذاب ، إن ربك لبالمرصاد). قال مالك: فضممت ثيابي مخافة أن يملأني من دمه. فأمسك عنه ثم قال: ناولني الدواة ، فأمسك ساعة ، ثم قال: يا طاووس ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه. فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ فقال: أخشى أن تكتب بها معصية لله ، فأكون شريكك فيها! فلما سمع ذلك قال: قوما عني. قال طاووس: ذلك ما كنا نبغ منذ اليوم. قال مالك: فما زلت أعرف لطاووس فضله. وهذا الموقف بين أبي جعفر المنصور وطاووس مشهور للغاية ، وله دلالته على نزاهة العلماء الأتقياء وشجاعتهم. وربما يقول قائل: هؤلاء هم علماء أمتنا بالأمس! وأنا أقول: وجد من علماء أمتنا اليوم من يفعل الشيء ذاته! فلقد كانت للشيخ جاد الحق مواقف مشرفة في العديد من القضايا: منها: أنه تمسك بموقف مؤتمر علماء المسلمين الذي عقد بالأزهر ، وأفتي بأن فوائد البنوك من الربا المحرم ، وطالب بإلحاح بالعودة الى مباديء الاقتصاد الاسلامي. كما رفض قرار الكونجرس الأمريكي بنقل السفارة الأمريكية إلى القدس ، وطالب أمريكا بمواقف عادلة تجاه العرب واسرائيل ، وأكد أن القدس اسلامية. وهذا هو الخضر الحسين شيخ الأزهر ، عندما كانت للأزهر مكانة وقوة. عندما تولى محمد نجيب الثورة في مصر ، قام وقال: سنساوي الرجل بالمرأة. فما الذي حدث؟ اتصل به الخضر حسين وقال له: اسمع إما أن ترجع عن قولك ، وإلا سوف أنزل غداً وأنا لابس كفني ومعي جميع الأزهريين إلى الشوارع ، فإما الحياة وإما الموت. فجاءه محمد نجيب ومعه الوزارة يقولون: يا شيخنا يا إمامنا نحن نعتذر لك الآن والكلام كان خطأ. قال: لا. لا تعتذروا لي بل اعتذروا أمام العامة. قالوا صعب أن نعتذر أمام العامة. قال لا يوجد خيار إما أن تعتذر أنت يا محمد نجيب أمام الناس وإلا سأنزل للشارع وأنا لابس كفني. فخرج من الغد محمد نجيب وقال: الصحافة كذبت علي ، أنا لم أقل شيئاً. وكان الشيخ المراغي حازماً في قضاياه لا ترهبه سلطة أو يخضع لابتزاز ، ونذكر له هنا من مواقفه المشرفة وهو ينظر قضية كبيرة تتعلق بملايين الجنيهات ، لوّح له أصحابها ببعض الألوف حتى يصدر الحكم لصالحهم ولكنه رفض في شجاعةٍ فلا بد أن يأخذ العدل مجراه ، فألقي أصحاب القضية بواسطة بعض البلطجية عليه ماء النار. ومحنة أخرى تعرض لها أثناء توليه القضاء ، فعندما طلق الملك فاروق زوجته الملكة فريدة ، أراد الملك أن يُحرّم عليها الزواج من بعده ، ورفض المراغي أن يصدر فتوى بذلك ، وذهب الملك إليه ، وكان يعالج في مستشفى المواساة إثر إصابته بماء النار ، فقال المراغي كلمته المشهورة: فأما الطلاق فلا أرضاه ، وأما التحريم فلا أملكه. ولمّا غلظ عليه فاروق

صاح الشيخ: إن المراغي لا يستطيع أن يُحرّم ما أحل الله. وكان للشيخ عبد المجيد سليم صلابة في الحق وإباء للضيم ، ومما يذكر له من مواقفه المشرفة أن الشيخ وكان مفتياً للديار المصرية وصل إليه سؤال من إحدى المجلات عن مدى شرعية إقامة الحفلات الراقصة في قصور الكبار ، وأن الملك قد أقام حفلاً راقصاً في قصر عابدين ، فقال فضيلته: أصدر فتواي بحرمة هذه الحفلات ، ونشرت المجلة الفتوى مؤيدة بالأدلة الشرعية. كما يذكر له من مواقفه المشرفة أن الملك فؤاد حاول أن يستبدل ببعض ممتلكاته الجديبة الجرداء ، أرضاً مُخصبة من أملاك الأوقاف وتلمّس الفتوى الميسرة من الشيخ عبد المجيد ، فأعلن الشيخ في وضوح ساطع أن الاستبدال باطلٌ ، لأنه لا يجوز لغير مصلحة الوقف ، وهي ها هنا مفقودة. فكتبتُ إعجابي بطاووس بن كيسان أقول:)

مواقـــفُ الصِّـــيد آيـــاتٌ مِـــن الفخـــرِ ... هـــيَ المنـــاراتُ فـــي مســـالك الخيـــرِ

تضـــيئُ دربَ الـــورى بـــالخير يُتحفهـــا ... كمـــا أضـــاء بهـــا مِـــن ســـالف الـــدهر

وتفهـــمُ الكـــل أن العِلـــم ذو شـــرفٍ ... وأن أهليـــــه أشـــــرافٌ ذوو قـــــدر

هـــم الأشـــاوسُ بـــالأخلاق قـــد عُرفـــوا ... وهـــم حُمـــاة الهُـــدى والـــدين والفكـــر

لا يركنـــون - إلـــى الظـــلاّم - أجمعهـــم ... إذ الركـــون لهـــم يُفضـــي إلـــى الخســـر

بـــل يصـــدعون بـــلا خـــوفٍ بمـــا أمـــروا ... مستحضـــرين الـــذي يرجـــون مِـــن أجـــر

وبـــاذلين مِـــن الإقـــدام مـــا ادخـــروا ... وفـــي القلـــوب يواقيـــتٌ مِـــن الصـــبر

وكـــم (لطـــاووسَ) مِـــن ذكـــرى مشـــرفةٍ ... فـــي الخيـــر إنْ بـــرزتْ كـــوامنُ الشـــر

إن كـــان مَـــن حكمـــوا فـــي علمهـــم زهـــدوا ... فـــذاك أزهـــدُ فـــي الأمـــوال والقصـــر

فـــلا يتـــوق إلـــى دنيـــا لهـــم ضـــحكتْ ... وإن أتتـــــه بـــــلا جهـــــدٍ ولا عُســـــر

أراه أهـــدى إلـــى (المنصـــور) موعظـــة ... أغلـــى مِـــن المـــاس والياقوت والـــدر

وخـــــاف مالـــــكُ إذ رأى عواقبهـــــا ... فجمّـــع الثـــوب يخشـــى مِـــن دم العقـــر

لكنمـــا صـــرّح (المنصـــور) مُـــنفعلاً ... اغـــربْ عـــن الوجـــه! (يـــا طـــاووسُ) بـــالأمر

فقـــال: هـــذا الـــذي قـــد كنـــتُ أطلبـــه ... كـــيلا أعِـــين علـــى ظلـــمٍ ولا جَـــور

وعـــاش مالـــكُ يُعْلـــي شـــأن صـــاحبه ... ويَـــذكرُ الموقـــفَ الميمـــونَ بـــالفخر

استر على نفسك يا هذا

(ص(68) من كتاب (حدث في المحكمة للعمري) جاء أحد الناس إلى المحكمة ، وقد أصاب حداً ، فطلب من القاضي إقامة الحد عليه. فنصحه القاضي بالتستر فلربما غفر الله له. دخل القاضي وقال له: أبك جنون؟! قال: لا. فقال: هل أنت عازم على أمرك؟! قال: نعم ، ولكنْ أريد أن لا يعلم أحد ، أريد أن تطهرني وتقيم عليّ الحد. دعاه القاضي إلى أن يتبع هُدى النبي - ﷺ - فيما رواه عُبادة بن الصامت قال ، قال النبي - ﷺ -: (بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ، ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ، فمن وفّى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به فهو كفارته ، ومن استتر بستر الله عليه فهو إلى الله ، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه). [رواه البخاري]. وجاء عن عمر - رضي الله عنه - أنه قال: (من أصاب من هذه القاذورات شيئاً فليستتر بستر الله عليه ، فإنه مَن يبدِ لنا صفحته نعاقبْه). جاء عن النبي - ﷺ -: (إذا بلغت الحدود السلطان فلعن الله الشافع والمشفع). ودعاه إلى الستر. ولهذا كان من هدي النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ، أنه إذا جاءه مَن يُقر على نفسه بذنب ، أعرض عنه حتى يكرر السؤال ، ثم يلقنه الحُجة في رفع الحد عنه ، فقال لمن جاءه وهو يُقر على نفسه بالزنى: (لعلك قبّلت ، لعلك غمزت) ، ويقول لمن شهد على نفسه بالسرقة: (لا إخالك سارقاً) ونحوها ، علَّه أن يذهب فيتوب ويستر على نفسه فيتوب الله عليه. قال أبو بكر: لو أخذتُ سارقاً لأحببت أن يستره الله ، ولو أخذت شارباً لأحببت أن يستره الله. وروى وكيع في الزهد (774/3) عن أبي الشعثاء قال كان شرحبيل بن السمط على جيش فقال: إنكم نزلتم أرضاً فيها نساء وشراب! فمن أصاب منكم حداً فليأتنا حتى نطهِّره ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب له: لا أمّ لك! تأمر قوماً ستر الله عليهم أن يهتكوا ستر الله عليهم. يقولُ صلى الله عليه وسلم: (يُدْنَى الْمُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرَهُ بِذُنُوبِهِ ، فَيَقُولُ هَلْ تَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ ، قَالَ: فَيَقُولُ: إِنِّي سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا ، وَإِنِّي أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ). وروي أن عمر - رضي الله عنه - كان يعِس بالمدينة ذات ليلة ، فرأى رجلاً وامرأة على فاحشة ، فلما أصبح قال للناس: "أرأيتم لو أن إماماً رأى رجلاً وامرأة على فاحشةٍ فأقام عليهما الحد ما كنتم فاعلين؟" قالوا: إنما أنت إمام ، فقال علي - رضي الله عنه -: "ليس ذلك لك ، إذن يُقام عليك الحد ، إن الله لم يأمن على هذا الأمر أقل من أربعة شهود". ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ، ثم سألهم فقال القوم مقالتهمُ الأولى ، فقال علي - رضي الله عنه - مثل مقالته الأولى. ولهذا مَن وقع في ذنب واعترف على نفسه عند الحاكم ليُطهرَه ، فله الرجوع قبل إقامة الحدّ عليه ، ولو هرب أثناء إقامة الحد فلا يتبّع كما حصل في قصة ماعز الأسلمي رضي الله عنه ، كما أخرج أبو داود في سُننه من حديث نعيم بن هذال أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لمّا بلغه أن ماعزاً هرب منهم وهم يرجمونه من شدة الرمي ، فلحقوه حتى قتلوه! قال: (هلا تركتموه لعله أن يتوب فيتوب الله عليه). وإذن فعلى المسلم أن يستر نفسه! أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة قال صلى الله عليه وآله وسلم: "كل أمتي معافىً إلا المجاهرين وإن من الجهار أن يعمل الرجل بالليل عملاً ثم يُصبح وقد ستره الله تعالى فيقول: عملتُ البارحة كذا وكذا وقد بات يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله

عنه". ولما قالت امرأة لعائشة يا أم المؤمنين ، إن كريّاً أخذ بساقي وأنا مُحْرِمة! فقالت عائشة: حِجراً حِجراً حِجراً ، وأعرضتْ بوجهها وقالت: يا نساء المؤمنين إذا أذنبتْ إحداكن ذنباً ، فلا تخبر به الناس ، ولتستغفر الله ولتتب إليه ، فإن العِباد يُعيّرون ولا يُغيّرون وإن الله يُغيّر ولا يُعير". فلما أدركتُ تعظيم شريعتنا لثقافة الستر على النفس وعلى الغير أنشدت في ذلك من شعري:)

ليت شعري! ماذا يقول قصيدي؟ ... إن هذا أمرٌ يفوقُ حدودي

كيف يرضى عبدٌ بكشفِ الخفايا ... هاتكاً سترَ الواحد المعبود؟

إن هذا واللهِ شيئٌ عُجابٌ ... فهْمُه استعصى بعد جهدٍ جهيد

هل يُضحِي بالروح عبدٌ ضعيفٌ ... مؤثراً مرضاة العزيز الحميد؟

كيف هانتْ نفسٌ ، وطاوع قلبٌ ... واستكانت روحٌ لهذا الصمود؟

واستبدّ بالرأي عقلٌ تقيٌ ... لم يخفه إرجافُ بعض العبيد؟

كي يعيد ذكرى تناءت بعيداً ... ذكرُها يُثري كل فكر رشيد

إنها ذكرى (الأسلميّ) قديماً ... إذ رأى الرجمَ سُلماً للخلود

(ماعز) الخير أنت رمز التسامي ... عن جميع - ما في الدنا - من قيود

ليت شِعري (والغامديّة) جاءت ... تنشد الطهرَ وفق شرع المجيد

والنبيّ بالرجم أفتى ، ووفى ... بين صحب ، وفوق أسمى صعيد

لكنِ الستر إن يغبْ شرعُ ربي ... ملجأ إذ يزري الغثا بالحدود

إن نص القانون أصبح ديناً ... حُكمه ساد باللظى والحديد

ونصوصُ القرآن في الناس تتلى ... دون تطبيق معلن مشهود

وحرام الإسلام أضحى حلالاً ... والشعوبُ بيعتْ ببعض النقود

أي معنى يُزْكي اعترافك هذا؟ ... ما استوى هذا بالقرار السديد!

إنما الستر كان أولى وأحلى ... والمتابُ كم فيه ، كم من مزيد!

هذه العالمة من ذاك العالم

(في تاريخ أمة الإسلام عباقرة أبناء عباقرة وعلماء أبناء علماء. وهكذا العلم رحِمٌ بين أهله. ولكنْ قليل من النساء من تنبغ نبوغ أبيها. ومن هذه القليلات العالمات بنات العلماء أذكر على سبيل المثال للتدليل على القضية: 1– أسماء بنت أسد بن الفرات: أبوها عالم إفريقية وقاضيها المشهور! نشأت وحيدة أبيها ولم يكن له سواها ، فكان يُعَلمها القرآن والحديث والفقه ، ويُحْضرها معه في مجالسه العلمية ، وتشاركه في المناظرة. ولمّا تولى والدها قيادة الجيش لفتح "صقلية" وتحقق له النصر المؤزر وحاصر مدينة "سوسه" فقتل هناك سنة 213هـ ، فتزوجتْ أسماء من أحد طلاب والدها وهو محمد بن أبي الجواد ، الذي تولى رئاسة المشيخة الحنفية بالبلاد الإفريقية. وتوفيت أسماء الأسدية سنة 250هـ رحمها الله تعالى. تراجَع ترجمتها في كتاب "الديباج المذهب" لابن فرحون ص: 5:3 وكتاب "فقهيات عالمات" لمحمد خير صـ29. وإذن فهذه العالمة أسماء بنت أسد بن الفرات من ذلك العالم أسد بن الفرات رحمهما الله. 2– أخت المزني: أخوها هو الفقيه الشافعي إسماعيل المزني صاحب الشافعي المتوفى سنة 264هـ. أما أخته فكانت تحضر مجالس الشافعي في دروس الفقه ، وكان بعض فقهاء الشافعية الأفذاذ ينقل أقوالها واختياراتها وترجيحاتها الفقهية. تراجَع ترجمتها في كتاب "طبقات الشافعية" للإسنوي 1 / 44. المرأة التي يرجع إليها العلماء والفقهاء ، إنه العلم يرفع أهله! 3– حفصة بنت سيرين: أخت التابعي الجليل محمد بن سيرين ، وكانت ثقة عالمة فقهية عابدة من سيدات التابعين ، قرأت القرآن وهي بنت اثنتي عشرة سنة ، وعاشت سبعين سنة. وكان أخوها محمد إذ أشكل عليه شيئ من القرآن سألها. وذكر مهدي بن ميمون أنها كانت قد مكثت في مصلاها ثلاثين سنة لا تخرج إلا لقائلة أو لقضاء حاجة. وتوفيت عن مائة سنة رحمها الله ، وحديثها مروي في الصحاح والسنن. وللتوسع في أخبارها يراجع "تهذيب الكمال" للمزى 35 / 151 وسير أعلام النبلاء للذهبي 4 / 7:5. وإذن فالتي لا تأخذ العلم عن أبيها تأخذه عن أخيها ، فالأصل طلب العلم أنى وجد! 4– خديجة بنت سَحنون: أبوها قاضي إفريقية في زمانه ، واسمه عبد السلام بن سعيد التنوخي ، وكان حامل لواء مذهب الإمام مالك ، وتوفي سنة 240هـ ولترجمته فليراجع: "وفيات الأعيان" لابن خلكان 3 / 18، والسير 12 / 63 ، وأما بنته خديجة فقد وصفها القاضي عياض بقوله: (كانت خديجة عاقلة عالمة ذات صيانة ودين ، وكان أبوها يحبها حباً شديداً ، ويستشيرُها في مُهمات أموره ، حتى إنه لمّا عُرض عليه القضاءُ ، لم يقبله إلا بعد أخذ رأيها. وماتت خديجة وهي بكر في حدود سنة 270هـ. وللوقوف على ترجمتها يراجع كتاب "ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك" للقاضي عِياض بن موسى اليحصيبي 2 /585. وأما سَحنون - لقب والدها – فهو بفتح السين المهملة وضمها مع سكون الحاء وضم النون - وهو اسم طائر فى المغرب يسمونه سَحنونا لحِدّة ذهنه وذكائه ، ذكر ذلك الإمام ابن خلكان – رحمة الله تعالى عليه - في "وفيات الأعيان" 3 / 183. ألا ليت آباء هذا الزمان وبُنياته يدركون المغزى والمقصود! 5– سَلمى بنت محمد الجزري: أبوها عالم مشهور بالقراءات ، ترجم لها بنفسه في كتابه "غاية النهاية في طبقات القراء" 1 / 31. فقال: (هي ابنتي ، نفع الله تعالى بها ، ووفقها لما فيه صلاحها دنيا وأخرى ، شرعتْ في حفظ القرآن سنة 813هـ ، وحفظت مقدمة التجويد والألفية في القراءات العشر.

وتعلمت العروض والعربية وكتبت الخط الجيد ، ونظمت بالعربي والفارسي ، وقرأت بنفسها الحديث وسمعت مني وعليّ كثيراً. فالله يسعدها ويوفقها لخير الدنيا والآخرة. هكذا اعتنى الأب بابنتة ، فحفظت القرآن ، وتعلمت العلوم ، وخلد ذكراها حينما ترجم لها ، فبقيت أخبارها مدونة على مر العصور ، ولم يكتف هذا العالم بذكر ابنتة بل ، ودعا لها بالتوفيق في الدنيا والآخرة ، وهكذا يكون الآباء مع الأبناء. 6– فاطمة بنت محمد السمرقندي: أبوها من فقهاء الحنفية ، وله كتاب "تحفة الفقهاء" توفي سنة 575هـ ، وتفقهت ابنته على يديه ، وحفظت كتابه "التحفة" ، وزوجها أبوها من أحد طلابه وهو الإمام أبو بكر مسعود الكاساني الملقب بـ "ملك العلماء" وله شرح على كتاب "التحفة" فكان يقال عن السمرقندي "إنه شرح تحفته وتزوج ابنته". وكان الكاساني ربما يهم أن يخطئ في الفتيا فتردّه فاطمة للصواب ، وكانت تفتِي النساء ، وتكتب فتاويها بخطها ، ولها مؤلفات كثيرة في الفقه والحديث. يراجع كتاب: (أعلام النساء لعمر كحالة 4 / 94). قال الشافعي رحمه الله :(كفى بالعلم فضيلة أن يدّعيه من ليس فيه ، ويفرح إذا نسب إليه ، وكفى بالجهل شراً أن يتبرأ منه من هو فيه ، ويغضب إذا نسب إلي). مناقب الشافعي للبيهقي . قال العلامة ابن القيم- رحمه الله تعالى -: "أن العلم يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة ما لا يرفعه الملك ولا المال ولا غيرهما ، فالعلم يزيد الشريف شرفاً ويرفع العبد المملوك ، حتى يجلسه مجالس الملوك ، كما ثبت في الصحيح من حديث الزهري عن أبي الطفيل أن نافع بن عبد الحارث أتى عمر بن الخطاب بعسفان وكان عمر استعمله على أهل مكة فقال له عمر: من استخلفت على أهل الوادي؟ قال: استخلفتُ عليهم ابن أبزى. فقال: من ابن أبزى؟ فقال: رجل من موالينا. فقال عمر: استخلفت عليهم مولى؟ فقال: إنه قارئ لكتاب الله عالم بالفرائض. فقال عمر: أما إن نبيكم قد قال: "إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً ويضع به آخرين" "مفتاح دار السعادة". وقال رحمه الله: طلبُ العلم أفضل من صلاة النافلة ، وقال: من أراد الدنيا فعليه بالعِلم ، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ، وقال: ما تقرّب إلى الله تعالى بشيءٍ بعد الفرائض أفصل من طلب العلم. تهذيب الأسماء واللغات. روى أبو عمر بن عبدالبر رحمه الله عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (العِلمُ خيرٌ من المال ، لأن المال تحرسه ، والعِلم يحرسك ، والمال تفنيه النفقة ، والعلم يزكو على الإنفاق ، والعلم حاكم والمال محكوم عليه ، مات خُزَّان المال وهم أحياء ، والعلماء باقون ما بقي الدهر ، أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة).هـ. (جامع بيان العلم ، 57/1). وعن أبي الدَّرداء - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلَّى الله عليه وسلَّم - يقول: «من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا سهل الله له طريقًا إلى الجنَّة ، وإنَّ الملائكة لتضع أجنحتها رضًا لطالب العلم ، وإنَّ طالب العلم يستغفر له مَن في السَّماء والأرض حتَّى الحيتان في الماء ، وإنَّ فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، إنَّ العلماء هم ورثة الأنبياء ، إنَّ الأنبياء لم يورّثوا دينارًا ولا درهمًا ، إنَّما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر». [رواه ابن ماجه 183وصححه الألباني]. ويقول الحافظ ابن رجب – رحمه الله – معرفاً بهذا العلم: (فالعلم النافع هو ضبط نصوص الكتاب والسنة ، وفهم معانيها ، والتقيد في ذلك بالمأثور عن الصحابة والتابعين وتابعيهم في معاني القرآن والحديث ، وفيما ورد عنهم من الكلام في مسائل الحلال والحرام ، والزهد والرقائق والمعارف ، وغير ذلك ، والاجتهاد على تمييز صحيحه من سقيمه أولاً ، ثم الاجتهاد غلى الوقوف على معانيه وتفهمه ثانياً!

وفي ذلك كفاية لمن عقل ، وشغل لمن بالعلم النافع عُني واشتغل). (فضل علم السلف غلى علم الخلف) ص45. وأنا أخذتُ بتعليم الآباء بناتهن! فكتبت فخراً بهن وتفاخراً بعلومهن أقول:)

لكُـــنّ - مِـــن الفـــؤاد - ســـنا التحايـــا ... وتقـــــديرٌ تربّـــــع فـــــي الحنايـــــا

وتكـــريمٌ - كمثـــل النـــور - يســـري ... وتبجيـــــلٌ تســـــرّ لـــــه الطوايـــــا

وتـــــوقيرٌ فريـــــدٌ لا يُبـــــارى ... يليـــــقُ بعلـــــم كوكبـــــة الولايـــــا

وهـــــل - كـــــالعِلم - مفخـــــرة وزادٌ ... ومجـــــدٌ يُشـــــتهى بـــــين البرايـــــا؟

وعـــــز لـــــيس ترجحُـــــه كنـــــوز ... ويَعظـــــم حـــــين تبلغـــــه الصـــــبايا

فكـــــم بـــــالعلم حلـــــتْ مُعضـــــلاتٌ ... وجوهـــــدتِ الرذائـــــلُ والـــــدنايا!

ودُعمـــــتِ الفضـــــائلُ والمعـــــالي ... ورسّـــــخَتِ المَكـــــارمُ والســـــجايا

وكـــم بـــالعلم أنشـــئ صـــرحُ مجـــدٍ ... لـــــه أحلـــــى المناقـــــب والمزايـــــا!

وكـــم بـــالعلم كـــم ســـادت نســـاء! ... وســـــيرتهن أشـــــبه بالحَكايـــــا

وللآبـــــاء - بعـــــد الله - فضـــــلٌ ... علـــــى غِيـــــدٍ يُحققـــــن الوصـــــايا

تلقـــــين العلـــــومَ بكـــــل عـــــزم ... وأخلصـــــن المقاصـــــدَ والنوايـــــا

وأعطـــــين الـــــتعلمَ جُـــــلّ وقـــــتٍ ... وزايلـــــن الصـــــغائرَ والخطايـــــا

وأشـــــهرن التقـــــى سَـــــمتاً وهَـــــدْياً ... فعُلمـــــتِ البدائـــــهُ والخفايـــــا

وأتقـــــنّ الترفـــــع والتســـــامي ... عـــــن الشـــــكوى ، ومـــــا تُجـــــدي الشـــــكايا؟!

وكـــــل وليـــــةٍ جـــــادت بســـــؤل ... يجـــــرّ إلـــــى دهـــــاليز القضـــــايا

فكانـــــت خيـــــرَ مَـــــن خلفـــــتْ أباهـــــا ... وفـــــي أســـــفارها تُنبـــــي الروايـــــا

لأن العلـــــم يجـــــري فـــــي دِماهـــــا ... ويســـــبح فـــــي الجـــــوانح والخلايـــــا

لـــــذا حييتهـــــا مِـــــن كـــــل قلبـــــي ... وقصّـــــدتُ الخـــــواطر والتحايـــــا

شمس العرَب تستطع على الغرْب

(إن هذا العنوان ليس من عندي ، ولا هو من بُنَيّات أفكاري. إنما هو عنوان كتاب (لزيغريد هونكة) المستشرقة المعروفة. وكنتُ قد كتبتُ بالفعل قصيدة (مصابيح الدجى) منذ سنوات (قصيدة همزية من البحر الخفيف) ، أثبت فيها أن المسلمين بناة حضارة إنسانية وبناة مدنية راقية. وترجمتُ لكل عالم قدر المستطاع في مقدمة القصيدة ، الأمر الذي جعلها طويلة طولاً يجعلها معلقة لا قصيدة! واليوم أدافع عن العرب لأثبت للغرب بأقلام منظريه وكتابه وعلمائه أن العرب شمس مشرقة تسطع على الغرب ، وإن هو أبى. وأثبت كذلك أن الغرْب ظلمة قاتمة تفسد حياة العرب وتجعلها فوضى بكل المعايير والمقاييس ، وإن كانت للغرب بعضُ الإسهامات العلمية والتقنية في مجالات الحياة المعاصرة. وأورد السادة أصحاب (موسومة التاريخ الإسلامى الميسرة من ص 863 : 874) ما يفيد صحة كلامي ، ولسوف أورد هذا كله بجداوله كما أورده أصحاب الموسوعة بشيء من التصرف. وأعتذر إذا ما كان ثمة تكرار لما أوردناه من قبل في (مصابيح الدجى). وإنما نضرب على ذات الوتر ، لنثبت أننا نحن المسلمين العرب أو العرب من غير المسلمين شمس مشرقة تضيئ عالم الغرب وإن هو أبى. إن انطلاقة المسلمين الأولى في مجال العلوم والمعرفة إنما تنبعث من عقديته. يقول تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات). والرسول -ﷺ- يقول مبيناً عِظم أجر طالب العلم: (من خرج فى طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) ، فيجعل مقام طلب العلم في منزلة المجاهدين لإعلاء كلمة الله عز وجل من ناحية المكانة والأجر. ويعتبر الرسول -ﷺ- الطريق الذي يسلكه طالب العلم طريقاً مؤدياً إلى الجنة فيقول: (مَن سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقا إلى الجنة). ولم يفرّق القرآنُ بين علم الدنيا وعلم الدين ، بل أوصى بهما جميعاً ، وجمع علوم الكون في آية واحدة ، وحث عليها وجعل العلم بها سبيلاً إلى خشية الله وطريق معرفته وذلك قوله تعالى: (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء). وفي ذلك الإشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض ، ثم قال تعالى: (فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها) ، وفي ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه ، ثم قال تعالى: (ومن الجبال جُدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود) ، وفي ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها. ثم قال تعالى: (ومن الناس والدواب والأنعام مختلفٌ ألونه كذلك) ، وفيها الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم ، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئاً من علوم الكون؟ ثم يُردِف ذلك بقوله تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء)! أولست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ، ويحضهم على ذلك ، ويجعل العارفين منهم بدقائقة وأسراره هم أهل معرفته وخشيته؟ ولسنا في حاجة إلى الاستطراد في هذا المعنى ، فإن الواقع العلمي الذي سنتحدث عنه الآن يوضّح لنا إلى أي مدى أخذ العلماء المسلمون الأوائل على عاتقهم مهمة رفع العلم والاكتشاف والبحث والابتكار. فلقد حملوا على عاتقهم بصدق هذه المسؤولية العظيمة ، فعلموا واكتشفوا واخترعوا وأفادوا. * معرفة تمحيص لا معرفة تبعية وتقليد: كان أول انفتاح المسلمين الجاد في مجال العلوم الدنيوية في العصر العباسي ، وقد بدات بنقل وترجمة تراث الحضارات السالفة. وأنفقوا في سبيل ذلك أموالاً طائلة ، فترجم مثلاً كتاب أبقراط الطبيب اليوناني وكتاب تحليل القياس لأرسطو وكتاب التشريح

لجالينوس وبصريات بطليموس ، والموازنة له ، وكتب أخرى حول الساعة المائية والأجسام الطافية لأرشميدس. لقد أحيا العلماء المسلمون كثيراً من تراث الأمم السابقة بعد أن كاد يندثر ، حتى إنهم كانوا يبحثون عن أصول كتب فقدت ويئس الناس من العثور عليها: (فقد قضى البيروني أكثر من أربعين سنة يفتش عن نسخة من كتاب مانى (سفر الأسرار) إلى أن وفق في الحصول عليها. ونسأل: علام يدل هذا؟ وما هي دلالته؟ تقول زيغريد هونكة صاحبة كتاب (شمس العرب تسطع على الغرب): (لقد عرفتْ أوروبا تراث العالم القديم عن طريق العرَب فقط ، فترجمة العرب للمخطوطات اليونانية ، والشروح التي ألفها العرب عليها ، كل هذه كانت العامل القوي في النهضة الجرمانية).هـ. وقد أنشأ المأمون مدرسة ببغداد أطلق عليها (بيت الحكمة) يتعلم فيها أبناء العرب اللغات المختلفة ، حتى يجيدوا النقل عن تلك اللغات ، وقد جعل النظر في أمر هذه المدرسة إلى طبيب نسطوري هو (يحيى بن ماساوية) المتوفى سنة 243هـ وكان هذا الطبيب على علم بالسريانية العربية. ومن هنا نقول: كانت معرفة تمحيص . *تطوير وإبداع: هضم المسلمون علوم الأولين ، ثم انطلقوا يطوّرون فيها ويبحثون ، فكانت نهضتهم العلمية السريعة واحتلالهم مكان السيادة في هذا المجال أمراً معجزاً. تقول زيغريد: (..إن هذا الشعب الصحراوي حمل لواء النهضة العلمية الفكرية في العالم وبسرعة البرق ، وظل أبناء الصحراء حاملين لهذا اللواء دون منازع. مدة لا تقل عن ثمانية قرون) .وتقول: (لم يستلم العرب التراث دون تفكير ، بل أخذوه وخلقوه خلقاً جديداً). وتلك شهادة نعتز بها من هذه المرأة المستشرقة (والفضل ما شهدت به الأعداءُ). ونجعل كلامها له كبير المصداقية لما تمتع به من إصابة كبد الحقيقة! أمثلة: وتلك الأمثلة نسوقها من التاريخ مجردة كما هي ، وندعمها بالتاريخ المدوّن بأقلام الغربيين المنصفين لنبين الحق:

1– كان المسلمون أول من استخدم المنهج التجريبي في علمهم. ولم تكن هذه طريقة الأقدمين ، إذ كانوا لا يهتمون بذلك ، فلم يقتنعوا إلا بالتجربة العلمية في أبسط الأشياء. فعندما شرع السلطان عضد الدولة في بناء مستشفى جديد ، كلف الطبيب المشهور الفخر الرازي باختيار أنسب مكان وأصحّه ، فاستدعى الرازي بعض علمائه ، وأعطاهم قِطعاً من اللحم ، وأمرهم بتعليقها في أماكن متفرقة في نواحي بغداد ، ثم مرّ بعد وقتٍ على قِطع اللحم المعلقة ، واختار المكان الذي لم يتغير فيه اللحم بسرعة ، ولم يعترها التلف ، فبنى المستشفى. بهذه التجربة البسيطة نجد أن الفخر الرازي اختار المكان الصحي الخالي من الجراثيم. ولقد اكتشف الحسن بن الهيثم من خلال البحث والتجربة ، الخطأ الذي وقع فيه بطليموس وأويقليد. فقد قال كل منهما أن العين لا ترسل إشعاعاً ، وأن هذا الشعاع ليس هو الذي يسبب الرؤية ، ولكن العكس هو الصحيح ، لأن الاجسام المرئية هي التي ترسل الأشعة إلى العين ، وإن عدسة العين هي التي تستقبل تلك الأشعة فترى بها الأشياء. وهذا لأن ابن الهيثم جلس في حجرة مظلمة فلم ير شيئاً ، فسقط شعاع على بعض ما في الحجرة ، فرأى ذلك الشئ الذي سقط على الشعاع فقط. إذن لو كانت العين هي التي ترسل الأشعة لرأينا الأشياء فى الظلام ، ولكننا لا نراها إلا إذا وقع عليها الضوء ، وانعكست عليها الأشعة ، وأكمل تجاربه وأخرج القانون. وبهذا صحّح ابن الهيثم لهما النظرية. 2– كتابة الأعداد: كانت أوروبا تستعمل في ذلك الوقت الطريقة الرومانية غير الأنيقة في كتابة الأعداد ، بحيث يعبّر عن العدد بوضع أجزائه المؤلفة بجانب بعضها. فمثلاً إذا أردنا أن نكتب رقم 1825 نكتب بالأرقام الرومانية

على النحو التالى: mdcccxx 7 لأن مقدار m = 1 ، و D = 5 ، و C + C + C = 1.. + 1.. + 1.. X + X = 1. + 1.. +، و 7 = 5 فاستبدل علماء المسلمين هذه الطريقة بالطريقة العشرية الحديثة ، التي لا نزال نسيمها بالطريقة العربية حتى الآن ، وهذه الطريقة تتطلب ابتكار الصفر ، ليترتب عليه النظام الذي يحدد مقدار العدد. وهذا إبداع متألق ولا شك! 3– وفي علم الفلك: يقول غوستاف لوبون: (إن آلات الرصد التي اعتمد عليها اليوزجاني كانت على جانب عظيم من الدقة ، فإنه رصد الميول بربع دائرة نصف قطرها 21 قدماً ، وذلك ما لا يسْهل على الفلكين في يومنا هذا). وهذا أيضا إبداع. 4– وفي مجال الجغرافيا: لم يكن لأوروبا مصدر تعرف به اتجاهات وبلدان وقارات للعالم إلا ما رسمه الشريف الإدريسي الذي صنع كرة فضية ضخمة تمثل الكرة الأرضية وما تزال محفوظة في متاحف برلين حتى اليوم ، وكتابه (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) مترجم إلى معظم لغات أوروبا الحديثة. فكان هذا من الإدريسي مساهمة في صناعة الحضارة! 5– وفي مجال الطب: يقول المستشرق سيريو: (إن الرازي وابن سينا سيطرا بكتبهما الطبية على مدارس الغرب زمناً طويلاً ، وعرف ابن سينا في أوروبا طبيباً ، فكان على مدارسها سلطان مطلق ستة قرون تقريبا ، فترجم كتابه العظيم: (القانون فى الطب) المشتمل على خمسة أجزاء ، فطبع عدة مرات باعتباره أساساً للدراسات في جامعات فرنسا وإيطاليا). 6– في الصيدلة وعلم الأدوية : اشتهر ابن البيطار الذي ساح في إسبانيا والمغرب ومصر وسوريا وآسيا الصغرى بعلم الأدوية والصيدلة ، ومن مؤلفاته (المغني في الأدوية المفردة) و(الجامع لمفردات الأدوية والأغذية) و(المغرب) ، وهذا الأخير ضم فيه 2330 فصلاً من الأطعمة والأدوية النباتية ، وقد عثر على (300) وصف لأدوية كانت مجهولة قبل ذلك ، حتى لقب في أوروبا بأنه (أبو علم النبات). إن الأدلة على العطاء الحضاري للمسلمين في هذه الفترة الزمنية كثيرة جداً. يقول غوستاف لوبون: (إن أول من قام بالتجربة والرصد في الغرب هو بيكن ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم). وتقول هونكة: (حاول اليوناني المفكر شرح وتعليل المعرفة عن طريق الفلسفة ، فباشر كيمياء نظرية ، وفلسفة طبيعية. أما العرب فهم أول ابتداع طريقة الملاحظة ، والملاحظة الدقيقة المنظمة). تقول هونكة: (إن أوروبا تدين للعرب والحضارة العربية ، وإن الدَّين الذي في عنق أوروبا وسائر القارات للعرب كبير جداً ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد ، ولكن التعصب الديني ، واختلاف العقائد ، أعمى عيوننا ، وترك غشاوة ، حتى إننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة ، فلا نجد فيها إشارة لفضل العرب وما أسدوه إلينا من علم وفضل ومعرفة).هـ. وهكذا وبإيجاز شديد كانت أمة الإسلام في عطائها العلمي للبشرية دافعهم الأول رضا ربهم تبارك وتعالى وحبهم للإنسانية والرغبة في إسعادها ، فلمّا دار الزمان ، وبعُد المسلمون عن دينهم صاروا في مؤخرة الركب أتباعا وأذنابا لحضارة غربية همجية تستخدم العلم في تدمير البشرية بلا حدود ولا ضوابط من خشية الله والخوف من عذابه. وإليك مزيداً من أسماء علماء الإسلام الأفذاذ ، وتلاحظ أمراً عجيباً وهو نبوغ الواحد منهم في أكثر من مجال وأكثر من تخصص. وهذا إن دلّ على شيء ، فإنما يدل على أن أعرابنا المسلمين وحتى غير المسلمين منهم قد ساهموا بنصيب الأسد في صناعة الحضارة المعاصرة ، ووضعوا حجر الأساس لكل علم مادي قامت عليه الحضارة. علِمَ ذلك من علمه وجهله من جهله. اعترف به من اعترف وأنكره من أنكر. وعموماً جهلُ من جهل وإنكارُ من أنكر لا ولن يغير الحقيقة الثابتة المدونة في كتابات القوم من

الغربيين أو من العرب. نقول ذلك من باب إحقاق الحق وإبطال الباطل فقط. ولننظر إلى هذه الأمثلة التي نضيفها الآن في صورة جداول منظمة مرتبة. ومن أراد المزيد من المعلومات فليذهب الى مقدمة قصيدة (مصابيح الدجى) ليعلم أكثر!

اسم العالم	نشـــأته	المجالات التي اشتهر وبرع فيها
الزهراوي	(325 - 404) هـ ولد بالأندلس وتوفي بها	أعظم جراح في الإسلام! ومؤلفاته مترجمة إلى اللاتينية ولغات أخرى!
ابن سينا	(370 - 428) هـ ولد قرب بخارى وتوفي في همدان بإيران	فيلسوف وطبيب وكيميائي ورياضي وشاعر! من أشهر مؤلفاته القانون في الطب ، وقد ترجم إلى لغات عديدة ، وكان من أشهر كتب الطب في القرون الوسطى. علقت صورته في كنائس كثيرة في أوروبا ، وهي لا تزال تزين قاعات كلية الطب بجامعة باريس كما أن له مؤلفات في شتى المجالات.
ثابت بن قرة	(220 - 285) هـ ولد في حران (تركيا) وتوفي في بغداد	فيلسوف وطبيب ورياضي وفلكي! يعتبر واضع اللبنات الأولى لعلم حساب التفاضل والتكامل. وله مؤلفات في كافة المجالات العلمية السابقة!
نجم الدين المصري	من علماء القرن السابع الميلادي ولد في مصر	خريج الأزهر الشريف ، برع في علوم الفلك واهتم بدراسة الميقات ، وله في مكتبة أكسفورد بإنجلترا مخطوطة عربية تضم جداول فلكية ، بها أكثر من ربع مليون قيمة محسوبة بدقة متناهية!
ابن النفيس	(607 - 687) هـ ولد بدمشق وتوفي بالقاهرة	طبيب – فيلسوف – فقيه – مكتشف الدورة الدموية الصغرى ، والتى بنى على أساسها هارفي الإنكليزى اكتشافة للدورة الكبرى بعد ثلاث قرون من وفاة ابن النفيس!
الحسن بن الهيثم	(354 - 430) هـ ولد في االبصرة وتوفي بالقاهرة	عالم البصريات - الرياضة – الفلك له أكثر من مائتي مؤلف. وقد سبقت الإشارة إلى بعض إنجازاته العلمية
الجاحظ	(164 - 255)هـ ولد وتوفي بالبصرة	أديب وعالم وله ثلاثمائة وخمسين مؤلف في مجالات علمية مختلفة أشهرها كتاب الحيوان والبخلاء والبيان والتبيين!
جمشيد	ظهر في القرن التاسع عشر الهجري ، ونشأ في إيران	فلكي ورياضي رصد كسوف كسوف الشمس! له فيه مؤلفات وهو أول من أدخل الكسر العشري في الحساب! واعترف بذلك كثير من علماء الغرب!

الخوارزمي	(164 - 232) هـ ولد في خوارزم وتوفي بالعراق	فلكي ورياضي. أول من ألف علم الحساب ، وهو مكتشف الصفر ، أطلق عليه الغرب كبير الرياضيين
الدميري	(748 - 808) هـ ولد بصعيد مصر (قرية دميرة) درس بالأزهر وأصبح فيه أستاذاً	علم الأحياء - الأدب – مؤلف كتاب حياة الحيوان الكبرى ، وهذا الكتاب يعتبر مزيج من العلم والأدب والتاريخ والفقه
الرازي	(240 - 854) هـ ولد وتوفي بالري بالقرب من طهران بإيران	فيلسوف وطبيب وصيدلي وكيميائي ورياضي وموسيقي. قيل أن الطب كان ميتاً حتى أحياه جالينوس ، وكان متفرقاً حتى جمعه الرازي ، وكان ناقصاً حتى أكمله ابن سينا ، عدد مؤلفته يصل إلى 224 كتابا
ابن رشد	(519 - 595) هـ ولد في قرطبة بأسبانيا وتوفي بمراكش بالمغرب	فيلسوف وفلكي وطبيب ، شرح كتب أرسطو وبسّطها ، تولى مناصب رفيعة لأمراء الأندلس ، إلا أنه لأسباب ما اضطهد وسُجن عدة مرات ، وجمعت كتبه ، وأحرقت على مرأى منه ومسمع
الشريف الإدريسي من نسل الأدارسة	(494 - 562) هـ ولد في سبتة ، وتوفي بصقلية	برع في الجغرافيا ، وله مؤلف ضخمُ فيها هو (نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق) ، وبرع كذلك في العقاقير والنباتات الطبية ، وله فيها (الجامع لصفات أشتات النبات)
البتاني	(240-279) هـ ولد في حران وتوفي بالعراق	في الفلك أطلق عليه بطليموس العرب! حدد بدقة طول السنة المدارية والفصول! وهو أول من استخدم الجيوب والأوتار في قياس المثلثات والزوايا!
ابن بطوطة	(704 - 779) هـ ولد في طنجة (بالمغرب) وتوفي بمراكش	رحالة وجغرافي ، بلغ مجموع أسفاره 12000كيلو متر أمضى فيها 38 سنة من عمره!
البوزجاني	(329 - 388) هـ ولد بوزخان بإيران وتوفي ببغداد	رياضي فلكي وهو أول من وضع النسبة المثلثية (الظل) ، كما أنه أدخل القاطع وقاطع التمام. وفضله واضح في حساب المثلثات!
البيروني	(362 - 443) هـ ولد في خوارزم وتوفي بالعراق	فيلسوف ومؤرخ وطبيب وكيميائي ورياضي وفلكي. وله مؤلفات عديدة قدرت بمائة وثمانية مؤلف!
ابن البيطار	(594 - 647) هـ ولد بالأندلس وتوفي بدمشق	عالم في النبات والأعشاب الطبية والصيدلية! وله جهود مضنية في التعرف على أسرار النباتات!

جابر بن حيان	(103 - 210) هـ	فيلسوف وكيميائي ، وقيل سمي جابراً لانه جبر (أي أصلح) علوم الكيمياء ، ونقلها من الصنعة القديمة إلى العلم الحديث ، وهو شيخ الكيميائيين العرب. وبلغ عدد مؤلفاته مائة وتسعين مؤلف!
الخازن	من علماء القرن السادس الميلادي وهو بيزنطي الأصل	رياضي وفلكي وفيزيائي وميكانيكي! اخترع ميزاناً لوزن الأجسام في الهواء وفي الماء ، وكانت حساباته وأوزانه بالغة الدقة!

وإذا تأملنا التاريخ نجد أن الدولة العثمانية في عصر مجدها وقوتها ، تفوقت في كافة المجالات ، فمثلاً في الجغرافيا يظهر اسم الريس بيري في زمن السلطانين سليم الأول ، وسليمان القانوني ، وكان الريس بيري قائداً للبحرية العثمانية ، وعالماً جغرافياً فذاً ، ولد عام (1465م) وتوفي عام (1554م) ، وكان هذا العالم الجغرافي رائداً من رواد رسم الخرائط في الأدب الجغرافي العثماني ، وله في المضمار ذاته خريطتان هامتان ، الأولى لأسبانيا وغرب إفريقيا ، والمحيط الأطلسي والسواحل الشرقية من الأمريكتين. وهذه قدّمها إلى السلطان سليم الأول في مصر عام (1517م) وموجودة الآن في متحف طوبقبو في إستانبول (85 x60 سم) وعليها توقيع الريس. والأخرى لسواحل الأطلسي من جرينلاند إلى فلوريدا (68 x 69 سم) ، وموجودة الآن في متحف طوبقبو بإستانبول أيضاً. والجدير بالذكر أن الخريطة التي رسمها الريس بيري لأمريكا هي أقدم خريطة لها. وفي (26أغسطس عام 1956م) عقدت جامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية ندوة إذاعية عن خرائط الريس بيري ، اتفق كل الجغرافيين المشتركين فيها بأن خرائط الريس بيري لأمريكا: (اكتشاف خارق للعادة). وقد كان الريس بيري على معرفة بوجود أمريكا قبل اكتشافها ، ويقول في كتاب البحرية: (إن بحر المغرب – يقصد المحيط الأطلسي – بحر عظيم ، يمتد بعرض (2000) ميل تجاه الغرب من بوغاز سبتة. وفي طرق هذا البحر العظيم توجد قارة هي قارة أتلنتينا) ، وتعتبر قارة أتلنتينا هي الدنيا أو أمريكا ، وقد كتب الريس أن هذه القارة اكتشفت عام (870 هـ / 1465م) أي قبل اكتشاف كولومبوس لأمريكا بحوالي (27 سنة) (انظر كتاب العثمانيون في التاريخ والحضارة). ص (382). لقد ترك الريس بيري كتاباً في البحرية أثار بما فيه من معلومات وخرائط دقيقة ، دهشة المعاصرين من علماء الجغرافيا في أمريكا وأوروبا ، فيه معلومات وخرائط أثبت العالم المعاصر صحتها. وقد ذكر الراهب الجزويتي لاين هام مدير مركز الإرصاد فى ويستون ما يدل على عبقرية القائد العثماني الريس بيري في عالم الجغرافيا ، حيث يقول: "خرائط الريس بيري صحيحة بدرجة مذهلة للعقل ، خاصة أنها تظهر بوضوح أماكن لم تكن قد اكتشفت حتى أيامه في القرن السادس عشر الميلادي. إن الجانب المذهل في مكانة بيري ، هو رسمه لجبال أنترتيكا بتفاصيلها فيما رسمه من خرائط ، مع أن هذه الجبال لم يكن أحد قد تمكن من اكتشافها إلا في عام (1952م) أي في النصف الثاني من القرن العشرين ، وكيف؟ بعد استخدام الأجهزة المتقدمة العاكسة للصوت ، أما قبل القائد العثماني الريس بيري ، يعني حتى القرن السادس عشر الميلادي ، لم يكن أحد يعرف أن أنتركتيكا موجودة ، إذ كانت مغطاة بالجليد طوال عصور التاريخ. (انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة). والمعروف أن أنتركتيكا هي القارة

السادسة ، والواقعة في نصف الكرة الأرضية الجنوبي ، ولم يذهل لذلك الراهب لين هام فقط ، بل تعداه إلى كثير من العلماء والكتاب. لقد قارن بعض العلماء صور الأرض التي تم التقاطها من مركبات الفضاء "في القرن العشرين" بالخرائط التى رسمها القائد البحري العثماني الريس بيري في البدايات المبكرة للقرن السادس عشر ، اتضح التشابه المذهل بين صور مركبات الفضاء وبين خرائط الريس بيري. (انظر: العثمانيون في التاريخ والحضارة صـ 384). إن النهوض في الدولة العثمانية في عصورها الزاهية كان في كافة المستويات العلمية والشعبية ، والحكومية والعسكرية! وكانت حركة الدولة والأمة تعبيراً صادقاً لمفهوم العبودية الشامل ، أما في العصور المتأخرة للدولة العثمانية ، فقد انحصر مفهوم العبادة في صور الشعائر التعبدية ، التي أصبحت تؤدى كعادة موروثة ليس لها من أثر في حياة ممارسيها ، اللهم إلا ما استغرقته من زمن لأدائها فقط ، وتم عزل العبادة عن بقية الإسلام ، حتى كأن الإسلام منحصر فيها دون بقية الأجزاء كالجهاد مثلاً ، وأحكام المعاملات ، أوالعلاقات المالية ، وغير ذلك من شؤون الحياة ، وظل هذا التصور المنحرف للإسلام قائما في نفوس الكثيرين إلى اليوم! ولله في خلقه شؤون. أنشدت من البسيط أقول:)

شمسٌ تشعُ يواقيتاً وأنوارا ... تنير دُوراً وأصقاعاً وأمصارا

تُبدد الظلمة الظلماء مذ جثمتْ ... وتلفتُ اليوم – للأضواء - أنظارا

تطل حالمة في ثوب طلعتها ... فتزهر الأرض - بالإشراق - إزهارا

المسلمون همُ الشمسُ التي طلعتْ ... وناولتْ ضوءها البراقَ أقطارا

واسأل عن العلم مَن جَلى غوامضه؟ ... ومَن أضاف إلى الأفكار أفكارا؟

ومَن تنقل - في البلدان - مرتحلاً ... يجني العلوم قراطيساً وآثارا؟

ومَن قضى عُمُراً في نيل معرفةٍ؟ ... إن المعارف يستغرقن أعمارا

ومَن مضى - في سبيل العلم - محتملاً ... لظى الطريق وأهوالاً وأخطارا؟

ومَن تحمّل ما يلقاه مِن قحم ... تُشقِي ، وكابد ترحالاً وأسفارا؟

ومَن تصبّر - رغم العُسر - محتسباً ... ضنك الحياة لكي يسوق أخبارا؟

ومَن تكلف مالاً لا حُدود له ... في العلم يقضي - من التعليم - أوطارا؟

ومَن تعنّى ببلوى الفقر لاعجة ... حتى يوفر أقلاماً وأسفارا؟

ومَن أضاء الدنا بالعلم في زمن ... عمّ الدجى كل أهل الأرض أعصارا؟

مَـن فقّـه النـاس عـن علـم وعـن رَشـدٍ ... وأنكـر الجهـل والأهـواء إنكـارا؟

وجـدّد العلـمَ فـي الآفـاق قاطبـة ... حتـى غـدا مثـل مـوج البحـر هـدارا؟

ونضّـر الفكـرَ فـي أذهـان مَـن فقهـوا ... حتـى هـدى لهُـدى الإسـلام كُفـارا؟

ونظـف العقـل مِـن أوسـاخ غفلتـه ... وصـبّ فيـه الهُـدى والحـق مِـدرارا؟

وبـيّن الحـق ، لـم يكـتمْ معالمـه ... وجـاد بـالخير - للآنـام - مكثـارا؟

ومَـن تعقـب مـا فـي الأرض مِـن بـدع ... فـدكّها دكّ مَـن يجتـث أشـجارا؟

يـا غـربُ قلهـا بـلا زيـغ ولا غلـطٍ! ... وأشـهر الحـق مثـلَ السـيف إشـهارا!

ولا تغـالط ، وهـل أغنـت مغالطـة؟ ... وأكْبـرِ الصِـيدَ أهـلَ العِلـم إكبـارا

جُـد بالحقـائق كـم أخفيتهـا زمنـاً ... ولا تصِـرّ - علـى الإخفـاء - إصـرارا

إن العبـاقرة الأفـذاذ مـا بخلـوا ... ومـا أسـرّوا - بمـا قـالوه - إسـرارا

بـل صـرّحوا بالـذي للغُـرْب مِـن قـيمٍ ... كـانوا بهـا للهُـدى والعلـم أنصـارا

حضـارة الغُـرْب مَـن فـي الأرض أنكرهـا ... أراه أنكـر – للنجـوم - أنـوارا

وسـائلوا (هونكـة) ومَـن يُتابعهـا ... عـن الألـى أبحـروا - فـي العلـم - إبحـارا

إذا ألّفـت تُنصـفُ الأعـرابَ ناشـرةً ... مجلـداً يمـدحُ الأقـوامَ والـدارا

فمـا حضـارتكم يـا غـرب مـذ بسـطتْ ... سـلطانَ نقمتهـا ، إذا أصـبحت عـارا؟

زوّجـتكمُ الرجـلَ المـرذولَ مِـن رجـل! ... والمـرأة امـرأة ، بـاركتمُ الآرا

شـربتمُ البَـوْلَ مخلوطـاً بغائطـه! ... شـأن الـذي يعشـق المـأكول أقـذارا

باسـم الحضـارة كـم بعـتم كـرامتكم! ... وكلكـم أتقـن التـرويجَ والكـارا

وكـم سـفكتم دمـاء الأبريـاء ضـحىً ... كـأنهم أصـبحوا عِيسـاً وأبقـارا!

وكـم غصـبتم فـلا حصـرٌ ولا عـددٌ! ... والغاصـبون اسـتحقوا الخِـزي والنـارا

وكـــم فجـــرتم ، وبـــات الفجـــرُ دَيـــدنكم! وهـــــل يؤيّـــــد ربُ النـــــاس فجّـــــارا؟

وقـــد هـــدمتم قـــرىً كانـــت مُحصّـــنة وســـلْ - عـــن الهـــدم - لينينـــاً وجيفـــارا

وكـــم غـــدرتم بمـــن أعطـــاكُمُ ثقـــة! والنـــــاسُ تمقـــــتُ غشاشـــــاً وغـــــدارا

وكـــم غـــويتم ، وأغـــويتم مَـــن افتتنـــوا! بكـــم ، وشـــادوا لمـــن أغـــواهمُ البـــارا

وكـــم ســـكِرتم وللمُـــدام صَـــولتها! وكـــم حملـــتم - علـــى الأكتـــاف – خمّـــارا!

وكـــم زنيـــتم ، فـــلا الأعـــراضُ غاليـــة! فالـــدار تحـــوي مـــواخيراً وأزيـــارا

وتزعمـــون بـــأن العِلـــم رائـــدكم إذ قـــد غـــدوتم - مِـــن التشـــريع - أحـــرارا

والتقنيـــاتُ لـــديكم - فـــي الحيـــاة - زهـــتْ وأثمـــرتْ - فـــي بقـــاع الأرض - إثمـــارا

حتـــى فتنـــتم بهـــا ، والنـــاسُ تغـــبطكم أيغبطـــون - علـــى الإفـــلاس - أشـــرارا؟

والعِلـــم أصـــبح مقصـــوراً علـــى فئـــةٍ أفرادُهـــا أصـــبحوا رومـــاً وبُلغـــارا

والأمريكـــان لهـــم - فـــي العلـــم - حِصـــتهم والإنجليـــز اعتلـــوْا - فـــي الزيـــف - تيّـــارا

والـــروسُ والهمـــجُ الإغريـــقُ كـــان لهـــم بـــاعٌ ، وإن حُســـبوا - فـــي الـــوزن - أصـــفارا

والشِـــيكُ والغجـــرُ الألمـــانُ أجمعُهـــم يـــرونْ أعلامهـــم بـــالعلم أخيـــارا

ويَفتـــرون - علـــى الأعـــراب - دون حيـــا كـــلٌّ يكيـــل الســـبابَ المُـــرّ مِغـــزارا

أيكـــذبون علـــى التـــاريخ تحسِـــبُهم ســـيُمنحون علـــى التزويـــر (أوســـكارا)؟!

والله يشـــهد أن القـــوم مـــا صـــدقوا بـــل أوغـــروا الصـــدر – بـــالتزييفِ - إيغـــارا

والـــبعض صـــدّق مـــا قـــالوه مُلتمســـاً لمَـــا افتـــروْه - عـــن الأعـــراب - أعـــذارا

يـــا غـــرب عُـــد للألـــى صـــاغوا شـــهادتهم بكـــل صـــدق مقـــالاتٍ وأشـــعارا

وكُـــفّ عـــن كـــل مـــا تلقيـــه مِـــن شُـــبه إن الأعـــارب لا ، لـــن يتركـــوا الثـــارا!

هكذا الدنيا: يومٌ لك ، وآخر عليك!

(ورد عن بن عبد الرحمن الهاشمي قال: دخلتُ على والدتي يوم الأضحى. فوجدتُ عندها امرأة في ثياب رثة ، فقالت لي والدتي: أتعرف هذه؟ قلتُ: لا. قالت هذه عبادة أم جعفر البرمكي. فأكرمتها وتحادثنا زماناً. ثم قالت: لقد أتى عليّ يا بني عيدٌ مثل هذا وعلى رأسي أربعمائة وصيفة! وإني لأعد أبا جعفرأ عاقاً لي جافياً في معاملتي قليل الإحسان! ولقد أتى عليّ هذا العيد ، وما مُناي إلا جلد شاتين أفترش أحدهما والتحف بالأخر! في سالف الأزمان عاش ملك من ملوك العجم نُقشت على خاتمه الملكي عبارة كانت بمثابة مذكّر دائم له ، وتصلح لكل الظروف والأحوال التي تمر على الإنسان ويمر بها. تلك العبارة كانت عبارة عن أربع كلمات هي: (دوام الحال من المحال!) وكانت قوافل الجمال تأتي له عبر الصحاري الرملية الشاسعة بالجواهر والدرر من سمرقند والسفن تمخر عُباب البحار لتجلب له اللؤلؤ المكنون ، لكنه لم يلق بالاً لتلك المجلوبات الثمينة ، بل كان يقول عند النظر إليها: "ما قيمة الثراء ودوام الحال من المحال؟" وفي بلاطه المهيب كانت الأفراح تتواصل ليل نهار. وعندما كان زائروه يُغدقون عبارات الإعجاب دون حساب. وتلتهب أكفهم من شدة التصفيق كان يقول لهم وسط صواني الفاكهة وأباريق الخمر: "يا صحبي الكرام ، المباهج تأتي لكنها لا تلازمنا أبداً ، لأن دوام الحال من المحال". وذات يوم بينما كان يحارب الأعداء في معركة حامية الوطيس اخترق رمحٌ ترسَه وأصابه في خاصرته ، فهرع إليه الجنود وحملوه إلى خيمته وقد علت أصواتهم بالتفجع والنحيب ، وإذ كان يئن ويتألم من الجرح الدامي صاح قائلا: "ما أصعب تحمّل الألم! ولكن مع الصبر الجميل ستزول الشدة لأن دوام الحال من المحال." أما تمثاله المصنوع من الحجر فقد كان يزين الساحة العامة ويرتفع شامخاً في الفضاء. وذات يوم تخفّى الملك ووقف بجانب اسمه المنحوت على الصخر وقال متأملاً: "ما قيمة الشهرة وهي ستتلاشى مع الأيام إذ دوام الحال من المحال؟!" وعندما بلغ من العمر عِتياً أصيب بالشلل ، وأصبح جسمه مهدوداً متهدما فراح ينتظر فراقه في أية لحظة. وبينما كان يلفظ أنفاسه الأخيرة قال: "لقد انتهت الحياة بالنسبة لي ، إنما ما هو الموت؟" وفي تلك اللحظة سقط شعاع الشمس على خاتمه فظهرت العبارة التي اتخذها شعاراً له في الحياة وأدرك أن الموت أيضاً لا دوام له لأن دوام الحال من المحال! عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رأى ما يحب قال: «الحمدلله الذي بنعمته تتم الصالحات» ، واذا رأى ما يكره قال: «الحمدلله على كل حال». أخرجه ابن ماجة وابن السني والحاكم وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة». قال العلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله قل: «الحمد لله على كل حال» أما ما يقوله بعض الناس (الحمد لله الذي لا يُحمد على مكروهٍ سواه) فهذا خلاف ما جاءت به السنة ، قل كما قال النبي عليه الصلاة والسلام: «الحمدلله على كل حال». أما أن تقول: «الذي لا يحمد على مكروه سواه) ، فكأنك الآن تعلن أنك كاره ما قدّر الله عليك ، وهذا لا ينبغي ، بل الواجب أن يصبر الإنسان على ما قدّر الله عليه مما يسوؤه أو يسره ، لأن الذي قدّره الله عز وجل هو ربك وأنت عبده ، هو مالكك وأنت مملوك له – سبحانه وتعالى -. ورأيتني أرثي لحال عبادة أم جعفر البرمكية وفي هذا أنشدتُ أقول:)

قلّبـــي أوراقـــاً طواهـــا الخفـــاءُ قـــد تفيـــدُ الأخبـــارُ والأنبـــاءُ

ذكّرينـــــا بالأمســـــيات الخـــــوالي ... عـــل ومضـــاً منهـــا بـــه يُستضـــاء

إن ســـيف التـــاريخ لـــيس يُحـــابي ... والجميـــعُ - عنـــد الحســـاب - ســـواء

فاســـألي عـــن مـــاض جليـــل تـــولى ... ظللتـــــكِ الأفضـــــالُ والنعمـــــاء

واســـتناخت - للبرمكـــيّ - المطايـــا ... والحيـــاة كانـــت علـــى مـــا يشـــاء

والأمـــورُ كانـــت كمـــا يشـــتهيها ... وحواليـــــه الجنـــــدُ والنصـــــراء

ثـــم حِيـــزتْ للعبقـــري الهـــدايا ... واســـتُحلت - رغـــم الأنـــوف - الـــدماء

والنســـاءُ - فـــي الأســـر - بـــتن ســـبايا ... والأســـارى - فـــي قيـــدهم - ســـجناء

محنـــة كبـــرى لـــم تجـــاوز ديـــاراً ... وانتقـــامٌ ســـادت بـــه الظلمـــاء

واحتقـــارٌ للخلـــق يُخـــزي ويُـــزري ... حيـــث ضـــاقت علـــيهمُ الغبـــراء

وانحـــرافٌ عـــن الصـــواب مَقيـــتٌ ... وامتحـــان ضـــجّت بـــه الأحيـــاء

كـــم مكـــرتم - بالنـــاس - دون اكتـــراثٍ! ... ليـــت شـــعري ، هـــل مثـــل هـــذا شـــقاء؟

كـــم بطشـــتم بـــالخلق حتـــى اســـتغاثوا! ... والـــدعاوى اســـتهدى بهـــا الخلفـــاء

كـــم بســـطتم كـــف النكـــال انتقامـــاً! ... واحتفـــى – بالرئبالـــة - الكُبـــراء

كـــم نهبـــتم بـــلا حســـاب خيـــوراً! ... حســـبما يقضـــي الـــرأيُ والأهـــواء

واغتنيـــتم علـــى حســـاب الرعايـــا ... واحتـــوى مَـــن قرّبتمـــوه الثـــراء

واســـتدارت رحـــى زمـــان التســـامى ... حيـــث جـــاءت تجنـــي الهنـــا البأســـاء

إن أخـــذ المليـــك أخـــذ شـــديدٌ ... ثـــم حســـبَ الأعمـــال كـــان الجـــزاء

غـــرّكم حِلـــمُ الله حتـــى افتـــريتم ... ثـــم حلـــتْ بـــالمُفتري الأزراء

لـــيس عِـــزٌ يـــدومُ ، هـــذا محـــالٌ! ... فاســـتكيني إمـــا اعتـــراكِ الـــبلاء

صِدق الأخوة

(إن القصة التي قال صاحب (عيون الأخبار) ج4 صـ 5:4 عن هذين الأخوين لغريبة! قال العُتبي: سمعتُ أبي يحدّث عن ناس من أهل الشام: أن أخوين كان لأحدهما زوجة ، وكان يغيب ويخلفه الآخر في أهله ، فهويته امرأة الغائب فراودته عن نفسها فامتنع ، فلما قدم أخوه سألها عن حالها ، فقالت: ما حال امرأة تراوَد في كل حين! فقال: أخي وابن أمي! وإني لا أفضحه! ولكن لله عليّ أن لا أكلمه أبداً. ثم حج ، وحج أخوه والمرأة ، فلما كانوا بوادي الدوم "مكان في الحجاز يفصل بين خيبر والعوارض" ، هلك الأخ ودفنوه ، وقضوْا حجهم ورجعوا ، فمرّوا بهذا الوادي ليلاً فسمعوا هاتفاً يقول:

أجـــدك تمضـــي الـــدوم لـــيلاً ، ولا تـــرى عليـــك ـ لأهـــل الـــدوم ـ أن تتكلمـــا

وبالـــدوم ثـــاو لـــو ثويـــت مكانـــه ومـــرّ بـــوادي الـــدوم حيـــاً لســـلما

فظنتِ المرأة أن النداء من السماء ، فقالت لزوجها: هذا مقام العائذ ، كان من أخيك ومني كيت وكيت. فقال: والله لو حلّ قتلك لوجدتني سريعاً ، ففارقها وضرب خيمة على أخيه وقال:

هجرتـــك فـــي طـــول الحيـــاة ، وأبتغـــي كلامـــاً لمـــا صـــرت رمســـاً وأعظمـــا

ذكـــرتُ ذنوبـــاً فيـــك كنـــت اجترمتهـــا أنـــا منـــك فيهـــا كنـــت أســـوا وأظلمـــا

ولم يزل مقيماً حتى مات ودفن بجانب أخيه ، فالقبران معروفان (عيون الأخبار : 4 /5:4).هـ. وإن المرء اليوم لينعي الأخوة حيث كان بعض الإخوة يأتي بالصرر فيها الدراهم والدنانير ، فيجعلها في نعال إخوانه حتى إذا لبسوها أحسوا بما فيها فأخذوه دون أن يشعروا ، فيقال له: لماذا لا ترسلها إليهم؟ قال: "إني أكره أن يتمعر وجه أخي عندما ينظر إلى رسولي ، أو إلى كتابي ، أو إذا لقيني"! وقال عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنه ـ معبراً عما كان في ذلك الصدر الأول من البذل للإخوة: "أتى علينا زمان وما يرى أحدٌ منا أحق بالدينار والدرهم من أخيه المسلم". قال أبو عبيد القاسم بن سلام: "زرت أحمد بن حنبل في بيته ، فأجلسني في صدر داره ، وجلس دوني ، فقلت: يا أبا عبد الله أليس يقال: صاحب البيت أحق بصدر بيته؟ فقال: نعم ، يقعد ويُقعِد من يريد" ما دام له الحق يُقعِد من يريد ، "ففقلت في نفسي: خذ إليك فائدة أبا عبيد ، ثم قلت: يا أبا عبد الله ، لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم" لو على حقك ومقدارك ـ يا أيها الإمام ـ لكان الواجب أن آتيك كل يوم". قال: لا تقل هذا إن لي إخواناً لا ألقاهم إلا في كل سنة مرة أنا أوثق بمودتهم ممن ألقى كل يوم". قد تكون هناك ظروف تمنع من اللقاء اليومي ، أو الأسبوعي ، أو الشهري ، لكن المحبة في الله باقية ، "ففقلت في نفسي: خذ أبا عبيد فائدة ثانية ، فلما أردت القيام قام معي ، فقلت: يا أبا عبد الله ، فقال: قال الشعبي: من تمام زيارة الزائر أن تمشي معه إلى باب الدار ، وتأخذ بركابه". "ففقلت: يا أبا عبيد هذه الثالثة ، فمشى معي إلى باب الدار ، وأخذ بركابي"! قال بعض السلف: "إني لأستحي من الله أن أسأل الجنة لأخٍ من إخواني ، وأبخل عليه بالدنيا" أي

بالدينار والدرهم. وروي أن مسروق رحمه الله ادَّان ديناً ثقيلاً ، وكان على أخيه خيثمة دين ، قال: فذهب مسروق فقضى دين خيثمة ، وهو لا يعلم - خيثمة لا يعلم أن مسروق قضى دينه - ، وذهب خيثمة فقضى دين مسروق ومسروق لا يعلم ، فكل واحد قام بشأن أخيه من غير أن يعلم ، وكلاهما صاحب حاجة. وكان أبو جعفر محمد بن علي يدعو نفراً من إخوانه كل جمعة ، فيطعمهم الطعام ، ويطيبهم ويبخرهم ، ويروحون إلى المسجد من منزله. أنشدتُ في ذلك من المنسرح أقول:)

أخـــــوة تبتغـــــى وتلـــــتمَسُ ... منهـــــا كِـــــرامُ الأنـــــام تقتـــــبسُ

ليســـــت تُبـــــارى مهمـــــا تَكلفهـــــا ... جيـــــلٌ - بمـــــا يحتويـــــه - يـــــأتنس

إن الإخـــــــاء البـــــــرئ ديـــــــدنها ... ومِـــــن أصـــــيل الوفـــــا لهـــــا أســـــس

والمَكْرُمـــــــاتُ الحِســـــانُ تُربتهـــــا ... والبـــــذلُ والجـــــودُ هـــــا همـــــا قـــــبس

مـــــاذا تريـــــد البلهـــــا التـــــي مَكـــــرتْ؟ ... والعشـــــقُ طوفـــــانٌ فـــــائرٌ مَـــــرِس

كـــــم أزهـــــا للـــــذي تؤمّلـــــه ... وهـــــجُ التـــــدني ، كأنـــــه القـــــبس!

إذ راودتْ لـــــم تَخـــــفْ عواقبهـــــا ... وقلبُهـــــا - فـــــي السُـــــعار - مُـــــنغمس

تُســـــعّرُ النـــــزوة التـــــي جَمحـــــتْ ... وذا طريـــــقٌ مُجنـــــدلٌ يَـــــبَس

ولكـــــنِ الشـــــهمُ عـــــاب جُرأتهـــــا ... وقـــــال: لســـــتُ البهـــــيمَ يفتـــــرس

وإن تخـــــنْ تلـــــك زوجهـــــا علنـــــاً ... والأمـــــرُ بـــــادٍ ، ولـــــيس يلتـــــبس

وتبـــــذلُ العِـــــرض لـــــيس يردعُهـــــا ... عُـــــرفٌ ، ولا إســـــلامٌ ، ولا عَسَـــــس

وتشـــــتهي العـــــارَ لســـــتُ أقربـــــه ... واهتـــــاجَ فيهـــــا الســـــعارُ والـــــنفس

فلـــــيس مثلـــــي الـــــذي يحِـــــنّ لهـــــا ... إذ للتـــــدني أزيـــــارُه الحُمُـــــس

وإن أتتنـــــي ضُـــــحىً تراودنـــــي ... عَـــــز الـــــذي تشـــــتهي وتلـــــتمس

خـــــوفي مِـــــن الله بـــــات يمنعنـــــي ... وللتـــــردي تبـــــذلٌ نجـــــس

وإنّ صـــــدق الإخـــــا يُســـــربلني ... صُـــــواه بـــــادٍ ، ولـــــيس ينـــــدرس

طبيبة تعترف

(في كتاب (مجالس النساء) وتحديداً في جزئه الأول لعبد الرحمن عطا الله المحمدي ص 64 وجدت اعتراف هذه الطبيبة المسكينة التي رثيت لها ، وبكى قلبي لحالها. إن الشهادات يا ناس ليست كل شيئ ، نعم هي درجاتٌ علمية ، نعم تضفي على أصحابها شيئاً من الأبّهة والسمو ، ولكنها ليست كل شيئ ، وإلا فاستمعوا لقصة هذه الطبيبة ترويها بنفسها على صفحات الجرائد بكلماتٍ داميةٍ وألفاظٍ باكيةٍ وأسلوب حزين فتقول الحقيقة مجردة وتعلن وتفصح. (طبيبة في الثلاثين من عمرها ولم تتزوج ، فهي تصرخ وتقول: "خذوا شهاداتى وأعطوني زوجا"! السابعة من صباح كل يوم وقت يستفزني ، أركب وحدي خلف السائق متوجهة صوب عيادتي ، بل مدفني ، بل زنزانتي ، وعندما أصل إلى مثواي أجد النساء بأطفالهن ينتظرونني وينظرون إلى معطفى الأبيض ، وكأنه بردة حرير فارسية ، هذا في نظر الناس ، وهو في نظري لباس حِدادٍ قد أعِد لي! ثم تواصل اعترافها فتقول: أدخل عيادتي ، أتقلد سماعتي ، وكأنها حبل مِشنقة يلتف حول عنقي ، والعقد الثالث يستعد الآن للالتفاف حول عنقي ، والتشاؤم ينتابني على المستقبل. وأخيراً تصرخ وتقول: (خذوا شهاداتي ومعاطفي وكل مراجعي وجالب السعادة الزائفة ، وأسمعوني كلمة: "ماما") ثم تنشد من الشعر أبيات ثلاثة تقول:

لقـــد كنـــت أرجـــو أن يُقـــال: طبيبـــة فقـــد قيـــل! مـــاذا نـــالني مِـــن مقالهـــا؟

فقـــلْ للتـــي كانـــت تـــرى فَـــيّ قـــدوة: هـــي اليـــوم - بـــين النـــاس - يُرثـــى لحالهـــا

وكـــل مُناهـــا بعـــضُ طفـــل تضـــمّه! فهـــل ممكـــن أن تشـــتريه بمالهـــا؟!

وإلى هنا انتهت قصتها بعبارتها. والحقيقة أنني عندما قرأتُ هذه القصة تأثرت جداً ، وبعد حين رأيت أن أحكي الذي قالته شعراً للناس. وقبل مطالعة قصيدتي بشأنها لا بد من الإشارة إلى أمرين وردا في ثنايا قصتها ، وذلك إبراء للذمة منهما: * الأول ما ورد على لسانها من ركوبها وحدها خلف السائق: وهذا الأمر لا يجوز في شريعتنا لأنه تتحقق به الخلوة المُحرّمة ، ومن أراد المزيد فليُراجع فتاوى اللجنة الدائمة ، ويستثنى بالطبع الضرورة التي تحَد بحدّها ولا يُتوسع فيها حسب الأهواء! * الثاني ما ورد من قولها بالتشاؤم الذي ينتابها على المستقبل: أيضاً ليس من عقيدة المسلمة التشاؤم (إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون). وقد ورد عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه يكره التشاؤم وأنه يعجبه الفأل ، فليُتنبه! يقول د . محمد سمير عبد الفتاح ، أستاذ علم النفس ، وذلك نقلاً عن مقالة كتبتها الأستاذة منى الشرقاوي في ركن (المرأة والطفل) في الأهرام ما نصه: (يجب أن يكون للأم دورٌ إيجابيٌ مع ابنتها ، يجعلها لا تفقد الثقة في نفسها وأن لا تكون عنصراً سلبياً يدفعها للإقدام على أى زيجة ، لمجرد أن ترضي الآخرين وتترك لقب «عانس» ، كما يقع على المجتمع عبء تغيير النظرة التي ينظر بها للمرأة التي تأخرتْ عن الزواج! ويجب أن تكون مكانتها - ولو لم يرزقها الله بزوج صالح - مُصانة ولا ينقص من قدرها. ومن الغريب أن العُمر الذي كانت تصبح فيه الفتاة مدْرجة تحت يافطة «العنوسة» هو هو سن

الثلاثين أصبح سن الزواج في الوقت المعاصر لأن هناك أسبابا عديدة لتأخر سن الزواج ، وفي مقدمتها الأسباب الاقتصادية وتدني مستوى الدخل ، وكذلك الأسباب الاجتماعية كالعادات والتقاليد من اشتراط الأهل الزواج من الأقارب لدى بعض الأسر ، كما أن الكثير من الفتيات ترغب في تأجيل الارتباط إلى حين تحقيق طموحاتهن ، وعلى الرغم من كل ذلك ، تظل فكرة الزواج مسيطرة على المرأة ، حتى لا يقال عليها إنها عانس خاصة أن لفظ «العانس» لا يستثنى الفتيات الناجحات ممن قهرن المستحيل في عدة مجالات ، وفضلن النجاح الشخصي على أن تكون لهن حياة زوجية غير متكافئة. لذلك ينبغي على كل فتاة أن تكون واقعية في تفكيرها ، وأن لا تترك نفسها فريسة لكلام الناس ونظرات المجتمع ، وباستطاعتها ممارسة حياتها بشكل طبيعي ، فالظروف تغيرتْ ، والمعايير اختلفت ، ولا تزال الحياة مفتوحة أمامها تساعدها في تحقيق طموحها وأهدافها ، بدلا من «حالة العنوسة» التي يريد المجتمع أن يضعها فيها).هـ. والآن لنطالعْ ما مَنّ اللهُ – عز وجل – علينا به من الشعر بشأن تللك الطبيبة البائسة التي آثرتُ أن أنشد لها من شعري على بحر الرجز:)

مقالـــــــة بديعـــــــة جليلـــــــة ... وقصـــــــة صـــــــريحة نبيلـــــــة

عـــــن الطبيبـــــة التـــــي تعـــــاني ... وتبتغـــــــي لربهـــــا الوســـــيلة

وتشـــــتهي أمومـــــة تنـــــاءتْ ... وأصـــــبحت بـــــذاك مســـــتحيلة

فمـــــا البدايـــــة التـــــي تـــــدَمِّي ... أســـــىً علـــــى الضـــــحية القتيلـــــة؟

تقـــــول للـــــورى بكـــــل صـــــدق: ... أنـــــا طبيبـــــة النســـــا الأصـــــيلة

درســـــتُ طـــــبّهن باجتهـــــادٍ ... وذبـــــتُ فـــــي المَراجـــــع المَهولـــــة

ســـــلكتُ - للعلـــــوم - ألـــــفَ درب ... ومَـــــذهب ومَـــــنهج وحِيلـــــة

وبعـــــتُ للمضـــــا سِـــــنِيَ عمـــــري ... لكـــــي أحقـــــق المُنـــــى الجميلـــــة

وســـــرتُ نحـــــو أمنيـــــاتِ قلبـــــي ... تقـــــودُني مَطـــــامحي البســـــيلة

يســـــوقنني - إلـــــى العُـــــلا - رفـــــاقي ... وتحتفـــــي مضـــــاربُ القبيلـــــة

ونلـــــتُ بعـــــد فتـــــرةٍ مُـــــرادي ... فصـــــرتُ - فـــــي قبيلتـــــي - جليلـــــة

وجـــــاءني لخِطبتـــــي رجـــــالٌ ... وجُلهـــــم يُحَبِّـــــذ الفضـــــيلة

ويرتجـــــي العفـــــافَ فـــــي ديـــــار ... تـــــراه فـــــي البنـــــاء بالحليلـــــة

فقلـــــتُ: لا ، دراســـــتي وعِملـــــي ســـــيأخذان فتـــــرة طويلـــــة

وبعـــدها مضـــى قطـــارُ عمـــري وصـــبوتي ، وشـــابت الجديلـــة

وولـــت الشـــبيبة ابتئاســـاً وغـــارتِ المَـــدامع الكحيلـــة

وإنْ أنـــا نظـــرتُ فـــي المَرايـــا نـــدمتُ إذ تصـــرّحُ الوذيلـــة

بـــأنني مرقـــتُ مِـــن شـــبابي وســـرتُ فـــي الـــدياجر الوبيلـــة

وعشـــتُ أنســـجُ الســـرابَ ثوبـــاً بـــه ســـترتُ غـــايتي الكليلـــة

وكنـــتُ أحسِـــبُ الحيـــاة جاهـــاً يُنـــال - بالشـــهادة - البجيلـــة

أقـــولُ: والمقالـــة اعتـــرافٌ لقـــد خســـرتُ جـــوهرَ الفضـــيلة

حُرمـــتُ فـــي النســـاء لفـــظ (أمـــي) وكانـــتِ العقوبـــة الحصـــيلة

شـــهادتي أمـــومتي وطفلـــي لأنهـــا أمـــومتي البديلـــة

وبالوظيفـــة اقتنعـــتُ حتـــى أضـــمّد الرغائـــبَ الذليلـــة

وبالعيـــادة ارتضـــيتُ عيشـــاً وجـــدتني لظلـــه خليلـــة

ألا خـــذوا عِيـــادتي ومـــالي وصـــادروا دفـــاتري الهزيلـــة

وزوِّجـــوا العجـــوز فـــي صـــباها! وبـــدّدوا همومَهـــا الثقيلـــة

وأســـعدوا فؤادهـــا المُعَنـــى ونفسَـــها الكســـيرة العليلـــة

وجنبـــوا التعيســـة الـــدنايا وكـــل مـــا يقـــودُ للرذيلـــة

وأســـمعوا الحَصَـــان لفـــظ (أمـــي) تشـــوقني بلثغـــة الطفولـــة

وشهد شاهدٌ من أهلها

(أما الشاهد فهو نساء غربيات ، وأما أهلها فأعني الحضارة الغربية. ففي كتاب (مجالس النساء صـ 47 ، 99): * توجّه (مارلين مونرو) نصيحة للفتيات جاء فيها: (...احذري المجد ، احذري كل من يخدعونك بالأضواء ، إنني أتعس امرأة تعيش على هذه الأرض ، لم أستطع أن أكون أمّاً ، إنني أصبحتُ أفضل البيت ، فالحياة العائلية الشريفة هي كل شيئ. إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة ، بل إن هذه الحياة لهي رمز سعادة المرأة بل الإنسانية. إن العمل بالسينما يجعل من المرأة سِلعة رخيصة تافهة ، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة).هـ. * وتقول الكاتبة (آرنون): لأن تشتغلْ بناتنا في البيوت خوادم خيرٌ من أن يشتغلن في المعامل ، حيث تصبح المرأة ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين فيها الحشمة والعفاف والطهارة.هـ. * وتقول الممثلة (برجيت باردو): (إن الناس أحبوني عارية ، ورجموني عندما تبت! إنني عندما أشاهد الأن أحد أفلامي السابقه ، فإنني أبصق على نفسي ، وأقفل الجهاز فوراً ، كم كنت سافلة؟!) ، ثم تواصل قولها: (قمة السعادة الزواج. إنني إذا رأيت إمرأة ومعها أولاد أتساءل في سِري لماذا أنا محرومة من هذه النعمة؟).هـ. * وفي مقالة أجرتها إحدى المجلات مع (براونين موراك إيفانز) – وهي إنجليزية أعلنت إسلامها – كان من الأمور التي دفعتها لتترك النصرانية وتدخل في الإسلام (الأسرة المسلمة ومكانة المرأة). قالت: (المرأة المسلمة دائماً في حماية ورعاية ، تجد مَن يُعيلها أينما حلت ، وهي جزءٌ هامٌ في المجتمع الإسلامي. تعيش في جو عائلي تفتقده الكثير من الأسر النصرانية (الأب والأم والأولاد وبعدهم الأقارب ، العائلة المسلمة كأنها مملكة واسعة الأطراف) ، أما العائلة النصرانية فإنها تقتصر على رجل وامرأة فقط طرفين لا توابع تخلفهما. القسيس في الكنيسة يتحكم في كل شيئ ، ويتدخل في كل الأمور ، أما في الإسلام فلا يوجد قسيس أو وسيط بين الإنسان وربه).هـ.* وتحت عنوان: (الأمومة) بقلم يوهان كريستوف آرنولد يصل قوله بالنص: (إن حساسية الأم ومحبتها لا حدود لهما. فتراها مستمرة في أملها بأولادها لمدة طويلة حتى لو قطع غيرها الأمل فيهم بسرعة. والأم الطيبة لا تكون قدوة لأسرتها فحسب ، بل أيضا قدوة لكل من تلتقيه. فتُسعِد فرحتها الآخرين. وأنا شخصياً لا أوفي أمي حقها مهما شكرتُ الله على محبتها ، ولا حتى على علاقتها العميقة مع أبي. وبالرغم من أن والديّ لم يدعوهما الناس بـ "متديّنين" على الإطلاق ، إلا أن الأمر كان واضحاً لنا نحن السبعة أولاد من أن والدينا كانا يحبان الله تعالى ويحب أحدهما الآخر ويحبان كل واحد منا. لقد كان واضحاً لنا أن والدنا هو رب الأسرة. ونرى العديد من النساء في عصرنا يتمرَّدْنَ على الأمومة. فهُنَّ يَنْسِينَ أن الأمومة هي ليست مجرد مهمة وهبها الله لهنّ فحسب ، بل أيضا امتياز مشرّف وهبه الله لهنّ. لقد كانت تُعتبر الأمومة سابقاً من أسمى الدعوات الإلهية للمرأة ؛ أما في الوقت الحاضر فقد تم إزاحتها واستبدالها بمهنة "مُعتبرة" ، وصار يُنظر إلى الأمومة على أنها غير مريحة ومصدر إزعاج أو حتى إحراج. صحيح أن العديد من النساء يتمردن على ظلم أزواجهن وعلى فقدان المحبة لديهم ، غير أن استيائهن - حتى لو كان مفهوما - لا يحقق إلا القليل في النهاية. فيا للتحسُّن الذي سيطر على الحياة الأسرية لو اعترفنا بالالتباسات وعدم الوضوح الذي عندنا بشأن موضوع دور الرجل ودور المرأة في الأسرة إن الشيء المثير للإعجاب هو أن

النساء يشغَلْن اليوم مناصب مهمة ويستمِرْن بالعمل في وظائفهن لغاية مرحلة الولادة. ولكن عندما يتطلبهن الحمل والأطفال ، فلا بد لهن من إعطاء الأولوية للأمومة في حياتهن دائما. فيجب عليهنّ أن يَكُنَّ أمهات أولاً وأخيراً - ولن يَكُنَّ طبيبات أو معلمات أو محاميات أو مديرات أو محاسبات إلا بعد القيام بدورهن الأمومي. وحاشا لهن أن ينظرن إلى الحمل على أنه أمر يُتأسَّفُ عليه أو يُستاء منه بل ينبغي عليهن أن ينظرن إلى الأمومة على أنها نعمة إلهية موهوبة لهن بقناعة تامة.).هـ. *
وفي مقابلة مع امرأة فرنسية متخصصة في الفن الإسلامي (نادية أوبيربيه) قالت: (وجدت المرأة المسلمة محترمة داخل بيتها أكثر من الأوروبية ، وأعتقد أن الزوجة والأم المسلمتين تعيشان سعادة تفوق سعادتنا). ثم توجّه نصحها للمسلمة: "لا تأخذي من العائلة الأوروبية مثالاً لك".)

أقـــوالهن يواقيـــتٌ مِـــن القـــيمِ ... تضـــيئ دربـــاً غـــدا مُحْلولـــك الظَلَـــمِ
تُبـــيّن الحـــق ، تســـتجلي معالمـــه ... وعنـــه تطـــرحُ مـــا يخفيـــه مِـــن تهـــم
وتكشـــف الزيـــف كـــيلا يُســـتعان بـــه ... علـــى ضـــلال ملايـــين مِـــن الأمـــم
وتســـتزيد بهـــا الشـــعوبُ تبصـــرة ... بمـــا - لـــدى الغـــرب - مِـــن تهتـــكٍ عمـــم
بـــئس الحضـــارة أهلوهـــا بهـــا افتتنـــوا! ... فجـــرَّعتهم صـــنوفَ البـــؤس والوضـــم
ودمّـــرتهم ، ولـــم تحفـــظ كـــرامتهم ... وألجـــأتهم إلـــى التشـــريد والعـــدم
وخرّبـــتْ دُورَهـــم ، والأرضَ قاطبـــةً ... بمـــا احتوتـــه مِـــن التتبيـــر والـــنقم
وللنســـاء نصـــيبٌ لا حـــدود لـــه ... مـــن الضـــياع ســـرى فـــي كـــل مصـــطدم
فـــالمرأة انحرفـــتْ عمـــا أنـــيط بهـــا ... لمّـــا اســـتهانت بمـــا فـــي النـــاس مِـــن قِـــيم
فأصـــبحت سِـــلعة فـــي سُـــوقها رخصـــتْ ... وكـــم تســـاوم مثـــل الشـــاء والـــنعم!
تلقـــف العيـــرُ - فـــي الأصـــقاع - فتنتهـــا ... واســـتعذبوا العُـــرْيَ تُزجيـــه لمُلـــتهم
وصـــوّروها بأوضـــاع تُحَقرُهـــا ... حتـــى غـــدت سَـــبباً يُفضِـــي إلـــى الجُـــرُم
وأوقـــدوا النـــارَ تكـــوي كـــل واردةٍ ... وللســـعير كلاليـــبٌ مـــن الضـــرم
وأصـــبحت أمَـــة تـــأوي لســـيّدها ... يســـوقها طربـــاً للمَرتـــع الـــوَخِم
واســـتعبدوها لمَـــا سَـــنوه مِـــن عَفـــن ... والأمـــرُ لـــيس - علـــى حُـــر - بمنـــبهم

وكبلوهـــــا بأصـــــفادٍ تســـــربلها ... فلـم تعـد ـ فـي الـدنا ـ تسـعى علـى قـدم

ودنســـوا طهرهـــا بـــدون مرحمـــةٍ ... وقـــدموها بوضـــع غيـــر محتـــرم

ولوثـــوا سَـــمتها فـــي كـــل معتـــركٍ ... وأهبطوهـــا إلـــى مُســـتنقع الـــرّمم

وهتّكـــوا عِرضـــها كـــي يُشـــبعوا نهمـــاً ... وأطمعـــتْ بعضـــهم شـــراهة الـــنهم

وراهنـــوا أبـــداً علـــى أنوثتهـــا ... وإنْ يكـــنْ فـــي الـــذي رامُـــوه ســـفك دم

ففـــي المـــواخير أخبـــارٌ تشـــوّهها ... والأمـــرُ أوضـــحُ مِـــن نـــار علـــى علـــم

وفـــي بيـــوت البغـــا مـــا يُســـتدل بـــه ... علـــى الســـقوط الـــذي مـــا خطـــه قلمـــي

وكـــم قـــرأتُ عـــن الحانـــات باســـطة ... كـــفّ الـــدعارة ـ للغـــادات ـ عـــن رَغـــم!

وكـــم علـــى مســـرح مرذولـــة رقصـــتْ ... وقـــدمتْ فنهـــا يحـــدو علـــى نغـــم

وقـــد تغنـــي ، فـــلا أخـــلاق تمنعُهـــا ... والصـــوتُ يُســـمِع مَـــن أصـــيب بالصـــمم

وكـــم تعـــرّتْ ـ لأجـــل المـــال ـ فاســـقة! ... وبعـــدُ حـــازت مِـــن الأســـماء والســـيم

واليـــوم صـــرَّحتِ النســـاء مُعلنـــة ... أن الحضـــارة دكّـــتْ جانـــبَ الشـــيم

فمـــا الســـبيلُ إلـــى توجيـــه دفتهـــا ... لخيـــر مـــا يضـــمن النهـــوض بالنســـم؟

هـــذي العبـــاراتُ نبـــراسٌ يضـــيئ لنـــا ... حنـــادسَ الـــزور فـــي ذي الأعصـــر الـــدُهُم

شـــواهدٌ مـــلأت ســـمعَ الزمـــان صـــدىً ... بـــأن عيشـــاً ـ علـــى الأخـــلاق ـ لـــم يقـــم

بـــأن فـــي الغـــرب فوضـــى عـــاش يعبـــدُها ... حتـــى أصـــابتْه بـــالإفلاس والغمـــم

ولـــيس يُنقـــذه مِـــن شـــر باطلـــه ... ومـــا يُعـــاني ســـوى شـــريعة الحكـــم

ســـوى اتبـــاع الهُـــدى بـــلا معانـــدةٍ ... ثـــم اتبـــاعُ الرســـول المصـــطفى الهشـــم

هـــذي الحقيقـــة قلناهـــا بـــلا ملـــق ... لعـــل عبـــداً يعـــي المـــرادَ فـــي الكلـــم

يـــا غـــربُ تـــبْ وامتثـــلْ شـــرعاً تســـود بـــه ... كـــيلا تعـــضّ ـ غـــداً ـ أصـــابعَ النـــدم

في المعاريض مندوحة عن الكذب

(أورد صاحب (ثمرات الأوراق صـ 339 : 340) ما نصه: (حُكي أن بعض الملوك طلع يوماً إلى قصره فلاحت منه التفافة ، فرأى امرأة على سطح دار إلى جانب قصره ، ولم ير الراؤون أحسن منها ، فالتفت إلى بعض جواريه فقال لهن: لمن هذه؟ فقالت: يا مولاي ، هذه زوجة غلامك فيروز. فنزل الملك وقد خامره حبها وشغف بها ، فاستدعى فيروزاً ، وقال له: خذ هذا الكتاب وامض به إلى البلدة الفلانية ، وائتني بالجواب. فأخذ فيروز الكتاب وتوجه إلى منزله ، فوضع الكتاب تحت رأسه. فلما أصبح ودّع أهله وسار طالباً لحاجة الملك ، ولم يعلم بما قد دبّره الملك. ولمّا توجّه فيروز قام الملك مسرعاً وتوجّه مختفياً إلى دار فيروز ، فقرع الباب قرعاً خفيفاً ، فقالت امرأة فيروز: من بالباب؟ قال: أنا الملك سيد زوجك. ففتحتْ له ، فدخل وجلس ، فقالت له: أرى مولانا اليوم عندنا. فقال: جئت زائراً. فقالت: أعوذ بالله من هذه الزيارة ، ما أظن أن فيها خيراً. فقال لها: ويحك! إنني الملك سيد زوجك ، وما أظنك عرفتني. فقالت: يا مولاي ، لقد علمتُ أنك الملك ، ولكن سبقتك الأوائل في قولهم:

سأترك ماءكم من غير وردٍ ... وذاك لكثرة الوُرّاد فيهِ

إذا سقط الذبابُ على طعام ... رفعتُ يدي ، ونفسي تشتهيه

وتجتنب الأسودُ ورودَ ماءٍ ... إذا كان الكلابُ ولغن فيه

ويرتجعُ الكريمُ خميصَ بطن ... ولا يرضى مساهمة السفيه

وما أحسن يا مولاي قول الشاعر:

قلْ للذي شفه الغرامُ بنا ... وصاحبُ الغدر غير مصحوبِ

واللهِ لا قال قائلٌ أبداً ... قد أكل الليث فضلة الذيب

ثم قالت: أيها الملك ، تأتي إلى موضع شرب كلبك منه فتشرب منه؟ فاستحيا الملك من كلامها ، وخرج وتركها ، فنسي نعله في الدار! هذا ما كان من الملك. أما فيروز فإنه لمّا خرج وسار تفقد الكتاب فلم يجده معه ، فتذكّر أنه نسيه تحت فراشه فرجع إلى داره ، فوافق وصوله عقب خروج الملك من داره. فوجد نعل الملك في الدار ، فطاش عقله ، وعلم أن الملك لم يرسله في هذه السفرة إلا لأمر يفعله. فسكت ولم يُبد كلاماً ، وأخذ الكتاب وسار إلى حاجة الملك فقضاها. ثم عاد إليه فأنعم عليه بمائة دينار. فمضى فيروز إلى زوجته فسلم عليها ، وقال لها: قومي إلى زيارة بيت أبيك. فقالت: وما ذاك؟ قال: إن الملك أنعم علينا وأريد أن تُظهري لأهلك ذلك. قالت: حُباً وكرامة! ثم قامت من ساعتها إلى بيت أبيها ، ففرحوا بها وبما جاءت به معها. فأقامت عند أهلها عدة أشهر ، فلم يذكرْها زوجها ولا ألم بها. فأتى إليه أخوها وقال له: يا فيروز ، إما أن تخبرنا بسبب غضبك وإما أن تحاكمنا إلى الملك. فقال: إن شئتم الحكم فافعلوا ، فما تركت لها عليّ حقاً إلا أديته لها.

فطلبوه إلى الحكم ، فأتى معهم ، وكان القاضي إذ ذاك عند الملك جالساً إلى جانبه ، فقال أخو الصبية: أيد الله مولانا قاضيَ القضاة ، إني أجّرت هذا الغلام بستاناً سالمَ الحيطان ببئر ماء مَعِين عامرة وأشجار مثمرة ، فأكل ثمره وهدم حيطانه وأخرب بئره. فالتفت القاضي إلى فيروز وقال له: ما تقول يا غلام؟ فقال فيروز: أيها القاضي ، قد استلمت هذا البستان وسلمته إليه أحسن ما كان. فقال القاضي: هل سلم إليك البستان كما كان؟ قال: نعم ، ولكن أريد منه أن يبين السبب لرده. قال القاضي: ما قولك؟ قال: والله يا مولاي ما رددت البستان كراهية فيه ، وإنما جئت يوماً من الأيام فوجدتُ فيه أثر الأسد ، فخِفت أن يغتالني ، فحرّمتُ على نفسي دخول البستان إكراماً للأسد أو خوفاً من بطشته. وكان الملك متكئاً فاستوى جالساً وقال: يا فيروز ، ارجع إلى بستانك آمناً مطمئناً! فوالله إن الأسد دخل البستان ولم يؤثر فيه أثراً ، ولا التمس منه ورقاً ولا ثمراً ولا شيئاً ، ولم يلبث فيه غير لحظة يسيرة وخرج من غير بأس ، والله ما رأيت مثل بستانك ولا أشد احترازاً من حيطانه على شجره. فرجع فيروز إلى داره ، وردّ زوجته ولم يُعْلم القاضي ولا غيره بشيء من ذلك).هـ. قال تعالى: {فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ}. وعلق الأستاذ محمد رشيد رضا في (المنار) على هذه الآية بقوله ما نصه: (هذا تفصيل لحال النساء في هذه الحياة المنزلية التي تكون المرأة فيها تحت رياسة الرجل ، ذكر أنهن فيها قسمان: صالحات وغير صالحات ، وإن من صفة الصالحات القنوت ، وهو السكون والطاعة لله تعالى وكذا لأزواجهن بالمعروف ، وحفظ الغيب. قال الثوري وقتادة: حافظاتٌ للغيب يحفظن في غيبة الأزواج ما يجب حفظه في النفس والمال ، وروى ابن جرير و البيهقي من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (خير النساء التي إذا نظرت إليها سرّتك ، وإذا أمرتها أطاعتك ، وإذا غبت عنها حفظتك في مالك ونفسها). وقرأ صلى الله عليه وسلم الآية. وقال الأستاذ الإمام: الغيب هنا هو ما يُستحيا من إظهاره أي حافظات لكل ما هو خاص بأمور الزوجية الخاصة بالزوجين فلا يطلع أحد منهن أحدًا على شيء مما هو خاص بالزوج. أقول: ناهيك بوصل حفظ الغيب (بما حفظ الله) فالانتقال السريع من ذكر ذلك الغيب الخفي ، إلى ذكر الله الجلي ، يصرف النفس عن التمادي في التفكر فيما يكون وراء الأستار ، من تلك الخفايا والأسرار ، وتشغلها بمراقبته عز وجل. وفسروا قوله تعالى: {بِمَا حَفِظَ اللَّهُ} بما حفظه لهن في مهورهن وإيجاب النفقة لهن ، يريدون أنهن يحفظن حق الرجال في غيبتهم جزاء على المهر ووجوب النفقة المحفوظين لهن في حكم الله تعالى ، وما أراك إلا ذاهبًا معي إلى وهن هذا القول وهزاله ، وتكريم أولئك الصالحات بشهادة الله تعالى أن يكون حفظهن لذلك الغيب من يد تلمس ، أو عين تبصر ، أو أذن تسترق السمع ، معللاً بدراهم قبضن ، ولقيمات يرتقبن ، فإن الصالحة يكون لها من مراقبة الله تعالى وتقواه ما يجعلها محفوظة من الخيانة ، قوية على حفظ الأمانة أو حافظات له بسبب أمر الله بحفظه ، فهن يطعنه ويعصين الهوى).هـ. وقد اطلعتُ على هذه القصة (قصة الملك مع فيروز وزوجه) ، وتأثرتُ بحبكتها الدرامية ونسيج سَردها ، وألفيتها تصلحُ مقدمة لقصيدة تشرحُ غوامضها وموضوعها للعالمين. وأيقنتُ أنّ في التعريض مندوحة عن الكذب! فأنشأتُ أقول من المنسرح وقافية الحاء:)

هـــذي المعـــاريضُ جـــدّ تمتـــدَحُ فكـــم تُـــواري العَـــوارَ يُفتضـــحُ!

لا شـــيئ مثـــل الوضـــوح يجعلنـــا ... فـــي خيـــر عـــيش ، يـــا حبـــذا الوضـــح!

وتشـــتهي العـــينُ كـــل فاتنـــةٍ ... والمشـــتهون الأنـــذالُ كـــم فضِـــحوا!

ويصـــرفُ العـــينَ دِيـــنُ صـــاحبها ... والـــدّيِّنُ المســـتنيرُ يَنتصـــح

لمّـــا رأى رأسُ القـــوم فتنتهـــا ... أحـــبّ مَـــن – بالجمـــال - تتشـــح

ووَدّ لـــو نـــال مـــا يتـــوقُ لـــهُ ... وصـــدرُه - بـــالغرام - منشـــرح

وكـــاد واحتـــال فـــي ســـبيل هـــوىً ... وشـــهوةٍ - فـــي الخفـــاء - تُجتـــرح

فأرســـل الـــزوجَ فـــي مُهمتـــه ... حتـــى يســـودَ الإينـــاسُ والمَـــرح

وغـــاب (فيـــروز) ، والـــديارُ خلـــتْ ... فـــيم الجـــوى والعـــذابُ والتـــرحُ؟

وحَـــلّ ضـــيفاً متـــيمٌ شَـــبقٌ ... وقصـــدُه مِـــن مجيئـــه وقـــح

وزوجُ (فيـــروز) للمُـــراد وعـــتْ ... فســـاقت الـــوعظ ، شـــأنَ مَـــن نصـــحوا

وعرّضـــت كـــي تكـــون حـــاذرة ... وظـــاهرُ القـــول جُلـــه مِـــزح

وإذ رأى البيّنـــــاتِ سَـــــيدُها ... وأنهـــــا إن أرادهـــــا الشـــــبح

خلـــى الســـبيل الـــذي ســـقاه لظـــىً ... وســـاق قـــولاً كأنـــه المُلَـــح

إذ جـــاء (فيـــروز) البيـــتَ مُتهمـــاً ... لغـــادةٍ - بالرشـــاد - تُمتـــدح

وقـــال: صُـــنها ، فتلـــك طـــاهرة ... ومـــا عليهـــا - وربّنـــا - جُـــنح

وأحســـن الظـــنَ ، كلنـــا بَشَـــرٌ ... والأمـــرُ يـــا مســـتريبُ متضـــح

وأجـــزلَ الســـيدُ العطـــاءَ لهـــا ... وجـــاءتِ البشـــرياتُ والمِـــنح

والله أنجـــى وليـــة لجـــأتْ ... إليـــه ، إن التقـــى هـــو الفلـــح

صدّقْ أو لا تصدّق!

(في عدد غير قليل من البلدان المتحضرة شاعت عادة عجيبة غريبة هي (شرب بول الآدمي والتداوي به). وكدتُ لا أصدق حتى وقعت عيناي على كتب ونشرات ومجلات تؤكد صحة ذلك. فقد اتخذ الطبيب الياباني (يوشي ناكاو) عادة شاذة هي التغرغر بالبول كل صباح. أما الهولندي (كوهين فان) فإنه يستخدم البول كمرطب للجلد بعد الحلاقة. بينما راح الأدميرال الهندي (ل . رامداش) يشرب بوله صِرفاً ، والعياذ بالله. والأغرب من ذلك أن تؤلف الكاتبة الألمانية (كارمن توماس) ثلاثة كتب عن العلاج بالبول: أحدهما اسمه (عصير ممتاز جداً) بيعت منه 75000 نسخة. وفي موقع (عكس السير) يقول: (أكد أطباء أمريكيون من أن شرب بول الإنسان يشفي من السرطان ونزلات البرد ، حيث يحتوي على تركيبة طبيعية تساعد في علاج العديد من الأمراض ، وزيادة مستويات الطاقة والأداء الجنسي ، كما يمكن استخدامه كمرهم مرطب لبشرة الوجه! وأوصوا بالإكثار من تناول كوب منه يومياً قبل وجبة الإفطار! وقال الطبيب الأميركي ترافيس ستورك أول من أمس في برنامجه التليفزيوني الشهير: «الأطباء» الذي تذيعه «أيه بي سي» إن شرب البول له فوائد صحية كثيرة ، مشيراً إلى أن بول الإنسان يتكون من 95 % مياهاً! ويحتوي على كميات صغيرة من المواد الغذائية النافعة مثل الكالسيوم وحامض الفوليك والحديد والماغنيسيوم والزنك. وقال جراح التجميل الأميركي درو أورن: إن البول يحتوي على مادتي اليوريا والكرياتينين ، ولهما بعض الفوائد المحتملة على البشرة. ولإثبات صحة كليهما ، قام الدكتور ترافيس ستورك بأخذ رشفة من كوب ممتلئ بالبول ، فيما أخذ الدكتور أورن كرة قطنية مبتلة بماء البول ومسح بها خديه. واستعرض الطبيبان مجموعة من التقارير والدراسات التي تناولت فوائد شرب البول ، وقالا: إن استخدام البول بغرض العلاج يعود إلى 5 آلاف سنة ، حيث كان يعرف في الهند القديمة باسم «شيفامبو شاسترا» وينظر إليها على أنها وسيلة لتجديد شباب الجسم والروح. ونوّه الدكتور ترافيس ستورك إلى وصايا مارتا كريستي صاحبة كتاب «الكمال» ، وهي واحدة من النساء اللاتي حرصن على تناول خمس قطرات من بولها كل صباح ، وقبل تناول طعام الإفطار ، كما كانت تستخدم قطرات من بولها لمعالجة التهابات العيون والأذن).هـ. وفي عام 1978م ، تحدث رئيس وزراء الهند ، مورارجي ديساي ، الذي قام باستخدام البول كعلاج لفترة طويلة ، قال ديساي: إن العلاج بالبول هو الحل الطبي الفريد الأمثل للملايين من الهنود الذين لا يستطيعون تحمل تكاليف العلاج الطبي. وأشاع البريطانى جون جورج أرمسترونغ في وقت مبكر من القرن العشرين باستخدام البول كعلاج في الطب البديل ، فقد استوحى أرمسترونغ استخدام البول كعلاج طبي من ممارسة عائلته التي كانت تستخدم البول لعلاج لسعات بسيطة ، وكذلك وجع الأسنان ، وتجربتة الشخصية التي قام بها مع المريض الذي قام بإعطاءه البول مع الماء فقط لمدة 45 يوم. وقام أرمسترونغ بعمل كتاب يوضح فيه العلاج بالبول وقد تم بيعه على نطاق واسع ، وقد ألهم العديد من الناس ومنهم ماناف موترا ، ومقالات أخرى حول استخدام البول في الأدوية الطبية! بالإضافة إلى الإشارة لاستخدام البول في اليوغا. وقد ادّعى بعض الممارسين أن يكون للبول واليوريا تأثير مضاد للسرطان/ وقد عرض هذا العلاج مع غيره من أشكال العلاج البديل في بعض عيادات السرطان في المكسيك ، وفقاً لجمعية السرطان الأمريكية ، "الأدلة العلمية المتاحة لا

تدعم استخدام البول أو اليوريا بأي شكل من الأشكال لمرضى السرطان". وقد كانت الممثلة البريطانية سارة مايلز تشرب بولها لأكثر من ثلاثين عاماً ، وكانت تدعي بأن ذلك العلاج يحميها ضد الحساسية إلى جوانب الفوائد الصحية الأخرى. وأما مويسيس ألو يتبول لاعب البيسبول السابق ، فكان يتبول على يديه للتخفيف من حدة الألم ، وكان يدّعى أنه يُسمح له بأن يضرب الكرة دون استخدام قفازات الضرب. وأوضحت مادونا في حوارها مع ديفيد ليترمان أنها تتبول على قدميها في الحمام ، وربما ذلك للمساعدة في علاج قدميها الرياضيتين. وكشف ليوتو ماتشيدا الذي يمارس فنون الدفاع عن النفس أنه يشربُ بوله ، وقد كشف والده أن ليوتو بدأ بشرب بوله لعجزه عن التخلص من السعال لمدة ثلاث سنوات! وشرب الملاكم خوان مانويل ماركيز بوله خلال دورة تدريبية HBO 24/7 لأنه كان يعتقد أن شرب بوله فيه فائدة غذائية كبيرة وتساعده في التدريبات المكثفة).هـ. وإذا كان التداوي بالخمر حراما بنص رسول الله - ﷺ - ، وعلى ذلك جماهير أهل العِلم ، فلقد ثبت عنه في الصحيح: أنه سُئل عن الخمر تصنع للدواء فقال: [إنها داءٌ وليت بدواء]. وفي السنن عنه: أنه نهى عن الدواء بالخبيث ، وقال ابن مسعود: إن الله لم يجعل شفاءكم فيما حرّم عليكم. وروى ابن حبان في صحيحه عن النبي - ﷺ - أنه قال: [إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها]. وفي السنن أنه سئل عن ضفدع تجعل في دواء ، فنهى عن قتلها وقال: [إن نقيقها تسبيح]. وليس هذا مثل أكل المضطر للميتة ، فإن ذلك يحصل به المقصود قطعاً وليس له عنه عِوض والأكل منها واجب فمن اضطر إلى الميتة ، ولم يأكل حتى مات دخل النار ، وهنا لا يُعلم حصول الشفاء ولا يتعين هذا الدواء ، بل الله تعالى يُعافي العبد بأسباب متعددة ، والتداوي ليس بواجب عند جمهور العلماء ، ولا يُقاس هذا بهذا والله أعلم. وفي الفتاوى الكبرى لابن تيمية: (سئل: عن المداواة بالخمر ، فأجاب: أما التداوي بالخمر فإنه حرام عند جماهير الأئمة: كمالك وأحمد وأبي حنيفة وهو أحد الوجهين في مذهب الشافعي ، لأنه قد ثبت في الصحيح عن النبي - ﷺ - أنه سئل عن الخمر تصنع للدواء فقال: [إنها داء وليست بدواء]. وفي سنن أبي داود عن النبي - ﷺ -: [أنه نهى عن الدواء الخبيث]. والخمر أم الخبائث ، وذكر البخاري وغيره عن ابن مسعود أنه قال: [إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرم عليها] ورواه أبو حاتم بن حبان في صحيحه مرفوعا إلى النبي - ﷺ -. والذين جوّزوا التداويَ بالمُحرّم قاسوا ذلك على إباحة المحرمات: كالميتة والدم للمضطر وهذا ضعيف لوجوه: * أحدها: أن المضطر يحصل مقصوده يقيناً بتناول المحرمات فإنه إذا أكلها سدّتْ رمقه ، وأزالت ضرورته ، وأما الخبائث بل وغيرها فلا يتيقن حصول الشفاء بها ، فإن الأدوية أنواع كثيرة وقد يحصل الشفاء بغير الأدوية كالدعاء والرقية. * الثالث: أن أكل الميتة للمضطر واجبٌ عليه في ظاهر مذهب الأئمة وغيرهم ، كما قال مسروق: من اضطر إلى الميتة فلم يأكل حتى مات دخل النار. ومن أراد المزيد من المعلومات فأحِيله إلى (الويكيبيديا)! وأورد العديد من هذه الأخبار العفنة الأستاذ محمد المنجد في محاضرته: (الإسلام قادم) فأنشدتُ من شعري في ذلك أقول:)

للغـــــرب أخبـــــارٌ تـــــؤز وتقلِـــــقُ وجحـــيمُ مـــا هـــم فيـــه أمســـى يُحْـــرقُ

ومُصابُهم أضحى يُعنف قارئاً ... ويُضيره مما تلا ، ويُؤرق

وتواترُ الأنباء يُقرفُ سامعاً ... إذ لا يكادُ لمَا وعاه يُصَدّق

نبأ على نبأ يُصور حالهم ... وكأنهم - رغم التقدّم - فَسّق

مرَقوا مِن الدين القويم تعنتاً ... وعلى التحلل والرذائل أغدقوا

أرأيت خيراً يُرتجى من ساقطٍ ... أضحى - مِن الأخلاق - جهراً يَمرق

قومٌ - على الأرجاس - شادوا عَيشهم ... وبكل ما يُردي الحياة تشدّقوا

فإذا الديارُ - مِن الفضائل - بلقعٌ ... وبكل قبْح - في البسيطة - تنطق

ما الدارُ إن لفظتْ شريعة ربّها ... ومضتْ - عن القيم الكريمة - تفسق؟

ما القومُ إن هم - للتهتك - طبّلوا ... ولكل عُهْر - في الحواضر - صفقوا؟

ما الناسُ إن هم تابعوا شهواتهم ... وبشر دُعْر - في الديار - تمنطقوا؟

وتطاولوا - في الأرض - دون مُبرّر ... وعتوْا عُتواً - في الورى - وتحذلقوا

وهل الحضارة بالتفسخ والخنا؟ ... بئس المبادئ والرؤى والمنطق!

وهل التقدم بالتفحّش والزنا؟ ... إن الهبوط - إلى الفواحش - مُوبق

وهل الرقيّ بشرب بول مُقرفٍ ... يؤذي الأنوف ، وقد يضرّ ويخنق؟

ما هذه الأذواق يا أهل الهوى؟ ... إن قلتمُ طابت فجهلٌ مُطبق!

أو قلتمُ خبثتْ ، فكيف لكم حَلتْ؟ ... فالبعضُ غرّب ، والبقية شرّقوا!

والبعضُ أبدأ قوله ، وأعاده ... في البول كيف يذوقه ، ويعتق؟

وكأنما هذي المَخارفُ أصبحتْ ... مستنقعاً فيه الخلائقُ تغرق

الغربُ قد جعل التخرّس منهجاً ... فغدا بكل خرافةٍ يتخلق

والله أسأل أن يُسَلم دارنا ... مِن كل شر - في المدائن - يوبق

دعوة مستجابة

(اتصل ذلك السفيهُ الشقي بامرة عجوز في جنح الليل على عادته. ولم يكن يعرفها ولا هي تعرفه. حيث إنه اتصل عبثاً. فلما قالت له: يا بُني ، اتق الله وأنا امرأة عجوز ، أليس عندك حياء؟ أتغازل امرأه في سن جدتك؟ فقال: إن هذه هوايتي ، وما أحلى العجائز عندي. فقالت تدعوعليه: مادمت هكذا فأسأل الله أن يخرسك ، فلا تنطق بعد اليوم. واستجاب الله ، وانخرس السفيه الشقي بدعاء هذه الصالحة. وتداول الناس القصة ، ونشرتْ في الجرائد. ألا يستحيي من الله هذا الصنفُ المنحط من الشباب؟ ألا يعلم أنه عما قريب سوف يرحل عن هذه الحياة؟ ألا يخاف أن يَكتب عند الله تعالى أحدَ المفسدين في الأرض وأحد المحاربين لله ولرسوله وللمؤمنين؟ وقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «أتدرون من المفلِسُ؟» قالوا: المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال: «إنَّ المفلسَ من أمَّتي ، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مالَ هذا ، وسفك دمَ هذا ، وضرب هذا. فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه. فإن فَنِيَتْ حسناته قبل أن يقضيَ ما عليه ، أخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه. ثمَّ طُرِح في النَّارِ». (مسلم). ولقد رهبنا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الظلم ، وبغضه إلينا فقال: «إيَّاكم والظُّلمَ! فإنَّ الظُّلمَ ظُلُماتٌ يومَ القيامةِ! وإيَّاكم والفُحشَ! فإنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفُحشَ ولا التَّفحُّشَ! وإيَّاكم والشُّحَّ! فإنَّما أهلَك مَن كان قبْلَكم الشُّحُّ أمَرهم بالقطيعةِ فقطَعوا أرحامَهم وأمَرهم بالفجورِ ففجَروا وأمَرهم بالبخلِ فبخِلوا!». فقال رجُلٌ: يا رسولَ اللهِ وأيُّ الإسلامِ أفضلُ؟ قال: «أنْ يسلَمَ المسلِمونَ مِن لسانِك ويدِك». (صحيح بن حبان). وفي الحديث القدسي: «يا عبادي إني قد حرَّمتُ الظُّلمَ على نفسي ، وجعلتُه محرَّمًا بينكم فلا تظَالموا». (البخاري). ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: «اتَّقوا دعوةَ المظلومِ فإنَّها تصعدُ إلى السَّماءِ كأنَّها شرارةٌ». (حسن) ، «اتقوا دعوة المظلوم ، وإن كان كافرًا ، فإنه ليس دونها حجاب». (صحيح الجامع الصغير). وشدّد عليه السلام على أن دعوة المظلوم مستجابة ولو بعد حين فقال: «اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلومِ فإنَّها تُحْمَلُ على الغَمامِ. يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ: وعزَّتي وجَلالِي لَأنْصُرَنَّكِ ولَوْ بعدَ حِينٍ» (صحيح). وإذا كنا نقول بعدم جواز اللعب بالمرأة ولو كانت عجوزاً ، فماذا عن المرأة الشابة؟ أحبُ هنا أن أورد ما قاله الشيخ المنجد في معرض جوابه على سؤال عن صوت المرأة هل هو عورة؟ وما هي ضوابط حديثها إلى الرجال من غير محارمها؟ قال ما نصه: (والقول الفصل في معرفة ما هو محظور على المرأة من قول أو صوت هو ما تضمنته الآية: {يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا}. فالمحظور عدم الخضوع بالقول ، فلا ينبغي أن يكون بين المرأة والرجل الغريب لحن ولا إيماء ولا هذر ولا هزل ولا دعابة ولا مزاح ، كيلا يكون ذلك مدخلاً إلى تحريك الغرائز وإثارة الشبهات ، والمرأة غير ممنوعة من الكلام مع الأجنبي عند الحاجة كأن تباشر معه البيع وسائر المعاملات المالية ، لأنها تستلزم الكلام من الجانبين. وكذلك يجوز تسليم الرجل على النساء والنساء على الرجال على الراجح ، ولكن ينبغي أن يكون هذا السلام خالياً مما يطمع فيه مرضى القلوب بشرط أمن الفتنة وملاحظة ما تقدم من الضوابط. أما إذا خِيفت الفتنة من جرّاء السلام فيحظر سلام المرأة ابتداء وردها للسلام ، لأن دفع الفتنة بترك التسليم دفع للمفسدة ، ودفع المفاسد أولى من جلب المنافع ، يراجع المفصل في أحكام المرأة / عبد الكريم زيدان م276/3).هـ.

فهل وعى ذلك الهازلون أمثال هذا المتصل بالعجوز في جوف الليل على هذا النحو المنحط الحقير؟! لماذا لا يفكر في التوبة من الذنوب قبل أن تأتي ساعة قبض الروح منه؟ ولات ساعة مندم وهيهات أن ينتفع بتوبةٍ أو ندم بعد فوات الأوان. إنه الخسرانُ المبين (خسران الدنيا بالسمعة السيئة المسيئة ، وخسران الآخرة بدخول دار البوار جهنم). فأنشدتُ وعلى البحر المنسرح أقول:)

دعاؤهـــــا مُحـــــدق بمُجتـــــرمِ ... حتـــــى ابـــــتلاه المليـــــكُ بـــــالبَكَمِ

أصـــــابه - مِـــــن دعائهـــــا - قـــــبسٌ ... فخصّـــــــــه بـــــــالبلاء والـــــــنقم

إذ لـــــم يكـــــن فيمـــــا جـــــاء ذا خلـــــق ... مَـــــن لـــــم يعـــــشْ - بـــــالأخلاق - ينهـــــزم

فـــــي هجعـــــة النـــــاس قـــــضَّ مَضـــــجعها ... عبْـــــر الـــــدجى ، فالجبـــــانُ لـــــم يـــــنم

يســـــتثمر الليـــــلَ فـــــي لذائـــــذه ... مســـــتغنياً بـــــالهوى عـــــن القِـــــيم

مُغلبـــــاً شـــــهوة تُحَطمـــــه ... ولـــــيس يخشـــــى تحـــــوّل الـــــنعم

وكـــــم لفَضـــــلى ألانَ نبرتـــــه ... مـــــا ردّه عنهـــــا شـــــيءٌ مِـــــن الشِـــــيم!

أينقضـــــي الليـــــل فـــــي مغازلـــــةٍ ... يعتادُهـــــا وَبـــــشٌ غيـــــرُ مُلتـــــزم؟

أيَســـــتحلُ الحـــــرامَ دون حَيَـــــا؟ ... يـــــا ويـــــلَ مَـــــن ســـــاوى الحِـــــل بـــــالحُرُم!

أيســـــتبيحُ النســـــاء معتمـــــداً ... علـــــى الســـــخافات فـــــي دجـــــى الظلـــــم؟

أمـــــا لـــــه زوجـــــة يُـــــداعبُها ... بنبـــــرةٍ مُســـــتهامة الـــــنغم؟

أحَلهـــــا اللهُ مـــــذ تزوّجهـــــا ... وبـــــات - فـــــوق الشـــــكوك - والـــــتهم

فـــــإن خـــــلا بالحليلـــــة انطفـــــأتْ ... نـــــارٌ تصـــــيبُ العشـــــيقَ بـــــالنهم

والأجـــــرُ - عنـــــد الإلـــــه - مُـــــدخرٌ ... مُضـــــاعفٌ فـــــي الثـــــواب والعِظـــــم

وقـــــال هـــــذا النبـــــيُ قـــــدوتنا ... خيـــــرُ الـــــورى والأنـــــام كلهـــــم!

فـــــيم اشـــــتغالُ الفتـــــى بفاتنـــــةٍ ... تصـــــيبه بالسُـــــعار والحُمـــــم؟

حســـــبُ الفتـــــى زوجـــــة مُهذبـــــة ... تصـــــونه عـــــن مَســـــالك اللمـــــم

حقناً للدماء

(أورد صاحب (الروضة السندسية في الإذاعة المدرسية صـ328) أن قتيبة بن مسلم الباهلي كان قد أقسم أن يطأ بقدمه تراب الصين. فلمّا علم ملك الصين بذلك ، أرسل إليه يطلب أن يبعث إليه رجلاً يخبره عن المسلمين ودينهم. فأرسل إليه هبيرة بن المشمرج الكلابي. وكان من أبطال المسلمين ، وأرسل معه عشرة رجال لهم جَمالٌ وأجسامٌ وبأس ، فلما دخلوا على ملك الصين كانوا كالأوطواد الشمّ. أسلحتهم على عواتقهم ، فرأى منهم ملك الصين ما لم يره في غيرهم ، ولكنه أظهر الكبر والغرور ، وقال لهم: قد رأيتم عظيم ملكي ، وأنه ليس أحد يمنعُكم مني وأنتم في بلادي وأنتم بمنزلة البيضة في كفي ، فانصرفوا إلى صاحبكم ، فقولوا له ينصرف ، فإني قد عرفتُ حرصه وقلة أصحابه ، وإلا بعثتُ عليكم مَن يهلكه ويهلككم. فأجابه هبيرة قائلا: كيف يكون قليل الأصحاب مَن أول خيله في بلادك ، وآخرها في منابت الزيتون (أرض فلسطين)؟ كيف يكون حريصاً من خلف الدنيا قادراً عليها وغزاك؟ وأما عن تخويفك إيانا بالقتل فإن لنا آجالا إذا حضرت فأكرمُها القتل ، فلسنا نكرهه ولا نخافه. فعجبَ ملكُ الصين ، وأمر حاشيته أن يكرموهم ويعطوهم طبقاً من الذهب ، عليه تراب الصين ، ليطأه قتيبة بقدميه ويبر بقسمه ، حقنا للدماء واتقاء للخطر. قال ابن كثير في البداية والنهاية ما نصه: (قيل: إن بلاد الهند مع اتساعها كالشامة في ملك الصين. والصين لا يحتاجون إلى أن يسافروا في ملك غيرهم ؛ لكثرة أموالهم ومتاعهم ، وغيرهم محتاج إليهم ؛ لما عندهم من المتاع والدنيا المتسعة ، وسائر ملوك تلك البلاد تؤدي إلى ملك الصين الخراج ؛ لقهره وكثرة جنده وعدده. والمقصود أن الرسل لما دخلوا على ملك الصين وجدوا مملكة عظيمة ، وجنداً كثيراً ، ومدينة حصينة ذات أنهار وأسواق ، وحسن وبهاء ، فدخلوا عليه في قلعة عظيمة حصينة ، بقدر مدينة كبيرة ، فقال لهم ملك الصين: ما أنتم؟! وكانوا ثلاثمائة رسول عليهم هبيرة فقال الملك لترجمانه: قل لهم: ما أنتم وما تريدون؟! فقالوا : نحن رسل قتيبة بن مسلم ، وهو يدعوك إلى الإسلام ، فإن لم تفعل فالجزية ، فإن لم تفعل فالحرب. فغضب الملك! ثم قال: فما الذي يرضي صاحبكم؟! فقال: قد حلف أنه لا ينصرف حتى يطأ أرضك ، ويختم ملوكك ، ويجبي الجزية من بلادك. فقال الملك: أنا أبرّ يمينه وأخرجه منها ؛ أرسل إليه بتراب من أرضي ، وأربع غلمان من أبناء الملوك ، وأرسل إليه ذهباً كثيراً ، وحريراً وثياباً صِينية لا تقوم ، ولا يدري أحدٌ قدرَها ، ثم جرتْ لهم معه مقاولات كثيرة ، ثم شرع يتهددهم فتهددوه ، ويتوعدهم فتوعدوه ، ثم اتفق الحال على أن بعث صحافاً من ذهب متسعة ، فيها تراب من أرضه ليطأه قتيبة ، وبعث بجماعة من أولاده وأولاد الملوك ليختم رقابهم ، وبعث بمال جزيل ليبر بيمين قتيبة ، وقيل: إنه بعث أربعمائة من أولاده وأولاد الملوك. فلما انتهى إلى قتيبة ما أرسله ملك الصين قبل ذلك منه).هـ. فأنشدتُ على لسان ملك الصين أقول:)

مَـــن ذا يُضـــارعُكم عـــزاً وتـــدبيرا؟ أمّـــن يُطـــاولكم جاهـــاً وتـــوقيرا؟

أمَـــن يـــواجهكم فـــي أي خندمـــةٍ؟ أمّـــن يبـــاري ميامينـــاً مغـــاويرا؟

أمّـــن يُحـــاكي الـــذي تحْمُـــون مـــن مُثَـــل تُحـــرّرُ المـــرء - مِـــن دنيـــاهُ - تحريـــرا؟

هـــــذي مبـــــادئكم تختـــــالُ مُعلنـــــةً ... أن التقـــــى يجعـــــلُ الإنســـــانَ مســـــرورا

كـــم شـــدتمُ المجـــد فـــي الأصـــقاع مَقصـــدكم ... أن تنشـــروا الحـــق والأخـــلاق والنـــورا!

وكـــم فتحـــتم بـــلاداً بطـــشُ حاكِمِهـــا ... بالنـــاس أودى بهـــا ، ووطـــدَ الجُـــورا!

وكـــم أمـــرتم بمعـــروفٍ ومَعدلـــةٍ ... تُبصّـــرون الـــورى - بـــالحق – تبصـــيرا!

وكـــم نهيـــتم بـــلا خـــوفٍ ولا وجـــل ... عـــن منكـــر يُهلـــك الآنـــامَ والـــدورا!

وكـــم دعـــوتم إلـــى الخيـــر الألـــى انحرفـــوا ... فأصـــبح الشـــر - بـــين النـــاس – مـــدحورا!

وكـــم أزلـــتم قـــوىً تُغـــري بباطلهـــا ... حتـــى تُقـــيم الخنـــا والظلـــم والـــزورا!

وتقهـــر النـــاس قهـــراً لا حـــدود لـــه ... وتســـترقّ بمـــا تـــأتي الجمـــاهيرا!

فجـــاء جحفلكـــم يطـــوي تجبّـــرهم ... فحـــرّر النـــاسَ - كـــل النـــاس - تحريـــرا

مَـــن شـــاء آمـــن - بـــالرحمن - متبعـــاً ... هـــديَ الرســـول ، وبـــات الســـعيُ مشـــكورا

ومَـــن يشـــأ مُكثـــهُ - فـــي الكفـــر - مُنجـــدلاً ... فليبـــق فـــي الكفـــر ، بـــات الأمـــرُ تخييـــرا

لا يُكـــرِهُ الســـلم عبـــداً لـــيس يرغبُـــه ... كـــلا ، ولا يُوسِـــعُ الأنـــامَ تعســـيرا

وكـــم أبنـــتم ســـبيل الحـــق واضـــحة! ... وفـــي الـــديار أقمـــتم مبـــدأ الشـــورى

فمـــا افتـــريتم علـــى رب الســـما كـــذباً ... ولـــم تـــذيعوا - علـــى القـــوم - الأســـاطيرا

لكـــم مطـــامحُ فـــي الجنـــات موئلهـــا ... تؤمّلـــون بهـــا النعـــيمَ والحُـــورا

فـــلا مطـــامح فـــي الـــدنيا تســـيّرُكم ... ولا تعبّـــدكم (لبنـــى) ولا (نـــورا)

لكـــنّ حُـــب مليـــك النـــاس يأســـرُكم ... حتـــى يُسَـــيّركم - للخيـــر - تســـييرا

وللتقـــى أثـــرٌ فـــي كـــل منطلـــق ... إذ عُمّـــرتْ مُهـــجٌ - بـــالخير - تعميـــرا

إنـــي لأكْبـــرُكم بـــلا مجاملـــةٍ ... وأكْبـــرُ المجـــدَ - فـــي التـــاريخ - مـــذخورا

وأكْبـــرُ الصـــيت عـــن علـــم وتجربـــةٍ ... وإن للصِـــيد - فـــي الـــدنيا - مقـــاديرا

وأستشـــفُ - مـــن الأحـــداث - عـــن ثقـــةٍ ... ولا أزوّرُ - فـــــي التـــــاريخ - تزويـــــرا

ولا أزيـــدُ علـــى نقـــل بـــدون هـــوى ... ولا أغيّـــــرُ مـــــا ألقـــــاه تغييـــــرا

المســـــلمون وربـــــي أهـــــلُ مَعدلـــــةٍ ... وبالعدالـــــة يُمســـــي الظلـــــمُ مَوتـــــورا

وأهـــــلُ عِلـــــم وآداب ومعرفـــــةٍ ... والعلـــــمُ يرفـــــعُ أهليـــــه النحـــــاريرا

وأهـــــلُ تقـــــوى وإيمـــــان ومَرحمـــــةٍ ... وكـــم لمســـنا - لعطـــف القـــوم - تـــأثيرا!

فيـــا (قتيبـــة) أحســـنْ كـــي نطـــاوعَكم ... ويسِّـــــر الأمـــــرَ يـــــا مِقـــدامُ تيســـــييرا

ولا تكـــن عَجِـــلاً فـــي الأمـــر تنشـــرُه ... مـــا أمّـــروك - لقهـــر النـــاس - تـــأميرا

يـــا (بـــاهليّ) تقبّـــلْ عُـــذر مَـــن حرصـــوا ... علـــى حيـــاةٍ تزيـــدُ المـــرءَ تتبيـــرا

أرســـلتُ تربـــة أرضـــي كـــي تســـير علـــى ... أديمهـــا مســـتريحَ الـــنفس مقـــرورا

حتـــى تبَـــرّ بمـــا أقســـمت مُحتســـباً ... - علـــى المهـــيمن - أجـــرَ البـــر موفـــورا

فعلـــتُ ذلـــك حقنـــاً للـــدماء غـــداً! ... كـــيلا أرى مَيّتـــاً - بالســـيف - معقـــورا

وأتقـــى - بالـــذي أتيـــتُ - خندمـــة ... والعاقـــلُ الفـــذ مَـــن يخشـــى المَحـــاذيرا

هـــذا (هبيـــرة) ، والأبطـــالُ تصـــحبُه ... ســـاقوا إلينـــا - بمـــا قـــالوا - التباشـــيرا

وبصّـــروني بشـــئ كنـــتُ أجهلـــه ... وبيّنـــوا لـــي الـــذي قـــد كـــان مَســـتورا

مِـــن أن أهـــل الهُـــدى خيـــرٌ معاملـــة ... ولســـتُ أطلِـــق هـــذا الوصـــفَ تغريـــرا

لكـــنْ حقـــائقُ - فـــي تاريخنـــا - سُـــطِرتْ ... وقومُنـــا ســـطروا التـــاريخ تســـطيرا

وهي تجري بهم

(يرى الشيخ ابن عثيمين أن هناك صفات ينبغي أن تكون متوفرة في الشخصية القرآنية وهي التي تحفظ القرآن!: (* الشخصية القرآنية جادة: ليس معناها العابسة القاطبة الحاجبين ، بل ذات هدف تعرف للوقت قيمته هدفت حياتها أن تعيش للقرآن ، فلا مجال للأعمال التي ليست بذات أهمية. * الشخصية القرآنية صاحبة رسالة يملأ قلبها الأمر العظيم....رسالة الإسلام ، ولا تلتفت للصغائر. * لا بد للشخصية القرآنية أن تعتز بالقرآن وتغتني به: فهي واللهِ أغنى ممن يسمى (الملياردير). بالقرآن الذي تحمل ، فيجب أن تحسّ بالغنى ، وإن أحستْ بالفقر تكون قد أهانت القرآن. بل لتفخر بالقرآن وتستعلي به وتعتز به ، يقول عبد الله بن مسعود: (الإسراء والكهف ومريم وطه إنها من العتاق الأُول ، وإنها من تلادي) أي أول ما نزل في قلبه وأول ما حفظ. ومعنى عتاق: جمع عتيقة أي شيء نفيس وغالي. ومعنى تلادي: أي الميراث أي كنزي ورأس مالي. * لا بد للشخصية القرآنية أن تعيش بالأمل وتقرن الأمل بالعمل ، لأن أهل القرآن عندهم الوقود والتموين والذخيرة والغذاء والعدة والعتاد ، فالأمل لهذه الأمة بهم ، والمستقبل لهذا الدين بسواعدهم. * الشخصية القرآنية لا تعرف معنى للكآبة والأمراض النفسية ، ولا تحمل عُقداً ولا خوفاً. لأن القرآن ملأ قلبها رضىً وأمناً ، وملأ عليها حياتها ووقتها فأنى لهذه الأمراض أن تدخل روحها وفي صدرها كلام الله. * رحابة الصدر وقوة الإحتمال ، بأن تكون ذات أفق واسع ، لأن التغاضي من أخلاق الأكابر والعظماء والنبلاء. * حُسن المنطق وروعة البيان من مظاهر المروءة ومن أعظم الأسباب الداعية لقبول الحق. ولهذا قيل: (كلما كان اللسان أبين كان أحمد)! ومدح الله عز وجل القرآن الكريم بالبيان والإفصاح ، وسماه قرآناً وسماه فرقاناً).هـ. وإنه ينبغي لمن يمتحن المتسابقين من حفظة القرآن الكريم في زماننا ، أن يكون صاحب طرفة مباحة ودعابة بريئة. وذلك لكيلا يجمع على المتسابق رهبة الامتحان وصعوبة استظهار القرآن في هذا الزمان في كفة ، وقدرته على التركيز في الأسئلة الفنية في كفةٍ أخرى. إن هذا المتسابق عانى الكثير من الصوارف التي سخرتها الجاهلية لصرف الناس عن القرآن. وليست الصعوبة التي أعني في القرآن ذاته ، كلا. وكيف والله عز وجل يقول في كتابه مُقسماً: (ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مدكر؟) ولكن مقاومة الصوارف والجواذب عن هذاالكتاب. وتبدأ هذه القصة عندما كان أحدأصفيائي من أهل القرآن يُمتحن فى الملحقية الثقافية السعودية بالقاهرة ، وكان امتحان الرجل في القرآن الكريم (حفظاً وتجويداً وتفسيراً وأحكاماً). والرجل قد سلِم له أصل التوحيد والعقيدة. ولكنه قد تورّط في تدخين السجائر. ولأنه حسن النية إلى حد كبير للغاية ، والدليل أنه كان قد أخذ علبة سجائره في جيب قميصه الذي شفّ عنها. ورأت اللجنة علبة السجائر. وكان السؤال الأول من رئيس اللجنة من سورة البقرة. وتلاه آخر من المائدة ، وثالث من التوبة. ورابع من يونس ، وسؤال خامس من آل عمران: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء" وذلك في دقةٍ تامة. ومعلوم ما في هذا المقطع من الآيات من المد اللازم المتعدد ، الأمر الذي أجهد ذلك الممتحن المدخن ، فقال رئيس اللجنة له مشفقاً عليه انقطاع نفسه في منتصف تلاوته: ما لك يا أستاذ؟ لماذا لا تستطيع إكمال الآيات؟ فقال صاحبي: إنه بسبب المد الواجب المتصل كما تعلمون ، فما أكاد أخرج من مد واجب متصل ، حتى أدخل في سواه وبنفس المقدار ، الأمر الذي قطع نفسي! فقال له أحدهم مستنكراً في

تهكم وسخرية: أفهم من كلامك أن قراءة القرآن تقطع النفس أم ماذا؟ فقال: معاذ الله أن يقطع القرآن الأنفاس ، ولكن...وأراد صاحبي التبرير ، فقاطعه أحدهم قائلاً: باختصار يا أستاذ أخبرنا عن الشيء الذي قطع نفسك إن لم يكن هو القرآن. وأجاب أحد أعضاء اللجنة ضاحكاً: يا أستاذ ، إن نفسك مقطوع من (الكيلوباترة) ، وهذا اسم سجائر مصرية معروفة! فلم يجد صاحبي بُداً من الاعتراف للجنة المُمتحِنة. وصرح لهم قائلاً: علمتُ الآن لماذا كنتم تضحكون عند دخولي قاعة الامتحان لأول وهلة. ونجح الأستاذ في الأسئلة السابقة جميعاً حفظاً وترتيلاً وتجويداً وإعراباً وتفسيراً وقراءاتٍ ونحو ذلك. وراح يورد بناء عن طلب اللجنة الروايات مُسندة ومُحققة ، كأنما يقرأها من كتاب ، واللجنة معجبة رئيساً وأعضاء بهذا المتسابق العجيب. وتمتعت اللجنة في أسئلتها الصعبة الوعرة على حد وصف صاحبي بالمرونة والتساهل والنكتة والدعابة في غير ما إسفافٍ أو سفول وحاشاها ولله الحمد. إلى أن جاء الدور الأخيرأو بالأحرى السؤال الأخير من سورة هود. فقال رئيس اللجنة يُخاطبُ صاحبي: اقرأ يا أخي من أول قوله تعالى: "وهي تجري بهم" – سورة هود ، وذلك حتى نختم المسابقة ونمنحك الدرجة. فبدأ صاحبي بقول الله: "وقال اركبوا فيها" ، وذلك لأنه أول الربع أو هو أول انتصاف الحزب (23) من القرآن ، وذلك على حد قوله حتى لا يختلط عليه حفظه ، وذلك لأنه حفظ القرآن تحزيباً أي حزباً بعد حزب. ولم يبدأ بما طلب رئيس اللجنة (وهي تجري بهم) والذي هو الآية الثانية. فقال رئيس اللجنة مازحاً: أنا قلتُ لك اجر أم اركبْ؟ فقال: رأيت الركوب أفضل ، لأن نفسي مقطوع من الكيلوباترة ، كما قالت اللجنة الموقرة! عندئذ ضحك الحاضرون ، وقرر رئيس اللجنة قبوله ومنحه أعلى الدرجات ولكن بشرط أن يعاهد الله أمام اللجنة أن تكون آخر سيجارة دخنها هي السابقة. فوافق ولقدر من الله لم يسافر ، إذ جاءته سَفرة أخرى إلى الإمارات بدلاً من السعودية. المهم بقي ذلك الموقف منه ذكرى تعكس ما تمتع به أعضاء اللجنة من مرونة ودعابة وأخلاقيات.....وعندما حكي الأستاذ إسماعيل علي سليم لي هذه القصة التي حدثت له شخصياً ، تولد مطلع القصيدة وطفقتُ أنشد من شعري أقول:)

كـــم كـــيّسٍ بالبِشْـــر غيّـــر منكـــرا ... واصـــطادَ - بالتيســـيير - ألبـــابَ الـــورى!

وألان - للنـــــاس - العســـــيرَ تقربـــــاً ... لله يرجـــــو الأجـــــر جمّـــــاً أوفـــــرا

وأبـــــان أعتـــــى المبهمـــــاتِ لحـــــائر ... كـــــيلا يظـــــل مُشـــــتتاً مُتحيـــــرا

وســـعى لنشـــر الخيـــر دون تبـــاطؤ ... والنـــاسُ تحتـــرمُ الجـــوادَ الخيّـــرا

وأزال كـــل رذيلـــةٍ تُـــزري بهـــم ... إن الرذائـــلَ والقبـــائحَ تـــزدرى

وأعـــار قوّتـــه لعبـــدٍ عـــاجز ... ليُعينـــه فـــي المُعضـــلات ، وينصـــرا

هـــو لا يعـــيشُ لنفســـه ولأهلـــه ... بـــل للخلائـــق منـــذراً ومبشـــرا

شـــتان بـــين العبـــد يخـــذلُ قومـــه ... والعبـــدِ إن أتـــت الـــدغاولُ شـــمّرا!

واللهِ مـــا اســـتويا: جبـــانٌ مُمســـكٌ ... وموحّـــدٌ شـــهمٌ تـــبَش لـــه القـــرى!

ولكَـــم ســـمعتُ بلجنـــةٍ مِـــن ظلمهـــا ... عـــادت جمـــوعُ الطيّبـــين القهقـــرى!

تعطـــى وتمنـــع دون أي ضـــوابطٍ ... ويبـــوء بالخســـران عبـــدٌ أنكـــرا

فاللجنـــة الكـــأداءُ تمـــنحُ بـــالهوى ... وتظـــلُ تقبـــلُ – للوظـــائف - مَـــن تـــرى

ويـــزاحُ كفـــؤٌ كـــي يُعـــيّن فاشـــلٌ ... يغشـــى الكبـــائرَ ، بـــل يُقـــر المنكـــرا

ويَضـــيعُ حـــقٌ كـــي يُشـــيّد باطـــلٌ ... والعـــالِم المقـــدامُ يقتـــاتُ الثـــرى

لكـــنّ لجنتنـــا الكريمـــة فاضـــلتْ ... واختـــارتِ القـــراء مِـــن أهـــل الـــذرى

لـــم تتخـــذ لغـــة الوســـاطة منهجـــاً ... كـــلا ، ولا سَـــمْتَ التحيّـــز مَظهـــرا

إذ حُمّلـــتْ طوعـــاً أمانـــة بحثهـــا ... عـــن كـــل ذي عـــزم نـــأى عنـــه الكـــرى

ولســـوف يســـألها الإلـــه صـــراحة ... يـــوم القيامـــة وحـــدها عمّـــا جـــرى

فاحتـــاط أهلوهـــا لمَـــا قصِـــدوا لـــه ... والكـــل أدرك مـــا عليـــه ، وأكبـــر

حتـــى إذا ســـألوا اللبيـــب عـــن الـــذي ... أعيـــاه ، جانبـــه الصـــواب وزوّرا

قـــالوا: الســـجائر أنهكتـــك ، فخلهـــا ... وهـــيَ الحـــرام ، وحَـــدّها أن تهجـــرا

فلتُشـــهدِ الـــرحمنَ أنـــك مُقلـــعٌ ... عنهـــا بتاتـــاً ، ثـــم خـــاب مَـــن افتـــرى

فأجـــابهم صـــدقاً بكـــل عزيمـــةٍ ... ورعـــى المقالـــة والعهـــود ، ونضـــرا

ليتني بقيتُ أعمى!

(أورد الأستاذ الفاضل / حمد بن عبد الله القاضي ، في كتابه أشرعة للوطن والثقافة (صـ 93) قصة حقيقية عن (رجل كان في الصين ، وعاش كفيفاً سعيداً مع زوجته المخلصة المحبة وابنه البار الطيب الأمين وصديقه الوفي المحترم. وكان يتمنى فقط أن يعود إليه بصره ليرى هؤلاء الثلاثة (زوجته وابنه وصديقه). وعاش يلتمس الدواء ويبحث عن الشفاء. فدلوه على طبيب عيون صيني شهير خبير. فبعد أن كشف عليه ، وصف له قطرة معينة ، وأمره بأن يأخذها بانتظام وسوف يرى النور يوماً. واستمرّ الأعمى على استعمال القطرة آملا أن يتحقق وعد الطبيب له. وبعد حين من الدهر وبينما كان الأعمى يجلس وحيداً في حديقة منزله ، إذ عاد إليه بصره ، وأبصر الدنيا فأخذ يبحث عن زوجته وابنه في البيت ليخبرهما. فإذا به يجد زوجته تخونه مع صديقه ، وأما الابن فيفتح خزانة أبيه ليسرق ما فيها. فعاد الأعمى أدراجه. وأخذ مسماراً وفقأ عينيه ، وتمنى أن لو بقى أعمى طيلة حياته ولا أن يعيش لليوم الذي يرى بعينيه فيه هذه الأشياء).هـ. ولهذا كان لأمنيته عليّ وقع كبير كان هو السبب في كتابة هذه القصيدة الحزينة! كم يتمنى المرء في حياته أمنياتٍ لا يعلم ما وراءها ، حتى إذا ما تحققت ندمَ أنه يوماً تمنى أن تتحقق له ، وعاد فتمنى لو أنها لم تتحقق ابتداء. ويظن كثيرون أن الذي يُفقده الله حاسة من حواسه لا يُعوّضه عنها. وهذا غير صحيح ، ذلك أن الله لطيفٌ لما يشاء ، ورؤوفٌ سبحانه بعباده ، ولطيف بهم ، ورحمته وسعتْ كل شيء. وباستقراء التاريخ المعاصر والتاريخ القديم ندركُ جيداً ، أن ذوي العاهات على وجه العموم كانوا مُعوّضين في جوارحَ وحواس أخرى. وعلاوة على ذلك نجدهم قد أسهموا في رصيد الحضارة الإنساني بنصيب كبير ، الأمر الذي يجعلنا نتساءل قائلين: ما بالُ كثير من أصحاب العاهات يُبدِعون ويأتون بالخوارق التي قد يعجز عن الإتيان ببعضها كثيرٌ من الأسوياء؟ والجواب باختصار: لأن الله – سبحانه وتعالى – لطيفٌ لما يشاء ، وقد جرتْ سُنته بأنه إن أخذ من عبدٍ جارحة ما أو حاسة ما أو عضوا ما من جسده ، أخذه للابتلاء ورفع الدرجات ، ويكون العِوض في الدنيا على النحو الذي أسلفنا ، أو يكون العِوض الجنة إن كان هذا العبد مسلماً واحتسبَ وصبر. وأما إن كان العبد من غير أهل الإسلام ففي أغلب الأحيان يُعوّض ويُبدِع ويأخذ حظه من ثناء الناس على إبداعه ومشاركته في رصيد الحضارة الإنسانية ، أو شهادات التقدير أو الجوائز العينية والنقدية ، أو رفع الدرجات والترقيات! وإن كان هو ذاته من أهل النار يوم القيامة. والقاسم المشترك هنا هو تعويض الله للعبد على كل حال كان. وأما الأماني فلا سبيل لوصف حاجة الإنسان لها ، حيث إن كل إنسان يعيش وله آمال وطموحات وأمان ولا شك. عن العِرباض بن سارية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: "إذا سلبت من عبدي كريمتيه وهو بهما ضنين ، لم أرضَ له ثواباً دون الجنة إذا هو حمدني عليهما". رواه ابن حبان. وخرج أحمد والطبراني بإسناد فيه نظر عن عائشة بنت قدامة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عزيزٌ على الله أن يأخذ كريمتي مؤمن ثم يدخله النار". قال يونس: يعني عينيه.عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الله عز وجل قال: (إذا ابتليت عبدي بحبيبتيه فصبر عوّضته منهما الجنه يريد بها عينيه). رواه البخاري والترمذي إلا أنه قال: "يقول الله عز وجل: (إذا أخذتُ كريمتي عبدي في الدنيا لم يكن له جزاء إلا الجنه). وفي رواية له:

"من أذهبت حبيبتيه فصبر واحتسب ، لم أرض له ثواباً دون الجنة". وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يذهب الله بحبيبتي عبدٍ فيصطبر ويحتسب ، إلا أدخله الله الجنه". رواه ابن حبان. وخرج الطبراني بإسناده عن أنس رضي الله عنه عن النبي - صلى الله عليه وسلم - عن جبريل - عليه السلام - عن ربه - تبارك وتعالى - قال: "إن الله قال: يا جبريل ما ثواب عبدي إذا أخذتُ كريمتيه إلا النظر إلى وجهي والجوار في داري". قال أنس: فلقد رأيتُ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم يبكون حوله يريدون أن تذهب أبصارهم! {قلت فيه نكارةٌ والله أعلم}. ولقد يتمنى المرء ما فيه هلكته! ولذا كان من دعاء بعض الخيّرين (اللهم اختر لي ، ولا تجعلني أختار لنفسي) ، وقد شرع الله لعباده المؤمنين صلاة الاستخارة من هذا الباب: (اختيار الله للعبد) ، كيلا يكون كهذا العبد الصيني الذي ابتلي بالإبصار أشد من ابتلائه بالعمى. فتخيلته مسلماً مبتلىً في أهله فأنشدتُ على لسان هذا الأعمى البائس ، فطفِق يقول من بحر الرمل:)

ليتني ما زار عينيّ البصرْ ... لحظة مِن بعد ما عزّ النظرْ

نعمة كان العمى في عالَم ... بالدنايا والمخازي يفتخر

كنتُ محجوباً عن البلوى التي ... عاينتْ عيناي في أخزى الصور

لم أكن أدري ، فكانت عيشتي ... بهجة زينتْ بأطياف السمر

عيشة لمّا يُخالطها أسىً ... أو تكدّرها دياجيرُ الغِيَر

لم يشبْها مِن عذاب أو جوىً ... لم يعكّرْ صفوَها يوماً كدر

كل ما حولي ظلامٌ دامسٌ ... وأنا - خلف الدياجي - مستتر

أرقبُ الظلماء ليلِي والضحى ... قانعٌ بالحال راض بالقدر

مُوقنٌ أني بأهنا عيشةٍ ... رغم دمع القلب مِن فقد البصر

أبذلُ الخير لمَن حولي وفا ... ناشراً فيهم ودادي والبُشُر

مؤثراً غيري على نفسي بلا ... مِنةٍ - بين البرايا - تُحتقر

رابضُ الجأش يُقوّي همتي ... كل أجر عند ربي أدّخر

أحسبُ الزوجة ترعى حُرمتي ... حِسبة عند المليك المقتدر

تتقي المولى ، وتخشى ناره ... إن تقوى الله تُنجي مِن سقر

إن تكـــنْ عينـــي تلاشـــى ضـــوؤها بعـــد مـــا كانـــت تُعـــاني مِـــن قِصـــر

فالرقيـــبُ الله يـــا زوجـــاً زهـــت بالمعاصـــي ، واســـتهانتْ بـــالعِبَر

لبســـتْ للخِـــزي أشـــقى حُلـــةٍ وأزالـــت مـــا لـــديها مِـــن سُـــتُر

واســـتكانت لتحـــدي شـــهوةٍ أورثتهـــا الســـيرَ فـــي درب الغجـــر

خطـــتِ الـــدنيا - لهـــا دربَ - الهـــوى فاقتفـــت طوعـــاً - علـــى الفـــور - الأثـــر

واســـتغلت عجـــز أعمـــى ظنهـــا فـــي دجـــى أيامـــه أســـنى قمـــر

وصـــديقي قـــام بالـــدور الـــذي صـــاغه الشـــيطان لِعْبـــا بالبشـــر

خـــان ودي الســـجايا والوفـــا والوصـــايا المســـتبيناتِ الغَـــرر

لـــو أتـــانى خُبْـــره مِـــن صـــادق لا ، وربـــى لـــم أصـــدّق ذا الخبـــر

وإذا بـــابني علـــى مـــا لـــي ســـطا نافضـــاً كفيـــه مِـــن كـــل الحـــذر

كيـــف يخشـــى مـــن كفيـــفٍ غافـــل أزهُ الشـــيبُ ، وأعيـــاه الكِبـــر

أو مِـــن الأم انـــزوتْ فـــي غرفـــةٍ لحبيـــب القلـــب لـــيلاً والســـحَر

ليتنـــي عشـــتُ كفيفـــاً غائبـــاً عـــن متاهـــات الـــبلاء المُســـتعر

ليـــت أهـــل الطـــب لمّـــا يُفلحـــوا فـــي مُـــداواة الكفيـــف المنكســـر

ليتنـــي لـــم ألـــتمسْ فـــي عِلتـــي مَـــن هـــداني للعـــلاج المنتظـــر

ولـــذا آثـــرتُ مُكثـــي فـــي العمـــى جُنـــة مِـــن كـــل بـــؤس أو ضـــرر

عندما تشفع الدموع

(في صـ 44 من كتاب: (حدث في المحكمة) لسلمان العمري ، قصة المرأة التي بكت عند القاضي أمام زوجها من شدة خوفها من النار ، فسامحها زوجها. جاء زوجها يشكوها وهي زوجة فيها شيئ من العِناد والعَنتريات ، فلحظ القاضي جهلها بالأحكام الشرعية ، ثم وعظها وبيّن لها خطورة حق الزج وأن النبى - ﷺ - يقول: "لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرتُ المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه". وقال عليه الصلاة والسلام لامرأة سألته ما حق الزوجة على زوجها؟ قال: "لو دعاها وهي على ظهر قتب لأجابته". ثم أخذ القاضي يعِظ الزوجة ويُبين لها حقوق الزوج وعظمته وخطورته ، وأن مآلها إلى النار إن باتت عاصية لربها ثم لزوجها ، فتشبثت المسكينة بالزوج وصرختْ وبكتْ قائلة: يا ويلي من النار لقد أخطأتُ في حقك يا زوجي فسامحني! فانتفض زوجها انتفاضة الأسد الذي اختلطت مشاعر الرحمة عنده بمشاعر العِزة ، وقال لها: أتبكين قهراً من حق لي؟ لا وربي لقد سامحتك في الدنيا والآخرة ، وأنت عزيزة غالية ، فضمّها ضمّ الرحمة والشفقة أمام القاضي ، فأغمض القاضي عينه ، وسألا الله للقاضى التوفيق والسداد ، وشكراه على موعظته ، وعاهداه أن يستمسكا بأوامر الله تعالى وأوامر رسوله - ﷺ -. فكانت الموعظة الحسنة هي القاسمَ المشترك الأعظم في جمع قلبين وتأليفهما).هـ. يقول الغزالي رحمه الله: (وليس كل من ادّعى العِلم أو اعتلى المنابر أصبح واعظاً ، فالوعظ زكاة نصابُها الاتعاظ ، ومن لا نِصابَ له كيف يُخرج الزكاة؟ وفاقدُ النور كيف يستنير به؟! ومتى يستقيم الظلُ والعودُ أعوج؟!) وقال الحافظ ابن رجب الحنبلي: (المواعظ سياط تضرَب بها القلوب ، فتؤثر في القلب كتأثير السياط في البدن ، والضرب لا يؤثر بعد انقضائه كتأثيره في حال وجوده ، لكن يبقى أثر التألم بحسب قوته وضعفه ، فكلما قويَ الضربُ كلما كانت مدة الألم أكثر ، ولقد كان كثيرٌ من السلف إذا خرجوا من مجلس سماع الذكر ، خرجوا وعليهم السكينة والوقار ، فمنهم من كان لا يستطيع أن يأكل طعاماً عقب ذلك ، ومنهم من كان يعمل بمقتضى ما سمعه مدة. وأفضل الصدقة تعليمُ جاهل ، أو إيقاظ غافل، وما وصل المستثقل في نوم الغفلة بأفضل من ضربه بسياط الوعظ ليستيقظ. إنما التأديب بالسوط من صحيح البدن ، ثابت القلب، قوي الذراعين ، فيؤلم ضربه فيردع. وأما من هو سقيم البدن لا قوة له ، فماذا ينفع تأديبه بالضرب؟ وكان الحسن إذا خرج إلى الناس ، فكأنه رجلٌ عاينَ الآخرة ثم جاء يخبر عنها ، وكانوا إذا خرجوا من عنده كانوا لا يعدون الدنيا شيئاً).هـ. وغاية الواعظ ومقصوده أن يصل الواعظ الحاذق بمن يعظه إلى الخشية الحقيقية من الله عز وجل ، تلك التي تجتمع في وجل القلب ، ودمع العين ، وأن يتذكر أمور الآخرة (الجنة والنار) ، فكأنه يراها رأي العين ، وهكذا كان وعظ النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث العِرباض بن سارية قال: (وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة بليغة وجلتْ منها القلوب ، وذرفتْ منها العيون ، فقلنا: يا رسول الله كأنها موعظة مودّع فأوصنا) الحديث. وكذلك في قصة حنظلة بن عامر (غِسيل الملائكة) ، عندما قارن بين حال قلبه في مجلس وعظ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندما يفارق هذا المجلس النبوي الكريم إلى مجالسة الزوجات والأولاد ، فقال: (نكون عندك تذكّرنا بالنار والجنة حتى كأنها رأي عين ، فإذا خرجنا من عندك عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات ، نسينا كثيراً). فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: (والذي نفسي بيده إن لو تدومون على ما تكونون

عندي وفي الذكر ، لصافحتكمُ الملائكة على فرُشكم وفي طرقكم ، ولكن يا حنظلة ساعة وساعة ثلاث مرات). تلك العبارة الجميلة التي أساء فهمها كثيرٌ من المعاصرين عندما قالوا محرّفين لها مرتين: في النص: (ساعة لقلبك وساعة لربك!) ، ومحرّفين لها في التطبيق عندما جعلوا ساعة الرب على هُدى الرب ، وساعة القلب على هوى القلب! قال بعض السلف: إن العالِم إذا لم يرد بموعظته وجه الله زلت موعظته عن القلوب ، كما يزل القطر على الصفا. وأخيرا فليكن معلوماً أن المواعظ ترياق القلوب ، فلا ينبغي أن يسقيَ الترياقَ إلا طبيبٌ حاذقٌ معافىً ، فأما لديغ الهوى فهو إلى شرب الترياق أحوجُ من أن يسقيه.)

زوجان كلٌ طوى إحساسَه الخجَلُ ... ودمعُ كلٍّ سحابٌ غائمٌ هطِلُ

وللبكاء - على التفريط - مَسكنة ... وكم يجُر - إلى وخز الجوى - الزلل!

والانتحابُ - على الإفراط - مَنقبة ... عِمادُها الجدُ والإخلاصُ والأمل

والاعترافُ بذنب المرء يرفعُه ... بين الأنام فلا تراه يُبتذل

وكم تزول بذكر الله مُعضلة! ... مِن هولها قال كل الناس: ما العمل؟

وكم بدمعتها نالت موفقة ... رضا المليك ، فهان العائقُ الجلل!

وعاهدت ربها أنْ لا تخادعه ... إن التي تخدعُ الديانَ تنخذل

وفي المحاكم آياتٌ لمُعتبر ... يشوبُهن الخطا والغش والخطل

وللخلافات - في آفاقها - أثر ... تحتدّ ، ثم يكونُ الغبنُ والفشل

وللشياطين - في إضرامها - فِكَرٌ ... والمُغرضون لهم - في كَيلها - حِيل

وتحرقُ الدار ، لا تُبقي على أحدٍ ... فكلُ فردٍ بنار الطيش يشتعل

ويطفح الحقدُ في أعيان عائلةٍ ... ويكثر الغِلُ والإيقاعُ والجدل

ويشفعُ الدمعُ إن عادت لنجدتها ... زوجٌ تمكّن منها الخوفُ والوَجل

حتى يُسامحَها بعلٌ تُصارعُه ... خطى الحياة ، كأن العيشَ معتقل!

إن الحياة - بغير الحب - ما اكتملتْ ... وبالمَحبة نقصُ العيش يكتمل

الحجاج تذِله امرأة!

(أورد صاحب العقد الفريد وصاحب تراجم أعلام النساء الأستاذ / رضوان دعبول ، صاحب مؤسسة الرسالة صـ 468 في ترجمة هند بنت النعمان ما خلاصته أنها: هند بنت النعمان الأنصارية وهي شاعرة فصيحة وأديبة بارعة ، كانت ذات حسن وجمال وأدب وعلم. وكانت عند زوج بن زنباع ثم خلف عليها الحجاج بن يوسف الثقفي ، فطلقها ، ثم تزوّجها عبد الملك بن مروان. ومعلوم شأن الحجاج في قومه. ولكنْ أن يأتيَ اليوم الذي تذله فيه امرأة ، فإن هذا هو العجبُ العجاب بعينه! أورد صاحب كتاب (زهر الربيع) صـ 86 ، 87 قصة عن هند بنت النعمان تلك الغادة الجميلة التي تزوّجها الحجاج بن يوسف فقال: (قيل إن هنداً بنت النعمان كانت أحسن أهل زمانها ، فتزوّجها الحجاج ، وشرط لها بعد الصّداق مائتي ألف درهم ، فأقامت عنده ما شاء الله لها أن تقيم ، ثم دخل عليها في بعض الأيام وهي تنظر في المرآة وتقول شعراً:

مـــا هنـــدُ إلا مُهـــرة عربيـــة ســـليلة أفـــراس تحللهـــا بَغـــلُ

فـــإن ولـــدتْ فحـــلاً فللـــه دَرّهـــا وإن ولـــدتْ بغـــلاً فجـــاء بـــه البغـــل

فانصرف الحجاج راجعاً ولم يدخل عليها ولم تكن علمتْ به ، فأرسل إليها عبد الله بن طاهر ، فقال لها: الحجاج يقول لك: كنتِ فبنتِ ، وهذه المائتا ألف درهم باقي صداقك. فقالت: يا ابن طاهر ، كنا وبنا ، فما ندمنا ، وهذه المائتا ألف درهم بشارة لك بخلاصي من كلب ثقيف! ثم بلغ خبرها بعد ذلك عبد الملك بن مروان ، ووُصف له جمالها فأرسل إليه يخطِبها. فأرسلتْ إليه كتاباً تقول فيه: بعد التحية ، إن الإناء ولغ فيه الكلب. فلمّا قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها ، وكتب إليها يقول: إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعاً إحداهن بالتراب ، فاغسلي الإناء يحلُ الاستعمال! فكتبت إليه أتزوجك بشرطٍ ، وهو أن يقود الحجّاجُ محملي من المَعرّة (معرة النعمان) بلدي إلى بلدك التي أنت فيه ، ويكون ماشياً حافياً بحليته التي عليها أولاً. فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك وأرسل للحجاج يأمره بذلك ، فامتثل الأمر. فركبتْ في محملها ، وركب حولها جواريها ، وأخذ الحجّاج بزمام البعير يقوده. فجعلت هندُ تضحك عليه مع الهيفاء دايتها ، ثم قالت للهيفاء: يا داية اكشفي لي سجف المَحمل ، فكشفته فوقع وجهها في وجه الحجّاج ، فضحكتْ عليه فأنشأ يقول:

فـــإن تضـــحكي منـــي فيـــا طـــول ليلـــةٍ ترَكتـــــك فيهـــــا كالقِبـــــاء المُفـــــرّجِ

فأجابته تقول مستهينة به وبعزه وماله وجاهه ، ومعتزة بإيمانها بالله تعالى:

ومـــا نُبـــالي إذا أرواحُنـــا سَـــلمتْ بمـــا فقـــدناه مِـــن مـــال ومِـــن نشَـــبِ

فالمـــالُ مكتســـبٌ ، والعـــز مرتجـــعٌ إذا النفـــوسُ وقاهـــا اللهُ مِـــن عَطـــب

ولم تزل كذلك تضحكُ وتلعب إلى أن قربتْ من بلد عبد الملك ، فرمت بدينار على الأرض ، ونادت: ياجمّال سقط منا درهم ، فادفعه إلينا. فنظر الحجّاج إلى الأرض ، فلم يجد إلا ديناراً ، فناولها إياه.

فقالت: الحمد لله ، سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً. فخجل وسكت).هـ. فألفيتُ هذه المرأة داهية في التشفي وجبّارة في الانتقام من أعدائها. وكم في حياتنا من أمثال الحجّاج الذين عمدوا إلى استرقاقنا وإذلالنا! إن كثيراً من الناس يستضعفون بعض من حولهم فيفعلون ما شاؤوا بهم دون رقيب أو خشية من الله ، على طريقة فرعون في استضعاف بني إسرائيل! فليعلموا أن يوم الخلاص وانكشاف الخدع قادم. والحقيقة أنني أخِذتُ بقدرة هند بنت النعمان على التشفي والانتقام ، فأنشدتُ من شعري مشيداً بذكائها وفطنتها ، وعلى البحر المنسرح أقول:)

رِدِ المتاهـــــات ، إنهـــــا السُـــــنُنُ ... وعـــــشْ ذلـــــيلاً تُـــــذيبك المِحـــــنُ

فكـــــم ســـــفكت الـــــدماء متعبطـــــاً! ... وكـــــم أطلـــــتْ - بظلمِـــــك – الفـــــتن!

وكـــــم قتلـــــت الأنـــــامَ فـــــي شُـــــبَهٍ ... والكـــــل مستأســـــرٌ ومم ـــــتحن!

وكـــــم تلـــــذذت إذ تعـــــذبهم! ... فجالـــــدوا مَـــــن بغـــــى ، ومـــــا وهنـــــوا

لـــــم يُشـــــمِتوا حاقـــــداً ينـــــاولهم ... كـــــأسَ الشـــــقا ، مهمـــــا طفّـــــتِ الإحَـــــن

بـــــل لقنـــــوك الـــــدروسَ لهـــــا ... عَـــــرضٌ بـــــديعٌ مُنمَـــــقٌ حَسَـــــن

لكـــــنّ (هنـــــداً) ســـــقتك نقمتهـــــا ... بـــــين الوصـــــيفات ، حبـــــذا العَلـــــن!

ورحبـــــتْ بـــــالطلاق مـــــؤثرة ... أيومـــــة عِزهـــــا هـــــو الـــــثمن

وأصـــــبحتْ زوجـــــة مُكرّمـــــة ... عنـــــد الـــــذي تشـــــتهي ويُـــــؤتمن

خليفـــــة صـــــانها وبجّحهـــــا ... فـــــزال عنهـــــا الـــــبلاءُ والشـــــجن

فلـــــم تهـــــن مُطلقـــــاً ، لـــــذا شـــــمختْ ... وكيـــــف تســـــمو الحَصَـــــانُ تمـــــتهَن؟

يـــــا (هنـــــدُ) نلـــــتِ التبجيـــــل أجمعَـــــه ... ومـــــا بكـــــاكِ المَـــــلا ، ولا الـــــوطن

أدّبـــــت عبـــــداً طغـــــتْ مســـــاوئه ... وصِـــــيته بالنكـــــال مُقتـــــرَن

تاريخـــــه بـــــالجراح مُختضـــــبٌ ... فمِثـــــل هـــــذا - بمـــــا جنـــــى - قمِـــــن

أســـــميتِه (الكلـــــبَ) ، والكـــــلابُ تفـــــي ... لأهلهـــــا ، كـــــم لأكلـــــب مِـــــنَن!

أيـــــن الوفـــــاءُ (الحجّـــــاجُ) حققـــــه؟ ... فلتخبرينـــــا إذا غفـــــى الـــــزمن!

دعها يا أبي ، بالله عليك!

(ابتلي ذلك الزوج العصبي الحاد الطبع بضرب زوجته ، الضرب المبرح الذي يسيل الدم ويكسر العظم ويترك الآثار السيئة ، والمنهي عنه في شريعتنا حتى في حق الحيوان البهيم ، فما بالنا بالإنسان المفضل المكرّم؟! وإن كان له الحق ألف مرة فإن هذا لا يجوز. وذات مرة ، وبينما هو يضرب زوجته ، إذا بأطفالها الصغار يبكون الإهانة وضرب أمهم ، وأثناء الضرب لا يدرون ما مصيرها النهائي بعد هذه المشاجرة العاتية. وبينما الأمر على ما ذكرتُ ، قال أكبرهم ذو السنوات العشر في براءة الأطفال: دعها يا أبي بالله عليك! قالها الصبي وهو لا يدري ما هل عساه أن يفعل! وإنما أجراها الله سبحانه على لسانه. فتذكر الأب على الفور الصحابي الجليل أبا مسعود البدري وهو يجلد عبده ، والعبد يجهش بالبكاء ويجهر بالصياح ، فأوصاه رسول الله– صلى الله عليه وسلم - بالرحمة وقال: (من لا يَرحم لا يُرحم). فيُعتق أبو مسعود غلامه. فيقول له رسول الله - ﷺ - أمَا إنك لو لم تعتقه للفحتك النار. فاستجاب الأب لتوسل ابنه وإقسامه عليه بالله. والحقيقة أن ضرب النساء للتأديب ضرباً غيرَ مبرّح طبعاً يُعتبر من الأساليب النبوية في علاج النشوز والإعراض. وإلى هذا ذهب الدكتور عبد السميع الأنيس في كتابه الرائع (الأساليب النبوية في معالجة المشكلات الزوجية) ص 212-213 حيث يقول وتحت عنوان نصه: (التأديب بالدفع): (ومن الأساليب التي استعملها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في معالجة الخلافات الزوجية أسلوب التأديب بالدفع ، يدل على ذلك ما جاء في مسند أحمد وصحيح مسلم ومجتبى النسائي وصحيح ابن حبان من حديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: ألا أحدثكم عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعني؟ قلنا: بلى. قالت: لمّا كانت ليلتي التي كان النبي – صلى الله عليه وسلم – فيها عندي ، انقلب ، فوضع نعليه عند رجليه ، ووضع رداءه ، وبسط إزاره ، وبسط طرف إزاره على فراشه ، فلم يلبث إلا ريثما ظن أني قد رقدت. ثم انتقل رويداً ، وأخذ رداءه رويداً ، ثم فتح الباب رويداً ، وخرج فأجافه رويداً (أي أغلقه). ثم قالت بعد ذلك: وجعلتُ دِرعي في رأسي ، واختمرتُ ، وتقنعتُ ازاري ، وانطلقتُ في أثره. فجاء – صلى الله عليه وسلم – البقيع ، فرفع يديه ثلاث مرات ، وأطال القيام ثم انحرف ، فانحرفتُ ، فأسرع ، فأسرعتُ ، وهرول فهرولتُ ، فأحضر فأحضرت ، وسبقتُ ، فدخلتُ ، فليس إلا أن اضطجعتُ فدخل. فقال: ما لكِ ياعائشة حشيا رابية؟ (أي متوترة الأنفاس) قلتُ: لا شيء يا رسول الله. قال: لتخبريني ، أو ليخبرَني اللطيفُ الخبير. قلتُ: يارسول الله ، بأبي أنت وأمي ، فأخبرته الخبر. قال: فأنت السوادُ الذي رأيتُ أمامي؟ قلتُ: نعم. قالت: فلهدني لهدة في صدري أوجعتني. (واللهد هو الدفع الشديد في الصدر). وفي رواية لأحمد – رحمه الله -: (فلهزني في صدري لهزة أوجعتني. واللهز هو الضرب بجمع الكف في الصدر! وقيل اللهز هو الدفع والضرب معاً). ثم قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: أظننتِ أن يَحيفَ اللهُ عليكِ ورسوله؟ قالت: مهما يكتم الناس فقد علمه الله؟ قال: نعم ، فإن جبريل أتاني حين رأيت ، ولم يكن يدخل عليك ، وقد وضعت ثيابك ، فناداني فأخفى منك ، فأجبته ، فأخفيتُ منك ، وظننتُ أن قد رقدت ، فكرهتُ أن أوقظك ، وخشيتُ أن تستوحشي ، فقال: إن ربك يأمرك أن تأتي أهل البقيع فتستغفر لهم).هـ. والشاهد قولها رضي الله عنها -:(فلهدني – فلهزني). قال العلامة السِندي: (وهذا كان تأديباً لها من سوء الظن). وهذا الأسلوب يقصد منه التعبير عن الغضب الشديد وعدم الرضا عن تصرف سيء بدر من الزوجة ، فهو نوع من الجدية في معالجة موقف ينبغي أن لا يتكرر.هـ. إن هذه الحركة تعبير مادي محسوس ينبّه الزوجة إلى خطأ تصرفها ، وهو عكس المس باليد الذي يعني عادة التعبير

عن المحبة والرضا. إن الحياة الزوجية ينبغي أن تقوم على الثقة المتبادلة ، وأما سوء الظن فلا ينبغي أن يكون له موقع محترم بين الزوجين ، وإلا تعرضتِ الحياة الزوجية للتصدع والانهيار. وما هذا الدفع في صدر الزوجة إلا لتنبيهها على خطورة تصرّفها الذي قد يؤدي إلى نتائج لا تحمد عُقباها. وإذن فهو الضرب غير المبرّح للتأديب).هـ. وفي محاضرة: (اللمعة في حكم ضرب الزوجة) للدكتور نايف بن أحمد الحمد وقد حقق مسألة ضرب الزوجات تحقيقاً رائعاً أورد في ثناياه بعض الزبد أقطف منها: (قال النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع: (اتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللَّهِ وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُونَهُ فَإِنْ فَعَلْنَ ذلك فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غير مُبَرِّحٍ وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ). رواه مسلم ، وعن عبد اللَّهِ بن زَمْعَةَ - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لَا يَجْلِدُ أحدُكم امْرَأَتَهُ جَلْدَ الْعَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا في آخِرِ الْيَوْمِ). رواه البخاري ، وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى -: "وفي سياقه استبعاد وقوع الأمرين من العاقل أن يبالغ في ضرب امرأته ثم يجامعها من بقية يومه أو ليلته والمجامعة أو المضاجعة إنما تستحسن مع ميل النفس والرغبة في العشرة والمجلود غالباً ينفر ممن جلده".هـ. فتح الباري. وعن إياس بن أبي ذباب - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تضربوا إماء الله) ، قال فذئر - أي نشز - النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن فقال عمر بن الخطاب: ذئر النساء وساءت أخلاقهن على أزواجهن منذ نهيت عن ضربهن فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (فاضربوا) فضرب الناس نساءهم تلك الليلة فأتى نساء كثير يشتكين الضرب فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين أصبح: (لقد طاف بآل محمد الليلة سبعون امرأة كلهن يشتكين الضرب وأيم الله لا تجدون أولئك خياركم) رواه النسائي في الكبرى وصححه ابن حبان ، وقال الحافظ ابن حجر – رحمه الله تعالى -: (فيه دلالة على أن ضربهن مباح في الجملة ومحل ذلك أن يضربها تأديباً إذا رأى منها ما يكره فيما يجب عليها فيه طاعته).هـ. فتح الباري وانظر: عون المعبود).هـ. إنني أناشد كل زوجين مؤمنين أن يبيتا حسن الظن في كل أمر بينهما إلى أن يثبت العكس. فكم من بيوت خربت! وزوجات طلقن! وأزواج خلعوا! بسبب سوء الظن. كما أناشد كل زوج احتاج إلى التأديب بالضرب طبعاً في موضعه على ترتيب الآية (بعد الوعظ والهجر) فليكن الضرب المؤلم ولكن غير المبرّح ، الذي يسيل الدم ويكسر العظم ، وليتذكر كل زوج إنْ غرّته قدرته على زوجه الضعيفة المسكينة ، فليتذكر قدرة الله الجبار العزيز القهار الغالب عليه. أنشدتُ من شعري وعلى البحر المتدارك هذه الوصية التي أوصى بها الابن أباه!)

دَعهـــا ، ولـــك الأجـــرُ الأكبـــرْ واهـــدأ ، واسترشـــدْ ، وتـــدبّرْ

وتـــذكرْ ســـاعة خِطبتهـــا وارجـــعْ للماضـــي ، واستبصـــر

يـــومَ أتيـــت إلـــى ضـــيعتها مختـــالاً فرحـــاً تتبخـــر

والأضـــيافُ تبـــاركُ عُرســـاً لـــيس بـــه فســـقٌ أو منكـــر

والحفلـــة يشـــدو ســـامِرُها بنشـــيدٍ حـــان ومُـــؤثر

والأهـــلُ جميعـــاً قـــد حضـــروا والحاقـــد - طبعـــاً - لـــم يحضـــر

وعـــــريسُ الليلـــــة مبـــــتهجٌ ... مســـــرورُ الخـــــاطر مُستبشـــــر

وعروســـك فـــي الـــدار تســـلتْ ... بصـــواحبَ فـــي أبهـــى منظـــر

بعبـــاءاتٍ مـــا أســـودها! ... وقلـــوب تُشـــرق كـــالجوهر

ولهـــن أناشـــيدٌ رَشَـــحتْ ... بالمســـك الفـــائح والعنبـــر

أخـــواتٌ جـــئن مجاملـــة ... حَسِـــناتُ النيـــة والمظهـــر

ورجـــالُ الحفـــل بمســـجدهم ... والكـــل يُهنـــي ، ويُبشّـــر

والحفـــل مضـــى بزخارفـــه ... ومضـــيت لكـــيلا تتـــأخر

وبـــدأت زواجـــك بصـــلاةٍ ... فـــاللهُ - مِـــن الزوجـــة - أكبـــر

والعِيشـــة كانـــت كخضـــمٍّ ... وأراك - بلجتـــه - تبحـــر

والجَـــزْر ســـريعاً مـــا يمضـــي ... والمـــدّ يعـــاودُ ، ويُـــدمّر

أتظـــن بُلهنيـــة تبقـــى؟ ... كـــلا ، فتحمّـــلْ وتبصّـــر!

وإذا مـــا عشـــت بـــلا مِحـــن ... فبـــأي عطـــا المـــولى تـــؤجر؟

احلـــم يـــا أبـــتِ ، ولا تعجـــلْ ... عهـــدي بـــك أنْ لا تتهـــور

وأديـــنُ الأم ، وأعـــذرُها ... وتعـــدّيها أنـــا لا أنكـــر

لكنـــك أكبـــرُ فـــي نظـــري ... مِـــن هـــذا الموقـــف يـــا خيِّـــر!

وانـــدمْ يـــا أبـــتِ علـــى جُـــرُمٍ ... واقنـــتْ للمـــولى ، واســـتغفر

واســـأل ربـــك أن يرحمَنـــا ... مِـــن طوفـــان قـــد يتفجـــر

ويُنجينـــا مِـــن وسوســـةٍ ... يُمليهـــا الشـــيطانُ الأغبـــر

بـــالله عليـــك كفـــى إحَنـــاً ... منهـــا المســـتقبلُ يتضـــجر

وكفـــى ألمـــاً ، وكفـــى شـــجناً! ... إنـــا - فـــي البلـــوى - نتعثـــر

إن التشـــــــــــتيت يهـــــــــــدّدنا ... والبيـــــــتُ بـــــــه كـــــــم يتـــــــأثر!

إخـــــــواني يبكـــــــون ، وأبكـــــــي ... وأراك تسَـــــــــــفّه ، وتحَقّـــــــــــر

أوَلســـــــت تحـــــــس بكربتنـــــــا؟ ... أوَلســـــــت تنـــــــي أو تتكـــــــدر؟

أوَلســـــــت تفكـــــــر فـــــــي غـــــــدِنا ... فيُعينـــــــــــك ذا أن تتغيـــــــــــر؟

أمـــــــي ترجـــــــوك مســـــــامحة ... وهـــــــي الأدنـــــــى ، وهـــــــي الأصـــــــغر

أمـــــــا أهلوهـــــــا فعُتـــــــاة ... يـــــــأتون بمـــــــا لا يتصـــــــور

يرجـــــــون طـــــــلاق بُنيّـــــــتهم ... هـــــــل ذاك هـــــــو الحـــــــل النيّـــــــر؟

أبتـــــــاه فخيِّـــــــبْ مـــــــأملهم ... أنـــــــت بمـــــــا قـــــــد صـــــــنعوا أخبـــــــر

أبتـــــــاه فأبطـــــــلْ خطـــــــتهم ... قـــــــد يحـــــــدثُ مـــــــا كُنـــــــا نحـــــــذر

لا يضـــــــــــرب زوج زوجتـــــــــــه ... ضـــــــربك هـــــــذا يـــــــا مستبصـــــــر!

أوَلا تبصـــــــر مـــــــا أحدثـــــــه؟ ... انظـــــــر للـــــــدم كـــــــم يتحـــــــدر!

أيـــــــن الرحمـــــــة يـــــــا والـــــــدنا؟ ... عاهـــــــــــــذْني أنْ لا يتكـــــــــــــرر

واســـــــلم لبنيـــــــك ، وعـــــــشْ رجـــــــلاً ... يحتـــــــرمُ الزوجـــــــة ، ويُـــــــوَقر

لا تعطـــــــي الفرصـــــــة مَـــــــن شـــــــمتوا ... وأعيـــــــذك مِـــــــن غِـــــــل مُضـــــــمر

لا شـــــــئ يعـــــــوّض وحـــــــدتنا ... فـــــــادرسْ مـــــــا حولـــــــك ، وتبصّـــــــر

وأنـــــــا أدعـــــــو لـــــــك بـــــــالتقوى ... وعســـــــى ربـــــــي ذنبَـــــــك يغفـــــــر

يـــــــا رب تغمّـــــــدْ والـــــــدَنا ... بالرحمـــــــة كـــــــيلا يتحســـــــر

واصـــــــفحْ ، وتفضّـــــــلْ ، وتقبّـــــــلْ ... أنـــــــت الغفـــــــارُ المتكبـــــــر

أخونا أغلى من الإرث

(إخوة وأخوات لأب واحد وأم واحدة. نشأوا في بيتٍ واحدٍ ، وبيئةٍ واحدةٍ ، وشربوا من معين واحد. وأثمرت القيم والمُثل فيهم ، فعاشوا عليها ، وتنوعت مصادر دخولهم وأرزاقهم لتنوع ثقافاتهم. فمن مهندس إلى طبيب إلى معلمة إلى رجل أعمال إلى مديرة. وتفاوتت الدخول والأوضاع! ولكن أكبر هؤلاء الإخوة ويدعى حُساماً ابتلي بكثرة الأولاد ومحدودية الدخل مما جعله يعيش على الكفاف أو دونه بقليل. وعاش عزيزاً عفيفاً لا يقبل أبداً صدقة أحدٍ أو مِنته أو عطاءه. واعتاد إخوته وأخواته الأشقاء والشقيقات أن يُغدقوا عليه ويُوسعوا ، ولكنْ في صورة هدايا لأبنائه وبناته بحيث لا يشعر. فجعلوا من أخيهم وأولاده قِبلة للصدقات والهبات والأعطيات العينية والنقدية. وذات يوم مات الأب عن تركةٍ هي بيت مؤلف من خمسة طوابق في حي عامر آهل بالسكان. وكان الأب قد سمح لابنه الأكبر هذا بأن يسكن إحدى شقق هذا البيت بإيجار زهيد حتى لا يشعره بمِنته عليه أو تفضله لذات السبب الذي هو حساسية الابن المفرطة ، فلما مات الأب وجاء الأبناء والبنات وقد اتفقوا فيما بينهم ودون عِلم أخيهم الأكبر على أن يتنازلوا عن أنصبتهم في الإرث في هذا البيت لأخيهم الأكبر مقابل دراهم معدودة لا تساوي ربع شقة من شقق هذا البيت. وإنما كان البيع لأخيهم حتى لا يُحرجوه ولا يشعروه بأنه هبة أو عطاء. بل بيع وشراء كالغريب وتم ذلك بـ (1400 ألف جنيه مصري) في عمارة تستحق (مليوني جنيه مصري). وتعلل الأخ بأنه لا يستطيع الوفاء لهم بالمبلغ دفعة واحدة ، فتم تقسيطه على سنوات ، ومن الأشقاء والشقيقات من لم يتحصل على ربع ما اتفق عليه ، ومنهم من نسي أو تناسى وتمنى على الله أن ينساه أخوه الأكبر من نصيبه هذا وقد كان. وتم ذلك بالتراضي والتسامح. وأثبت هؤلاء الأشقاء الكِرام أنه لا البيت ولا المال ولا الدنيا بأسرها أغلى عندهم من أخيهم ، إن مثل هذه المواقف تستحق القصائد والمعلقات. وإذا لم يكن الشعر لمثل هذه المواقف ، ففي أي شئ يكون الشعر؟ قال الأستاذ فريد الأنصاري عن الأخوة الحقيقية ما نصه: (أحبابي ، إذا تأملتم واقعنا وأمعنتم فيه النظر قلتم: إن هذا الزمان زمن غربة المسلم الحق والمسلمة الحقة ، إذ في زمن الغربة يمضي المسلم يبحث عن حبيب ، يبحث عن نصير ، يبحث عن مُعين ، يبحث عن صديق صادق ، وهو في الأصل يكتفي بالله عز وجل أنيساً ومعيناً ونصيراً ، ولكن مع كثرة الأعداء وكثرة الشبهات والشهوات وقلة الأتباع والأنصار ، يجد المرء نفسه يناجي ربه يشكو إليه ما صار إليه الحال الآن ، ونتمثل قول رسول الله وهو في الطائف: اللهم إنا نشكو إليك ضعف قوتنا وقلة حيلتنا وهواننا على الناس ، يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين ، وأنت ربنا ، إلى مَن تكلنا ، إلى قريب يتجهمنا ، أو إلى عدو ملكته أمرنا ، إن لم يكن بك غضب علينا فلا نبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لنا ، نعوذ بنور وجهك من أن ينزل بنا غضبك ، أو يحل علينا سخطك ، لك العُتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك. أيها الأحباب ، نريد أن تصفو قلوبنا بعد هذا الكدر الذي أفرزه واقعنا المرير ، فإنَّ أساس قضية الأخوة هو صفاء القلب لله ، هذا الصفاء الذي يثمر طمأنينة الفؤاد وراحة البال ، وهدوءَ الضمير ، فلا نرتقب خوف الغدر وحسدَ الأعين وأذى الأيدي وكيدَ القلوب وحقدَ النفوس ، إنها ظلال الحب في الله ، لا أخوة المصالح وصداقة المنافع التي شاعت في هذا العصر ، نحتاج إلى أخٍ كالمرآة الصافية المؤمن مرآة أخيه ، يقيل كل منا عثرات الآخر ، يدافع عني وأدافع عنه من ورائه ، يقيمني وأقيمه

يعينني وأعينه ، فأين هذه الأخوة؟! تعالوا بنا – أيها المؤمنون – نعيد بناء صرح الأخوة الشامخ ، تعالوا نداوي تلك الآفات ؛ فإن نسيجنا الأخوي يحتاج إلى إصلاح وتجديد وصيانة ، فتلك الروابط التي كانت تجمع قلوب الأخوة قد بَليت ، والحاجة مُلحّة إلى إعادة إقامتها من جديد).هـ. وكلما ذكرتْ قصة هؤلاء الإخوات مع أخيهمُ الأكبر المُعيل ظن من تذكَرُ له القصة أننا نحكي عن ألف ليلة وليلة! وهو معذور لأن مثل هذا الخلق افتقد منذ زمن بعيد بعد طغيان المادة على الإيمان بالله! ولقد ابتلينا بعادة غريبة هذه الأيام ملخصها استحواذ بعض الأبناء على الإرث وتعمد حرمان إخوتهم وأخواتهم منه! كأن المتوفي لم ينجب إلا ذلك البعض! وأحيانا يأخذ أحدهم الإرث كله حارماً الكل!)

نهـــدي إليـــك تحيـــة وســـلاما ... ومحبـــــة ومـــــودّة ووئامـــــا

ونســـوق أشـــواقاً تحـــبُ لـــك العـــلا ... وشـــعورُنا - بودادنـــا - يتســـامى

ونـــزفّ - مـــن أرَج الإخـــاء - عطيـــره ... ونريـــدُ - للخيـــرات - أن تتنـــامى

ونتـــوّج الأخ - بـــالتعفف - حِســـبة ... ليعـــيش - فـــي دنيـــا الأنـــام - هُمامـــا

ونـــراه ســـيدنا وأغنـــى قومِنـــا! ... ورجالنـــا أمســـوا لـــه خـــداما

هـــو - بعـــد مـــوت أبيـــه - ســـيدُ أهلـــه ... مهمـــا تحـــذلق حاقـــدٌ ، وتعـــامى

هـــو مرجعيـــة قومِـــه فـــي ديـــنهم ... هـــو عـــالِمٌ يســـتظهرُ الأحكامـــا

وهـــو الأميـــر إذا الحـــروبُ تســـعّرَت ... نـــاراً – تحـــرّق مَـــن طغـــى - وضِـــراما

وهـــو الـــذي يقضـــي ، فيعـــدلُ بيننـــا ... إذ قـــد ألـــمّ بشـــرعِنا إلمامـــا

وجميعنـــا نرضـــى بفصـــل قضـــائه ... لا نقـــضَ ســـاعتها ، ولا إبرامـــا

لمّـــا نجـــدْه مضـــيّعاً لحقوقنـــا ... مـــذ كـــان فـــي هـــذي الحيـــاة غلامـــا

بـــل كـــان ينصـــحُ كـــي يرانـــا فـــي الـــذرى ... إن النصـــيحة تصـــقلُ الأفهامـــا

كـــم صـــدّ عنـــا الإفـــك زخرفـــه الـــورى ... وتعقـــب الأفـــاك والظّلامـــا!

كـــم جـــاد بـــالأموال رغـــم خصاصـــةٍ! ... وعشـــيرُنا يستشـــهدُ الأيامـــا

كـــم خصـــنا بحنانـــه ودعائـــه ... حتـــى نحكّـــم - بيننـــا – الإســـلاما!

ولـــذا فـــنحن نحبـــه ، ونبـــرّه ... ومـــن التـــي هـــي لا تحـــب (حُســـاما)؟

ونـــراه أغلـــى مـــن جميـــع نفوسِـــنا ... هـــــذا بأعبـــــاء الأخـــــوة قامـــــا

إن الأخـــــوة نجـــــدة ومـــــروءة ... وتفضـــــلٌ يبنـــــي عُـــــرىً ودِعامـــــا

وتكـــــرمٌ يـــــدع النفـــــوس رضـــــية ... مـــــن بعـــــد أنْ مُلئـــــت تُقـــــىً وســـــلاما

وســـل التكـــاليف التـــي نيطـــتْ بهـــا ... تجـــــد الجـــــواب يُفـــــتحُ الأحلامـــــا

هـــــذي الأخـــــوة صـــــفوَة أصـــــحابُها ... وبهـــــا غـــــدوْا - بـــــين الأنـــــام - كِرامـــــا

وســـمَوْا بهـــا - فـــوق الخلائـــق - رتبـــة ... وهـــــمُ الأجـــــلُ مهابـــــة وكلامـــــا

أفعـــــالهم طفقـــــتْ تُطـــــابق قـــــولهم ... إذ أكرمـــــــوا إخـــــــوانهم إكرامـــــا

بـــــذلوا فقيـــــل: هـــــمُ الســـــخاء جميعُـــــه ... ومحَـــــوْا بمـــــا بـــــذلوا دجـــــىً وظلامـــــا

وتحملـــــوا ضـــــنك الحيـــــاة ونحســـــها ... وتكبـــــــدوا الـــــــويلاتِ والإيلامـــــا

وتجـــــردوا هـــــم مـــــن حظـــــوظ نفوســـــهم ... وكـــــذاك يفعـــــل صـــــالحون نشـــــامى

وتســـــربلوا بـــــالجود يُعلـــــي شـــــأنهم ... إذ ألجمـــــــوا أهـــــــواءهم إلجامـــــا

تـــــا الله مـــــا لفـــــظ الإخـــــوة هـــــينٌ ... لـــــــيُلاك بـــــــين أراذل ونـــــــدامى

إنـــــا عزمنـــــا أن نتـــــرجم لفظهـــــا ... ونقـــــوم - صـــــدقاً – بالإخـــــاء قِيامـــــا

للهـــــم فاشـــــهد أننـــــا لا نبتغـــــي ... إلا رضـــــاك ، ونعـــــمَ ذاك مُرامـــــا!

إنـــــا وزنـــــا الإرث فيمـــــا بيننـــــا ... ورأى الجميـــــعُ الـــــوزن والأرقامـــــا

وكـــــذا وزّنـــــا بالجُنيـــــهِ شـــــقيقنا ... فـــــإذا (حســـــامٌ) يـــــرجحُ الـــــدرهاما

وإذا بمليـــــوني جنيـــــه كـــــالهوا ... لا شـــيئ فـــي الميـــزان فـــاق (حســـاما)!

والإرث يغنـــــي ، والخلائـــــق والـــــدُّنا ... أرأيـــت شـــيئاً - فـــي البســـيطة - دامـــا؟

يبقـــى مليـــك الخلـــق بعـــد فنـــائهم ... يـــا عبـــدُ وحّـــدْ ربـــك العلامـــا

بشفاعة أم البنين

(اعتاد عبد الله بن قيس الرقيات (شاعر قريش في العصر الأموي) أن يمدح مصعباً بن الزبير. (فلما قتِل مصعبُ التجأ عبيدُ الله إلى عبد الله بن جعفر الطيّار ليشفع له عند عبد الملك بن مروان. فقال عبد الله ، ويحك لئن ظفروا بل قتلوك ولكني أكتب إلى أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان ، فإن لها حظوة عند عمّها. فلما وصلها الكتابُ دخلتْ على عمّها وألقت السلام فسألها: هل من حاجة؟ فقالت: نعم يا عماه. فقال: قد قضيت كل حاجةٍ لكِ إلا ابن قيس الرّقيات. فقالت: لا تستثنين عليّ يا أمير المؤمنين! فلطمها على وجهها. فوضعتْ يدها على خدها ، وتأثرتْ أشد الأثر وأطرقت برأسها إلى الأرض طويلاً. فرقّ لها قلب عبد الملك وقال: ارفعي يدك يا أم البنين ، قد قضيتُ كل حاجةٍ لك ، وإن كانت ابن قيس الرقيات. فوضعتْ يدها على خدها وقالت: حاجتي يا أمير المؤمنين أن تؤمّنه ، فقد كتب إلي يسألني أن أسألك ذلك. قال: هو آمن.....هـ. ومن كلام أم البنين وأعمالها الخيرية أنها قالت: أفٍ للبخل! لو كان قميصاً ما لبسته قط ، ولو كان طريقاً ما سلكته. وكانت أم البنين تبعث إلى نسائها فتجمعهن فيتحدثن عندها وهي قائمة تصلي ، ثم تنظر إليهن وتقول: أحب حديثكن ، فإذا أقمت في صلاتي لهوتُ عنكن ونسيتكن. وكانت تكسوهن الثياب الحسنة ، وتعطيهن الدنانير ، وكانت تقول: جُعل لكل قوم نهمة في شيء ، وجُعلت نهمتي في البذل والإعطاء. والله للصلة والمواساة أحب إليّ من الطعام الطيب على الجوع ومن الشراب البارد على الظمأ. وكانت تقول: وهل ينال الخير إلا باصطناعه؟ وكانت تقول: ما حسدت أحداً قط على شيء إلا أن يكون ذا معروف ، فإني كنت أحب أن أشركه في ذلك. فأعجبتني جرأة أم البنين وشجاعتها ورقة عبد الملك ، فأنشدت هذه القصيدة التي عنونتُ لها بهذا العنوان احتراماً وتقديراً لها ولشفاعتها ولشجاعتها ولتحملها المشاق والإهانة في منفعة الناس! لقد كانت شخصية تستحق التقدير بحق!)

إيـــهِ أمّ البنـــين يـــا ذي الأصـــيلة! كـــم طرقـــتِ ـ للخيـــر ـ دربـــاً وحِيلـــة!

كـــم بـــذلتِ المعـــروفَ فـــي كـــل وادٍ! وإلـــى الـــرحمن ابتغيـــتِ الوســـيلة

كـــم شـــفعتِ ـ للمـــذنبين ـ احتســـاباً! دون مَـــنّ ، فـــالمنّ بـــئس الرذيلـــة!

كـــم تفضـــلتِ ، والأنـــام شـــهودٌ! والعطـــاءُ والجـــودُ نعـــم الفضـــيلة!

وابـــنُ قـــيس أتـــاكِ يُغضـــي حيـــاءً يتقـــي أن يُغتـــال غـــدراً وغيلـــة!

نفســـه جزعـــى ، والفـــؤادُ أســـيفٌ والـــرهينُ تبكـــى عليـــه القبيلـــة

قصـــد ابـــن (الطيّـــار) يرجـــو نجـــاة مِـــن حِمـــام يـــدنو ، وبلـــوى ثقيلـــة

قـــال: عُـــذراً ، فـــالأمرُ أكبـــرُ منـــي إن عُقبـــى الـــدفاع عنـــك وبيلـــة

لكـــنِ اســـأل (أم البنـــين) ، وأبشـــرْ مثـــلُ هـــذي ـ فـــي المعضـــلات ـ أصـــيلة

لـــم تعُقهـــا - عـــن الســـجايا - حُـــدودٌ وأراهـــــا - عنـــــد الملـــــوك - بجيلـــــة

صـــاح فاكتـــب مـــا تشـــتهيه إليهـــا إنهـــــا - بـــــالمطلوب منهـــــا - كفيلـــــة

لا تســـوّفْ ، فـــالموتُ خلفـــك يعـــدو والمنايـــــا تســـــعى - إليـــك - عجولـــــة

يـــا ابـــن قـــيس أنقـــذ مـــن المـــوت نفســـاً دون شـــــكٍ نجاتهـــــا مســـــتحيلة

فاســـتجاب (العُبيـــدُ) ، واخـــتط نصـــاً فيـــه فحـــوى تســـبي العقـــول جميلـــة

فـــي ثنايـــا الســـطور خـــوفٌ تبـــدّى والتبـــــاريحُ - بالـــــدموع - بليلـــــة

فاستشـــــاطتْ (أم البنـــين) اغتياظـــــاً عنـــدما ســـاق (الحضـــرميّ) دليلـــه

فاســـتعدّت للصـــدع دون اكتـــراثٍ مثـــلُ هـــذي تحيـــا بـــنفس بســـيلة

لا تخـــافُ قهـــر الرجـــال بتاتـــاً ولهـــا - إن ســـاد الجـــدال - بطولـــة

وتلاحـــي عـــن كـــل مظلـــوم قـــوم نفسُـــه - ممـــا يعتريهـــا - ذليلـــة

جـــاءتِ القصـــرَ لابـــن مـــروانَ عجلـــى تبتغـــى تهيـــيج الســـجايا النبيلـــة

قـــال: إلا فـــي (ابـــن الرقيّـــات) طبعـــاً قاطعـــت: الاســـتثناءات أشـــقى حســـيلة

فـــإذا بـــاللطم الـــذي طـــال خـــداً وإذا بـــــالأحزان تـــــدْمي الأثيلـــــة

ألجمتهـــا هـــذي الطريقـــة حتـــى ســـــربلتها إطراقـــــة مســـــتطيلة

ثـــم دفّ قلـــبُ الخليفـــة رفقـــاً واعتـــذاراً لـــذي الحَصـــان الجليلـــة

قـــائلاً: قـــد قبلـــتُ ســـؤلك طوعـــاً فـــي (ابـــن قـــيس) مادمـــتِ أنـــتِ الوكيلـــة

آمـــنٌ ســـيفي ، ومِـــن كـــل جنـــدِي فليكـــــذبْ بالشـــــائعات الدخيلـــــة

بشّـــريهِ أنـــي عفـــوتُ احترامـــاً للتـــي باحـــت بالخِصـــال الجميلـــة

فليُكرمْ ضيفه

(كلنا يدرك من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم – (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكْرمْ ضيفه) ، أنه يقصد فقط بإكرام الضيف تقديم الطعام والشراب للضيف. وهذا ولا شك من مرامى الحديث. ولكنه وحده ليس كل المرامي! فمن إكرام الضيف الذود عنه إذا أهِين في بيت مُضيفه ، والمحافظة على كرامة ذلك الضيف. إن كان للبيت الذي هو ضيفٌ على أهله - كرامة وحُرمة ، وكان لأهله قدرٌ وشرف! والحقيقة أن رجلاً في أحد الأيام من عام 2006م ، كان ضيفاً على امرأة من بُنيّات الإمارات ومعه أهله وأولاده ، وتعرض للإهانة والسباب في هذا البيت من طرفٍ كان ينبغي أنْ لا يتطرق إلى ما فعله من أذى ، ولكنها إرادة الله أن يُبتلى بهذا الابتلاء. فأخذ الرجل يردّ بأدب على من تطاول ، فخرجت صاحبة البيت المضيفة وحسمت الموقف ، وذلك بقول واحد للطرف المتجاوز والمتفحش البذئ: "أنا لم أعزمْك ولا الذين معك ، وأنت ومن معك غير مرحّب بكم في بيتي هذا ، فخذهم وعُد من حيث أتيت ، والرجل لم يجهل عليك ابتداء. ولم يعلُ صوته في بيتي على مدى سنوات عشر إلا بالقرآن والحديث يعلمهما للأولاد فاذهب يا هذا ، فقد أسأت وآذيت". ثم أقسمتْ للرجل ولأهله أنْ لا يبرحوا بيتها بل يبقون ، وأنهم إذا خرجوا فليسوا مدى الدهر منها في شيئ. فاحترم الرجل قولها ، وبقي بأهله! فاعتبرتُ ذلك الموقف الجميل إكراماً له كضيف ، نعم احترامٌ يفوق الذبائح والولائم ، بل هو أشهى ضيافة وألذ وليمة وأعظم موقفاً! وصدق الأستاذ سعيد الوشاحي عندما وصف كرم العرب وإكرامهم للضيف بقوله: (الكرمُ سِمة العرب المتوارثة منذ القدم ، وفيه ضربت الأمثلة وقيلت الأشعار ، فالتاريخ حافل بمواقف راسخة ، عكست في مضامينها ارتباط القدامى بهذه الصفة واعتبارها أحد أهم مبادئ الحياة ، ولا يمكن التخلي عنها حتى وإن كلفهم ذلك نفيس أموالهم وأملاكهم ، فاستقبال الضيف وإكرامه بسخاء ، فطرة جُبل عليها العرب عموماً والبدو على وجه الخصوص).هـ. وأما الضيف إذا أهين وردّ الإهانة فله ذلك! وإن تولى المضيف الردّ فله ذلك! والشيخ الفوزان علق على الآية: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} بقوله: (هذا معناه القصاص في المظالم وأنه يجوز للمظلوم أن يقتص من الظالم بمثل ظلامته ، مع أن الله سبحانه رغب في العفو فقال: {فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ} ، فأباح القصاص ، ورغب في العفو، ومقابلة الإساءة بالإحسان. أما قضية أنه يحكم لنفسه بالقصاص ، ويأخذ حقه بنفسه ، فهذا لا يجوز لأن هذا معناه إشاعة الفوضى ، ذلك لأن القصاص له شروط وجوب وشروط استيفاء ، فلا بد من توفر شروط ثبوت القصاص وشروط الاستيفاء).هـ.)

أعملـــتِ ســـيفَ النصـــر والإفحـــامِ ... فـــي نحـــر نـــذل ظـــالم الإجـــرامِ

ووأدتِ فتنـــــة جاحـــــدٍ مُتطـــــاول ... يَختـــــالُ فـــــي منظومـــــة الأوهـــــام

لفـــظ الحيـــاءَ ، فقـــال شـــر مقالـــةٍ ... وإذا الشـــــتائمُ توّجـــــتْ بســـــهام

وغـــذا التجنـــي - فـــي الكـــلام - جهالـــة ... والجهـــلُ - فـــي الأقـــوال - شـــرّ كـــلام

وغـــدا التخـــرّصُ والجفـــاءُ تشـــفياً ... فـــيمن يـــدافعُ تـــارة ويُحـــامي

وإذا الرعونـــة تجتنـــي مـــا بيننـــا ... مِـــــن عِشـــــرةٍ وقرابـــــةٍ ووئـــــام

وإذا التحامـــــــلُ دون أي مُبـــــــرِّر ... وإذا الســـــــبابُ بلفظـــــه الهـــــدام

وإذا التعنـــتُ لا تســـلْ عـــن وصـــفه ... لنبـــــوء - مِـــــن بلوائـــــه - بخِصـــــام

وأمـــــام أهـــل لـــم يَـــدينوا فعلـــه ... إذ قـــــام بالتنكيـــــل شـــــرّ قيـــــام

وكأنهـــــا - للعـــــين - تمثيليـــــة ... أو أنهـــــا فـــــيلمٌ مِـــــن الأفـــــلام

وأتـــى بـــكِ الجُعـــرُ الـــذي طبقاتـــه ... شـــذتْ ، فمـــا اتســـقتْ بـــأي مَقـــام!

وهتفـــتِ: كيـــف يُســـبُ ضـــيفي جهـــرة ... وتصـــــيبه ألفـــــاظ الاســـــتذمام؟!

ضـــيفي الـــذي أحببـــتُ دون تـــردّدٍ ... أحببتـــــــه فـــــــي الله والإســـــــلام!

أخـــرجْ مِـــن البيـــت الـــذي لـــم تحتـــرمْ ... أصـــــحابه ، لا تفتكـــــرْ بمُقـــــام

أنـــا مـــا استضـــفتك كـــي تقـــول مَعيبـــة ... وعلـــيّ مَـــن يُلقـــي بـــأي مَـــلام؟

هـــا قـــد أســـأتُ ، وللإســـاءة وقعُهـــا ... فـــي عِـــرض قـــوم طيبيـــين كِـــرام

واحمـــلْ أبـــاك ومِـــن تعـــولُ ، وخلنـــا ... حتـــى تُجنبنـــا الشـــجارَ الـــدامي!

فمضـــى ، وخلفنـــا نـــداعبُ فرْحنـــا ... بمـــودةٍ مِـــن عـــاطر الأنغـــام

ولنـــا اعتـــذرتِ بنبـــرةٍ مُلتاعـــةٍ ... مُزجـــتْ بطيـــفِ الحُـــزن والإيـــلام

ونصـــرتِ ضـــيفكِ عنـــدما عصـــفتْ بـــه ... أقـــــوالُ فـــــظٍ حاقـــــدٍ شـــــتام

وخصصـــتِنا بـــالجود يُتحـــفُ زائـــراً ... وأقمـــتِ حـــق الضـــيف خيـــرَ قيـــام

هـــو موقـــفٌ لـــكِ لا يُبـــارى مُطلقـــاً ... جعـــل العِـــدا فـــي حَمـــأة الإفحـــام

لـــكِ - مِـــن فـــؤادى - البشْـــرُ جمّـــاً وافـــراً ... وســـلمتِ يـــا فضـــلى مـــدى الأيـــام

وحمـــاكِ ربـــكِ مِـــن تطـــاول ســـاقطٍ ... يلقـــى لـــه دعمـــاً مِـــن الأقـــوام!

المبارز العجيب

(إنه مجزأة بن ثورالسدوسى ، ذلك الصحابى الجليل الذى بدأ معركة (تستر) بمبارزة مائة فارس على عادة الحروب آنذاك (مبارزة ثم التحام الجيشين)! فقتل المائة بفضل الله. والتقى مع الهرمزان إلى عمر بن الخطاب في المدينة. وانتصر المسلمون وفتح الله عليهم (تستر) وهزم الفرس. وحمِل نبأ استشهاد مجزأة بن ثور ، فكتبتُ في ذلك مُعَبراً عن هذه البطولة النادرة وهذه القدرة الفائقة أقول:)

قـــــويٌ مـــــا اشـــــتكى الضـــــعفْ ... يـــــرصّ الجُنـــــدَ فـــــي الصـــــفْ

ولا يخشـــــى قـــــوى الشـــــرْ ... ولا يـــــأوي إلـــــى الخـــــوف

ولا يستصـــــــــعبُ الأمـــــــــرْ ... ويتلـــــو آيـــــة (النســـــف)

ويلقـــــى العِلـــــجَ كالليـــــثْ ... ويُـــــردي الـــــرأسَ بالســـــيف

ولا يرتـــــاعُ مِـــــن كَـــــمْ! ... ولا يعتـــــد بـــــالكيف!

وبالهيجـــــاء مـــــا اهـــــتمْ ... وإنْ لاقـــــى بهـــــا الحتـــــف

لأن العـــــزمَ فـــــي القلـــــبْ ... يُزيـــــلُ الجُـــــبن والضـــــعف

وطعـــــمُ البـــــذل فـــــي الـــــنفسْ ... عظـــــيمُ الوقـــــع والوصـــــف

رمـــــى الفرســـــانَ بـــــالموتْ ... وإن يعنـــــو لـــــه ألـــــف

أذاق الكـــــل مِـــــن كـــــأسْ ... بـــــلا رفـــــق ، ولا عطـــــف

ووافـــــى الكـــــأسَ بالســـــمْ ... ودسّـــــى عِـــــزة الأنـــــف

وأردى كـــــل مُغتـــــرْ ... بجـــــيش يُوقـــــفُ الزحـــــف

وللفصـــــل انبـــــرى الشـــــهمْ ... مُـــــديلاً - فـــــي الـــــورى - الطـــــرف

وجنـــــدُ الكفـــــر فـــــي القلـــــبْ ... ورأسُ القـــــوم فـــــي الخلـــــف

فـــــوارسُ كـــــالردى المَحـــــضْ ... وكـــــلٌ يُـــــتقنُ العُنـــــف

وبـــــاتوا طعمـــــة الـــــدَودْ ... كمثـــــل التـــــبن والعَصـــــف!

هل لكِ إلى خير؟

(بهذا الاستفهام الجميل تقدّم أبو مِحجن الثقفي إلى سَلمى بنت خصفة زوج سعد بن أبي وقاص. وذلك أنه كان في سجنه بسبب معاقرته للخمر التي حُدّ فيها عدة مرات! وحبسه سعد ريثما يعود من معركة القادسية مع الفرس. وكان أبو محجن الثقفي واسمه (عبد الله بن حبيب) من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. وقيّده سعدٌ بقيود الحديد وهو فارس مغوار. فراح يتململ في قيوده ، وهو يسمع ضجيج الخيل وضبحها وصهيلها في سبيل الله ، بينما هو في القيود ، وهو يحب الجهاد في سبيل الله فقال السلمى: خلي عني ، وأعيريني (البلقاء) فرس سعد ، فإن عُدت من القتال وفيت لك بعهدى ووضعت القيود رجلي ، وإن قتلت استرحمتم مني. فوافقت على فك القيود. فأخذ أبو مجحن البلقاء من باب القصر الخلفي وانطلق للمعركة. ورآه الناس ، وتعجبوا من فارس مثلم يضرب ضرب أبي مِحجن والضبحُ ضبح البلقاء. ولمّا وضعتِ الحرب أوزارها وفى أبو محجن ، وعاد للسجن والقيود ، ولمّا عاد سعد أخبرته سلمى وناشدته الصفح على أن يتوب ، فتاب أبو محجن عن شرب الخمر.

حنانيك هذا منتهى الجُود يا سلمى ... لقد كان للظمآن هذا السخا كالما

تفضلتِ حتى قِيل: أكرمُ من حبتْ! ... وجُدت بمعروفٍ به تُقشعُ الغمى

وإني لممنونٌ لبذل عقيلةٍ ... أرى بذلها - فيما أصارعُه - غنما

ولستُ بمعذور ينجّيه عذرُه ... لأشرب خمري ، ثم أوسعها ذمّا

وأجلدُ مراتٍ ، ولستُ بمنتهٍ ... ألا إن هذي خيبة مُرّة عظمى!

وما الخمرُ إن لاقت إرادة مؤمن ... يعفّ عن السوآى ، ويستهجن الإثما؟!

ويبلغ - بالطاعات - بُحبوحة المُنى ... وإن لم يحُز مالاً ، وإن لم ينلْ عِلما

ولكنني أسلمتُ نفسي قلادتي ... فلم أدر كيفاً للضياع ولا كَمّا!

فتاهت - على درب السقوط - مطامحي ... ونلتُ - بعصياني - ثلاثية الأسما

جبانٌ وعِربيدٌ ومُدمنُ خمرةٍ ... ويَحقرني قومي ، وأحتقرُ القوما

وكنتُ نبيلَ الصِيت قلباً وقالباً ... وإن لم يُرحْ صِيتي ثقيفاً ولا لخما

وعِشتُ كريمَ الأصل ، أطري قبيلتي ... وأرتصدُ الأمجادَ والهيبة الشما

ولكنّ شربي الخمرَ أزرى بمَحتِدِي ... وجرّعني الإذلالَ والخِزيَ والهمّا

ويشـــــهدُ ربـــــي أننـــــي جـــــدّ فـــــارسٍ ... ســـبرتُ القنـــا كـــي أســـحق العُـــرْب والعُجْمـــا

فلســـتُ أخـــاف الطعـــن فـــي الحـــرب إن زكـــتْ ... وأحمـــلُ ســـيفي ، ثـــم استصـــحب الســـهما

وأغـــدو إلـــى الهيجـــاء ، والنصـــر غـــايتي ... وكـــم بالقتـــال الشـــهم حُققـــتْ نعمـــى!

وأبـــذلُ روحـــي فـــي ســـبيل عقيـــدتي ... وأمســـي شـــهيداً كَلمُـــه - ســـاجماً - يَـــدْمى

ولقبنـــــي الأحبـــــابُ ليثـــــاً غضـــــنفراً ... يثـــورُ ، ولا يخشـــى ، ويفتـــرسُ البَهمـــا

ولكـــنّ (ســـعداً) قيّـــدَ الليـــث ريثمـــا ... يعـــودُ فيُوفيـــهِ العقوبـــة مُغتمّـــا

وأبقـــى بعيـــداً عـــن قتـــال يَشـــوقني ... ويغمرنـــي حُبـــاً ، وأغمـــرُه حَســـما

ويَســـخر منـــي القيـــدُ يكـــوي عزيمتـــي ... وقلبـــي بعِشـــق الحـــرب ممتلـــئٌ عزمـــا

فرفقـــاً لمَـــا ألقـــى ، وكـــوني رحيمـــة ... وخلـــي ســـبيلي ، بُنـــتِ - بـــالفوز – يـــا (ســـلمى)

وفكـــي قيـــودي ، إننـــي لا أطيقهـــا ... فكـــم حطمـــتْ تـــوقي - إلـــى عزتـــي - حَطمـــا!

وجُـــرّي لـــيَ (البلقـــاء) ، خلـــي وثاقهـــا ... لألحـــق مَـــن ســـاروا ، وأشـــكمَها شـــكما

فـــإن عُـــدت - مِـــن ســـاح الجهـــاد - أعيـــدُها ... ولســـتُ أقـــولُ الزيـــفَ ، أو أزعـــم الزعمـــا

وأرجـــعُ للقيـــد الـــذي كـــان فـــي يـــدي ... ورجلـــي ، بـــلا لـــوْمٍ ، وأنـــا أمقـــتُ اللؤمـــا

وأقلـــعُ عـــن خمـــر وسُـــكْر ومُسْـــكِر ... وأكـــتمُ عـــن (ســـلمى) الـــذي أحـــدثتْ كتمـــا

وإن مِـــت فـــي حربـــي ، فســـري مُغيّـــبٌ ... وأمـــري إلـــى المـــولى الـــذي يغفـــر الجُرمـــا

ووافقـــتِ يـــا (ســـلمى) ، وحققـــتِ مـــأملي ... وفـــي حـــاجتي كنـــتِ الوفيّـــة والأمـــا!

وكـــان الـــذي أرجـــو ، ويرجـــو جـــوادُه ... ولـــم يَشـــمت الأعـــداءُ فيهـــا ولا الـــدَّهما

وتبـــتُ ، وســـعدٌ لـــم يُنفـــذ وعيـــدَهُ ... وعـــن عـــين مخـــدوع قـــد انقشـــعتْ ظلمـــا

فبورِكْـــتِ يـــا (ســـلمى) ، وأدخِلـــتِ جنـــة! ... وجُوزيـــتِ يـــا أخـــت الهُـــدى المَـــربحَ الجَمّـــا

أي شهادة تلك؟

(احترف الغناء ، وظل يُغني قرابة خمسين سنة. ولمّا مات أبّنه جمهورُه وشيعوه بعباراتٍ شتى وألقاب متعددة. منها شهيدُ الغناء وأسطورة الفن ومعجزة التراث. وكان الأليق بهم أن يعتبروا بالموت! ولكنه بالطبع ما بلغ عُشر مِعشار ألقابهم. لقد أذل الله الجبار القهار بالموت رقاب العتاة الجبابرة ، وكسر بصدمته ظهور الصناديد الأكاسرة ، وقصر ببغتته أمال الأباطرة القياصرة ، الذي أدار عليهم حلقته الحتمية الدائرة ، وأخذهم بيده القاضية القاهرة ، فقذفهم في غيابات وظلمات الحافرة ، وصيّرهم بها رهناً إلى وقفة الساهرة ، فأصبحوا وقد خسروا الحياة الدنيا ولم يحصلوا على شيء في الحياة الآخرة. مصيبتهم واللهِ لا يُجبَر أبداًمصابُها ، ولا يتجرع بتاتاً صابها ، ولا تنقضي آلامها ولا أناتها ولا أوصابها. لم يمنعهم ما حصّنوه من المعاقل والبروج والحصون ، ولا حرسهم ما بعثوه من الحرس والجند والعسس والعيون ، ولا فداهم من ريب المنون ما ادخروه من علق مصون وزبرجد لا تراه العيون ولؤلؤ مكنون وذهب مخزون. بل صدمهم بركنه الشديد العتيد ، وصبحهم بجيشه القوي المديد ، وأنفذ فيهم ما كتب عليهم من التهديد والوعيد. نقلهم من لين الفرش في المُهود إلى خشونة العيش وشظفه في اللحود ، وصيّرهم بين حجرها المنضود وجندلها المعقود أكلاً للهوام وطعماً للدود. نظر إليهم بعينه الشوساء ، وأرسل عليهم كتيبته الخرساء ، فأذل عِزتهمُ القعساء ، وأبدل من نعمتهم ضنكاً وبؤسا ، وأنطق بالعويل ألسنة خرسا ، وصيّرهم حديثاً يُذكر على مرّ الزمان ولا ينسى ، نزلوا عن الأرائك والكلال ، والأسرة والحجال ، إلى الحجارة والتراب والرمال ، والأراقم والحيات والأفاعي والصلال ، وشظف العيش وضيق المجال ، وحَلوا بربع غير مِحلال ، بحيث لا زوال ولا انتقال ، ولا عثرة تقال ، ولا يسمع فيها لأحدٍ مقال ، ولا يلتفت عندها إلى من قال. أرسل عليهم ربك جنوده العاتية ، وأخذهم أخذته الرابية ، وسلك بهم مسلك الأمم الخالية ، والقرون الماضية ، فهل تحس منهم من أحد أو هل ترى لهم من باقية! إنه في أول ليلة في القبر يبدأ التعفن على مستوى البطن والفرج! ومعلومٌ أن البطن والفرج أهم شيئين صارع ابن آدم وحافظ عليهما في الدنيا. فالشيئان اللذان خسر الشخص دنياه وآخرته بسببهما سيتعفنان في أول يوم في القبر. ثم ماذا بعد ذلك؟ ويبدأ الجسم يأخذ لوناً أخضر ، فبعد الماكياج وأدوات التجميل. و..و..سيأخذ الجسم لوناً واحداً فقط. وفي ثاني يوم في القبر تبدأ الأعضاء مثل الطحال والكبد والرئة والأمعاء تتعفن. وفي ثالث يوم في القبر تبدأ تلك الأعضاء تصدر روائح كريهة. وبعد أسبوع يبدأ ظهور انتفاخ على مستوى الوجه: أي العينان واللسان والخدود. وبعد عشرة أيام سيطرأ نفس الشيء أي انتفاخ ، لكن هذه المرة على مستوى الأعضاء: البطن والمعدة والطحال. وبعد أسبوعين سيبدأ تساقط على مستوى الشعر. وبعد 15يوما يبدأ الذباب الأزرق يشم الرائحة على بعد 5 كيلو متر. ويبدأ الدود يغطي الجسم كله. وبعد ستة شهور لن تجد شيئاً سوى هيكل عظمي. وبعد سنة سوف يأكل الدود الهيكل العظمي ولا يبقي منه شيئاً. فلا يجد الدود ما يأكله فيقوم يأكل بعضه بعضاً. حتى تبقى آخر دودة لا تجد شيئاً تأكله في الميت فتموت! وبعد 25 سنة سيتحول هذا الميت إلى بذرة وداخل هذه البذرة ستجد عظمة صغيرة. تسمى: عجب الذنب هذا العظم هو الذي سنبعث من خلاله يوم القيامة! والله أنبتكم من الأرض نباتاً! عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما بين النفختين

أربعون قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت ، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت ، قال: ثم يُنْزِل الله من السماء ماء فينبتون ، كما ينبت البقل ، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ، إلا عظمًا واحدًا وهو عجب الذنب ، ومنه يركب الخلق يوم القيامة). رواه مسلم. وأخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (كل ابن آدم تأكل الأرض إلا عجب الذنب منه خلق وفيه يركب) ، وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد قوله عليه الصلاة والسلام: (يأكل التراب كل شيء من الإنسان إلا عجبَ ذنبه ، قيل: ومثل ما هو يا رسول الله؟ قال: مثل حبة خردل منه تَنْبُتون). يقول الشوكاني في فتح القدير"{والله أنبتكم من الأرض نباتا} يعني آدم خلقه الله من أديم الأرض والمعنى: أنشأكم منها إنشاء فاستعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكوين...". وقال الحافظ ابن رجب في فتح الباري: "وقد جعل الله نبات أجساد بني آدم كنبات الأرض ، قال الله تعالى: (وَاللَّهُ أَنبَتَكُم مِّنَ الأَرْضِ نَبَاتًا) وحياتهم من الماء ، فنشأتهم الأولى في بطون أمهاتهم من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ، ونشأتهم الثانية من قبورهم من الماء الذي ينزل من تحت العرش ، فينبتون فيه كنبات البقل حتى تتكامل أجسادهم ، ونبات من يدخل النار ثم يخرج منها من ماء نهر الحياة - أو الحيا". ومن هنا أنشدتُ من شعري أقول:)

نصف قرن وأنت تلهو قريرا ... مستحِلاً ما تشتهي مَحبورا

ما استحيت مِن معصياتٍ جسام ... بل ترنمت – بالأغاني - فخورا

والجماهيرُ تجتبيك اجتباءً ... باحتفالاتٍ تستجيشُ الحضورا

والتحايا مِن كل فج وصوب ... كالصَبا إذ هبتْ لتلقى الدَبورا

والهدايا تنهالُ سراً وجهراً ... تسبقُ النوْل رتبة والنذورا

والعباراتُ زخرفتها الأيادي ... علها تُطري المُطربَ المَشهورا

والتهاني مِن كل قلب مَشوق ... والضجيجُ أمسى يُباري الصفيرا

والدموعُ تغشى وجوهَ العذارى ... كل وجهٍ باكٍ يُضاهي الغديرا

والكفوفُ التصفيقُ أوهى قواها ... ثم أدماها حيث فاق الهديرا

موكبٌ قد فاق المواكبَ وصفاً ... واختلاط يوليه ظلماً وزورا

والجميعُ جاؤوا يُحيّون حباً ... واعتزازاً ، ويحملون البخورا

أنت هيجت الوجدَ والشوقَ فيهم ... بالأغاني ، ثم استبحت الشعورا

وانطلقت تهذي ، وتهزلُ دهراً ... وابتنيت - للموبقات - الجسورا

فتنة كانت أغنياتك هذي ... خلفت جيلاً جعظرياً حقيرا

صرفته الأهواءُ عن كل خير ... وجهها أمسى للأغاني أسيرا

نصف قرن وأنت تغتالُ قوماً ... كيف صِرت فيهم غوياً مُبيرا

ثم جاء الموتُ الذي لا يحابى ... يعلمُ الله المنتهى والمصيرا

والجماهيرُ غسلتك احتساباً ... فهل الجثمانُ استحث الحضورا؟

رب وعظٍ أملاه جسمٌ مُسجىً ... واتعاظٍ جدواه تبقى شهورا

فاقد الشيئ وهو حيي تُراهُ ... سوف يعطيه إن تغشى القبورا؟

من أضل جمهوره نصف قرن ... فاغتدوا بالتضليل قوماً بُورا

سوف يهديهم بعد ما مات طوعاً؟ ... هل يسوقُ – للمعجبين - النذيرا؟

كم أذل بالأغنيات رجالاً ... ردّدوها - بدون وعي - دُهورا

كم أماط الستورَ عن مُحصناتٍ ... بعد أن أهدى للبنات السفورا

ثم يُطرون (النجم) حياً وميتاً ... كل غال يُزجي له تعبيرا

أخرقُ القوم قال: هذا شهيدٌ ... بدخول الجنات أضحى جديرا

وأضاف: أسطورة الفن هذا ... حيث عاش - للمطربين - أميرا

وغويٌ يُلقي الكلامَ ارتجالا ... قائلاً: هذا كم أراح ضميرا

إن هذا (شيخ التراث) ويكفي ... أنه كان - بالخيور - بشيرا

والشهاداتُ لفظة تلو أخرى ... مِن ندامى كلٌ يحبُ الظهورا

لكنِ العُقبى - بالعقيدة - نهجاً ... وبأعمال ترضي السميعَ البصيرا

عقوقٌ يرتدي ثياب البر

(ابتليتْ هذه الأم بأمراض شتى. وعاشت صراعاً مع المرض ، انتهى بعمليةٍ اضطرتْ معها إلى خيارين أحلاهما مر: إما أنْ تسأل الناس ، وإما أن تبيع ذهبها بيع تلجئة وتخسر فيه الكثير. على أنّ لها من الأبناء الميسورين الكثير. لكنهم ضنوا بمالهم ، واكتفوا بالسؤال عن الحال ، وزيارتها فى المستشفى كالغرباء! ويطبع كل منهم القبلات الخالية من البر والعطف والحنان على يديها وجبينها ووجنتيها في كل زيارة ، فكان عقوقاً يرتدي ثياب البر. فمن الناحية الشكلية زاروها وبرّوها وقبّلوا يديها وجبينها ووجنتيها. ولكن من الناحية العملية كان هناك عقوق لا مثيل له. حيث حسروا الأيدي عن الإنفاق. وأسأل أإذا مرضتْ زوجة أحدِهم أو ابنته أكان يكتفي بتقبيل يديها وجبينها ووجنتيها ، وزيارتها والسؤال عنها؟ إن القبلات الحقيقية في مثل هذه المواقف ، لا بد وأن تكون مشفوعة بالمال ، وإلا كانت كالشيك الذي هو بدون رصيد أو كالعملة المزيفة. ولله در من قال: لقد عظمت شريعتنا شأن الأم ، وسنت لها حقوقا منها: (* حبها وتوقيرها في النفس والقلب ما استطاع لأنها أحق الناس بحسن صحبته ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي؟ قال: أمك ، قال ثم من؟ قال: أمك ، قال ثم من؟ قال: أمك ، قال ثم من؟ قال: ثم أبوك. رواه البخاري ومسلم. * الرعاية والقيام على شؤونها إن احتاجت إلى ذلك ، بل إن هذا دَيْن في عنق ولدها ، قال تعالى: {وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً}. * عدم إيذائها وإسماعها ما تكره من القول أو الفعل. قال تعالى:{فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيماً}. * الإنفاق عليها إن أعوزت ولم يكن لها زوج ينفق عليها أو كان زوجها معسراً. * الطاعة الإئتمار بأمرها إن أمرت بمعروف ، أما إن أمرت بشر ، كالشرك: فلا طاعة لمخلوق في معصية. * أما بعد موتها فيُسن قضاء ما عليها من كفارات والتصدق عنها والحج أو الاعتمار عنها. * وكذلك بعد موتها يسن برّها بصلة من كانت تصله وتحترمه كأقاربها وصديقاتها. عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إن من أبر البر صلة الرجل أهل ود أبيه بعد أن يولي. (رواه الإمام مسلم).هـ. أنشدتُ من شعري – في هؤلاء الأبناء العاقين لأمهم المريضة المعوذة أقول:)

إن للبـــــر - يـــــا خزايـــــا - دليلـــــه والســـــجايا - علـــــى الغثـــــا - مســـــتحيلة

لـــيس يُرجَـــى - مـــن الأشـــحّة - خيـــر إذ يـــــروْن العطـــــاء أخـــــزى رذيلـــــة!

لا يُـــــلام الأوبـــــاشُ إمّـــــا تـــــردّوْا لـــيس - عنـــد النـــوكى - نفـــوسٌ خجولـــة

وصـــــنيعُ الأفـــــذاذ عـــــنهم تنـــــاءى! مثـــــلُ هـــــذا يرجـــــو طباعـــــاً أصـــــيلة

هـــــذه الأم كـــــم تعـــــاني ، وتســـــمو بعـــدما صـــارت - فـــي البرايـــا - ذليلـــة

ســـربلتها الخطـــوبُ مـــن كـــل صِـــنفٍ واحتواهـــا العـــذابُ والضـــنكُ غِيلـــة

كـــم - لأجـــل الأبنـــاء - قاســـت صـــروفاً ... مِـــن رزايـــا بهـــا تضـــيق القبيلـــة

كـــم أيـــادٍ لهـــا علـــى كـــل نـــذل ... منـــذ كانـــت بمـــن تعـــول الكفيلـــة

كـــم ليـــال طالـــت عليهـــا دهـــوراً ... وهْـــي كلمـــى بالعائـــدات الثقيلـــة

تبـــذلُ الخيـــرَ الجميـــلَ احتســـاباً ... بـــذلَ فضـــلى تجـــود جـــود الخليلـــة

تغمـــر الكـــل بالوئـــام احتفـــالاً ... إن إســـداء الحـــب أحلـــى فضـــيلة

كـــم كَوَتهـــا الـــدنيا بأشـــرس نـــاب ... فاســـتمتْ حتـــى لا يُقـــال: قتيلـــة

ثـــم ضِـــيمتْ لمّـــا اعترتهـــا البلايـــا ... حيـــث لـــم يُبْـــرئْ جرحَهـــا أيّ حيلـــة

وإذا الطـــب يبتـــرُ الســـاق جبـــراً ... ثـــم يُغضـــي حتـــى يُقـــيم دليلـــه

والتكـــاليفُ فـــوق طاقـــة أم ... أيـــن كـــفٌ مِعطـــاءة ونبيلـــة؟

تنفـــقُ المـــال والتكلـــف حبـــاً ... واحترامـــاً كـــيلا تكـــونَ بخيلـــة

فـــإذا بالأبنـــاء يـــأتون طوعـــاً ... بأيـــادٍ عـــن أيّ بـــذل كليلـــة

واكتفـــوْا بالتقبيـــل ، والأم تبكـــي ... مِـــن مصـــير أمســـتْ خطـــاه مَهولـــة

هـــل تبيـــع الحُلِـــي بيـــعَ التجـــاءٍ ... فيـــه ســـعرُ الســـوار ســـعر الفســـيلة؟

أم تقـــول للنـــاس: جـــودوا علـــى مـــن ... عـــدمتْ - فـــي التحصـــيل - كـــل وســـيلة

عقهـــا الأبنـــاءُ الألـــى خـــذلوها ... كـــل عبـــدٍ صَـــدّته عنهـــا الحليلـــة

ربـــة البيـــت أهمِلـــتْ دون حـــق ... حيـــث باتـــت هنـــاك أمّ بديلـــة

ثـــم لِيكـــتْ بألسُـــن لا تراعـــي ... حـــق أم (رغـــم التشـــفي) أثيلـــة

ألسُـــنٌ مِـــن فـــرط الأذى كـــم أهانـــت ... عِـــرضَ فضـــلى - بـــين الولايـــا – بجيلـــة!

إيـــهِ يـــا أمّـــاً تشـــتكي مَـــن جفاهـــا ... ســـامحيهم ، إذ أنـــتِ أمّ جليلـــة!

أو ردّوها

(أرسل أحدهم رسالة بليغة عبر الهاتف ، واستقبلتُها بصدر رحب. وتقبلتُها بقبول حسن وألفيتُها آية في البلاغة والفصاحة والإبانة. ورأيتنى عاجزاً عن الردّ عليها ، فقمتُ بإرسالها إلى صاحبها ، لأنني تذكرتُ قول الله تعالى: (وإذا حُييتم بتحيةٍ فحيوا بأحسنَ منها أو ردّوها). والرسالة تحية ولا شك ، ولعجزي عن التحية بأحسن منها ، أرسلتها كما هي عملاً بقوله تعالى: (أو ردوها) وأيضا أحسَن المتلقي الفهم ، وذلك بعد سؤاله لي وجوابي عليه.)

ما حِيلتي في منطق البلغاءِ ... وإبانةٍ مسجوعة الإطراءِ؟!

وعِبارةٍ ألفاظها ممهورة ... بالدُر مثل الغادة الحسناء

وطلاوةِ الأسلوب تتحفُ جرْسها ... بنوادر الأنغام والأصداء

هذي الرسالة حِكمة مَشفوعة ... بالرُشد يُبْرز دُربة الحُكماء

فيها يحار العقلُ مبهوراً بها ... مستمتعاً بسياقها الوضاء

حوتِ النصائحَ برّة ورطيبة ... تختالُ خلف دلائل الإيحاء

وبها المواعظ كالثريا في السما ... والنصُ يُشرقُ في فسيح فضاء

وبها - مِن الأخلاق - أعطرُ باقةٍ ... مَوْشيةٍ بنفائس الأدباء

وتريدُ مني أن أردّ مُفاضلاً؟ ... شتان بين النور والظلماء!

ومَن الذي يقوى على تحليلها ... حتى يُعارضها بكل صفاء؟

حاولتُ لكنْ أحرجتني خِبرتي ... وطفِقتُ أغمز ريشة الشعراء

فرمتْ إليَ بوزنها وبحارها ... واستهجنتْ بشكاية المُستاء

وظلِلتُ أوسعُها بعذب مَلامتي ... وأنا الذي بالشعر ليس يرائي

وإذا بردّي بالرسالة ذاتها ... عملاً بنص الآية الزهراء

والعُذرُ ملتمسٌ ، وإنك أهله ... فتقبّل الأعذار عبر ندائي

واعلم بأنك قد تصاب بمثلها ... فتحار مثلي ، فاعتبر بندائي!

حزنٌ وألم

(أنشدتُ هذه القصيدة الحزينة يوم حَمل إليّ الأثيرُ نبأ وفاة جدتي لأمي الحاجة سعاد علي عمر نصار ، فتأثرتُ وشردتُ بخيالي مع ذكرياتي معها تلك التي لا تنتهي سرداً ولا توصف طيفاً.)

أرثيـــكِ مِـــن قلبـــي ومِـــن أعمـــاقي ... والـــدمعُ منســـجمٌ مِـــن الأحـــداقِ

أبكيـــكِ أمّـــاً مـــا أجـــلّ عطاءهـــا! ... يـــا عذبـــة الأوصـــافِ والأخـــلاق

ولـديّ - مِـن صـدق المشـاعر - مـا يفـي ... بحقـــوق مَـــن لاذتْ بمُـــر فِـــراق

دمعـــي - علـــى الخـــدين - مُلتـــاع الجـــوى ... والحـــزنُ يَـــدمغ عـــاطرَ الأشـــواق

والقلـــبُ يُضـــنيه التفجـــعُ والأســـى ... قســـراً بـــلا عطـــفٍ ولا إشـــفاق

روحـــي الفـــداءُ لجـــدّةٍ مكلومـــةٍ ... غابـــت - عـــن الـــدنيا - فلـــيس تلاقـــي!

كـــم كنـــتُ آمـــلُ أن يكـــون لنـــا لقـــا ... فـــي (مصـــر) يُـــذهب لهفـــة المُشـــتاق!

يـــا جـــدتي عانيـــتُ مِـــن فـــرط النـــوى ... فـــي غربـــةٍ عمـــدتْ إلـــى اســـترقاقي

وأنـــا الـــذي عشـــتُ المُفـــدّى بيـــنكم ... مُســـتمتعاً بحنانـــكِ الرّقـــراق

ثـــم ابتليـــتُ بغربـــةٍ مـــا اخترتهـــا ... داراً ولا وطنـــاً علـــى الإطـــلاق

لكنـــه قـــدرٌ ، ومـــا مـــن مهـــرب ... والأمـــرُ أمـــرُ الواحـــد الخـــلاق

خوفـــاً علـــى دينـــي انطلقـــتُ مهـــاجراً ... كـــالطير يعشـــقُ واســـعَ الآفـــاق

والـــرزقُ عَـــز ، فقلـــتُ: ألـــتمسُ الغنـــى ... فـــي أرض ربـــى الواهـــب الـــرزاق

يـــا جـــدتي ، والمـــوتُ فـــرّقَ بيننـــا ... والـــدمعُ منحـــدرٌ علـــى أوراقـــي

شـــعراً يُـــؤبّنُ مَـــن ثـــوتْ وتســـربلتْ ... بـــالموت وهْـــي كريمـــة الأعـــراق

والجـــرحُ عـــاتٍ ، والفجيعـــة مُـــرة ... والحـــزنُ فـــي الأحشـــاء والأعمـــاق

يـــاربّ صَـــبرْنا علـــى شـــر القضـــا ... تفنـــى الخلائـــقُ ، والمهـــيمن بـــاقي!

(حاولت في هذه القصيدة أن أوفي جميل الشعر العربي الأصيل عليّ في قصيدة معلقة. جعلت لكل حرف عشرة أبيات بقافيةٍ مستقلة ، وصغتها على البحر البسيط. فكان المجموع 280 بيتاً في الاعتراف بجميل الشعر العربي. ومن هنا جعلتُ أتمثل أبيات الشعر العربي من الجاهلية حتى اليوم في معرض الدفاع عنه. ولنحدد موقفه – صلى الله عليه وسلم – من الشعر ، وكيف أنه كان يتمثل ببعض أبياتاً منه في كثير من مواقفه - صلى الله عليه وسلم - وكيف أنه كان كثيراً ما يثني على بعض الشعر ، ويكره لأصحابه أن يمتلئ قلب أحدهم بالشعر ، وهو يثني على بعضه ويرى أن الشعر الذي ينافح عنه - صلى الله عليه وسلم - وكذلك الشعر الذي يفاخر به - صلى الله عليه وسلم - شعر مؤيد بروح القدس. ويُثني على شعر عبد الله بن رواحة - رضي الله عنه - ويعتبره أسرع في الكفار وأمضى من نضح النبل عليهم! ويرى أن الشعر قد يأخذ على بعض النساء قلوبهن فمنع أنجشة منه ، والنبي – صلى الله عليه وسلم – يرى أن الشعر سلاحٌ فتاكٌ في هجاء المشركين الكفرة الفجرة. ففي الحديث المرفوع عند البخاري وأبي داود - رحمهما الله -: (إن من الشعر حكمة). وثبت في صحيح البخاري عن ابن عباس - رضى الله عنهما – قال: جاء أعرابيٌ إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فجعل يتكلم بكلام فقال: (إن من البيان لسحراً ، وإن من الشعر حكماً). وثبت في الصحيح مسلم عن أبي سعيد قال: بينما نحن نسير مع النبي - صلى الله عليه وسلم - بالعرج ، إذ عرض شاعر ينشد ، فقال صلى الله عليه وسلم - خذوا الشيطان ، أو امسكوا الشيطان! لأن يمتلئ جوف أحدكم قيحاً خيرٌ له أن يمتلئ شعراً. وثبت في صحيح البخاري وفي سنن أبي داود وفي سنن الترمذي عن أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها - قالت: كان النبي - صلى الله عليه وسلم - يضع لحسان منبراً في المسجد يقوم عليه قائماً يُفاخر عن النبي - صلى الله عليه وسلم – أو ينافح فيقول النبي – صلى الله عليه وسلم -: إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما نافح أو ما فاخر عن رسول الله. وعن عمر بن الشريد عن أبيه – رضى الله عنهما – قال: ردفت النبي - صلى الله عليه وسلم - يوماً فقال: هل معك من شعر أمية بن أبي الصلت؟ قلت: نعم! قال هيه ، فأنشدته بيتاً. قال: هيه ، فأنشدته. قال: هيه. فأنشدته مائة بيت. وفي رواية لمسلم: لقد كاد يُسلم في شعره. وثبت في سنن الترمذي عن جابر بن سَمُرة - رضي الله عنه – قال: جالستُ النبي – صلى الله عليه وسلم - أكثر من مائة مرة ، فكان أصحابه يتناشدون الشعر ، ويتذاكرون شيئاً من أمر الجاهلية ، وهو ساكت ، فربما تبسم. وثبت في الصحيحين وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن عمر مرّ بحسانَ وهو ينشد الشعر في المسجد ، فلحظ إليه شزراً فقال: لقد كنتُ أنشد فيه - وفيه من هو خير منك - ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: أجب عني ، اللهم أيده بروح القدس؟ فقال أبو هريرة: اللهم نعم. وثبت في سنن الترمذي وسنن النسائي عن أنس رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - دخل مكة في عُمرة القضاء ، وكان عبد الله بن رواحة يمشي بين يديه ويقول: خلوا بني الكفار عن سبيله ، اليوم نضربكم على تنزيله ، ضرباً يزيل الهام عن مقيله ، ويذهل الخليل عن خليله ، فقال له عمر: يا ابن رواحة بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم -؟ فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم -: خل عنه يا عمر ، فلهو أسرع فيهم من نضج النبل. ولهذا الحديث وجهٌ آخر يُروى منه. روى

الشيخان - عليهما رحمة الله - عن أنس أن النبي – صلى الله عليه وسلم - كان في بعض أسفاره وغلام أسود يقال له أنجشة يحدو ، فقال النبي – صلى الله عليه وسلم - : ويحك يا أنجشة ، رويدك سوقك بالقوارير! وفي رواية: قال أبو قلابة - رضى الله عنه -: تكلم – النبي – صلى الله عليه وسلم - بكلمة لو تكلم بها بعضكم لعِبتموها عليه. هذا ، ويقول الأستاذ موسى ديب الخوري في تصوره للشعر: (إننا حين نحاول أن نكشف عن صور الداخل فينا ، نتكشَّف نحن عن تلك الصور ، ونعبِّر عنها بتطوُّرنا وبتفتحنا وبتسامينا ؛ فإذا ببحثنا عن الحقيقة يصبح اكتناهاً لها ، وشعوراً بها واقتراباً لا حدود له منها. إن التعبير الإنساني يبدأ بالبحث عن الحقيقة في أُطُرِ مفاهيم عامة مختلفة ، كالجمال والمحبة والطبيعة ، لكنه ينتهي إلى لحظة يتجلَّى فيها الإنسان ذاتُه بحقيقة الوجود. وتكون تلك اللحظة هي لحظة الشعور بالاتحاد مع كل شيء ؛ وفيها تنبع في الإنسان ، وتتدفق منه نغماتُ الشعر الصادق الحي في اللحظة التي يصبح فيها الشاعرُ هو الشعر يتسنَّم الشعورُ ذروةَ تألُّقه. وتلك هي اللحظة الشعرية الخاطفة ؛ اللحظة التي يكون فيها الإنسانُ كلمة وأغنية وتعبيراً حياً ؛ اللحظة التي يحيا فيها الإنسان شعورَه العميق الكامل بصدق وبنقاء ؛ اللحظة التي ينسى فيها نفسه ويستيقظ فيه معنى الأخوَّة الإنسانية الشاملة الكلِّية والوحدة مع كلِّ ما في الكون. هكذا تتبدَّى لنا التجربة الشعرية: تجربة داخلية ، ومعاناة تُفصِح عن نفسها بإقصاء نفسها وبإطلاق طاقة الشعور لتعبِّر عن فعل الحياة بنا وفينا).هـ. ويقول الدكتور محسن الرملي: (أعتقد بأن الشعر هو شيء ذاتي حميمي ، شيء بالغ الجوهرية بحيث لا يمكن تعريفه دون التشتت. أمر يشبه محاولة تعريف اللون الأصفر ، الحب ، أو سقوط أوراق الشجر في الخريف. أنا لا أدري كيف يمكننا أن نعرف الأشياء الجوهرية. وأعتقد بأن هذا يعرف الشعر بشكل ما ، حيث إنه لا يعرفه بشكل جامد ، وإنما يعرض أمام المخيلة هذه الصورة لملاك أو عصفور.).هـ. ويقول خورخه لويس بورخيس: (إذا شعرنا بلذة ، وإيقاع منتظم ، وانفعال عند قراءتنا لنص ، فإنه نص شعري. وإذا لم نشعر بذلك ، فإنه لمن العبث أن يجعلونا نلمس أن القوافي جديدة ، أو أن المجازات كانت مُبتَدعة من قبل المؤلف أو أنها عائدة إلى تيار معين. لا شيء من هذا ينفع. علينا أن نشعر أولاً بالانفعال ثم نحاول تفسير أو فهم هذا النص. فمادة الشعر هي – إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير- الانفعالات! والشعر من ناحية أخرى هو معرفة ، وخلاص ، وسلطة وهجران. عملية قادرة على تغيير العالم. إن النشاط الشعري هو ثوري بطبيعته ، تمرين روحي ووسيلة لتحرير الدواخل. الشعر يكشف عن هذا العالم ، ويخلق عالماً آخر. إنه خبز المتميزين. غذاء روحي وعاطفي وشعوري. يعزل ويوحد. دعوة للترحال ، عودة للأرض الأولى. إلهام ، تنفس ، تمرين عضلي. تمرين عاطفي ووجداني وروحي ، ودعاء للفراغ ، حوار مع الغياب يغذيه الضجر والحنق واليأس والأمل والتفاؤل).هـ. ولله در من عرّف الشعر بقوله: (الشعر هو فن الكلام بشكل راق ، لغة بدائية. طاعة قواعدٍ واختراع أخرى. تقليد للقدماء ، استنساخ للواقع ، استنساخ نسخة مُستنسَخة عن الفكرة. جنون وتوقد ، توهج ، علامات. عودة إلى الطفولة ، ممارسة حب ، حنين إلى الجنة ، ونفور من الجحيم ، واشتياق إلى البرزخ. لعب ، عمل ، نشاط روحي ، اعتراف ، تجربة فطرية ، رؤية ، موسيقى وإيقاع من خلال أوزانه وقوافيه ورمز ، وتناظُر ، والقصيدة هي الحلزونُ الذي تصدح فيه موسيقى العالم ، وحيث الأوزان والقوافي ليست سوى استجابات أو أصداء لتناسق العالم. الشعر هو تعليم أخلاقي ، ونموذج ، كشف ونقاش ، وحوار داخلي. صوت الشاعر ، لغة المتألم السعيد

صاحب الأمل ، كلمات خرجت من القلب. صفاء وشفافية ، نص صادق منطوق ، مرسوم ، مكتوب. يمثل كل الوجوه ، ولكن ثمة من يؤكد بأنه لا يمثل أي وجه فالقصيدة هي قناع يُخفي الفراغ ، دليل جميل على العظمة غير الضرورية لكل عمل إنساني).هـ. وبعد هذا الاسترسال الطويل في الاستشهاد بموقف النبي – صلى الله عليه وسلم – من الشعر ، هذه هي قصيدتنا المسماة بـ (أبجديات شعرية) نحيي فيها الشعر! وأدرك جيداً أنها طويلة ومملة ، ولكن كان لا بد من تحية الشعر العربي بقصيدة معلقة تبين حقيقته! وإذن فهذه القصيدة تبين كيف أنظر إلى شعر العرب وأراه قد خفف الله به عنيَّ معاناة كبيرة في هذه الحياة! حيث كان الشعر العربي بالنسبة لي هو الواحة الظليلة في هجير الجاهلية اللافح! وكان السلاح الوحيد الذي أحارب به كل من تسول له نفسه النيل من الإسلام والقيم والأخلاق! وكان الشعر ديوان حياتي بأفراحها وأتراحها!)

الشعرُ يُخرجُ ما - في القلب - يختبئُ ... حتى يُشَفى عن الخواطر الخبءُ

وكم يزيد مَعينَ العقل تبصرةً! ... فلا تراه - إلى الأوهام - يلتجئ

وكم يُلاحي لتُجْلى كلُ داجيةٍ! ... لأنه بسنا الشعور يدّرئ

وكم يناضلُ في سِر وفي علن ... بجُعبةٍ بسِهام الحق تمتلئ!

وكم يُشَخِّص داءاتٍ وأدوية ... فيها يُصيبُ ، وقد ينتابُه الخطأ!

وكم يُلمّعُ غاياتٍ ويُتحِفها ... من بعد أن نالها ببأسه الصدأ!

وكم يُزيلُ دياجيراً تسربلنا! ... هل بالدياجير وهجُ النور ينطفئ؟

وكم يُعَبّئُ طاقاتٍ ويَشحذها! ... وقبلُ كانت تنيي طوعاً وتهترئ

رصيدُ تجربةٍ كانت مُغيّبة ... فلم تعدْ - في سُويدا القلب - تختبئ

ما صادقُ الشعر إن قِسْنا ككاذبه ... إلا إذا اشتبه الغسّاق واللبأ!

والشاعرُ الحق مَن يسمو به الأدبُ ... فعنده - لِسَنا الفضائل - الغلبُ

يُثري القلريضَ بما يُزجيه مِن دُررٍ ... يرجو الثواب مِن المولى ، ويحتسب

ولا يُسَخِرُ - في الإسفاف - موهبة ... إذ ليس يَصرفه - عن جَده - اللعب

لا وصفَ غانيةٍ يُودي بهمّته ... وكيف يهزل مَن - للشرع - ينتسب؟

ولا يُطـــوّع - للطغيـــان - مـــا كتبـــتْ كَـــفٌ بتقـــوى إلـــه النـــاس تختضـــب

ولا يُدَشّـــنُ ، فالتدشـــينُ مَخبثـــة يهـــواه قـــومٌ - إلـــى الرذائـــل - انجـــذبوا

ولا يُرائـــي بأشـــعار مـــزوّرة قِوامُهـــا الزيـــفُ والتمويـــهُ والكـــذب

ولا يتـــاجر بالأبيـــات مـــا احترمـــتْ دينـــاً ولا قِيمـــاً ، إذ عافهـــا الأدب

لكـــنْ يَـــذودُ عـــن الأخـــلاق مُحتربـــاً وكـــلُ شـــهم - لأجـــل الخُلـــق - يَحتـــرب

مســـتعذباً كـــل مـــا يلقـــاه فـــي فـــرح كـــأن ســـامرَه - فـــي المِحنـــة - الطـــرب

مـــا الشـــعرُ إن صـــاغه حُثالـــة بُهُـــتُ مِـــن الشـــريعة والفضـــائل انفلتـــوا؟

عـــزيفهم لا يســـاوي الحِبـــرَ خـــط بـــه منـــذ اســـتجابوا إلـــى الشـــيطان ، وانتصـــتوا

وأوغلـــوا الســـيرَ فـــي متاهـــةٍ برئـــتْ مِـــن العفـــاف ، إلـــى أن شـــابها العَنـــت

فأفســـدوا النـــاسَ والأمصـــار قاطبـــة وعـــمّ أرضـــهُمُ الـــبلاءُ والقلـــت

وتلـــك عُقبـــى الألـــى بـــاعوا ضـــمائرَهم وللمفاســـد والقبـــائح التفتـــوا

مـــا الشـــعرُ إن طفحـــتْ فســـقاً قصـــائدُه وبـــات عمـــداً - علـــى الإســـلام – يفتئـــت؟

ومـــا اكتفـــى - بخِـــلال الشـــر - يُشـــعلها نـــاراً علـــى أمّـــة التوحيـــد تنكلـــت

ولا اكتفـــى بالـــذي ألقـــاه مـــن شُـــبَهٍ بـــين الخلائـــق يُزكِـــي وهْجَهـــا العَتـــت

ولا اكتفـــى بمبـــادي الكفـــر رَوّجهـــا جبـــراً وقهـــراً علـــى أيـــدي الألـــى بُهِتـــوا

ليَـــذهبِ الشـــعرُ إن غـــارتْ طلاوتـــه وليَخســـأ القـــومُ - عـــن تفنيـــده - ســـكتوا

كـــم مـــن قصـــائدَ منهـــا النـــور ينبعـــثُ! جلـــتْ ، فليســـتْ- لمَـــا يشـــينُ - تمتـــرثُ

نـــأت عـــن الشـــر والســـوأى ، فمـــا انحـــدرتْ إلـــى الحضـــيض ، فمـــا أرزى بهـــا الخبـــث

واستشـــــرفتْ لجليـــــل اللفـــــظ تنســـــجُه ثوبـــــاً يُغـــــرّد - فـــــي طياتـــــه - الحـــــدث

وصـــورتْ مـــا ارتـــأى ضـــميرُ شـــاعرها وزانهـــا - فـــي الأداء - الحـــب والخـــوث

وعنـــدما أنشـــدتْ - فـــي النـــاس - تـــاق لهـــا كـــلُ الكِـــرام وجَـــدّوا ، فـــانجلى العبـــث

فـــأورثتهم مِـــن الجمـــال أطيبَـــه فلـــم يُمِلهـــم - عَـــن الفضـــائل - الرفـــث

وهيّجـــتْ - لخِـــلال الخيـــر - مَـــن أخِـــذوا بمـــا احتوتـــه - مِـــن الضـــياء - ينبعـــث

وســـطرتْ - فـــي قلـــوب النـــاس - ملحمـــة تفـــوقُ خندمـــة ، يقودُهـــا البعـــث

قصـــائدٌ تمـــنح الحيـــاة فاقـــدها كمـــا تحِـــنّ - إلـــى المعيشـــة - الجُثـــث

وإنمـــا ثلثـــا أفكارهـــا قِـــيمٌ واللفـــظ والـــوزن والبلاغـــة الثلـــث

وكـــم قصـــائد أملاهـــا الألـــى هرجـــوا مـــن بعـــد أن جَـــرّهم – للباطـــل – الهَـــوَجُ!

وأخلـــدوا جُملـــة إلـــى جهـــالتهم كـــأنهم بالـــذي تكلفـــوا ابتهجـــوا

وأغلـــبُ النـــاس - بالأشـــعار - قـــد فتِنـــوا وللجميـــع - لـــدى تبريـــرهم - حُجَـــج

كيـــف اســـتباح الألـــى خطـــوا قصـــائدهم أخـــلاقَ شِـــرعتنا ، أولئـــك الهمَـــج؟

صـــاغوا التهتـــك أشـــعاراً مزركشـــة وبالأباطيـــل هـــم علـــى الـــورى خرجـــوا

كيـــف اســـتمالوا الغثـــا لنصـــر بـــاطلهم ولقنـــوهم مـــواويلاً بهـــا لهجـــوا؟

هـــذي الأهـــازيجُ مهمـــا دفّ مُنشـــدُها لهـــا ، فمنهـــا وربّـــي يبـــرأ (الهـــزج)

وكـــم - علـــى الشـــعر - مـــرّتْ شـــرُ أزمنـــة! وكـــان منهـــا أصـــيلُ الشـــعر يَخـــتلج

وكبلـــتْ أزمـــة إبـــداعَ كوكبـــةٍ مِـــن الأبـــاة ، متـــى يـــا قـــوم تنفـــرج؟

وكابـــدَ الشـــعرُ حتـــى غـــصّ رونقـــه بمـــا يُلاقيـــه حتـــى طالـــتِ الحِجـــج

والكـــــل يشـــــكو ، وبـــــالتبرير يَفتـــــتحُ ... ويســـــتهين بمـــــا قـــــد عـــــاش يَجتـــــرحُ

فشـــــاعرٌ نـــــافقَ الطـــــاغوتَ مُنتظـــــراً ... منـــــه النـــــوالَ ، فبـــــئسَ النـــــولُ والمـــــنح!

وشـــــاعرٌ نـــــاولَ الفسّـــــاق أغنيـــــة ... فيهـــــا يُـــــرَوّجُ للســـــوآى ، ويَمتـــــدح

وشـــــاعرٌ بـــــاعَ - للشـــــيطان - ذمتـــــه ... فشـــــعرُه اليـــــومَ فـــــجٌ مُقـــــرفٌ وقـــــح

وشـــــاعرٌ - فـــــي هـــــوى النســـــوان - منجـــــدلٌ ... أودى بـــــه العِشـــــقُ والغـــــرامُ والمَـــــرح

وشـــــاعرٌ حَبّـــــرَ الأوزانَ صـــــادية ... هـــــذا (طويـــــلٌ) ، وهـــــذا بعـــــدُ (مُنســـــرح)

وشـــــاعرٌ جنـــــدَ الأشـــــعارَ طيّعـــــة ... فـــــي حـــــرب مَـــــن نـــــاوأوا الضـــــلالَ ، أو نصـــــحوا

وشـــــاعرٌ فـــــي ســـــبيل المـــــال أطلقهـــــا ... دعايـــــة بـــــالقريض الغـــــث تتشـــــح

وشـــــاعرٌ كأسُـــــه - بـــــالرجز - مُترعـــــة ... وهزلـــــه - فـــــي بقـــــاع الأرض - مُفتضـــــح

فـــــيم التشـــــاكي وهـــــم بـــــاعوا ضـــــمائرهم؟ ... وهـــــل يُنـــــالُ بمـــــا هـــــم أحـــــدثوا فلـــــح؟

إنـــــي لأعجـــــب مِـــــن بـــــاغ ويَصـــــطرخ ... ولكنـــــة عَجمـــــتْ شـــــكواه ترتضـــــخ

أصـــــادقٌ هـــــو فـــــي دعـــــوى يردّدهـــــا؟ ... أم كـــــاذبٌ وعليـــــه الأمـــــرُ يبـــــتلخ؟

كـــــم يـــــدّعي الطهـــــرَ مَـــــن خاســـــت ســـــريرته ... وقلبـــــه - بقتـــــام الإفـــــك - متســـــخ!

كيـــــف اســـــتكان لمَـــــا حاكـــــتْ هواجسُـــــه ... مِـــــن التخـــــرّص - بـــــين النـــــاس – يرتســـــخ؟

لـــــم يَـــــرجُم الشـــــعرَ إلا أهـــــلُ صـــــنعته ... مـــــن الـــــذين - لأصـــــحاب الهـــــوى - رضـــــخوا

فقـــــدمّوه لهـــــم قربـــــانَ طـــــاعتهم ... كـــــأنهم - مِـــــن هُـــــدى الشـــــريعة - انســـــلخوا

واســـــتخدموه ســـــيوفاً يـــــذبحون بهـــــا ... قومـــــاً بآنـــــافهم - ضـــــد الـــــبلا - شـــــمخوا

وبعـــــد أن شـــــقيتْ بهـــــم شـــــبيبتنا ... وردّدوا كـــــل مـــــا أهـــــلُ الخنـــــا نســـــخوا

جـــــاء الجميـــــعُ بآهـــــاتٍ مجلجلـــــةٍ ... ومَـــن غـــوى والـــذي أغـــوى الـــورى اطرخـــوا

وهـــم بمـــا ارتكبـــوا ، خطـــوا نهـــايتهم ... فمـــا اســـتدام لهـــم عِـــز ولا بَـــذخ

حتـــى الشـــواعرُ فـــي الفوضـــى لهـــن يـــدٌ ... كـــأنهن - بســـاحات الـــوغى - أسُـــدُ

أنشـــدن مـــا يفســـد الـــدنيا بـــلا خجـــل ... فشِـــعرُهن - إلـــى الأخـــلاق - يفتقـــد

والـــدُورُ تشـــهدُ ، والشاشـــاتُ شـــاهدة ... ولـــيس ينكـــرُ مـــا أقولـــه أحـــد

والأمســـياتُ بمـــا ذكـــرتُ ناطقـــة ... إنـــي - علـــى كـــل مـــا تزجيـــه - أعتمـــد

مِـــن كـــل حســـناءَ تُبـــدي حُســـنها طمعـــاً ... فيمـــا تؤمّـــلُ ، أيـــن الـــوعيُ والرَشَـــد؟

وكيـــف تظهـــرُ - للـــدنيا - مفاتنهـــا ... وفـــي التـــزيّن بالمكيـــاج تجتهـــد؟

ألا تغـــار - علـــى الحـــريم - كوكبـــة ... مِـــن الرجـــال - بفـــرط الغيْـــرة - انفـــردوا؟

مـــا قيمـــة الشـــعر إن ألقتـــه غانيـــة ... تُهـــدي تبرّجهـــا لمـــن لـــه ســـجدوا؟

وكيـــف تـــدعو إلـــى خيـــر تخالفـــه ... وإن تكـــن - للـــذي نحيـــاه - تنتقـــد؟

إنـــي أراهـــا - بهـــذا الطـــرح - كاذبـــة ... خـــاب التخـــرّص والتـــدليسُ والفنـــد؟

إن التهتـــك - بـــين الصِـــيد - منتبـــذٌ ... ولـــيس يعجـــبُ إلا مَـــن بـــه أخِـــذوا

وكـــم تبـــذلَ - فـــي الأشـــعار - مُرتـــزقٌ ... خـــالي الوفـــاض ، فمـــا فـــي كيســـه قـــذذ!

فـــراح يُســـرفُ - فـــي التشـــبيب - مبتـــذلاً ... إذ غالـــه قـــدمُ الهيفـــاء والفخِـــذ

بضـــاعة رخصـــتْ فـــي ســـوق مَـــن ســـفلوا ... وكـــل مَـــن يشـــتري يَخـــزى ويُنتبـــذ

والـــدِينُ يَعصـــمُ مَـــن يـــأوي لشِـــرعته ... وفـــي التقـــى والعفـــاف النجـــوُ والنقـــذ

ويخـــذلُ اللهُ مَـــن – بالباطـــل - التحفـــوا ... ولهـــواً الآيَ والحنيفـــة اتخـــذوا

لـــو أحســـنوا القصـــدَ مـــا ضـــلوا ، ولا ارتكســـوا ... ولا الضـــلالاتِ مِـــن أعـــدائهم شـــحذوا

واللهُ ناصـــــرُ مَـــــن طابـــــت ســـــرائرُه ... وعنـــــد رب الـــــورى - للحـــــائر - العـــــوذ

فأصـــــلِحوا أيهـــــا العـــــادون ، والتمســـــوا ... رضـــــا الملـــــك ، وبالنصـــــح النبيـــــل خـــــذوا

ونحـــــن ننتظـــــرُ الأشـــــعار داعيـــــة ... إلـــــى الرشـــــاد بـــــه يَسترشـــــدُ الفلـــــذ

مـــازال شـــعرُ الخنـــا يُغـــري الألـــى مَكـــروا ... بنـــا ، فهـــم - بالـــذي صـــاغ - الغثـــا انبهـــروا

وعيّرونـــا بمـــا صـــغتم بـــدون حيـــا ... مِـــن القصـــائد منهـــا القلـــب ينفطـــر

تثيـــرُ فـــي النـــاس إن - قِيلـــتْ- غرائـــزهم ... حتـــى تظـــل - مِـــن اللهيـــب - تســـتعر

ولا تخاطـــبُ - فـــي الآنـــام - عاطفـــة ... إلـــى المبـــادئ والأخـــلاق تفتقـــر

ولا تصـــــحّحُ مفهومـــــاً بأدمغـــــةٍ ... قـــد اســـتقرّ ، وفيـــه الشـــر والضـــرر

ولا تجـــدّدُ فِكـــراً - فـــي القلـــوب - ثـــوى ... وكـــم تصِـــحّ - إذا مـــا جـــدّدَتْ – فِكَـــر!

ولا تُغيّـــــر أوضـــــاعاً تزلزلنـــــا ... مضـــى علـــى مُكثهـــا - فـــي دارنـــا - عُصُـــر

ولا تُبَصّـــر مَـــن ضـــلوا بمـــنهجهم ... حتـــى يُقيمـــوه فـــي الـــدنيا ، وينتصـــر

ومِـــن هنـــا قالهـــا الأعـــداءُ معلنـــة ... أنـــا - إلـــى دَرَكِ الســـفول - ننحـــدر

فهـــل تفيقـــون مِـــن كيـــدٍ يَحيـــقُ بنـــا؟ ... أم غـــرّكم بالـــذي ســـطرتمُ الســـكَر؟

إنـــي أهيـــبُ بكـــم ، فالفرصـــة انتهـــزوا ... وأدّبـــوا شِـــعرَكم ، وبعـــدها ارتجـــزوا

فـــإن فعلـــتم ســـيُطري الشـــعرُ ســـامرَكم ... ويَحتفـــي بكـــمُ (البســـيط) و(الرجـــز)!

وينشـــدُ الجيـــلُ مُعتـــزاً قصـــائدَكم ... جَـــلّ القـــريضُ - علـــى التوحيـــد - يرتكـــز

وتحصـــدون مِـــن الألقـــاب أعـــذبها ... وتفخمـــون الألـــى - عـــن ظلهـــا - عجـــزوا

وتقتـــدي بكـــمُ الأجيـــال واعـــدة ... ويســـتعينُ بكـــم مَـــن - للـــذرى - بـــرزوا

وتُصبحون - لمن رامَ الهُدى - هدفاً ... لقد يكون - إلى أشعاركم - عَوَز

وتؤجرون - على الأشعار - سَجّلها ... قومٌ مغاوير ما نمّوا ، وما لمزوا

وما استبدّوا بآراءٍ مُدمرةٍ ... وما استطالوا على قوم ، وما غمزوا

وما استباحوا - مِن الأعراض - أشرفها ... وما استحلوا حِمى قوم ، وما همزوا

ولم يخطوا - لأجل المال - ما ارتجلوا ... من القريض ، وما حازوا وما كنزوا

كم سجّل الشعرُ مِن أنباءَ تُلتمَسُ ... منها الأحاديثُ ، والأحداثُ تقتبسُ!

كم احتوى مِن تواريخ الألى سبقوا! ... وبالتواريخ - عند البحث - يُؤتنس!

وكم وقائعَ بالأشعار قد حفظتْ! ... لولا القريضُ لكان النصّ ينـدرس!

وكم - به - نصِر الإسلامُ في ملأ ... في النيل منه ومن أحكامه انغمسوا!

وكم به ذاد (حسانٌ) بلا وجَل ... عن النبي ، فهذا شاعرٌ مَرس!

صدّ الأعاديَ بالأشعار صاعقة ... لكل بيتٍ سنا ، كأنه قبس

وسلّ مما افترَوْا ظلماً (محمدَنا) ... فكابدوا سَلّهُ بالكاد ، وابتأسوا

وكان جبريلُ روحُ القدس ناصرَه ... بعد المليك بإرشادٍ له أسس

بدعوة مِن رسول الله خالصةٍ! ... الشعرُ فجّرٌ بها أيّانَ ينبجس

وهل كمثل دُعا النبي مَكرُمة؟ ... طابَ النبيّ! وطابَ اللفظ والنفس!

وكم قضايا بساط الشعر تفترشُ ... بها يزولُ - عن البصائر – الغبَشُ!

وكم علوم عِيارُ الشعر زللها ... وكلُ تال - لِمَا تحويه - يندهش!

وكم مواقفَ نظمُ الشعر حَجّمَها ... عن التشعّب ، فيها الطغمة احتمشوا!

وكـــم مشـــاكلَ بالشـــعر النـــديّ مَضـــتْ والقـــومُ بعـــدَ مُضِـــي الغمّـــة احترشـــوا!

وكـــم علائـــقَ قـــوّى الشـــعرُ واهنهـــا فأصـــبحتْ - فـــي ريـــاض الشـــعر – تنـــتعش!

وكـــم عُـــرىً نُقِضَـــتْ مِـــن بعـــد قوّتهـــا والشـــعرُ أرجعَهـــا بالحـــب تنـــتفش!

وكـــم بقـــاع غزاهـــا المُعتـــدون ضـــحىً واستســـلمتْ أمـــمٌ ، وأزهقـــتْ عُـــرُش!

فاستبســل الشــعرُ فــي اســترجاع مــا غصــبوا وخـــاف - مِـــن هولـــه - المســـتعمرُ الـــوبش

وكـــم لأجـــل البطـــون احـــتجّ مَـــن حُرمـــوا! كـــم يُحـــرجُ الهـــازلين الجـــوعُ والعطـــش!

فأشـــبع الشـــعرُ مَـــن – للعـــزة - انتفضـــوا فهـــم بشِـــعر الإبـــا أمجـــادَهم نقشـــوا

فهـــؤلاء علـــى إعـــزازهم حرصُـــوا ومِـــن حظـــوظ هـــوى نفوســـهم خلصُـــوا

وضـــمّنوا الشـــعرَ آيـــاتٍ تجمّلـــه وللأحاديـــث - فـــي أبياتـــه - حِصـــص

وخللـــوهُ أقاصيصـــاً مُحققـــة مـــا الشـــعرُ إن غابـــت الآيـــات والقِصـــص؟!

وزركشـــوه بأمثـــال غـــدتْ حِكَمـــاً ولـــم تمِلـــه عـــن الإجـــادة الغصـــص

لـــم يُرخصـــوه لشـــار لا يُثمّنـــه مـــا الشـــعر إن غالـــه التزهيـــدُ والـــرِّخص؟!

فهـــؤلاء - علـــى إجلالـــه - دَرَجـــوا خـــاب المـــزادُ ، ومَـــن زادوا ، ومَـــن نقصـــوا!

إن القصـــائد إن هانـــت فقـــد وئـــدتْ والأمـــرُ لـــيس - علـــى الكِـــرام - يختـــبص

إمـــا قصـــائدُ عَـــزتْ لا عَـــوارَ بهـــا ولا عُيـــوبَ ولا سُـــوآى ولا رُخَـــص

أو النكـــوص عـــن الكتابـــة اقتصـــرتْ علـــى الهُـــراء ، فـــأنعِم بـــالألى نكصـــوا!

لا للتغنـــي بـــنص لا رشـــادَ بـــه وضـــلّ قـــومٌ علـــى أنغامـــه رقصـــوا

وللظهـــور عُتـــاة بـــالعُروض رضُـــوا فهـــل يُفيـــد الهـــوى ، أو ينفـــعُ العَـــرَضُ؟

حـــازوا الصـــدارة بالبهتـــان فـــي زمـــن لأغلـــب الشـــعر مِـــن تأليفـــه غـــرض

يُرغِـــي ويُزبـــدُ إن زادت دراهمُـــه وأهلـــه يُبـــدعون - الـــدهرَ - إن قبضـــوا

ألا تـــراهم - بـــذا التلميـــع - قـــد قبلـــوا واســـتُدرجوا ، فاستســـاغوا الضـــيمَ ، مـــا رفضـــوا؟

وعصـــبة الســـوء خصُّـــوهم بمـــا ادخـــروا مـــن البـــرامج فيهـــا الـــدس والحـــرض

وأغـــدقوا عـــاطر الألقـــاب تشـــفية فـــيمن - علـــى مـــنهج التزلـــف - اعترضـــوا

وقـــدموهم - إلـــى التلفـــاز - كـــبش فـــدا والمـــال - للشـــعر والمستشـــعر - العِـــوَض

إن التزلـــف - للإجـــرام - منزلـــقٌ إليـــه يـــدلف مَـــن فـــي قلبـــه مـــرض

لا يَشـــتري المـــالُ إلا شـــاعراً عفنـــاً مِـــن الـــذين - إلـــى أهـــل الغنـــى - ركضـــوا

حتـــى يقـــول الـــذي يرجـــوه ســـيدهُ ولا يقـــول: أنـــا قـــد مسّـــني المَضـــض

طـــاب القـــريضُ - بشـــرع الله - ينضـــبطَ فـــلا يُعكّـــره غـــبنٌ ولا شـــططَ

فـــإن نـــأى عـــن هُـــدى الإســـلام ضـــاق بـــه عبـــدٌ جوارحُـــه – بالشـــرع - تـــرتبط

وكـــم كتبـــتُ ، وأشـــعاري مدونـــة ودمـــعُ خاطرهـــا – بالصـــبر - مُختـــتلط!

أبكـــي علـــى أمتـــي كيـــف اســـتهان بهـــا عـــدوّ مِلتِهـــا والساســـة الســـطط؟

وكيـــف أضـــحتْ غثـــاءً لا اعتـــدادَ بـــه وجيلهـــا فـــي بقـــاع الأرض منبســـط؟

مِليارهـــا اليـــومَ لا وزنٌ ولا ثقـــة والســـيفُ فـــيهم بـــرغم الأنـــف مختـــرط!

وخيرُهـــا - فـــي بـــلاد الكـــون - منتشـــرٌ ويَطمـــعُ الكـــلُ فيهـــا: الفـــرسُ والنـــبَط

والشـــعرُ يَرثـــي لهـــا ، واللفـــظ مُســـتعرٌ يشـــكو الجـــراحَ ، ويكـــوي حُســـنه الحَـــبَط

ويُســـخِط الشـــعرَ مـــا يلقـــاه مِـــن مِحـــن فهـــل يزيـــل العنـــا البكـــاءُ والسَـــخط؟

كـم مـن قـريض - علـى الأمجـاد - يبكـيْ دمـاً وآخـــرٍ - لفســـاد النـــاس - يغتـــبط!

لا يُحسِـــن الشـــعرَ إلا نابـــةٌ يَقِـــظَ مِـــن المواقـــفِ والأغيـــار يَـــتعظ

وســـامعوه لهـــم حَـــسٌ - بـــه - عُرفـــوا أمـــا الـــرواة فمِـــن ظـــرف الصـــدى حفظـــوا

والمُعجبـــون بشـــعر الحـــق شـــرذمة مِـــن الخِيـــار إذا لقُـــوا الـــورى وعظـــوا

لا يجهلـــون علـــى مَـــن نـــالهم بـــأذىً فلـــيس - فِـــي طـــبعهم - طـــيشٌ ولا غِلـــظ

ولا يُـــــدَانَوْن فـــــي لِـــــين ولا أدب بـــل كـــلَّ مَنقصـــة تُـــزري بهـــم لفظـــوا

يُرَجّعـــون - مِـــن الأشـــعار - أجودَهـــا وإن أبـــى الـــبعضُ مـــا قـــالوه ، أو لمظـــوا

وجيّـــدُ الشـــعر مقبـــولٌ ومحتـــرمٌ يُصـــغي إليـــه اللبيـــبُ المُخبِـــتُ الـــيَقِظ

مُقومـــاتُ البقـــا تضـــفي عليـــه بَهـــا وبالثبـــات مَـــدى الأيـــام يحـــتفظ

والناســـجون علـــى مِنوالـــه كُثـــرٌ وإن يَعُقهـــم - عـــن الإجـــادة - الـــنكظ

وإنْ غـــواة رمَـــوْا – بالجهـــل - دُربـــتهم تعقبـــوا فرقـــة ، وفرقـــة عكظـــوا

كـــيْلا تغـــرّهمُ الرايـــاتُ والشـــيعُ ولا الأباطيـــلُ صـــاغوها ولا البـــدعُ

إن التمحّـــك مرهـــونٌ بخيبتـــه ولا تـــراه إذا مـــا انضـــام يَرتـــدع

والشـــعرُ يشـــكو- مِـــن القـــراء - جفـــوتهم إذ لـــم تعـــد صـــفوة تأســـى وتطلـــع

بـــل هجـــرة فرضـــتْ علـــى قصـــائده وأهلهـــا العِيـــرُ- فـــي تمريرهـــا - برعـــوا

واستســـهل النـــاسُ مـــا أيـــديهمُ كتبـــتْ مِـــن العزيـــف الـــذي - فـــي نظمـــه - انـــدفعوا

وهـــاجم القـــومُ شِـــعرَ العُـــرب ، بُغيـــتهم هـــدمُ القـــديم ، وشِـــعراً حُـــراً ابتـــدعوا!

وألبســـوه مِـــن الأوزان مـــا اخترعـــوا وشـــدّهم - نحـــوه - الإعجـــابُ والولـــع!

وأطربـــوا الغـــربَ مَـــن أعمـــى بصـــائرهم ... لأنهـــم - للـــذي يهـــذي بـــه - اســـتمعوا

وأكبـــروه علـــى التخطـــيط حـــاق بهـــم ... وبـــئس مـــا أحـــدثوا! وبـــئس مـــا صـــنعوا!

هـــم حـــرّروا الشـــعرَ مِـــن وزن وقافيـــةٍ ... والغـــربُ مدرســـة ، وهـــم لـــه تبَـــع!

وفـــي التحايُـــل والتضـــليل هـــم نبغـــوا ... بألسُـــن قادهـــا - فـــي الفتنـــة - اللثـــغ

والضـــادُ - ممـــا ادّعَـــوْا جهـــارة - برئـــتْ ... لأنهـــم - بالـــذي تعشّـــقوا - اصـــطبغوا

وراهـــنَ الكـــلُ مُحتـــالاً علـــى لغـــةٍ ... فـــي عَرضـــها كـــلّ أربـــاب الشـــقا ولغـــوا

والمُغرضـــون اعتـــدَوْا علـــى شـــرافتها ... ويعلـــم اللهُ مـــا عُتـــاتُهم بلغـــوا

والشـــعرُ نـــال مِـــن العـــداوان أعنفـــه ... والنحـــو جندلـــه - فـــي المحنـــة - الوتـــغ

والصـــرفُ خُـــصّ بتســـفيهٍ وسفســـطةٍ ... ولا يـــزال ينـــي ، فـــالقوم مـــا فرغـــوا

وبالبلاغـــة مَـــسٌ مِـــن جهـــالتهم ... إذ بالركاكـــة هـــم إن حـــدّثوا صُـــبغوا

وللأســـاطين مِـــن أنصـــارها جلـــبٌ ... ضـــد الألـــى - بـــين أهـــل الضـــاد - كـــم نزغـــوا

حتـــى يُعيـــدوا - إلـــى الفصـــحى - نضـــارتها ... مِـــن بعـــد مـــا غيّبـــتْ نقاءَهـــا الـــزرع

هـــم الأســـودُ لهـــم زئيـــرُ خندمـــةٍ ... فهـــل تخيـــفُ - أســـودَ الغيضـــة - الـــوزغ؟

وإن للضـــاد أنصـــاراً بهـــا شـــغفوا ... وكـــل هـــاوٍ لهـــا حقـــاً لـــه الشـــرفُ

بهـــا الكِتـــابُ مليـــكُ النـــاس أنزلـــه ... والنـــاطقون بهـــا بمجـــدهم عُرفـــوا

وبـــين شـــتى اللغـــا لهـــا مكانتهـــا ... حتـــى الأعـــادي بســـامي فضـــلها اعترفـــوا

وسَـــلْ (عُكاظـــاً وذا المجـــاز) عـــن خبـــر ... فيـــه النزاهـــة والإنصـــاف والثقـــف

يُنبيـــك أن - لـــدى الفصـــحى - شـــروط بقـــا ... وأنهـــا عـــن لغـــات النـــاس تختلـــف

مُقومـــــاتُ لســـــانِ الضـــــاد نابضـــــة ومِـــــن جنائنهـــــا الـــــورودُ تقتطـــــف

وكـــم تأبّـــتْ - علـــى التغريـــب – صـــامدة! فالضـــادُ ليســـت - مـــع التيـــار - تنجـــرف

واســـألْ بنيهـــا ومَـــن مِـــن نبعهـــا نهلـــوا هـــل اســـتكانت لمـــن يبغـــي ويعتســـف؟

وهـــل ألانـــتْ - للاستشـــراق - جانبهـــا؟ أو أذعنـــتْ لأنـــاس - جهـــرة – خرفـــوا؟

بـــل أثبتـــتْ - لأعاديهـــا - جـــدارتها جـــدارة تجعـــل التنـــويرَ يرتجـــف

محـــاولاتُ أولـــي التغريـــب تســـتبقُ والضـــاد تفضـــحُ مـــا شـــادوا ومـــا اختلقـــوا

يُشـــككون ، فهـــل أجـــدتْ مطـــاعنهم؟ وهـــل صـــحيحُ الحِجـــا - فـــي قـــولهم - يثـــق؟

ويَـــذبحون لســـان الضـــاد صـــبحَ مســـا وفـــي النـــزال ســـيوفُ الغـــدر تُمتشـــق

وفـــي مَرابعنـــا - لهـــم - دَجاجلـــة إلـــى الحضـــيض الـــذي- دَعَـــوْا لـــه - انزلقـــوا

مِـــن الرقيـــع غـــزا النشـــاذ منطقـــهُ يُـــردّد - اليـــوم - مـــا بـــه العِـــدا نعِقـــوا

ومِـــن ســـفيهٍ يقـــول: الضـــاد قـــد هَرمـــتْ والإنجليزيّـــة الشـــهباءُ تـــأتلق

والإمّعـــاتُ - علـــى الـــدروب - دون هُـــدىً يُكـــرّرون ، ولـــو جَـــدّوا لمَـــا نطقـــوا

والضـــادُ فـــي وجـــه كـــلٍّ كالمنـــار بـــدا يَهـــدي الحيـــارى ، كمثـــل البـــدر يتســـق

وقـــد تُعاجـــلُ مَـــن يُـــدمي شـــبيبتها بطعنـــةٍ - مِـــن صـــداها - يَـــذهبُ النـــزق

يَخـــزى الجميـــعُ ، وتبقـــى الضـــاد شـــامخة كـــالطود إذ يحتفـــي – ببأســـه - الأفـــق

والضـــاد مملكـــة ، وشـــعرُها المَلِـــكُ وجُنـــدُها ضـــمّهم - للـــذود - مُعتـــرَكُ

والشـــعر كـــم زاد عـــن فصـــحاه دون ونـــىً وكـــفّ لمّـــا رأى أعـــداءَها هلكـــوا!

وللقصـــائد فحواهـــا وقِيمتهـــا والمُنشـــدون لهـــم - فـــي طرحهـــا - طـــرق

والشـــــعرُ بـــــالخُلق العظـــــيم مُلتـــــزمٌ كـــــالنجم يَحكمُـــــه - فـــــي دَوْره - الفلـــــك

ينـــــالُ مِـــــن زمَـــــر العـــــادين مُـــــدّرعاً بـــــالحق ، ثـــــم يَفـــــلُ مـــــا حبكـــــوا

فتـــــارة ينبـــــري - كـــــالبرق - يصـــــعقهم وفـــــي التشـــــفي مـــــن النـــــاجين ينهمـــــك

وتـــــارة كسِـــــراج فـــــي توقـــــدِهِ يفـــــرّ مِـــــن نـــــوره إن أشـــــرقَ الحَلـــــك

أو كالخضـــــمّ إذا أمواجُـــــه هـــــدَرتْ فهـــــل تُضـــــاهي الخضـــــمَ الهـــــادرَ البـــــرَك؟

وتـــــارة مثـــــل حـــــوتٍ فـــــي الخلـــــيج إذا مـــــا هـــــاج زاغـــــتْ دوابُ البحـــــر والســـــمك

وهكـــــذا الشـــــعرُ إمّـــــا خـــــاض معركـــــة ضـــــد الـــــذين - مـــــع الفصـــــحى - قـــــد اشـــــتبكوا

وشـــــعرُ (حســـــان) - فـــــي تاريخنـــــا - المَثـــــلُ وشـــــعرُ (كعـــــب) - بـــــه - الأيـــــامُ تحتفـــــلُ

(وابـــــن الرواحـــــة) - فـــــي أشـــــعاره - قِـــــيَمٌ علـــــى الفضـــــائل والأخـــــلاق تشـــــتمل

هـــــمُ العبـــــاقرة الأفـــــذاذ تحسَـــــبُهم حـــــازوا المناقـــــبَ ، نعـــــم الســـــادة الُأوَل!

إنـــــا ضـــــيوفٌ علـــــى أشـــــهى موائـــــدهم عـــــزّ المُضـــــيفُ ، وطـــــاب الشـــــربُ والأكُـــــل!

نختـــــار مـــــا نشـــــتهي مِـــــن شِـــــعر جمهـــــرةٍ هـــــمُ الأجاويـــــدُ يُعطـــــون الـــــذي سُـــــئلوا

نحـــــن المَـــــدينون فعـــــلاً بـــــالكثير لهـــــم وإنْ يكـــــن - بيننـــــا - تباعـــــدَ الأجـــــل

أشـــــعارُهم مَنهـــــلٌ عـــــذبٌ لـــــوارده وشِـــــعرُ مَـــــن دونهـــــم - للـــــوارد - الوَشَـــــل

ذادوا عـــــن الـــــدين فانســـــاق البيـــــانُ لهـــــم طوْعـــــاً ، ونـــــاولهم كـــــلّ الـــــذي أملـــــوا

والشـــــعرُ هَـــــشّ لهـــــم ، وبَـــــشّ محتفيـــــاً بخيـــــر مَـــــن أســـــلموا ، وخيـــــر مَـــــن عملـــــوا

وكـــــان رائـــــدَهم فـــــي كـــــل ملحمـــــةٍ فبعضَـــــه ارتجـــــزوا ، وبعضَـــــه ارتجلـــــوا

الشـــــعرُ - للشـــــاعر الصـــــدوق - مغتـــــنمُ ... يـــــأوي إليـــــه إذا مـــــا طمّـــــتِ الـــــنِقمُ

يبـــــث نجـــــواهُ للســـــلوى بـــــلا قلـــــق ... فالســـــر حتمـــــاً - لـــــدى القـــــريض - مُنكـــــتِم

إمّـــــا خـــــلا شـــــاعرٌ بالشـــــعر بـــــاحَ لـــــهُ ... بمـــــا يُعانيـــــه ، والـــــدموعُ تنســـــجم

والشـــــعرُ مُنتصـــــتٌ لمَـــــا يُقـــــال لـــــهُ ... حتـــــى يكُـــــفّ - عـــــن القـــــول الشـــــجين - فـــــم

ولا يُقـــــاطعُ - بالشـــــكوى - مُحدثـــــهُ ... وإن يكـــــن كاتبـــــاً ، فالفيصـــــلُ القلـــــم

يُسَـــــطر الألـــــمَ المُلتـــــاعَ مُحـــــتملاً ... نـــــاراً - بقلـــــب نـــــديم الشـــــعر - تضـــــطرم

يَصـــــوغ مِحنتـــــه شـــــعراً تنـــــوءُ بـــــه ... بـــــيضُ الرقـــــاع ، بهـــــا الأشـــــعارُ تبتســـــم

وقـــــد يفاجـــــأ - بالنســـــيان - صـــــاحبُها ... كأنمـــــا ودّعـــــت فؤادَهـــــا الغمـــــم

لكـــــنْ صـــــحائفه بالشـــــعر مُترعـــــة ... واللـــــونُ قـــــان ، فهـــــل حِبـــــرُ اليـــــراع دم؟

أم أنهـــــا اختضـــــبتْ بمـــــا يُصـــــارعُه ... فـــــي العـــــيش مِـــــن غَصـــــص خضـــــابُها العَـــــنم؟

والشـــــعرُ ســـــيفٌ بـــــه تستأصـــــلُ الفـــــتنُ ... فكـــــم أبيـــــدتْ بـــــنص قـــــاطع مِحَـــــنُ!

وكـــــم بـــــه حصـــــدتْ هامـــــاتُ مَـــــن جحـــــدوا! ... فمـــــا - عليهـــــا - بكـــــتْ قـــــرىً ولا مُـــــدن

وكـــــم شـــــكوكٍ ببيـــــتٍ واحـــــدٍ قطعـــــتْ! ... وقبـــــلُ كـــــان - بهـــــا - الأقـــــوامُ تفتـــــتن

وكـــــم قضـــــايا رأيـــــتُ الشـــــعرَ يحسِـــــمُها! ... كأنـــــه حَكَـــــمٌ مستبصـــــرٌ فطـــــن

وكـــــم غـــــرامٍ رأيـــــت الشـــــعر يوقـــــده! ... سِـــــراً ، ونـــــارُ الهـــــوى يُـــــديلها العلـــــن

وكـــــم خـــــلافٍ رأيـــــتُ الشـــــعرَ يَمحقـــــه! ... فـــــلا تكـــــون خلافـــــاتٌ ولا شـــــجن

وكـــــم شِـــــجار رأيـــــتُ الشـــــعرَ يســـــحقه! ... فـــــلا يكـــــون لـــــه - بـــــين الـــــورى - وطـــــن

وكـــــم بـــــلاءٍ رأيـــــت الشـــــعر يدفعُـــــه! ... فتنـــــزوي إزمٌ ، وتنجلـــــي إحَـــــن

وكـــــم عـــــذاباتٍ القـــــريضُ يُبْـــــدِلها ... إلـــــى نعـــــيم ، ويمضـــــي الضـــــنكُ والـــــوهن!

وكـــم مصـــاب قريضـــي العـــذبُ جندلـــه ... لأن شـــعري - إلـــى الإســـلام - يـــرتكن

فكـــم نأيـــتُ بـــه عـــن درب مَـــن ســـفهوا ... فلـــم يَشُـــبه هـــوىً يُـــزري ولا عَمَـــهُ!

ولـــم أسَـــخّره فـــي تـــرويج مفســـدةٍ ... شـــأنَ الـــذين إلـــى إفلاســـهم أبهـــوا

ولـــم يكونـــوا ســـوى خـــدام شـــهوتهم ... مِـــن بعـــد أن جـــرّهم - للباطـــل - الشـــرَه

ولـــم أطوّعـــه - للطـــاغوت - منتظـــراً ... نوالـــه ، إنمـــا تطويعُـــه البَلَـــه

ولـــم أسَـــطرْه فـــي أوصـــاف غانيـــةٍ ... يشـــدّني نحوهـــا الغـــرامُ والوَلَـــه

ولـــم أضـــمّنه مـــا ينـــدى الجبـــينُ لـــهُ ... مثـــل الـــذين طغـــى علـــيهمُ الســـفه

ولـــم أجامـــلْ بـــه قومـــاً لسَـــطوتهم ... أخـــافُ أو أتقـــي يومـــاً إذا انتبهـــوا

ولـــم أشـــبّبْ بليلـــى أو بشـــاديةٍ ... ككـــل صـــرعى إلـــى حُســـن النســـا نبهـــوا

ولـــم أردْ شـــهرة علـــى حســـاب تقـــىً ... إنـــي لآخرتـــي - والله - منتبـــه

ولـــم أســـخّره فـــي تـــرويج مفســـدةٍ ... شـــأنَ الـــذين - إلـــى إفلاســـهم - أبهـــوا

وبُغيتـــي عنـــد ربـــي الصـــفحُ والعفـــوُ ... بمـــا كتبـــتُ ، وهـــذا القصـــدُ والرجـــوُ

ليغفـــر الله ذنبـــاً كنـــتُ فاعلـــه ... حتـــى يصـــادفني المَفـــاز والنجـــو

كـــم مـــن خطايـــا رأيـــت البغـــي أولهـــا! ... وكـــم تملكنـــي التفـــريط واللغـــو!

وكـــم ضـــعفتُ أمـــام الـــنفس مـــا فتنـــت ... تعصـــى ويجـــذبها العِصـــيانُ واللهـــو!

والقلـــبُ تأفِكُـــه أطـــلال غفلتـــه ... وتســـتبدّ - بـــه - الآمـــالُ والغفـــو

وجـــاء شـــعري- مـــن الـــرحمن - موهبـــة ... فطـــاب لـــي - رغـــم ضـــنك العيشـــة - الشـــدو

وكـــان لـــي واحـــة فـــي قـــيظ تجربتـــي ... ومُـــر عيشـــي - بمـــا ســـطرته - حُلـــو

وبُحـــــتُ بالســـــر للأشـــــعار أجعلهـــــا صـــــديقَ وُدٍ ، لـــــه - فـــــي مُهجتـــــي - شـــــأو

وســـــائلوا مُلـــــح (الـــــديوان) كـــــم حفظـــــتْ مِـــــن الودائـــــع إذ خـــــلا لهـــــا الجـــــو؟!

ومـــــا نـــــدمتُ - علـــــى الأشـــــعار - بُحـــــتُ بهـــــا! قصـــــائدي الســـــعدُ والأفـــــراحُ والصـــــفو

والشـــــعر إن لـــــم يُـــــدوّنْ عـــــاجلاً ظبـــــيُ يطـــــوي الفـــــلاة ، وطبـــــعٌ فـــــي الظِبـــــا الجـــــريُ

فـــــإن تعقبـــــه القنـــــاصُ أوقعـــــه وخيـــــرُ حَـــــل لـــــه - فـــــي الغابـــــة - الســـــبي

وكـــــم قصـــــائدَ لـــــم تكتـــــبْ ، لـــــذا فقِـــــدتْ ونالهـــــا الـــــوأدُ والتضـــــييعُ والطـــــي!

فـــــإن دنـــــتْ فكـــــرة أعرتهـــــا قلمـــــي ورقعـــــة قـــــد جفـــــا ســـــطورَها الوَشْـــــي

ورحـــــتُ أسْـــــطر فحواهـــــا علـــــى عجـــــل ولـــــم يعُـــــق همتـــــي يـــــأسٌ ولا لأي

وأحـــبس الشـــعرَ - فـــي القرطـــاس - منشـــرحاً والحـــذفُ يبـــدأ والإثبـــاتُ والنفـــي

فـــإن فعلـــتُ أســـرتُ الشـــعرَ فـــي صـــفدي وإن تركـــتُ مضـــى ، وانتـــابني العـــي

هِـــيَ القصـــائدُ تيجـــانٌ تُجَمّلنـــي يَـــزينهن الســـنا والـــدُرّ والحَلـــي

هُـــن اليواقيـــتُ فـــي ظلمـــاء عيشـــتنا وهـــن - فـــي القـــيظ - إنْ عـــمّ الـــدنا الفـــي

وســـوف أنشـــرُ أشـــعاري وتجربتـــي إذ كـــل نـــص بـــه - للقـــارئ - الهَـــدْي

بطولة فوق الوصف

(هناك في زمان عثمان بن عفان رضي الله عنه. عندما أرسل حملاته وعلى رأسها عبد الله بن سعد بن أبى السرح لفتح افريقيا. وفي الشمال الإفريقي جمع (جرجير) قائد البربر مائة وعشرين ألفا من المقاتلين لحرب المسلمين. بينما كان المسلمون ثلاثة وعشرين ألف مقاتل فقط. فأرسل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه – عبد الله بن الزبير في كتيبه من المسلمين معه ، وذلك لمساعدة إخوانهم في هذه المعركة ضد جرجير البربري وجنده. ودارت رحى الحرب ، وأعلن جرجير في جنده أن الذى يقتل عبد الله بن سعد له جائزة هي مائة ألف دينار ويتزوج ابنته الأميرة الحسناء. وعندما علم ابن الزبير بذلك اقترح على ابن أبي السرح أن الذي يأتي برأس جرجير له جائزة هي مائة ألف دينار ويتزوج ابنة جرجير ويحكم أفريقيا. واستاذن ابن الزبير عبد الله بن أبي السرح في أن يرسل معه بعض الجنود ليحموا ظهره ، وانطلق إلى جرجير مستعيناً بالله. وهناك في خيمة جرجير طعنه ابن الزبير وحز رأسه وعلقها على سيفه ، وانطلق بها في جند البربر ففروا مدبرين. وانتصر المسلمون في سبيطلة وفتح الله عليهم أفريقيا. عبد الله بن الزبير بن العوام أول مولودٍ بعد الهجرة النبوية المباركة للمدينة ، أبوه الزبير بن العوام حواريُّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحد العشرة المبشرين بالجنة ، وجده الصديق أبو بكر الصديق ، وأمه ذات النطاقين أسماء بنت ابي بكر الصديق ، وخالته السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، وزوج خالته هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وجدته صفية بنت عبد المطلب. وهو المولود الوحيد الذي نزل حياً من رحم أمه ، فمنذ دخول النبي صلى الله عليه وصاحبه الصديق رضي الله المدينة مهاجرين إليها من مكة المكرمة وكل مولود ذكر تلده إحدى أمهات المسلمين يموت بمجرد ولادته ، حتى بات يهود المدينة يُشيعون بين الناس أنهم من سحروا نساء المسلمين كيلا يُنجبون ذكوراً ، وتكون ولادة ابن الزبير أكبر دليل على كذب اليهود ، وما كادت السيدة أسماء أن حملت وليدها وأتت به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، والذي فرح فرحاً شديداً لولادته ، وأخذ حبة تمر ومضغها في فمه الشريف ومن ثم ألقمها لعبد الله. لقد طلب عمر بن عبد العزيز من ابن أبي بلتعة أن يصف له عبد الله بن الزبير فقال: والله ما رأيت نفساً ركبت بين جنبيه مثل نفسه ، وكان إذا ركع أو سجد ، تقف العصافير فوق ظهره وكاهله! وإذا دخل في الصلاة فيخرج من كل شيء إليه ، ومن طول ركوعه وسجوده لا تحسبه إلا جداراً أو ثوباً مطروحاً. فلما طالعت هذا كله عن ابن الزبير ، وأنه خطب كالصديق معلناً النصر وأبوه الزبير يسمع مثنياً عليه ، أدركتُ أنني أمام بطولة نادرة فأنشدت من شعري أقول:)

مـــاذا أقـــول . ومـــا يفيـــدُ كلامـــي ... فـــي (ابـــن الزبيـــر) وعِـــزه المتســـامي؟

أمـــداحُنا تُـــزري بليـــثٍ ضـــيغمٍ ... والوصـــفُ فـــوق تكلـــف الأقـــلام

وثناؤنـــا ذمٌ لـــه ولشـــأنه ... إذ إنـــه عَلـــمٌ مـــن الأعـــلام

يـــا ابـــن الزبيـــر تحيـــة أولاكهـــا ... مستعصـــمٌ بـــالله والإســـلام

هـــو صـــاغها شـــعراً يفـــيضُ محبـــة ... ويشـــع عطـــرَ مـــودةٍ ووئـــام

لمُجاهـــدٍ بنضـــاله اختصـــر المـــدى ... ليســـود ديـــنُ الواحـــدِ العـــلام

لـــم يخـــش فـــي مـــولاه لوْمـــة لائـــم ... إذ قـــام بالتوحيـــد خيـــرَ قيـــام

كـــم ذادَ عـــن هَـــدْي الحنيفـــة حســـبة ... كـــيلا تســـود عِبـــادة الأصـــنام!

كـــم صـــد أعـــداءً تفـــاقم شـــرهم ... ورمـــاهمُ مِـــن جُعبـــةٍ بســـهام!

وأذلّ فـــيلقهم بســـيفٍ قاصـــلٍ ... ولكـــم تُبـــاد فيـــالقٌ بحُســـام!

مـــازال يُصـــليهم بـــدون هـــوادةٍ ... بســـعير بـــأس مُفجـــع وضِـــرام

حتـــى اســـتباح خيـــامَهم وســـلاحَهم ... والجُنـــدَ مِـــن عُـــرب ومِـــن أعجـــام

وغـــدا إلـــى (جرجيـــر) يســـتبقُ الخطـــا ... ليحـــز رأسَ الكفـــر بالصمصـــام

وليحمـــل الـــرأس التـــي كـــم أســـرفتْ ... وتمرّســـتْ فـــي البغـــي والإجـــرام

وبهـــا يطـــوفُ بـــلا اكتـــراثٍ شـــامتاً ... ومُعرّضـــاً بعزيمـــة الأقـــوام

والبربـــر اعتبـــروا بمـــا هـــم عـــاينوا ... فـــي مشـــهد الـــذبح الرعيـــب الـــدامي

ورأوْا بـــأعيُنهم بطولـــة فـــارس ... مستبسِـــل - فـــي الحـــرب - كالضـــرغام

فتمزقـــوا - فـــي التـــو - كـــلّ مُمـــزق ... والـــبعضُ أبـــدى لهجـــة استســـلام

وأســـألْ (ســـبيطلة) عـــن النصـــر الـــذي ... هـــو بـــائنُ الأهـــدافِ والآضـــام

واللهُ مَـــنّ بفـــتح (إفريقيـــةٍ) ... بوركـــت يـــا ذا الفضـــل والإكـــرام

وابـــن الزبيـــر يبيـــع صـــادق خبْـــره ... بالنصـــر والألفـــاظ كالأنغـــام

وأبـــوه أنصـــت ذاهـــلاً متعجبـــاً ... أن ابنـــه يُـــدلي بخيـــر كـــلام

وحداثـــة الســـن اســـتحالت دُربـــة ... يهديـــه مـــا يكفـــي مِـــن الإلهـــام

وكأنـــه (الصـــديقُ) يُلقـــي خطبـــة ... قيلـــتْ - علـــى عجـــل - بغيـــر مَقـــام

قبلة بحقها

(إن موقف الصحابي الجليل عبد الله بن حذافة السهمي مع قيصر ملك الروم ليستحق أن يُكتب بمِداد الذهب ويُسجل في سجل الخلود. حيث إن قيصر عرض عليه كل الإغراءات الرهيبة في سبيل النصرانية ، فأبى مُعرضاً كل التهديدات ومنها القتل حرقاً بالنار لقاء أن يتنصّر فأبى. فعرض عليه أن يقبّل رأسه ليخلي سبيله! فقال: وأسارى المسلمين. قال قيصر: وأسارى المسلمين. فقبّل السهمي رأس قيصر ، وعاد بالمسلمين إلى عمر بن الخطاب ، فقال عمر: حَقٌ على كل مسلم أن يقبّل رأس عبد الله بن حذافة وأنا أبدأ بذلك. أما عن تفاصيل القصة بقطع النظر عن سندها وما قيل من مبالغات الرواة ، فلقد حشد الخليفة خيرة صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم في جيوش الفتح التي وجهها إلى الشام. ومن أولئك الصحابة الأبرار عبد الله بن حذافة السهمي رضي الله عنه رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قيصر. وفي إحدى المعارك التي خاضها جيش الإسلام على مشارف (قيسارية) ، تكاثرت من حول عبد الله بن حذافة صناديد الروم فاقتادوه أسيراً إلى معسكرهم ، وجيء به و قد أثقلته القيود بين يدي ملك الروم. قال الملك وقد عرف مكانة عبد الله في المسلمين: يا عبد الله هل لك أن تتنصّر فأقربك مني وأزوجك ابنتي؟ فيجيبه الصحابي المؤمن: فإن لم أفعل. قال الملك: الآن ترى. وأمر به فصُلب وأمر أحد رماته المهرة فرماه بسهمين أحاطا برأسه عن يمين وعن شمال. ثم اقترب الملك من عبد الله وقال: أفلا تجيبني إلى ما دعوتك فتنجو بنفسك؟ فيجيبه عبد الله: فإن لم أفعل. فيتمعر وجه الملك غضباً ويقول: الآن ترى. ويأمر بقدر يغلي فيه الماء حتى يفور ، ثم يؤمر بأسير فيقذف في القدر فإذا عظامُه تلوح ، ثم يقترب من عبد الله بن حذافة فيقول: أفلا تجيبني إلى ما دعوتك فتنجو بنفسك؟ فيجيبه عبد الله: فإن لم أفعل. فيشتط الغضب بملك الروم ، ويأمر بقذفه في الماء المغلي فيقتاده الجند فيبكي عبد الله ، فتنفرج أسارير الملك عن بسمة شامتة ، وقد ظن أن عبد الله يبكي جزعاً من الموت ، فيصيح الملك في جنده أن يردوه. ويسأله شامتاً: أما كنت في غنىً عن كل هذا لو أنك أجبتني إلى ما عرضته عليك؟ فيجيبه الصحابي المؤمن: كأنك أيها الملك ظننتني بكيتُ جزعاً من الموت ، لا والله ما بكيت جزعاً من الموت ، ولكنني تذكرتُ أن ليس لي إلا نفسٌ واحدة أموت بها هذه الميتة في سبيل الله ، وقد كنتُ أتمنى أن تكون لي ألف نفس تموت هذه الميتة في سبيل الله لا كما ظننت. ويعجب الملك بشجاعة عبد الله ، ويميل إلى أن يُطلق سراحه فيقول له: أتقبّل رأسي وأطلق سراحك؟ فيجيب الصحابي المؤمن: لا أفعل. فيقول الملك: وأطلق معك ثمانين أسيراً من قومك؟ ويطرق الصحابي هنيهة ، فلا يرى بأساً أن يقبل رأس ملك الروم إذا كان في ذلك فك أسار إخوانه من الأسرى ، فيقول للملك: أما هذه فنعم! ويتقدم منه ويقبل رأسه. ويعود عبد الله بن حذافة السهمي والأسرى إلى المدينة ، فلما رآه عمر بن الخطاب رضي الله عنه احتضنه وقبل رأسه. وكان أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يمازحون عبد الله فيقولون له: تقبّل رأس عِلج من عُلوج الروم يا عبد الله؟! فيجيبهم: ما ضرني ما فعلت ، وقد أطلق الله بتلك القبلة ثمانين أسيراً من المسلمين. ولعل هذه القصة تذكّرنا بموقف حبيب رحمه الله مع مسليمة الكذاب لعنه الله! فلقد جمع الكذاب قومه بعد أن قيد حبيباً بالقيود ، وأنزلوا به صنوف العذاب والهوان ، وأرادوا من ذلك أن يسلبوه الشجاعة والإقدام حتى يفتتن أمام الجميع ويعلن إيمانه بالكذاب ، لكن أنى لهم ذلك ، فقال مسيلمة لحبيب:

أتشهد أن محمداً رسول الله؟ قال حبيب: نعم أشهد أن محمداً رسول الله ، فعلا الخزي والعار وجه مسيلمة ، وعاد يسأل ويقول: وتشهد أني رسول الله؟ فأجاب حبيب بسخرية قاتلة: إني لا أسمع ما تقول ، فاشتد غضب الكذاب ، وعلم أن تعذيبه للشاب المؤمن لم يؤثر فيه ، بل زاده ثباتاً وإيماناً فهاج كالثور المذبوح ، ونادى الجلاد أن أحضر السيف ، ثم راح يقطع جسد حبيب قطعة قطعة وعضواً عضواً ، وكان كلما قطع منه قطعة قال له: أتشهد أني رسول الله ، فيقول حبيب: لا أسمع شيئاً ، ولا أشهد إلا أنه لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فلا زالوا يقطعونه عضواً عضواً ، وفي كل مرة يرددون عليه: أتشهد أن مسيلمة رسول الله؟ وهو يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ولا زالوا يقطعونه عضواً عضواً وهو صابر محتسب حتى فارقت الروح الجسد.
وأيضاً موقف خبيب بن عدي! لقد ثبت خبيب قبله حين طلبوه في التنعيم وسألوه: أتحب أن يكون محمدٌ مكانك وأنت بين أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمداً يشاك بشوكة ، وأن جالس مطمئن بين أهلي ، ثم رفع بصره إلى السماء منادياً ربه: اللهم! إنا قد بلغنا رسالة نبيك ، اللهم! بلغ نبيك ما يفعل بنا ، ثم رددها خالدة إلى أن يرث الله الأرض والسماء. ولست أبالي حين أقتل مسلماً على أي جنب في الله كان مصرعي ولقد خيروني الكفر والموت دونه ولقد هطلت عيناي من غير مجزع وما بي حذار الموت إني لميت! إن الاستشهاد في سبيل العقيدة شرف وكرامة لا يدركها عبيد الدنيا! فهنيئا لكل من جاد بروحه في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته ، مسلماً لله مؤمناً به موقناً بلقائه مؤثراً ما عنده من النعيم المقيم! غيرَ أنني تأثرتُ أكثر بموقف ابن حذافة السهمي مع قيصر! فأعجبني موقف الثبات على العقيدة فأنشدتُ من شعري على البحر البسيط أقول:)

الحـــقُ ينصـــرُه الشـــمُ الأجاويـــدُ ... والـــدينُ يظهـــرُه الرئبالـــة الصِـــيدُ

وللمبـــادئ والأخـــلاق كوكبـــة ... مِـــن الكِـــرام لهـــم - فـــي نصـــحهم - جُـــود

وللفضـــائل أفـــذاذ تعززهـــا ... ولـــيس يَصـــرفهم عنهـــا الرعاديـــد

والصـــدقُ مُنتصـــرٌ يزهـــو بصـــولته ... والزيـــفُ - مهمـــا اكتســـى بـــالحق - مـــوؤود

وبالأباطيـــل يـــودي مَـــن يُعَظمهـــا ... والخسْـــرُ رِقٌ - علـــى الضُـــلال - معهـــود

وللأضـــاليل أقـــوامٌ تتيـــهُ بهـــا ... وســـعيُهم فـــي الـــورى - بالضـــنك - منكـــود

ومـــا اســـتوت قِـــيمٌ تحيـــا – لهـــا - أمـــمٌ ... وهـــم بهـــا - فـــي الـــدُنا - شـــمٌ أجاويـــد

وحزمـــة مِـــن ردىء الفكـــر بائـــدة ... يحيـــا - لهـــا وبهـــا - عِيـــرٌ جَلاميـــد

يـــا قيصـــرَ الـــروم خـــذها دون مَرحمـــةٍ ... مِـــن فـــارس لـــم يُـــؤثر فيـــه تهديـــد

مشـــروطة مِـــن فـــم (الســـهمي) واعـــدة ... أولاكَهـــا رجـــلٌ - فـــي الصِـــيد - معـــدود

ألفيتَ حجته - في الحق - ثابتة ... وبأسُها - في مدى التنظير - مرصود

ولا تزلزلها السيوفُ مُشهرَة ... ولا يشوّهُها رأيٌ وتفنيد

ولا يُغيّرُها إغراءُ مَن زعموا ... أن الأشاوس - للدنيا – عبابيد!

وابن (الحذافة) لم يَكسرْ تعففه ... أن توّجت - بالكلابيب - الأخاديد

هو الحديدُ تزيدُ النارُ نضرته ... كما يزيدُ سنا الإسلام توحيد

فانظر إلى ثِقل الإيمان آزره! ... فلم يُمِله بما أغريت تعميد

كلا ، وما جنحتْ نفسٌ لمَنقصةٍ ... ولم يَهُدّ قوى (السهمي) تهويد

بل استقام على صراط خالقه ... إن الصمود - أمام الكفر - محمود

فعاد منتصراً ، والجُندُ في أثر ... وللمغاوير - بالبشرى - تغاريد

ماذا هنالك مِن سَعدٍ ومِن فرح ... حتى يُبشّرَ - بالأفراح - غِريد

عادت جحافلُ قد كانت مُكبلة ... وليس يهوي - لدى الأسر - الصناديد

يا ليت شعري وللفاروق دندنة ... في خير يوم أتى ، كأنه العيد

وقبّل الرأسَ مزهواً بفعلته ... إن الجميل - ببذل الخير - مردود

والكل تابعه بلا مراجعةٍ ... والاعترافُ - بفضل الناس - منشود

بحقها قبلة ، ما كان أجملها! ... قِوامُها مِدَحٌ تترى وتمجيد

إذ يستحق بها (السهميّ) مِدحته ... وللخليفة – بالأمداح - تأييد

وقبّل الناسُ رأسَ الشهم تكرمة ... وأسعدتْه أهازيجٌ وتقصيد

فمن يباريه في عِز وفي شرفٍ؟ ... إن المدائحَ - للأمجاد - توطيد

المكلومَة الصابرة

(إنها أسماء بنت عُمَيس بن معد ، تنتهي إلى خثعم الخثعمية ، وأمها هند وهي خولة بنت عوف بن زهير بن الحارث ، تزوجها جعفر بن أبي طالب فولدتْ له في الحبشة عبد الله وعوناً ومحمداً ، فلما استشهد بمؤتة تزوّجها أبو بكر الصديق رضي الله عنهما فولدت له محمداً. ثم توفي عنها فتزوجها علي بن أبي طالب فولدت له يحيى وعوناً وفي رواية: ومحمداً ، فهي تدعى أم المحمدين. وكانت تخدم فاطمة إلى أن توفيت. وهي أخت ميمونة أم المؤمنين. روي أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب ؛ فدخلت على نساء النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا ، فأتت النبي - صلى الله عليه وسلم - فقالت: يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار ، قال: "ومم ذاك؟" قالت: لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال ؛ فأنزل الله هذه الآية: {إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين}. وعن أسماء قالت: دخل عليّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا بني جعفر فرأيته شمهم وذرفت عيناه ، فقلت: يا رسول الله أبلغك عن جعفر شيء ، قال: "نعم قتل اليوم" ، فقمنا نبكي ورجع فقال - صلى الله عليه وسلم -: "اصنعوا لآل جعفر طعامًا فقد شغلوا عن أنفسهم" وفي رواية فقد جاءهم ما شغلهم. وقالت أسماء بنت عميس: حججتُ مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تلك الحجة (تعني حجة الوداع) ، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما عليها من القرآن ، فبركتْ فأتيته فسجّيت عليه برداء كان عليّ. وعن ابن عباس قال: بينما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جالس وأسماء بنت عميس قريبة إذ قال: "يا أسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مرّ فأخبرني أنه لقي المشركين يوم كذا وكذا فسلم فردي عليه السلام" وقال: "إنه لقي المشركين فأصابه في مقاديمه ثلاث وسبعون فأخذ اللواء بيده اليُمنى فقطعتْ ثم أخذ باليسرى فقطعتْ" ، قال: فعوضني الله من يدي جناحين أطير بهما مع جبريل وميكائيل في الجنة آكل من ثمارها. وهناك في سرية مؤتة ، وبعد استشهاد حامل الراية الأول (زيد بن حارثة) يأتي حاملها الثاني (جعفر بن أبي طالب) ، ويعقر فرسه الشقراء لئلا ينتفع بها الأعداء ويحمل الراية بيمينه فتضرب! فيحملها بشماله فتضرب ، فيحملها بعضديه ، فيُشق نصفين. فيأتي حامل الراية الثالث (عبد الله بن رواحة) فيحملها ، فما لبث أن لحق بصاحبيه. وعلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم – بذلك. وتأتي أسماء بنت عُمَيس (زوج جعفر) وقد عجنتْ عجينها. ورتبت بيتها وغسّلت أبناءَها وطيّبتهم وألبستهم لاستقبال أبيهم. وأقبلت بهم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأحسّت أسماء بشيء ما تبدو آثاره على النبي – صلى الله عليه وسلم - فحيّاها ، ودعاها أن تأتي بأولاد جعفر فدعتهم ، فجاؤوا النبي – صلى الله عليه وسلم - فرحين متزاحمين فأكبّ عليهم واشتمّهم وعيناه تذرفان الدمع. فقالت أسماء: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، ما يبكيك؟ هل بلغك شيءٌ عن جعفر وصاحبيه؟ قال: نعم ، لقد استشهدوا اليوم. وأما رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فدعا لجعفر بأن يَخلفه الله في ولده وأهله. لقد بكى الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تلقيه خبر استشهاد القادة الثلاثة ، وأصابه حزن شديد ، وقال: "استغفروا لأخيكم جعفر فإنه شهيد ، فقد دخل الجنة وهو يطير فيها بجناحين من ياقوت مع الملائكة" ، وقال: "اللهم إن جعفراً قد قدم إليك إلى أحسن الثواب فاخلفه في ذريته بخير ما خلفت عبداً من عبادك الصالحين". وحين

أخبر النبي أسماء باستشهاد جعفر بكت وناحت فقال لها: "يا أسماء لا تقولي فجْراً ولا تضربي صدْراً" فسمعتْ وأطاعتْ ، وبكت فاطمة فقال النبي: "على مثل جعفر فلتبك الباكية" ، ثم قال لأسماء: "يا أسماء ألا أبشرك؟" قالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، قال: "كان الله قد جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة" ففرحت وقالت: بأبي أنت وأمي فأعلم الناس بذلك يا رسول الله. ففعل الرسول ذلك حيث خرج إلى المسجد ونعى جعفراً باكياً وأعلن بشارته له.)

يـــا عـــينُ فابـــكِ لمَـــا بكـــتْ (أســـماءُ) فلقـــد مضـــتْ - بســـرورها - البلـــواءُ

جَـــلّ المصـــابُ ، وأحكمـــتْ حلقاتـــه وطغـــى - علـــى عـــين الحَصـــان - بكـــاء

والحـــزنُ خـــيّمَ ، والحيـــاة تجهّمـــتْ واســـــتفحلتْ مَرثيـــــة كـــــأداء

والكـــربُ أمســـك - فـــي المصـــيبة - مِعـــولاً يَهـــــوي بـــــه ، وتأصّـــــلت أرزاء

والصـــبرُ عـــالجَ مـــا تصـــارعُ أيّـــمٌ إن اصـــــطبار فؤادهـــــا نعمـــــاء

لا شـــيء مثـــل الصـــبر يُـــبهجُ مُوجعـــاً والصـــابرون - علـــى الأذى - سُـــعداء

هـــو بلســـمٌ لكَســـيرةٍ مَكلومـــةٍ نزلـــتْ - بهـــا - البأســـاءُ والضـــراء

وكـــذلك الأبنـــاءُ أزهـــم الجـــوى وســـقاهُمُ كـــأس الضـــنا الأعـــداء

وَجمـــوا لمَـــا ســـمعوا ، وطـــال وجـــومُهم فـــأبوهمُ غـــدَرتْ بـــه الهيجـــاء

كـــم عـــاش يعرفـــه القتـــالُ غضـــنفراً يغشـــى الـــوغى ، ويَجـــوسُ حيـــث يشـــاء

لا يرعـــوي لعـــدوّه مهمـــا طغـــى ولـــه - إذا حمـــيَ الـــوطيسُ - مَضـــاء

هـــو - فـــي ســـبيل الله - جـــاد بنفســـه والـــروحُ - للـــدين الحنيـــف - فِـــداء

مستمســـكاً بعُـــرَى العقيـــدة موقنـــاً أنّ الظهـــــورَ أو الممـــــاتَ قضـــــاء

واليـــومَ بشـــره النبـــي بجنـــةٍ إذ عرضُـــها أرضٌ ربَـــتْ وســـماء

ولـــه جناحـــا طـــائر يغـــزو الفضـــا وتشـــوقه - إمـــا عَـــلا - الجـــوزاء

قـــد ضُـــرّجا بدمائـــه لوفائـــه يـــا ســـعدَ كـــفٍ ضـــرّجته دمـــاء

دموعٌ لا تجف

(حمل هاتفي المتحرك أشقى ثاني رسالة في عامه كله عام 2011م. وذلك في أقل من شهر منذ أهديته. ولولا نهي النبي – صلى الله عليه وسلم - عن الطِيَرة والتشاؤم لقلتُ إنه هاتف مشؤوم منحوس! كانت الرسالة الأولى التي حملها عن رحيل الشاعر الحبيب والصديق الغالي أحمد المتوكل ، وأما هذه الثانية فمن ناصرة بنت علي سليمان ، تخبرني فيها بقرار الطب ببتر ساق الوالدة الحبيبة وذلك ظهيرة يوم الثلاثاء 2011/11/22م - فكان نبأ شديد الوقع على قلبي وجوارحي. وترجمتُ حزني على عادتي شعراً. وكان الشعر هذه القصيدة الحزينة التي أعطيتها عنوان: (دموعٌ لا تجف) وذلك لأنني كلما تذكرتُ أمي بهذا الوضع دمعتْ عيناي ورثى قلبي وأسفتُ لبُعدي عنها في دار غربتي الموحشة ، وليس لي اختيار فيها. وجعلتُ قصيدتي 66 بيتاً على البحر البسيط لتواكب سنيَ عمرها ، يوم تأليف القصيدة فلقد ولدتْ عام 1945م ، وكتابة القصيدة عام 2011م ، فجعلتُ لكل سنةٍ من سني عمرها بيتاً ، تقديراً لمكانتها واعترافاً بفضلها وشكراً على جهودها في تربيتي وحباً وكرامة. ويسهُل على الجاهلين الذين يهرفون بما لا يعرفون أن يستطيلوا في عِرضي قائلين في خبث طوية: (لو كانت أم هذا عزيزة عليه وغالية كما يدّعي لتجشم المشاق وذهب لزيارتها!) وأقول لهم: صدقتم بشرط الاستطاعة بجميع أنواعها أيها الجهلاء الحمقى! لقد فرضتْ عليّ الغربة شروطاً قاسية في ظروفٍ عاتيةٍ لا يعلم إلا الله تعالى مداها! ويشهد عليّ ربي أنني لا أستطيع! وإذا كانت زيارتي لها مرهونة بحتفي أو الحيلولة بيني وبينها ، فهل من الحكمة الزيارة؟! وعُمْر الدنيا قصير ، وعمر الإنسان فيها أقصر وأقصر! وإذن فاللقاء الحق سيكون في دار الخلود نسأل الله من فضله وإحسانه! فحبي لأمي لا يعلمه إلا الله ، والراسخون في معرفتي يدركون ذلك! ولكن المغرضين والبلهاء يقولون ما يحلو لهم فالكُرَة في ملعبهم! ويوماً سنأخذ حقنا منهم إن لم يكن في الدنيا الفانية الزائلة ، ففي الآخرة الباقية الخالدة! فليقل هؤلاء السفهاء ما يحلو لهم أن يقولوا ، وليتخرصوا بما شاءت لهم أمزجتهم وأهواؤهم ، وعزائي أن الله يسمع ويرى!)

مَرائـــرُ الحـــزن - فـــي الوجـــدان - تستشـــري ... والـــدمعُ كـــالنهر - مـــن فـــرط الأســـى - يجـــري

وفـــــي الفـــــؤاد أســـــى يجتـــــاحُ قدرتـــــه ... علـــــى التحمّـــــل ، حتـــــى ضـــــاق بـــــي صـــــبري

وفـــــي الضـــــمير عـــــذاباتٌ تُســـــربلني ... وكـــــم تســـــاءلتُ مـــــا جُرْمـــــي؟ ومـــــا وزري؟

والـــــنفسُ تبكـــــي ، وللآهـــــات صَـــــولتها ... والقلـــــبُ يغلـــــي - مِـــــن الآلام - كالقِـــــدر

يـــــا (أم أحمـــــدَ) هـــــذا العـــــيشُ خندمـــــة ... بـــــين الهزيمـــــة - فـــــي الميـــــدان - والنصـــــر

وتـــــارة مثـــــل بحـــــر لا قـــــرار لـــــه ... بـــــل يســـــتكين لوَقـــــع المَـــــدّ والجَـــــزر

هـــــيَ الحيـــــاة حَلـــــتْ لمـــــن يُـــــداعبُها ... وقـــــد تضـــــيقُ فمِـــــن طـــــور إلـــــى طـــــور

ومَـــــن تأمّلهـــــا نـــــاغى حقيقتهـــــا ... ومَـــــن يُكَـــــذبْ بيانـــــاتي ليَسْـــــتقّر

لا شـــــيء يبقـــــى علـــــى أحوالـــــه أبـــــداً ... وذاك شـــــأنُ الـــــدنا مِـــــن ســـــالف الـــــدهر

والـــــبعضُ يـــــدري الـــــذي أرويـــــه مِـــــن حِكَـــــمٍ ... والـــــبعضُ مِـــــن ثِقـــــل الأعبـــــاء لا يـــــدري

هـــــي المقـــــاديرُ تيجـــــانٌ وأوســـــمة ... ونحـــــن بـــــالخير آمنـــــا وبالشـــــر

نفـــــوّض الأمـــــرَ للـــــرحمن خالقِنـــــا ... حتـــــى نفـــــوز بمـــــا - فـــــي الخلـــــد - مـــــن خيـــــر

ومـــــا اســـــتوى النـــــاسُ: هـــــذا مـــــؤمنٌ فطِـــــنٌ ... وذاك عبـــــدٌ ردئُ الفهـــــم والفِكـــــر

شـــــتان بـــــين الـــــذي يســـــعى لآخـــــرةٍ ... وغافـــــل قلبُـــــه العِصـــــيانَ يســـــتمري!

يـــــا (أم أحمـــــدَ) مـــــا طالعـــــتُ آلمنـــــى ... فرُحـــــتُ أقـــــرأ مـــــا أتلـــــو ، وأســـــتقري

مـــــاذا أعـــــاينُ مِـــــن بلـــــوى ومِـــــن شـــــجَن ... حتـــــى تهاديـــــت بـــــين الصـــــدق والهتـــــر

وقلـــــتُ: عـــــلّ الـــــذي خطـــــتْ (بُنيَّـــــتكم) ... مَحـــــضُ افتـــــراءٍ ، فمـــــا - فـــــي الـــــنص - مـــــن خُبـــــر

وعُـــــدتُ أقـــــرأ مـــــا فـــــي الـــــنص مِـــــن خَبَـــــر ... فتهـــــتُ فـــــي التـــــو بـــــين الســـــطر والســـــطر!

وانســـــاب دمعـــــى - علـــــى الخـــــدين - منهمـــــراً ... كـــــالمَوج تدفعُـــــه نســـــائمُ البحـــــر

ولـــــم تجـــــفَ دمـــــوعٌ فـــــي مَحاجرهـــــا ... لمَـــــا تكابـــــدُ نفـــــسُ المـــــرء مِـــــن قهـــــر

لا شـــــيئ أملكـــــه ســـــوى الـــــدموع ، بهـــــا ... أدعـــــو المليـــــك لمـــــن تلتـــــاعُ فـــــي (مصـــــر)

وأســـــتعينُ بهـــــا علـــــى مؤاخـــــذةٍ ... تجـــــيشُ مثـــــل لظـــــى التنـــــور فـــــي صـــــدري

يـــــا (أم أحمـــــدَ) رقـــــي ، واغفـــــري زللـــــي ... وأنـــــتِ أكـــــرمُ مَـــــن أرجـــــو ، وأســـــتبرى

إنـــــي اغتربـــــتُ - عـــــن الأوطـــــان - عـــــن رَغـــــمٍ ... وعِشـــــتُ مـــــا عشـــــت بـــــين القيـــــد والأســـــر

إمّـــــا تحرّكـــــتُ عـــــينُ الشـــــر ترقبنـــــي ... إن النفـــــاق هنـــــا - فـــــي القـــــوم - يستشـــــري

وإن تكلمـــــتُ فالجسَّـــــاسُ يســـــمعني ... وإنْ كتبـــــتُ ســـــطا البـــــاغي علـــــى سِـــــفري

وإن ظفـــــرتُ بـــــأموال دفعـــــتُ بهـــــا ... لصـــــاحب المَكـــــس حتـــــى مَلنـــــي فقـــــري

وإن شـــــكوتُ بـــــلاءاتٍ تجنـــــدلني ... عُوقبـــــتُ بالصـــــدّ والإقصـــــاء والغـــــدر

فـــي غربـــةٍ شـــرقتْ بمـــا أديـــنُ بـــه ... فجـــابهتني بكيـــل الـــدسّ والمَكـــر

وكـــم ذكرتـــكِ فـــي نعمـــى بُلهنيـــةٍ ... وصـــحةٍ تحتفـــي بـــالفرْح والبشْـــر

تســـتروحين أريـــجَ العِـــز فـــي ثِقـــةٍ ... والقـــولُ مُنـــتظمُ الألفـــاظ كالشـــعر

وقـــد تجـــوبين أرض النجـــع ماشـــية! ... ومـــا اشـــتكتْ قـــدَمٌ مِـــن وَطـــاة الســـير

وللشـــباب دلالاتٌ ســـعِدتِ بهـــا ... حينـــاً مـــن الـــدهر ، مـــا قاســـيتِ مـــن ضـــر

ربيـــتِ جـــيلاً لـــه - فـــي البـــأس - تجربـــة ... وكـــم وضـــعتِ - عـــن الأولاد - مِـــن إصـــر!

ومـــا بخلـــتِ - بمـــا لـــديكِ - مِـــن مِـــنح ... أحلـــى مِـــن الشـــهد ، بـــل أغلـــى مـــن الـــدُر

وكـــم مَخـــرتِ عُبـــاب العـــيش عازمـــة ... علـــى التحـــدي بـــلا خـــوف ولا ذعـــر!

وكـــم نصـــحتِ بتعبيـــراتِ واعظـــةٍ ... تهـــدي الكـــلام أكـــاليلاً مـــن الزهـــر!

وكـــم بـــذلتِ مِـــن المعـــروف أثمنـــه ... حتـــى عُرفـــت بـــأزكى الصِـــيت والـــذكر!

وكـــم أنـــرت ســـبيلاً ضـــل ســـالكه! ... فأنـــت - بـــين النســـا - كالكوكـــب الـــدُري

واليـــومَ حالـــكِ يُبكينـــي ويُـــؤلمني ... إذ لســـتُ أبـــذل مـــا أرجـــو مـــن البـــر

فـــي غربـــةٍ وعِيـــالي فـــوق هامتهـــا ... وضِـــيق ذاتِ يـــدي دربٌ إلـــى الفقـــر

عقـــدان فـــي غربـــةٍ طمّـــت دغاولهـــا ... فـــي عـــالمٍ ضـــيق الأركـــان كـــالقبر

والقـــومُ حـــولي أنـــانيون أغلـــبهم ... ولقمتـــي تُجتنـــى بـــالكَرّ والفـــر

مـــاذا علـــيّ إذا فارقـــتُ مُـــرتحلاً ... إلـــى جـــوارِكِ أرجـــو طيّـــب الـــذخر؟

أكـــونُ ضـــيّعتُ مـــا أعـــولُ مِـــن ولـــدٍ ... وقـــد أبـــوء بـــذا التضـــييع بالخســـر

وفرصـــة تلـــك - للأبنـــاء - قاطبـــة ... فـــوجّهي اللـــوم والتـــوبيخ للغيـــر

وأنـــت أعظـــمُ مَـــن - فـــي العُســـر - يعـــذرني ... ولاعتـــذاري شـــجىً ، فلتقبلـــي عُـــذري!

وكـــم تماديـــتُ فـــي الهجـــران مُحـــتملاً ... ذل الفـــراق وشـــوقاً - فـــي الحشـــا - يســـري!

وكـــم تشـــتتُ - فـــي الأصـــقاع - مغتربـــاً ... عـــن الـــديار أعـــاني قســـوة الجَـــور!

مســـافرٌ - مـــا لـــه - خِـــلٌ يؤانسُـــه ... بـــل تســـتبدُ بـــه مَـــرارة الســـفر

فلتجعليـــني إذنْ يـــا خيـــر والـــدةٍ ... فـــي خيـــر حِـــلٍ مـــن التـــوبيخ والزجـــر

أمـــا مصـــابُك فـــالعيونُ شـــاهدة ... بالـــدمع فيهـــا ، بـــلا توقـــفٍ يجـــري

يـــا (أم أحمـــدَ) ذِكـــرى الأمـــس بازغـــة ... كالشـــمس تُشـــرقُ فـــي ديـــاجر الفجـــر

مازلـــتُ أبحِـــرُ فـــي أريـــج عِشـــرتنا ... مباهيـــاً بـــكِ فـــي مجـــدٍ وفـــي فخـــر

يـــا بنـــت خيـــر أب طابـــت ســـريرته ... وإن مـــولاي كـــم قـــوّى بـــه أزري

يـــا بنـــت أفضـــل أم فـــي مرابعنـــا ... سِـــت الخِـــلال بـــلا عَـــدٍ ولا حصـــر

هـــذي (برمبـــالُ) تبكـــي فقـــد غائبـــةٍ ... عنهـــا ، ووخـــز النـــوى فـــي الـــنفس كـــالجمر

والـــذكرياتُ لهـــا صـــدىً ودندنـــة ... يفـــوحُ منهـــا شـــذى الكـــافور والسِـــدر

وفـــي القلـــوب تـــرانيمٌ تحـــنّ لهـــا ... وترسِـــلُ القـــولَ بســـاماً لكـــي يُطـــري

وأنـــتِ - فـــي موكـــب الغـــادين - باســـمة ... بـــلا اختيـــال ، ولا زهـــو ، ولا كِبْـــر

يـــا (أم أحمـــدَ) أجـــرٌ بعـــد عافيـــةٍ ... لا تجزعـــي إن أوتْ ســـاق إلـــى البتـــر

والله يـــأجرُ أهـــل الصـــبر مَكرمـــة ... لهـــم ، فتـــوقي إلـــى زيـــادة الأجـــر

أرجـــوكِ يـــا أمُ ، لا تأسَـــي ولا تهنـــي! ... ولا تلـــومي القضـــا يـــا ربـــة القـــدر!

تجلـــدي للـــذي ربـــي ابـــتلاكِ بـــه ... تجلـــدَ المُخبتـــين الســـادة الغـــر

واســـترجعي ، إن الاســـترجاعَ مَنقبـــة ... تزجـــي البشـــارة فـــي التضـــييق والعُســـر

وصـــابري واصـــبري ، وارضَـــي بمـــا كتبـــتْ ... يـــدُ الإلـــه القـــدير الـــراحم البـــر

وفي الحروب نعامة

(أغلبنا يردّد هذا البيت ولا يعرف عن مناسبته وقائله شيئاً. والحقيقة أن مناسبته والتعيير به يعود إلى زمن الحجاج بن يوسف الثقفي. حيث طلبت أم البنين بنت عبد العزيز بن مروان من أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان عمّها ، أن يطلب من الحجاج أن يُسلم عليها. وأمر عبد الملك الحجاج ، فتبرّم وتعلل ولم يكن يعلم عن فصاحة أم البنين ، فألزمه عبد الملك وأكد عليه ذلك. فذهب الحجاج ، فحجبته طويلاً. ثم أذنت له ، وتركته قائماً ولم تأذن له بالجلوس. ثم قالت: أنت الممتن على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث؟ وعدّت له فظائعه وأنكرتْ عليه ، وذكرتْ له قبح منظره وسوء خلقه ، ثم تعرّض به وتذكره أبيات قد أنشدها فيه عِمرانُ بن حطان من قبل: -

أســـدٌ علـــيّ ، وفـــي الحـــروب نعامـــة ربـــداء تنفـــرُ مِـــن صـــفير الصـــافر

هـــلا بـــرزت إلـــى غزلـــة فـــي الـــوغى؟ أم كـــان قلبـــك فـــي جنـــاحيْ طـــائر؟

صـــدعت غزالـــة قلبـــه بفـــوراس تركـــتْ نـــواظره كـــأمس الـــدابر

ومناسبة ذلك أن غزالة الحرورية امرأة شبيب بن زيد الشيباني قائد الخوارج ، كانت داهية حرب وقيادة قد خرجت مع زوجها في إحدى حروبه ضد عبد الملك بن مروان وتعرضت للحجاج في إحدى الحروب ففرّ ولم يعقب. وبلغ من شجاعتها وتحديها أنها أقسمت لتصليَنّ في مسجد الكوفة ركعتين: تقرأ في الأولى بسورة البقرة ، وفي الثانية بسورة آل عمران ، والكوفة يومئذ معقل الحجاج ودار إمارته ومجتمع قوته. وقد برّتْ غزالة بقسمها! ولما أخبر الحجاج بها تصلي أوجس فى نفسه خيفة منها ، وهي التي هزمت خمسة جيوش للحجاج ، ثم بعد أن ذكّرت أم البنين الحجاج بهذه الأبيات ومناسبتها ، أمرت جارية لها أن تخرجه مقبوحاً مرذولاً مذموماً ، فلما دخل على الوليد سأله فقال: ما كنت فيه يا أبا محمد؟ قال: والله يا أمير المؤمنين ، ما لبثت أن جعلت بطن الأرض أحب إلى من ظهرها! فضحك الخليفة وقال: يا حجاج إنها ابنة عبد العزيز بن مروان. كان الحجاج بن يوسف الثقفي والياً على العراق من قِبل عبد الملك بن مروان ، وكان معروفاً بالظلم والبطش وسفك الدماء وانتقاص السلف وتعدي حرمات الله بأدنى شبهة ، واعتاد أن يأخذ البرئ بالمسيئ ، وألف الأخذ بالظنة ، وعاش جُل عيشه مبيراً ظالماً! وقد أجمع أهل العلم بالتاريخ والمغازي والتراجم والسير على أنه كان من أشد الناس ظلماً في زمانه ، وأسرعهم للدم الحرام سفكاً وإراقة دون وجه حق ، ولم يحفظ حُرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه ، ولا وصيته في أهل العلم والفضل والصلاح من أتباع أصحابه ، وكان ناصبياً خبيثاً بغيضاً يكره علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل بيته. فلا يجب الاغترار ببعض الأعمال الصالحة والأقوال الطيبة التي تنسب إليه! قال عنه الإمام ابن كثير: "كان الحجاج ناصبيا يبغض علياً وشيعته في هوى آل مروان بني أمية ، وكان جباراً عنيداً ، مِقداماً على سفك الدماء بأدنى شبهة. وقد روي عنه ألفاظ بشعة شنيعة ظاهرها الكفر ، فإن كان قد تاب منها وأقلع عنها ، وإلا فهو باق في عُهدتها ، ولكن قد يخشى أنها رويت عنه بنوع من زيادة عليه ، فإن الشيعة كانوا يبغضونه جداً لوجوه ، وربما

حرفوا عليه بعض الكلم ، وزادوا فيما يحكونه عنه بشاعات وشناعات".هـ. "البداية والنهاية". قال ابن كثير: "وقد روينا عنه أنه كان يتدين بترك المُسْكر ، وكان يكثر تلاوة القرآن ، ويتجنب المحارم ، ولم يشتهر عنه شيء من التلطخ بالفروج ، وإن كان متسرعاً في سفك الدماء ، فالله تعالى أعلم بالصواب وحقائق الأمور وساترها ، وخفيات الصدور وضمائرها. وأعظم ما نقِم عليه وصحّ من أفعاله سفك الدماء ، وكفى به عقوبة عند الله عز وجل ، وقد كان حريصاً على الجهاد وفتح البلاد ، وكان فيه سماحة بإعطاء المال لأهل القرآن ، فكان يعطي على القرآن كثيراً ، ولما مات لم يترك فيما قيل إلا ثلاثمائة درهم".هـ. "البداية والنهاية". وقد ذهب جماعة من الأئمة إلى كفره ـ وإن كان أكثر العلماء لم يروا كفره ـ وكان بعض الصحابة كأنس وابن عمر يصلون خلفه ، ولو كانوا يرونه كافراً لم يصلوا خلفه. فعن قتادة قال: قيل لسعيد بن جبير: خرجت على الحجاج؟ قال: إني والله ما خرجت عليه حتى كفر. وقال الأعمش: اختلفوا في الحجاج فسألوا مجاهداً فقال: تسألون عن الشيخ الكافر. "البداية والنهاية". وقال الشعبي: الحجاج مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله العظيم. وقال القاسم بن مخيمرة: كان الحجاج ينقض عُرَى الإسلام. وعن عاصم بن أبي النجود قال: ما بقيتْ لله تعالى حُرمة إلا وقد انتهكها الحجاج. "تاريخ دمشق". وروى الترمذي في سننه عَنْ هِشَامِ بْنِ حَسَّانَ قَالَ: "أَحْصَوْا مَا قَتَلَ الْحَجَّاجُ صَبْرًا فَبَلَغَ مِائَةَ أَلْفٍ وَعِشْرِينَ أَلْفَ قَتِيلٍ". وقال عمر بن عبد العزيز: لو تخابثت الأمم وجئتنا بالحجاج لغلبناهم ، وما كان يصلح لدنيا ولا لآخرة. وعن أسماء بين أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت للحجاج: (أَمَا إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدَّثَنَا أَنَّ فِي ثَقِيفٍ كَذَّابًا وَمُبِيرًا ، فَأَمَّا الْكَذَّابُ فَرَأَيْنَاهُ ، وَأَمَّا الْمُبِيرُ فَلَا إِخَالُكَ إِلَّا إِيَّاهُ). وقد كان الحجاج نشأ شاباً لبيباً فصيحاً بليغاً حافظاً للقرآن ، قال بعض السلف: كان الحجاج يقرأ القرآن كل ليلة ، وقال أبو عمرو بن العلاء: "ما رأيت أفصح منه ومن الحسن البصري ، وكان الحسن أفصح منه". وقال عقبة بن عمرو: "ما رأيت عقول الناس إلا قريباً بعضها من بعض ، إلا الحجاج وإياس بن معاوية ، فإن عقولهما كانت ترجح على عقول الناس". فعجبتُ جداً ممن تجرّأ على فحول الرجال فأعمل فيهم سيفه ، وقتل الآلاف فإذا به يضعف أمام إمرأة (غزالة) فى ميدان القتال. ويضعف أمام امرأة أخرى في باحة القصر (أم البنين) فلم يستطع الردّ عليها أبداً ، بل وقف صاغراً ذليلاً ، واعترف بالهزيمة لأمير المؤمنين. فأنشدت في ذلك من شعري أقول:)

أصـــابتك كـــلٌ ، وفـــي مَقتـــلِ ... فبـــت ـ بنارهمـــا ـ تصـــطلي

وجرّعـــك الـــذلُ كـــأسَ الشـــقا ... ووجهـــك عُفِـــر بالقســـطل

وأنفـــك جُـــدّع مُستســـلماً ... بسِـــكين مِفصـــاحةٍ عُطبُـــل

ودِيســـت كرامـــة مُســـتلئمٍ ... غشـــيم الأذى ، مُجـــرم أرذل

أذاقتـــك ـ مِـــن كيـــدها ـ رشـــفة ... وكـــم غـــادةٍ بـــاللظى تبتلـــي!

فجُنـــدلت حتـــى رجـــوت الـــردى ... وعُـــدت ـ عـــن الخيـــر ـ فـــي مَعـــزل

وأدركـــت حجمـــك بـــين الـــورى ... فـــأين القضـــيضُ مِـــن الأجْبُـــل؟

وأيقنـــتَ أنـــك مســـتكبرٌ ... تـــدثرَ فـــي غيّـــه المُبطـــل!

وأنـــتَ الـــذي كـــم ســـفكت الـــدِما ... فأمســـتْ تســـيلُ علـــى القســـطل!

وأعملـــت - فـــي الخلـــق - ســـيفَ الـــبلا ... وسِـــرت - إلـــى النـــاس - فـــي جحفـــل

وأجريـــت - فـــوق الأديـــم - الـــدِما ... وفـــوق البســـيطة كالجـــدول

ويَتمـــت طفـــلاً بكـــتْ عينـــه ... أبـــاً غـــاب قســـراً عـــن المنـــزل

ورمّلـــت - بـــين البرايـــا - النســـا ... وأطلقـــت ظلمـــك فـــي الكُمّـــل

بســـيفك كـــم خـــرّ مستعصـــمٌ ... بشِـــرعة معبـــوده الأول

وكـــم حُـــرةٍ عانقـــت حَتفهـــا ... لأنـــك عاجلـــت ، لـــم تمْهـــل!

وكـــم خضـــت حربـــاً بـــلا غايـــةٍ ... كأنـــك بالشـــرع لـــم تحفـــل!

إلـــى أن دهتـــك الحَصـــانُ التـــي ... أصـــابت كِيانـــك فـــي مَقتـــل

لأم البنـــين قناعاتهـــا ... وبعـــضُ الـــذكاء يفـــوق الحُلـــي

أهانتـــك إذ ذكرتـــك الـــذي ... هـــو الشـــينُ ، يـــا ليتـــه ينجلـــي!

(غزالـــة) والحـــربُ فـــي كِفـــةٍ ... وفـــي كِفـــةٍ فرحـــة العُـــذل

تهـــدّد ، لا ترعـــوي لحظـــة ... لقـــول غـــوي الصُـــوى مُمْحِـــل

وتصـــبغ بالبـــأس ألفاظهـــا ... بقيـــل أمـــرّ مِـــن الحَنظـــل

وبـــرّتْ بأيمانهـــا جهـــرة ... وصَـــلتْ ، وفـــي الوعـــد لـــم تســـأل

ألـــم تهـــزم الجـــيش مزهـــوة ... بنصـــر بهـــي الســـنا مُقبـــل؟

ألا اخـــرجْ - مـــن القصـــر - مُســـتقبحاً ... بموقفـــك الســـييء المُخجـــل

ودعْ عنـــك مـــا تـــدّعي ، واعْتبـــر! ... وفـــي العُجْـــب والكِبْـــر لا توغِـــل!

دمعة على العِلم ، لا على الذهب!

(كانت تسير هذه المؤمنة في طريقها إلى المسجد ، لتحفظ بعض البُنيات من كتاب الله ، وكانت تحمل مصحفها وعلى هامشة التفسير ، ومعه كتيبات أدعية. وإلى جوار المصحف وضعتْ في حقيبة يدها بعض الحلي. فإذا هي بسارق دنئ النفس والسريرة يسرق حقيبتها عنوة ويمضي. فدمعتْ عيناها على مصحفها لا على ذهبها ، وراحت تتمنى فعلاً لو عاد المصحف إليها. واستجاب الله حيث وجدته والكتيبات بالفعل عند مقلب للقمامة! لأن السارق أراد الذهب لا القرآن! فكتبت أعزي صاحبة المصحف خالتي وداد سماحة!)

دمعـــةٌ ســـالت فـــي عظـــيم الـــبلاءِ ... هيّجتهـــــا مَرثيـــــة البأســـــاءِ

ذرفتهـــا عـــينٌ - مـــن الأمـــر - خجلـــى ... فـــــي مُصـــــاب مُتـــــوّج بالشـــــقاء

والبلايـــــا تجتـــــاحُ كـــــل سُـــــرور ... والحيـــــاة بـــــين الأســـــى والهنـــــاء

لـــيس شـــيئٌ نـــراه يبقـــى طـــويلاً ... وحـــــــده اللهُ مُفـــــــرَدٌ بالبقـــــاء

لســـتُ أدري مِـــن أيـــن أبـــدأ ســـردي ... لحكايـــــا مكروبـــــة الأصـــــداء

حيـــث كانـــت تســـير فضـــلى حَصـــانٌ ... فـــــي طريـــــق الشـــــموخ والعليـــــاء

تبـــذلُ العِلـــمَ والســـجايا احتســـاباً ... سُـــلمٌ - بَـــذلُ العلـــم - للجـــوزاء

إن حِفـــظ القـــرآن أعظـــمُ زادٍ! ... ودواءٌ مـــن كـــل سُـــقم وداء

تتقـــي - بـــالقرآن - مـــا يعتريهـــا ... مِـــن عـــذاب ، أو شِـــدةٍ ، أو بـــلاء

لا تبـــالي إن ســـربلتها خطـــوبٌ ... كـــم ولايـــا يُصْـــقلن بـــالأرزاء!

فـــإذا بـــالمَعتوه يســـعى إليهـــا ... مُســـتغلاً مـــا عنـــده مِـــن دَهـــاء

غاصـــباً مـــا فـــي كفهـــا مِـــن مصـــاغ ... غصـــبَ طـــاغ مِـــن أشـــرس الأعـــداء

ثـــم ولـــى فـــي التـــو دون اكتـــراثٍ ... حـــائزاً - بـــين النـــاس - لغـــز الخفـــاء

وتمنـــتْ أختُ الهـــدى أن تـــوافى ... بالكتـــاب ، فاعجـــبْ لهـــذا الوفـــاء!

واشـــتكتْ - للجبّـــار - ظلـــم البرايـــا ... واســـتجاب الـــرحمن أنـــدى دعـــاء

حيـــث ردّ الســـفيهُ كـــل كتـــاب ... ثـــم سُـــرّت جـــوانحُ العصـــماء

أين الثرى مِن الثريا؟

(والدان وابن في السابعة عشرة ، ووالدن وابنة في السابعة عشرة ، بينهم قواسم مشتركة وفارق واحد! الكل من مصر ، ومن محافظة واحدة ومن مركز واحد. وسأضرب الذكر صفحاً عن ذكر الأسماء والمحافظة والمراكز ، لأن الذي يهمّنا هو مغزى القصة المتكرره في الزمان والمكان. والكل من الطبقة الكادحة المتوسطة الحال. إذ كانت هذه هي القواسم المشتركة ، فما هو الفارق الوحيد إذن؟ إن هذا الفارق عجيبٌ لأنه ميّز كلاً من الابن والابنة! فأما الابن فقد حفظ القرآن الكريم كاملاً ، واشترك فى مسابقة دولية وحصل على المركز الأول وفاز بجائزتة! وأما الابنة فقد احترفت الغناء واشتركت في مسابقة دولية ، وحصلت على المركز الأول ونالت جائزته! وشاهدت الأسرتين على شاشة واحدةٍ وفي شهر واحد ، فأنشدتُ من شعري أتساءل أين الثرى من الثريا؟!)

ما تساوى الفساقُ بالأتقياءِ ... ما سرابٌ بقيعةٍ كالماءِ

ما الحياة بدون نور وتقوى؟ ... هل تُضاء الحياة بالظلماء؟

والثرى أين في سماتٍ ووصفٍ ... مِن ثريا تشع باللألاء؟

والحضيضُ في دَرْكِه والتدني ... هل تساوى عند الورى بالعَلاء؟

والزيوفُ في خبثها والتجني ... هل تُباري حقائقَ الأشياء؟

وانحطاط النفوس في كل شأن ... هل يُضاهي نضارة الإرتقاء؟

هل تساوى النعيمُ عند أناس ... يدمغون دين الهُدى بالشقاء؟

في دياري هذا التناقضُ أعمى! ... جَلّ قومي عن عيشهم والفناء!

أسرتان: الأولى تبيتُ وتُضحي ... في انسجام مع الخنا والغناء

أرشدتْ ـ للضلال ـ بنتاً تردتْ ... ثم سارت في سِكة السُفهاء

برزتْ فيهم تنثني بقوامٍ ... تعرضُ الحُسنَ بعد هدم الخِباء

تبذلُ العِرضَ في قطيع خليع ... يشتهي عُرْيَ الغادة الشقراء

وهْي نشوى بالحفل يطفحُ لحناً ... والجماهيرُ بالغتْ في الثناء

فالرداءُ يشفُ عن حسن أنثى ... وي كأنْ لم تظهرْ بأي رداء!

والأب الـــديوث احتفـــى بالتدسّـــي ... قانعـــاً بـــالمُجون والإغـــواء

مســـتعداً بعِرضـــها أن يضـــحي ... فـــي ســـبيل الألقـــاب والأســـماء

شـــهرة كـــم أصـــحابها عبَـــدوها ... بطقـــوس ممجوجـــةٍ عميـــاء!

ليـــت شـــعرى ، والأم تشـــدو وتطـــري ... بخضـــوع فـــي القـــول والإطـــراء

أي أم هـــذي؟ وأيـــة بنـــتٍ؟ ... هـــل نعـــيشُ فـــي عصـــر بيـــع الإمـــاء؟

والنقـــيضُ فـــي أســـرةٍ ذات تقـــوى ... والفـــلاحُ والســـعدُ للأتقيـــاء

بـــذلتْ للـــنشء الســـجايا ليرقـــى ... فـــارتقى - بـــالقرآن - للعليـــاء

جمـــعَ القـــرآنَ الكـــريمَ ، فـــأوعى! ... كـــم تـــلا فـــي الإصـــباح والإمســـاء

إن هـــذا القـــرآن - للخيـــر - يهـــدي ... وهْـــو نعـــم النـــذيرُ للأحيـــاء!

أســـرة فـــي حـــق ابنهـــا لـــم تقصّـــرْ ... بـــل إلـــى الخيـــر أرشـــدت باحتفـــاء

وجّهتـــه للمَكرُمـــات احتســـاباً ... فتســـامى عـــن عـــالم الغوغـــاء

وانبـــرى للأقـــران يتلـــو علـــيهم ... مـــا وعـــاه بـــالحزب والأجـــزاء

إنـــه أهـــلٌ للجـــوائز حِيـــزتْ ... بعـــد جهـــدٍ مُكثـــفٍ وعَنـــاء

ولـــه الفخـــرُ كـــلَ حـــين ووقـــتٍ ... بجليـــل الرمـــوز والإيمـــاء

ولـــه مِـــن كـــل التقـــاة احتـــرامٌ ... مُفعـــمٌ بالتقـــدير بعـــد الـــدعاء

أيـــن منـــه مَـــن جـــاهرتْ بالمعاصـــي ... واســـتكانت للظهـــور والخـــيَلاء؟

غرّهـــا حِلـــمُ الله ربـــي عليهـــا ... فاعتلـــت مـــتن التيـــه والأضـــواء

بعـــض أهـــل الغنـــاء تـــابوا ، وهـــذي ... لا تبـــالي بتوبـــة العقـــلاء

كيـــف تســـعى فـــي درب أهـــل المخـــازي ... ســـعيَ عجلـــى مبهـــورةٍ بلهـــاء؟

أوَليســـت هـــذي تـــرى مَـــن تـــردَوْا ... إنهـــا ليســـت قـــط بالعميـــاء!

دمعة التوديع

(حمل إليّ الناعون هنا في غربتي خبر رحيل جدي لأمي أحمد السعيد محمد سماحة ، فتأثرتُ وتذكرتُ عطير الذكريات مع فقيد عائلة سماحة (أعيان الدقهلية وأسيادها) رحمة الله عليه ، وكانت هذه الدمعة الشعرية في توديعه. وذلك عندما استعرضتُ شريط الذكريات العطرة ورصيد التجربة الذي كان جدي يحرص على إيصاله إلينا منذ نعومة أظفارنا! وإن كنتُ أعتب على قوم نسبت إليهم كانوا قد أعلموني بموت جدي بعد حين! ويشهد عليّ ربي أنني افتقدتُ في جدي والداً فذاً عزيزاً!)

لتوديعِك المكروب ينهمرُ الدمعُ ... وفي القلب آهاتٌ يؤججُها الوَقعُ

أأنعيك والذكرى تروح وتغتدي ... ويبكي عليك الأهلُ والصحبُ والربع؟

ويقطعُ في نفسي اغترابي عن الحِمى ... وقلبي - لمَا ألقى - يُسربله الرَوع

أتتركني أجترّ حزني وغربتي؟ ... وهل ترجعُ - الذكرى - العذاباتُ والدمع؟

وبضع سنين كان يكفي لحاجتي ... ولكنْ أراني طال بي ذلك البضع

بدار أعاني في جواها مَرارة ... وبلوايَ فيها لا يُبارحُها صُقع

أتذكر يا جدّي تفاصيل رحلتي؟ ... ألا إنها - في عالم الغربة - البدع

وما لي يدٌ فيها ، فلستُ بمُذنب ... وفي أمرها - والله - كم يصعُبُ القطع!

أطلت ، وما لي في الإطالة رغبة ... ولكنْ بلادي غالها الكبتُ والقمع

وما بعتُ أهلي مثلما باع أرذلٌ ... ولا مِلتي طوعاً بدا ذلك البيع!

وما فارقتْني ذكرياتك لحظة ... ولا غاب عني النظمُ ، كلا ، ولا السجع

لجدي كلامٌ كاليواقيت ، لفظه ... يحِنّ له - من ترنيماته - السمع

لئن كنتُ أوتيتُ القريضَ ونظمَه ... فجدي المَعينُ العذبُ والنهرُ والنبع

هو الدوحة الشمّاء دفتْ ظلالها ... وأما أنا منها فصدقاً أنا الفرع

عليك مِن الرحمن أجملُ رحمةٍ ... إلى أن يحين الحشرُ والفصلُ والجَمع

(إن الله – عز وجل - لمّا فرض الجهاد على المؤمنين ، استثنى غير القادرين عليه – فقال: (لايستوي القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله). ولعل الاستثناء في الآية كان أمنية تمناها عبد الله بن أم مكتوم - رضي الله عنه - (غير أولى الضرر). لأن الآية كانت: (لا يستوي القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله). فتمنى ابنُ أم مكتوم واستجاب الله فجاء الاستثناء: (غير أولي الضرر). ولقد قال الأستاذ محمود فرحات في ترجمة أم أم مكتوم ما نصه: (عوتب فيه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سماوات أقسى عتاب وأوجعه ، من هذا الذي نزل بشأنه جبريل الأمين على قلب النبي الكريم بوحي من عند الله؟ إنه عبد الله بن أمِّ مكتوم مؤذن الرسول صلوات الله وسلامه عليه. وعبد الله بن أم مكتوم مكي قرشي تربطه بالرسول عليه الصلاة والسلام رحِم ، فقد كان ابن خال أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضوان الله عليها ، أما أبوه فقيس بن زائدة وأما أمه فعاتكة بنت عبد الله ، وقد دعيت بأم مكتوم لأنها ولدته أعمى مكتوماً. شهد عبد الله بن أم مكتوم مطلع النور في مكة فشرح الله صدره للإيمان وكان من السابقين إلى الإسلام ، عاش ابن أم مكتوم محنة المسلمين في مكة بكل ما حلفت به من تضحية وثبات وصمود وفداء وعانى من أذى قريش ما عاناه أصحابه وبلا من بطشهم وقسوتهم ما بلوه ، فما لانت له قناة ولا فترت له حماسة ولا ضعف له إيمان وإنما زاده ذلك استمساكاً بدين الله وتعلقاً بكتاب الله وتفقهاً بشرع الله وإقبالاً على الرسول صلوات الله وسلامه عليه. وقد بلغ من إقباله على النبي الكريم صلى الله عليه وسلم وحرصه على حفظ القرآن العظيم أنه كان لا يترك فرصةً إلا اغتنمها ولا سانحةً إلا ابتدرها ، بل كان إلحاحه على ذلك يغريه أحياناً بأن يأخذ نصيبه من الرسول صلى الله عليه وسلم ونصيب غيره. وقد كان الرسول صلوات الله عليه في هذه الفترة كثير التصدي لسادات قريش شديد الحرص على إسلامهم فالتقى ذات يوم بعتبة بن ربيعة وأخيه شيبة بن ربيعة وعمرو بن هشام المكنى بأبي جهل وأمية بن خلف والوليد بن المغيرة والد سيف الله خالد. وطفِق يفاوضهم ويناجيهم ويعرض عليهم الإسلام وهو يطمع في أن يستجيبوا له أو يكفّوا أذاهم عن أصحابه ، وفيما هو كذلك أقبل عليه عبد الله بن أم مكتوم يستقرئه آيةً من كتاب الله ويقول: يا رسول الله علمني مما علمك الله! فأعرض الرسول عنه وعبس في وجهه وتولى نحو أولئك النفر من قريش وأقبل عليهم أملاً في أن يُسلموا فيكون في إسلامهم عز لدين الله وتأييد لدعوة رسوله. وما إن قضى رسول الله صلوات الله عليه حديثه معهم وفرغ من نجواهم ، وهمّ أن ينقلب إلى أهله حتى أمسك الله عليه بعضاً من بصره وأحس كأن شيئاً يخفق برأسه (يضرب رأسه) ثم أنزل عليه قوله: (عَبَسَ وَتَوَلّى * أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى*أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى * أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلاَّ يَزَّكَّى* وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى * كلا إِنهَا تَذْكِرَةٌ * فَمَن شاءَ ذَكَرَهُ * فى صحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ * مَّرْفُوعَةٍ مُّطهَّرَةٍ * بأيدي سفره * كرام بررة). ست عشرة آية نزل بها جبريل الأمين على قلب النبي الكريم صلى الله عليه وسلم في شأن عبد الله بن أم مكتوم لا تزال تتلى منذ نزلت إلى اليوم وستظل تتلى حتى يرث الله الأرض ومن عليها ومنذ ذلك اليوم ما فتىء الرسول صلوات الله عليه يكرم منزل عبد الله بن أم مكتوم إذا نزل ويدني مجلسه إذا أقبل ، ويسأله عن شأنه ويقضي حاجته

ولا غرو أليس هو الذي عوتب فيه من فوق سبع سماوات أشد عتاب وأعنفه. ولما كلبت (اشتدت عليهم وألحت في أذاهم) قريش على الرسول والذين آمنوا معه واشتد أذاها لهم أذن الله للمسلمين بالهجرة فكان عبد الله بن أم مكتوم أسرع القوم مفارقة لوطنه وفراراً بدينه فقد كان هو ومصعب بن عمير أول من قدم المدينة من أصحاب رسول الله ، وما إن بلغ عبد الله بن أم مكتوم يثرب حتى طفق هو وصاحبه مصعب بن عمير يختلفان إلى الناس ويقرآن القرآن ويفقهانهم في دين الله).هـ. ولكنّ موقف ابن أم مكتوم في موقعة القادسية يختلفُ حيث إنه برز يومها لابساً درعَه مستكملاً عُدته ، وندب نفسه لحمل راية المسلمين والحِفاظ عليها أو الموت دونها. والتقى الجمعان في ثلاثة أيام. وفي اليوم الثالث وُجد صريعاً معانقاً الراية! فأعجبني الموقفُ فأنشدتُ من شعري أقول:)

لـــم يُحوّلـــه - عـــن الغـــزو - العمـــى ... إنمـــا الإيمـــانُ - فـــي القلـــب - اســـتمى

مـــنهجٌ - فـــي البـــذل - يُغـــري مُعجبـــاً ... وتفـــــان قـــــد تُروّيـــــه الـــــدّما

وعطـــــاءاتٌ غلـــــتْ أثمانهـــــا ... عنـــــد رب النـــــاس ترجـــــو المَغنمـــــا

مِـــن أولـــي الضـــر ، وهـــذا عـــذرُه ... يُبصِـــــر الـــــدنيا فضـــــاءً مُظلمـــــا

ثـــــم يمضـــــي لملاقـــــاة العِـــــدا ... يحمـــــلُ الرايـــــة ليثـــــاً ضـــــيغما

لـــم يكـــن يخشـــى حُســـاماً مُشـــهراً ... أو ســـهاماً قـــد رماهـــا مَـــن رمـــى

رابـــضَ الجـــأش احتفـــالاً بـــالوغى ... وإلـــى الهيجـــا ســـعى ، مـــا أحجمـــا

راكبـــاً خيـــلَ التســـامى للعُـــلا ... بائعـــاً نفســـاً ومـــالاً والحِمـــى

مُرْخِصـــاً أهـــلاً وروحـــاً مـــا غلـــتْ ... عنـــده يومـــاً علـــى رب الســـما

ورحـــى الحـــرب لقـــد دارت علـــى ... طغمـــة الفـــرس ، فبـــاتوا كالـــدُمى

وأرى (كســـرى) بعينـــيْ رأســـه ... مِـــن جنـــود الحـــق يومـــاً أيومـــا

فـــانتحى بالجنـــد مِـــن خلـــف الرُبـــا ... وبِـــوادٍ - فـــي المجاهيـــل - احتمـــى

ولعبـــد الله فـــي النصـــر يـــدٌ ... إنـــه - بالرايـــة الفضـــلى - اســـتمى

قـــد رواهـــا بـــدِما شُـــريانه ... عنـــدما اشـــتاقت لمَـــا يـــروي الظمـــا

يـــا صـــريعَ الرايـــة العصـــماء ثـــقْ ... أن أجـــرَ الســـعي - فـــي المـــأوى - نمـــا

لفظته الأرض

(روى البخاري عن أنس - رضى الله عنه - قال: كان رجل نصراني فأسلم. فكان يقول: لا يدري محمد إلا ما كتبتُ له. فأماته الله ، فدفنوه فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فعلُ محمد وأصحابه ، لمّا هرب منهم نبشوا عن صاحبنا فألقوْه ، فحفروا له وأعمقوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فقالوا: هذا فعل محمد وأصحابه ، نبشوا عن صاحبنا لمّا هرب منهم فألقوه خارج القبر. فحفروا له وأعمقوا في الأرض ما استطاعوا ، فأصبح وقد لفظته الأرض ، فعلموا أنه ليس من الناس ، فألقوه".هـ. وللحديث رواية شبيهة عن أنس عند أحمد في مُسنده. عن ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى: {إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ}. قال: المستهزئون الوليد بن المغيرة والأسود بن عبد يغوث الزهري والأسود بن عبدالمطلب أبو زمعة والحارث بن عبطل السهمي والعاص بن وائل! فأتاه جبريل عليه السلام ، فشكاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأراه الوليد بن المغيرة ، فأومأ جبريل إلى أبجله (عرق في ذراعه) فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته! ثم أراه الأسود بن المطلب فأومأ إلى رأسه قال: «ما صنعت؟» قال: كفيته! ثم أراه الحارث بن عيطل السهمي ، فأومأ إلى بطنه ، فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته! ومر به العاص ابن وائل فأومأ إلى أخمصه ، فقال: «ما صنعت؟» قال: كفيته. فأما الوليد بن المغيرة فمر برجل من خزاعة وهو يريش نبلاً له فأصاب أبجله فقطعها وأما الأسود بن المطلب فعمي ، وأما الأسود بن يغوث الزهري فخرد في رأسه قروح فمات منها وأما الحارث بن عيطل فأخذه الماء الأصفر في بطنه ، حتى خرج من فيه فمات منها ، وأما العاص بن وائل فبينما هو كذلك يومًا إذ دخل في أخمصه شبرقة (نبات له شوك) حتى امتلأ منها. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن أبا جهل قال: هل يعفر محمد وجهه فيكم بين أظهركم؟ يستهزئ بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم. فقيل له: نعم. قال: واللات والعزى إن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته ، ولأعفرن وجهه في التراب. فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي زعم ليطأ عنقه ، قال: فما فجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيده. فقالوا له: مالك؟ قال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار، وهولاً وأجنحة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضوًا عضوًا». وعن ابن عباس رضي الله عنه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه ، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «لو فعله لأخذته الملائكة». قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}. قال ابن كثير: "أي بلغ رسالتي وأنا حافظك وناصرك ومؤيدك على أعدائك ومظفرك بهم ، فلا تخف ولا تحزن لن يصل أحدٌ منهم إليك بسوء. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان النبي صلى الله عليه وسلم يُحرس حتى نزلت هذه الآية: {وَاللّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}. فأخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال لهم: «يا أيها الناس انصرفوا ، فقد عصمني الله». فلمّا طالعتُ هذه الأخبار تعجبتُ جداً ، وترجمتُ تعجبي شعراً ، فأنشدت في ذلك من شعري أقول:)

لفظتـــــه الأجـــــداثُ لفظـــــاً مُبيـــــرا؟ أم أبـــــى الجثمـــــانُ المُسَـــــجّى القبـــــورا؟

قصـــــة تُـــــزري بالخيـــــال ، وتسْـــــبي كـــــل عقـــــل ، والـــــذكرَ والتفكيـــــرا

فـي (الصـحيح) ، ليسـت عُصـارة فكـر ... كـي تقولـوا: قيلـتْ ريـاءً وزورا

أو تقولـوا: سـيقتْ بغيـر دليـل ... واسـتمرّتْ تُـروى اعتباطـاً دُهـورا

كيـف يُلقـي القبـرُ الـدفينَ انتقامـاً؟ ... إن هـذا أمـرٌ يَـؤزّ الشـعورا

أي قبـر قـد ضـاق ذرعـاً بمَيْـتٍ؟ ... احْـكِ لـي مِـن أشـباه هـذا نظيـرا!

دونـك التـاريخ الـذي لا يُـداجي! ... والعقـولُ حتمـاً تقـيسُ الأمـورا

قلـتُ: كـلا ، لمّـا تُصـيبوا بتاتـاً ... وافتـريتم مـا يسـتثير الضـميرا

أسـلمَ العبـدُ ، فـيم حَبْـكُ التجنـي؟ ... والأغـاليط كـم تـذرّ الشـرورا!

والأكاذيـبُ كـم تسـوقُ البلايـا ... نحـو عبـدٍ حتـى يلـوك الثبـورا!

آمـنَ العبـدُ - بالمليـك - إلهـاً ... وبـدين الإسـلام دينـاً مُنيـرا

والنبـيِّ المختـارِ (أحمـدَ) قطعـاً ... شـاهداً ثـم مُنـذراً وبشـيرا

ورسـولاً للعـالمين جميعـاً! ... للحيـارى يهـدي الهُـدى والنـورا

فلمـاذا بعـد الصـعود التـردي؟ ... كيـف يغـدو الحُـر الطليـقُ أسـيرا؟

خصّـك المـولى بالضـياء لترقـى ... فلمـاذا تسـتعذبُ الـدَيجورا؟

كيـف تهجـو نبينـا يـا وضـيعا؟ ... هـل وضـيعٌ يهجـو البشـيرَ النـذيرا؟

هـل تسـاوَى عبـدٌ حقيـرٌ ومَلْـكٌ ... كـي نـرى صُـعلوكاً يُلاحـي الأميـرا؟

كيـف تهـذي لكـي تـذمّ نبيـاً؟ ... إن لفـظ الـدعوى يفـوقُ الصـخورا

ثـم مِـت ، والمنتهـى فـرضُ عَـين ... فـإذا اللحـدُ يَلفِـظ المقبـورا

قـائلاً: مُرتـدٌ ، خـذوه بعيـداً ... لسـتُ أهـوى هـذا الخـؤونَ الكفـورا

إننـي - عـن إيوائـه - لسـتُ أرضـى ... وبـذا أرضـيتُ اللطيـفَ الخبيـرا

الحياة أخذ وعطاء

(أوردنا إجمالاً في مقدمة قصيدة (تغير الحالُ أم الخال؟) ، أن العطاء بين الناس عطاءان (عطاء المستغني وعطاء المنتظر أو المقايض). وإنْ هي إلا وجهة نظر لم أقع عليها عند أحدٍ من السابقين ولا من اللاحقين. ولو كان ذلك كذلك لأوردتُ اسمه هنا ، وخلصتُ من حظ نفسي ومن تبعة احتمال كلامي للخطأ. فأما عطاء الكُبَراء وذوي المال والجاه والثراء فهو الذي عنيتُ بعطاء المستغني. فالجواد الكريم يُعطِي ولا يتوقع ردّ العطاء بعطاءٍ مثله فضلاً عن أن يكون أفضل منه ، لعِلمه مُسَبقاً بعدم قدرة المُهدى إليه على فعل ذلك. كما أنه يطمح دائماً إلى التفرّد في العطاء والمنح والإهداء. وإن تكلف المهدى إليه وحاول رد جميل هذا النوع الكريم المستغني من الناس فإنه يكون قد أهانه من وجهة نظره! وتكفي مثل هذا النوع من الأجاويد الكرام أن نقول له: (شكراً وجزاك الله خيراً)! وخيراً هنا نكرة في سياق العموم ، فهي تستوعب كل أنواع الخير. وكأن قائلها يقول له: إن كنتَ قد أكرمتني بخيرك فعند الله الخير كله بجميع أنواعه ، وهو سبحانه القادر على ردّ جميلك عليّ. ويصدق هذا ما قاله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (من قال لأخيه: جزاك الله خيراً فقد أجزل له العطاء). وأما النوع الثاني من العطاء فهو عطاء المنتظر رد الجميل. وهذا النوع عليه أغلب الناس الذين تقوم فلسفتهم على أن الحياة أخذ ورد ، منفعة هي وكذلك انتفاع. وعندما يعجز من يهدى إليه رد الجميل فإنه يكون قد أجزل العطاء إذا اعترف بالفضل لأهله ودعا لهم بـ (جزاكم الله خيراً). أما أن ينتفع سين أو صاد من الناس بخير الصحبة ، ويقيم حياته على الأخذ دون العطاء مع استطاعته ، فهذه أنانية قذرة منتبذة لا يقبلها العقل السليم. وذات يوم تلقيت رسالة من أخ عزيز وصديق حميم لا نزكيه على الله ، وإنما نحسبه هكذا وهو الأستاذ / سمير خميس ، راح يسألني أن آخذ منه ما أريد من المال ، فلقد جاءه فضل مال ولله الحمد. فتوقفتُ عند الرسالة طويلاً ، ورحتُ أقرأها مراتٍ ومرات. إذ إن الرسائل في عمومها تطلب المال أو ما ساواه. لكن هذه تعرض المال على من يريد. واتصلت به بعد حين لأثبت لعل التعبير خانه ، لأن ذوي الحاجات الذين أنا واحد منهم دائماً يخونهم التعبير! ففي مثل هذه الحالات يكون منهم ما كان من الذي أخطأ من شدة الفرح فقال: (اللهم أنت عبدي وأنا ربك!) فلما اتصلتُ أخبرني بأنه يقصدها. وكنتُ في حاجةٍ إلى شهم يُقرضني بعض المال ، وعدمتُ ذلك الشهم على كثرة مَن أعرفُ من الذين يعبدون المال ، والمهم أنني اقترضت من الأخ سمير ما لم أكن أتوقع ، ودعوتُ له ومازلت أدعو ، أن يُيَسر الله له ويوسع عليه وعلى أهل بيته ، ويرزقه من حيث لا يحتسب ، ووجدتني أنشد في ذلك من شعري فأقول:)

لـك السـبقُ فـي الإكـرام يـا خِيـرة الصـحبِ ... فأغنـاك ـ طـولَ الـدهر ـ مِـن فاقـةٍ ربـي

وأبقـاك ذخـراً للصـحاب ونجـدة ... ولا عشـت يومـاً فـي لظـى موقـفٍ صـعب

وأبـدلك المـولى ـ مِـنَ الضـيق ـ فرْجـة ... ومِـن عُسـرةٍ يُسـراً لمنفعـة الركـب

وعافـاك ممـا نـال غيـرك مِـن أذى ... وصـبّ علـيكم خيـره غايـة الصـب

وأعطـــاك مـــا لـــم تحتســـبْه لحيظـــة ... علـــى مـــا تجـــودُ اليـــومَ طوعـــاً علـــى الصـــحب

رســـالتك العصـــماءُ هـــزتْ خـــواطري ... فـــدفتْ لهـــا الأشـــواقُ فـــي الـــنفس والقلـــب

وداعبـــتِ الآمـــالَ فـــي روح شـــاعر ... فأنشـــد فيهـــا الشـــعرَ مِـــن باعـــثِ الحـــب

فقـــد فاجـــأتني بالتحايـــا وبـــالمُنى ... وبالشـــيء فـــي الأوهـــام ، أو عـــالم الغيـــب

فهـــل كـــان حُلمـــاً أن أطـــالع مـــا بهـــا؟ ... أم احتـــارتِ الأحـــلام إذ أقبلـــت صـــوبي؟

تأملتهـــا فـــي التـــو أســـبُرُ غوْرَهـــا ... فألفيتهـــا تجتـــث مِـــن داخلـــي كربـــي

وأســـلوبُها عَـــفُ العبـــارة وادعٌ ... وألفاظهـــا الشـــهباءُ تأخـــذ باللـــب

إلـــى كـــل معـــروفٍ تنـــاهى ســـياقها ... فكاتبُهـــا الميمـــونُ مِـــن رفقـــة الـــدرب

مَحَـــكّ تلاقينـــا الكتـــابُ وسُـــنة ... وحـــبٌ علـــى نـــور وتقـــوى مِـــن الـــرب

وكنـــا تناصـــحْنا بكـــل صـــراحةٍ ... وكـــلٌ هَـــدَى للحـــق خِـــلاً بـــلا ريـــب

وكنـــا تعاملنـــا بأســـمى نزاهـــةٍ ... وشِـــدْنا بـــلا زيـــفٍ ، وقلنـــا بـــلا كِـــذب

وذدْنـــا عـــن الـــدين الحنيـــف تعبـــداً ... وسِـــرنا بـــلا كـــدٍ ، وعُـــدنا بـــلا نصـــب

وكـــم كـــان حـــولي مِـــن رفـــاق وشِـــلةٍ ... فـــذو خصـــلةٍ تُـــزري بحُـــر وذو عُجْـــب

ومـــا اختـــرتُ إلا أنـــت خِـــلاً مُســـامراً ... يُبـــادلني حـــب الصـــديق بـــلا إرب

وإمّـــا ارتكبـــتُ الـــذنبَ آســـى ترهّلـــي ... بأخـــذٍ علـــى الأيـــدي لأخلـــص مـــن ذنبـــي

واســـأل بـــرأس الخيمـــة الصـــحب كلهـــم ... يُجيبـــوك أن الجـــد فـــي العـــيش مِـــن دأبـــي

لـــذلك مـــا اختـــرتُ الكســـالى صَـــحَابة ... وحســـبي مِـــن الهلكـــى مُجـــاملتي ، حســـبي

ويكفـــي (ســـمير بـــن الخمـــيس) مُنادمـــاً ... لتقـــويم مُعْـــوج ، وتخليـــة العيـــب

وما تخفي صدورهم أكبر

(الأصل في إبداع أي مبدع أن يعلم الناس إبداعه كاملاً بكل أمانة وحيدة علمية ، مادام ذلك الإبداع لا يخالف الحق والعدل والقيم الأصيلة والأخلاق الفاضلة. ولكن أن يعلن للناس جُزء من إبداع مبدع ما ، ويهمل الجزء الآخر لأنه يخالف أهواء الطابعين ، فهذا ينافي الأمانة والحيدة العلمية البحتة ، بل ويجافي الموضوعية في نشر العلم والفكر والأدب على الناس. وهذا كثير عندنا نحن الشرقيين! وكنتُ أظنه ممتنعاً تماماً عند أولئك الغربيين ، فإذا بي أقع على شيء منه يدل على خبث النوايا وسوء المقاصد ، ويدل على أن العدوى إما سرتْ منا إليهم أو العكس. والتحريف والانتقاض وهضم الحقوق وتزييف الحقائق ، كل ذلك وما شابهه مِلة واحدة. والقائمون عليه هنا كالقائمين عليه هناك ، وإن اختلفت الأسماءُ والمسميات. والتاريخ لكل منهم بالمرصاد. وفي عصر المعلوماتية والثورة المعرفية والبركان الثقافي يكون صعباً جداً ممارسة مثل هذا النوع من القرصنة! وكل مبدع تم إخفاء شيء من إبداعه سوف يظهر ما أخفى ليعلمه الناس. وفي مجلة (دبي الثقافية - العدد 80 - صـ24) أورد أستاذنا الكتور أحمد سلامة ما يؤيد هذه الفكرة ، وتحت عنوان: يقول نصياً: (النقاد الغربيون يتجاهلون عمداً صفحات من أدب جوته لأنها تمتدح الأدب العربي ، وتحت هذا العنوان أيد الدكتور فكرته بأدلة فقال: - ولد جوته في مدينة فرانكفورت في الثامن والعشرين من شهر أغسطس (1749م) ، وتوفي في الثامن والعشرين من شهر مارس عام (1832) ، وترك بعد موته إرثاً أدبياً وشعرياً ومسرحياً لم يتركه أحد من قبله. وما يهمنا من أدبه: أنه تأثر بالأدب العربي والإسلامي تأثراً كبيراً ، وألف كتاباً بعنوان: (الديوان العربي الشرقى) واستخدم كلمة ديوان وهي كلمة عربية وليس لها أية أصول في اللغة الألمانية. ولقد درس أدباء ومثقفو ومفكرو ونقاد الغرب أدب جوته من شعر ومسرحيات ونثر ، وخصوصاً كتاب الديوان العربي الشرقي (فوصلوا إلى قرار بأن جوته يعتبر من أعظم مفكري ومبدعي العالم مع الشاعر الإغريقي (هوميروس) الذي ألف الإلياذة ، و (دانتي) الإيطالي الذي ألف الكوميديا الإلهية ، والشاعر البريطاني وليم شكسبير. ويعتبر كتاب (الديوان العربي الشرقي) من أفضل ما كتبه جوته! وعلى مدى أكثر من قرنين من الزمان وهذا الكتاب مَحط إعجاب الأدباء والمثقفين والمفكرين الغربيين ، حيث تمت ترجمته إلى عدة لغات منها الإنجليزية والأسبانية والروسيه والبرتغالية ، ولكن أحداً من هؤلاء الأدباء والمثقفين الغربيين ، لم يتطرق أو يشر إلى (40) صفحة في الكتاب ، كانت تتكلم عن اللغة العربية والأدب العربي ، وبقيت هذه الصفحات عمداً طى الكِتمان حتى جاءت الكاتبة الألمانية (كاترينا مومزن) التي درسة علاقة جوته بالإسلام واللغة العربية ، فكان عليها أن تقرأ كتاب (الديوان العربي الشرقي) الذي ألفه جوته فوجدت أن الـ (40) صفحة موجودة في الكتاب لم يتطرق إليها أحد. وهنا ركّزت (مومزن) على فحوى هذه الصفحات الأربعين لتعرف لماذا تم تجاهلها ، فوجدت أن جوته أفرد هذه الصفحات ليقول فيها ، إن اللغة العربية هي أفضل اللغات في العالم ، وإن الأدب العربي يعد الأفضل في العالم لأنه يعتمد على اللغة المستمدة من القرآن الكريم. ويبرهن جوته لماذا سيبقى الأدب العربي الأفضل في العالم ، حيث يقول بأن الأدب العربي يعتمد على معين لا ينضب من معاني اللغة العربية لأنها مستمدة من القرآن الكريم ، الذي هو كلام الله ، وتأملوا معي والكلام لجوته عندما يقول أديب أو شاعر هذه الآيات الكريمة الموجودة في

سورة "طه" في القرآن الكريم وهي (رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي). وكذلك الآية الكريمة في السورة نفسها وهي: (فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يُقضى إليك وحيه وقل ربي زدني عِلما). فهذا الكلام العظيم الذي هو النبع الصافي للغة العربية ، والتي هي لغة الأدب العربي تجعل من الأدب العربي أدباً متميزاً ، لأنه يعتمد على لغة متميزة وهى لغة القرآن ، وسيبقى هذا الأدب متميزاً مادام يُكتب باللغة العربية ، ومادام القرآن موجوداً ، وبما أن القرآن سيبقى موجوداً فإن الادب العربي سيستمر في تميزه ولن يصاب بالركاكة التي يُصاب بها الكثير من أنواع الآدب الأخرى ، والأهم من ذلك كله أنه لن يشيخ وسيبقى أدباً شاباً يقال حتى لو مر عليه آلاف السنين. وتقول (مومزن) لهذا السبب تم إغفال الأربعين صفحة في أدب جوته ، والإغفالُ هنا كان متعمداً ، لأن ترجمة الأربعين صفحة هذه تعني دعاية للدين الإسلامي وللقرآن وللغة العربية وللأدب العربي ، وهذا لا يرضي الكثيرين من أدباء ونقاد ومفكري الغرب. وتضيف: إن من يريد أن يكتب عن جوته عليه أن يشير إلى ما كتبه سواء أعجبنا ذلك أم لا ، وإلا لن نكون منصفين في طرحنا لأي قضية أدبية مادمنا نتجاهل الآخر ، وأدبه وثقافته. وكتاب (هجرة) وهو الكتاب الثاني الذي ألفه جوته ، وفي هذا الكتاب وفقا لـ (مومزن) استخدم جوته كلمة هجرة وهي تشير إلى هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى المدينة ورحلته تلك ، وفي هذا الكتاب يقول جوته أنه درس اللغة العربية وآدابها وقرأ القرآن الكريم وأنه كان يردد الكثير من الآيات القرآنية خصوصاً الآيات سابقة الذكر حتى يشرح الله صدره وييسر أمره ويحلل عقدة من لسانه ، وحتى يزده الله عِلماً على علم وكان كتاب (هجرة) الخطوة الأولى نحو مسرحية بدا جوته بتأليفها وكانت تحمل الاسم نفسه. وكتاب (الحكم) وهو الكتاب الثالث لجوته يحمل اسم أحد أسماء الله الحسنى ، وفي هذا الكتاب يتحدث جوته عن عظمة الإسلام وكيف أنه لا يفرق بين ضعيف وقوي أو غني وفقير أو أبيض وأسود ، مستشهداً بقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير) وقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) (لا فرق بين عربي ولا أعجمي إلا بالتقوى). ويقال بأن جوته كان يقرأ كل يوم وليلة آيات من القرآن الكريم ، وأنه كان يحتفل بليلة القدر مع مسلمي روسيا الذين كانوا يعيشون في ألمانيا. وألف جوته كتاب (فاوست - Faust) ليتحدث فيه عن شعراء العرب مثل المتنبي والبحترى وامرئ القيس وعنتره بن شداد وطرفة بن العبد وزهير بن أبي سلمي ، وضمن صفحات الكتاب أبياتاً من أشعارهم. لقد أغفل النقاد والأدباء في الغرب عمداً أربعين صفحة من كتاب (الديوان العربي الشرقي) ولكن مهما حاولوا طمس الحقيقة سيأتي منهم من يكشفها. وإني أؤيد ما ذهب إليه الدكتور أحمد سلامة. ومن هنا أنشدت!)

انصبوا للفِكْر - يا حمقى - الكمينْ ... واخنقوا الآراء بالحقد الدفينْ

زيّفوا التاريخ عمداً ، وادعوا ... أن بالأحداث - مسّات - الجنون

وانسجوا الزور ، فأنتم أهله ... عندكم أغنت عن الحق الظنون

كم تجاهلتم كتاباتٍ سَمَتْ ... وأبانت هدي رب العالمين!

مـــــدحتْ بـــــالخير أصـــــفى مُرســـــل ... ســـــيد الخلـــــق إمـــــام المرســـــلين

كـــــم تحـــــديتم مقـــــالاتٍ رأتْ ... فـــــي هُـــــدى إســـــلامنا النـــــور المبـــــين!

ثـــــم سَـــــفهتم نهـــــى أصـــــحابها ... بـــــالكلام الغـــــث واللفـــــظ المشـــــين

فهـــــل التـــــاريخ أدلـــــى دلـــــوه ... فـــــي الـــــذي خضـــــتم ، وداجـــــى مَـــــن يخـــــون؟

وهـــــل الكيـــــد اســـــتمرّت نـــــاره ... تحـــــرقُ الحـــــق بأشـــــواظ الطعـــــون؟

أم رجعـــــتم يـــــا غـــــواة القهقـــــرى ... عنـــــدما الحـــــق محـــــا بـــــأسَ الفتـــــون؟

وإذا التـــــاريخ يفـــــري مَكـــــرَكم ... باجتهـــــاداتٍ رآهـــــا المنصـــــفون

نقبـــــوا فـــــي كُتْـــــب قـــــوم ألفـــــوا ... وخصوصـــــاً مَـــــن مَضَـــــوْا فـــــي الغـــــابرين

بحثـــــوا عـــــن كـــــل فحـــــوى غيبـــــتْ ... واســـــتمرّ البحـــــث ردحـــــاً مِـــــن سِـــــنين

فـــــإذا بالجهـــــد يـــــؤتي أكْلـــــه ... باكتشـــــافاتٍ هـــــي الصـــــيد الثمـــــين

وإحـــــالاتٍ لهـــــا مضـــــمونها ... تنشـــــرُ النـــــور ، وتجتـــــث الـــــدجون

تُظهـــــرُ الحـــــق فيُســـــتهدي بـــــه ... فـــــي ديـــــاج آنســـــتْ جـــــري الســـــنين

وتُجلـــــي للـــــورا مَـــــن حرّفـــــوا ... فأبـــــانوا كـــــل مـــــا خـــــط (اســـــتالين)

ثـــــم لـــــم يُخفـــــوا حروفـــــاً صـــــاغها ... مِـــــن عقـــــودٍ - فـــــي قـــــراطيس - (لينـــــين)

وأضـــــاعوا كـــــل إرثٍ عـــــادل ... مـــــدحَ الإســـــلامَ والـــــروحَ الأمـــــين

أو رأى (الضـــــاد) غِياثـــــاً صـــــيّباً ... لغـــــة عظمـــــى لهـــــا الـــــذكرُ مَعـــــين

لغـــــة تســـــمو علـــــى كـــــل اللغـــــا ... ولهـــــا شـــــعرٌ نقـــــيٌ مُســـــتبين

أيهـــــا الأوغـــــادُ ، مـــــا أحقـــــرَكم! ... غِشـــــكم يومـــــاً يُذرّيـــــه اليقـــــين

والـــــذي تخفـــــي الصـــــدور هالـــــكٌ! ... كيـــــدكم مهمـــــا ازدهـــــى كيـــــدٌ وَهـــــين

إن يكـــــنْ أغرتـــــه ســـــوآى حالنـــــا ... فمليـــــك النـــــاس ذو كيـــــدٍ مَتـــــين

عَجَلة الشعراء

(إن كثيراً من الشعراء المبتدئين لهم عجلة كبيرة تفوق الخيال والوصف! فما إن يشعرْ أحدهم ببدء استشعاره ، حتى يخلع على نفسه وصف (شاعر) ، ويحمل الناس على أن يلقبوه به ، ومع أنه لا يزال في بداية طلبه للشعر ، ولم يتقن بعدُ علوم الشعر المتعددة من: (وزن وقافية وبيان وبديع وفصاحة وبلاغة ومعان واشتقاق ، فضلاً عن علوم العربية الأخرى المتصلة بالشعر اتصالاً مباشراً من نحو وصرف). ويُضاف إلى ذلك كله أنه لم يطلع أصلاً على شعر من سبقوه ولا من عاصره من الشعراء. وهذا الأمر في غاية الأهمية (حفظه أو اطلاعه ودراسته لشعر الآخرين)! وعلاوة على كل ما سبق ثقافة الشاعر ، فإنه ينبغي للشاعر أن يكون مُلِماً بثقافات عديدة ومعلومات كثيرة حول الحياة والتاريخ والمِلل والنِحل والأمم الغابرة والحاضرة! وذلك لتكون هذه الثقافات المختلفة مادة من مواد شعره ومكوناً من مكوناته! وأضم صوتي لصوت أستاذنا الدكتور محمود فاخورى حيث أورد في مجلة (الأدب الإسلامى – عدد 69 ص - 70) ما نصه: (جاء في كلام أحد الأئمة: "اركب الآذيّ تشرب الماذي"! أما الآذيّ فمعناه موج البحر وأما الماذيّ فهو العسل. والمعنى في هذا العبارة واضح ، وهو يقوم على الإصرار على مواجهة صعوبات الحياة من أجل تحقيق الغايات المنشودة والحصول على الراحة التامة! ومن أجل صعوبة العلم أو الأدب ، كان العلماء والأدباء من السلف ومن سار على نهجهم من الخلف يتوسلون إليه بركوب الخطر ومعاناة السفر وإدمان السهر وكثرة النظر وإعمال الفكر! وبذلك كله ارتفع ذكرهم وعلا صيتهم ولمعت نجومهم على مدى الأيام. وعلى سبيل المثال خذ الشعراء الفحول من أمثال أبي تمام الطائي والبحتري وابن الرومي والمعري وأبي نواس وغيرهم. أتظن أن أحدهم وصل إلى ما وصل بالراحة والنوم؟ أم أصبح شاعراً مجيداً بحفظه للأشعار وإدمان النظر فيها واقتناصه شواردها وكثرة مخزونه منها؟ هذا أبو نواس يقول: "ما قلتُ الشعر حتى حفظتُ شعر ستين امرأة فضلاً عن الرجال" . وروي أن أبا تمام الطائي قال عن نفسه: "لم أنظِم الشعر حتى حفظتُ سبعة عشر ديواناً للنساء خاصة دون الرجال". وكان أبو تمام هذا يحفظ أربعة عشر ألف أرجوزة غير القصائد والمقاطيع ، أما أبو الطيب المتنبي فقد كان من المكثرين من نقل اللغة والمطلعين على غريبها ولا يُسأل عن شيء إلا استشهد فيه بكلام العرب من النظم والنثر وتفوّق عليه المعري في ذلك. فأين "شعراؤنا" اليوم من أولئك الشعراء وأمثالهم؟ وكم بيتاً من الشعر يحفظون أو حفظوا قبل أن ينظموا أنفسهم في سلك "الشعراء"؟ ولا أقول: كم قصيدة يحفظون من عيون الشعر العربي؟ حكي أن الأديب الكبير أبا بكر الخوارزمي قصد حضرة الصاحب بن عباد الوزير الأديب فلما وصل إلى بابه قال لأحد حُجّابه: قل للصاحب: على الباب أحد الأدباء وهو يستأذن في الدخول فقال الصاحب: قل له: قد ألزمتُ نفسي أن لا يدخل عليّ من الأدباء إلا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب فخرج إليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال أبو بكر: ارجع إليه وقل له: هذا القدر من شعر الرجال أم من شعر النساء؟ فدخل الحاجب وأعاد عليه ما قال ، فقال الصاحب: هذا يكون أبا بكر الخوارزمي ثم أذن له في الدخول ورحب به وأكرمه. وذكر ابن قتيبة في كتابه "الشعر والشعراء" أن رجلاً مسناً من حفاظ الشعر يدعى أبا ضمضم ، جاء إليه فتيان بعد العشاء يزورونه ، فقال لهم: ما جاء بكم يا خبثاء؟ قالوا: جئناك نتحدث ، قال: كذبتم ولكن قلتم: كبر الشيخ فعسى أن نأخذ عليه سقطة ثم

أنشدهم لمئة شاعر وقيل: بل أنشدهم لثمانين شاعراً كلهم اسمه عمرو. قال الأصمعي راوي الخبر: فعددت أنا وخلف الأحمر فلم نقدر على ثلاثين ويعقب ابن قتيبة على ذلك قائلاً: "فهذا ما حفظه أبو ضمضم ولم يكن أكثر الناس رواية وما أقرب أن يكون من لا يعرفه من المسمين بهذا الاسم أكثر ممن عرفه". واجتمع ثلاثة من بني سعد يراجزون بني جعدة (أي يبارونهم في إنشاد الأراجيز يعني القصائد المنظومة على بحر الرجز) فقيل لأحد الثلاثة: ما عندك؟ قال: أرجز بهم يوماً كاملاً إلى الليل لا أعجز ولا أعياء وقيل للثاني: ما عندك ؟ فقال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا أنقطع وقيل للثالث: ما عندك؟ قال: أرجز بهم يوماً إلى الليل ولا ينفد ما عندي فلما سمع بنو جعدة كلام الثلاثة انصرفوا وعدلوا عن مراجزتهم).هـ. ويعالج الأستاذ موسى ديب الخوري هذه القضية فيقول: (كثيراً ما يتردد في هذه الأيام أن الشعر الحديث لمَّا يزل "يتلمَّس" طريقه. لكنني أعجب وأدهش لهذا المتلمِّس ، بماذا يتلمَّس؟ وماذا يتلمَّس! حريٌّ بنا أن نقرَّ بالحقيقة وأن نعترف بأن معظم شعرنا الحديث ليس شعراً ، وبأنه ليس إلا تعبيراً صادقاً وحقيقياً عن الضياع الذي نعاني منه! إني لا ألمس فيما يسمُّونه شعراً حديثاً إلا تشتتاً وضرباً من الصراع الداخلي في ذات خائفة من الانهيار! بلى ، إننا نتعذب ونتألم لأننا لسنا ندري ما الذي نريده وما الذي نبحث عنه! إن شعراء الحداثة لا يدركون الفرق بين الشاعر الذي يصبر على نتاجه ، وينتظر ويتروَّى قبل نشره ، فيعمد إلى محاكمته ونقده وغربلته ، ثم إلى مقارنته مع سيرورة تطوره وتطور فكره وشعوره ، ويتأكد أنه يعبِّر عن معنى يعتمل في كل جارحة من جوارحه ويمثِّل معاناة أوسع للبيئة المحيطة به ، وبين الشاعر المتسرِّع المنفعل الذي يتوهَّم أنه يعبِّر بشعره عن آمال الناس جميعاً وآلامهم ، وليس هو بقريب منهم ، ولا حتى يعرف معاناتهم ويشعر بها ، بل إنه لا يعبِّر إلا عن أناه التي تأبى السكون والصمت فتراه إذا ما سمع نقداً كان أصماً ، وإذا ما سمع إطراءً كان متفهِّماً منتبهاً! إن الأمر الصعب الذي يواجهنا هنا هو تأثُّر الشباب ببدعة الشعر الحديث تلك ، وإقبالهم على كتابته بكلِّ يسرٍ وعلى نشره بكلِّ حماس. إن الفرق بين الشاعر الأول والشاعر الثاني كالفرق تماماً بين من يبدع ، ثم يطرح إبداعه ، بصمت وترقب ولهفة على الآخرين ، آملاً أن يجد التجاوب لديهم ، ومن لا يبدع ويتوهم أنه يبدع ، فيفرض نتاجَه على الآخرين بكل ثقة ، معتقداً أنه لا بدَّ سيلقى تجاوباً رائعاً لأن كتابته كما يظن معاناة حقيقية وشعور صادق! يتيقَّن الشاعر الأول من إبداعه ومن عطائه لأنه عاين التجربة الداخلية أثناء كتابته ؛ بينما يثق الشاعر الثاني بنفسه وبـ"إبداعه" لأنه وجد نفسه في التيار المتَّبع السائد ، وهو بالتالي سيلقى بلا أدنى شكٍّ ما لَقِيَه غيرُه من الإطراء! إن الشاعر الأول قد بحث عن ثبات داخلي في معاناته ؛ بينما لم يبحث الثاني عن ثبات أصلاً!).هـ. وإنني لأنصح للشعراء المبتدئين أن لا يتعجلوا في أمر الطباعة وإخراج القصائد الغثة للناس قبل حبكها وسباكتها. وإلا خرج علينا كل من هب ودب بقصائد مسلوقة هي على التحقيق تقطيع وأوزان ، هذا إن صح وزنها وقافيتها وأجازها علم العروض وعلم القافية! وإذن فوصيتي: الله الله في أنفسكم وفي الناس. أقول لكل شاعر مبتدئ في الشعر: الصبر الصبر حتى تجيد ، وتتقن وتدرس!)

تعجلـــتَ حتـــى هيمنـــتْ مِحنـــةُ عُظمـــى ومَـــن عـــاب مـــا استشـــعرتَ أوســـعته ذمّـــا

وأخرجـــــتَ للـــــدنيا عزيفـــــاً مُنغمـــــاً وتحســـــبه شـــــعراً ، وتنظِمُـــــه نظمـــــا

أأتقنتَ فن الشعر حتى تصوغه ... وتصبحَ يوماً - بين أعلامه - نجما؟

أكابدت في التعليم ، حتى تجيده؟ ... ألا إن شعر العُرْب مدرسة عظمى!

قد انتظمتْ شتى العلوم ، وما اكتفتْ ... وسائلْ - عن الشعر - المَضامينَ والأسما!

فكم من بحور الشعر تدري حقيقة؟ ... وكم من أصول الفهم تفهمها فهما؟

وكم من قوافي الشعر تدركُ أصلها؟ ... وكم في مرامي الشعر تعرف من مرمى؟

وكم مرجعاً في النحو ذاكرت جاهداً ... لترجم أخطاءً - تمارسها - رجما؟

وكم مرةٍ - في الصرف - نقبت تنتوى ... إقامة مُعْوجٍّ تُزيلُ بها وهما؟

وكم يا ترى من شعر من ودّعوا تعي؟ ... وحفظ تراثِ الغير يستغرقُ العزما

وكم يا ترى حجمُ التجارب تشتهي؟ ... وإني أراها صفقة تجلب الغنما

وهل كاتبٌ مَن لا تجاريبَ عنده ... تهادى بها بين الدغاول والنعمى؟

وهل شاعرٌ من لم يُطالعْ قصائداً ... لمن عاصروا ، أو ودّعوا كي يرى الأسمى؟

رصيد الألى ماتوا تراثٌ ومَغنمٌ ... وما صاغه الأحياءُ يزدرُ الغمى

وهذي هي الساحات ملآى بجوقةٍ ... كتابتهم مَسخ ، وأحسبهم عُجْما

تعجل أقوامٌ ، فلم يتأمّلوا ... وأبصرتُ ممن خالفوا نهجهم قوما

تغنوْا بشِعر العُرْب قلباً وقالباً ... وحاكوه ما حادوا ، ولا ابتدعوا رسما

وهم قلة في الناس قلة شِعرهم ... ويغبطهم دوماً - على الجَوْدة - الدَهما

ألا ليت أهل الشعر يحذون حذوهم ... لأن سجايا الناس - من شعرهم - كلمى

فيا رب حقق أمنياتي ومأملي ... لأنى أرى هذا الذي أرتجي حُلْما!

ليت لي هذا الحلم

(معن بن زائدة قائد مسلم مؤمن عربي ، وأمير اشتهر بالحلم والكرم والشجاعة ، وهو من مخضرمي الدولتين. توفي عام 151هـ. يقال: حدّثْ عن معن ولا حرج. والأحاديث عنه كثيرة تفيض بالحكمة والعبرة والموعظة. أقتطف من أزاهير حياته في الكرم هذه الزهرة الجميلة اليانعة. وكان معن بن زائدة - رحمه الله – حليماَ. فلقد تراهن أعرابي مع آخر على مئة بعير إن هو استطاع أن يغضب الأمير معن بن زائدة ، فسار إليه الأعرابي ، ودخل عليه بلا استئذان وذلك أيام إمارته وقال له ابتداء ، يُعيّره بما كان عليه في سالفات الأيام من الفقر والحاجة:-

أتـــذكر إذ لحافـــك جلـــد شـــاةٍ وإذ نعـــلاك مـــن جلـــد البعيـــرِ؟

فقال معن: أذكر ذلك ، وربي. فقال الأعرابي مذكراً إياه بنعمة ربه – سبحانه وتعالى -:

فســـبحان الـــذي أعطـــاك ملكـــا وعلمـــك الجلـــوس علـــى الســـريرِ

فقال معن: سبحان الله على كل حال. فقال الأعرابي مبكتاً أنه لن يسلم عليه إلا سلام الرجل العادى:

فلســـتُ مُسَـــلما - إن عشـــتُ - يومـــا علـــى مَعْـــنٍ بتســـليم الأميـــرِ

فقال معن: السلام سُنة تأتي به كيف شئت ، وبأي كلام شئت. فقال الأعرابي:

أميـــرٌ يأكـــلُ الفـــالوذ سِـــراً ويُطعـــمُ ضـــيفه خبـــز الشـــعيرِ

فقال معن: الزادُ زادنا. نأكل ما نشاء ، ونطعم من نشاء. فقال الأعرابي:

ســـأرحلُ عـــن ديـــار أنـــت فيهـــا ولـــو جـــار الزمـــان علـــى الفقيـــرِ

فقال معن: إن جاورتنا فمرحباً بك ، وإن رحلت عنا فمصحوب بالسلامة. فقال الأعرابي: -

فجُـــدْ لـــي يـــا ابـــنَ ناقصـــةٍ بشـــيء فـــإني قـــد عزمـــتُ علـــى المســـيرِ

فقال معن لعماله: أعطوه ألف درهم. فقال الأعرابي مستقلاً عطاء الأمير:-

قليـــلٌ مـــا أتيـــت بـــه ، وإنـــى لأطمـــع منـــك فـــي المـــال الكثيـــرِ

فـــثنّ ، فقـــد أتـــاك الله عفـــواً بـــلا رأي ولا عقـــل منيـــر

فقال معن لعماله: أعطوه ألفا أخرى. فقدم الأعرابي يقبل الأرض بين يدي الأمير ويقول: والله يا أمير المؤمنين ، ما جئت إلا ممتحناً حلمك لمَا اشتهر عنك ، فألفيتُ فيك الحلم ما لو قسّم على أهل الأرض جميعاً لوسعهم وفاض. بأبي أيها الأمير ونفسي ، فأنت نسيج وحدك في الحِلم ، ونادرة

دهرك في الجود ، فقد كنت في صفاتك بين مصدق ومكذب ، فلمّا بلوتك صغر الخُبر الخَبر، وأذهب ضعف الشك قوة اليقين ، وما بعثني على ما فعلت إلا مائة بعير جُعلت لي على إغضابك. فقال له الأمير: لا تثريب عليك! وزاد في إكرامه. ثم أنشد يدعو للأمير ويثني عليه ويُطريه قائلاً:

دعـــــوْتُ اللهَ أن يبقيْـــــك ذخـــــراً فمـــا لـــك - فـــي البريـــة - مِـــن نظيـــرِ

فمنـــــك الجـــــودُ والإفضـــــالُ حقـــــاً وفـــــيض يـــــديك كـــــالبحر الغزيـــــر

قال معن: أعطيناه ألفين على هجْونا فأعطوه على مديحنا أربعة آلاف! قال مروان بن أبي حفصة: أخبرني معن بن زائدة أن الخليفة أبو جعفر ألحّ في طلبه وأنه جعل لمن يحمله إليه مبلغًا من المال فاضطررت لشدة الإلحاح بالطلب ، أن تعرضت للشمس حتى لوحت وجهي فلبست جبة صوف وركبت جملاً وخرجت متوجهاً إلى البادية لأقيم بها ، فلما خرجت من باب حرب وهو أحد أبواب بغداد تبعني عبد أسود متقلد سيفه ، فقبض على خطام الجمل فأناخه وقبض على يدي. فقلت له: ما بك؟ فقال: أنت مطلوب لأمير المؤمنين. فقلت: ومن أنا حتى أطلب؟ فقال: أنت معن بن زائدة. فقلت له: يا هذا اتق الله أين أنا من معن. فقال: دع هذا فوالله إني لأعرف به منك! يقول معن: فلما رأيت منه الجد في الحديث قلت: هذا جوهر قد حملته ويساوي أضعاف ما وهبه المنصور لمن يجيئه بي فخذه ولا تكن سبباً في سفك دمي. فأخذه ونظر فيه وقال: صدقت في قيمته ولستُ قابله حتى أسألك عن أمر فإن أصدقتني القول أطلقتك. فقلت: تكلم. قال: إن الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت مالك كله؟ قلت: لا. قال: فنصفه أو ثلثه. قلت: لا حتى بلغ العشر ، فاستحيت وقلت: أظن أني فعلت هذا. فأجاب: وما ذاك بعظيم وأنا والله راجل ورزقي من أبي جعفر المنصور عشرين درهمًا كل شهر ، وهذا الجوهر قيمته ألوف الدنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور بين الناس ولتعلم أن في هذه الدنيا من أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقر بعد هذا كل جود فعلته ولا تتوقف عن مكرمة ثم رمى العقد وولى منصرفًا. فقلت: يا هذا والله لقد كشفت أمري ولسفك دمي أهون علي مما فعلت ، فخذ ما دفعته لك فإني غني عنه. فضحك العبد وقال: أردت أن تكذبني في مقالي ، فوالله لن آخذه ولا آخذ لمعروف ثمنًا أبدا. ومضى لسبيله وبعدها طلبته بعد أن أمنت وبذلك لمن يجئ به ما شاء فما عرفت له خبرًا وكأن الأرض ابتلعته. وورد في كتاب الذهبي (سِير أعلام النبلاء) في مادة "معن بن زائدة": (لمّا كان يوم خروج الريوندية والخراسانية على المنصور ، وحمي القتال ، وحار المنصور في أمره ، ظهر معن ، وقاتل الريوندية ، فكان النصر على يده ، وهو مقنّع في الحديد ، فقال المنصور: "ويحك! من تكون؟"، فكشف لثامه ، وقال: "أنا طِلبتك معن". فسرّ به ، وقدمه وعظمه ، ثم ولاه اليمن وغيرها. قال بعضهم : دخل معن على المنصور ، فقال له: "كبرت سنك يا معن". قال:" في طاعتك". قال المنصور: "إنك لتتجلد". قال: "لأعدائك. قال: "وإن فيك لبقية". قال: "هي لك يا أمير المؤمنين").هـ. فدهشتُ لهذا الحلم وتمنيته:

تشُـــوقُ القلـــبَ أخـــلاقُ الأميـــرِ فيرمـــــقُ طيفهـــــا كالمســـــتجيرِ

ويأخـــذ فـــي التكلـــف والتحايـــا لصـــــاحبها ، ويوشـــــك أن يطيـــــرا

ويعجـــــبُ بالمكـــــارم والســـــجايا وقـــــد أمســـــى بمَحْتِـــــدِها فخـــــورا

وتســـــبيه المناقـــــب والمزايـــــا ومَعْـــــنُ - بجلبهـــــا - أضـــــحى جـــــديرا

لـــــه - فـــــي الحِلـــــم - آيـــــاتٌ عِظـــــامٌ عليهـــــا لـــــم أجـــــدْ يومـــــاً أميـــــرا

فلـــــيس يزيـــــدُ - بالجهـــــل - انفعـــــالا بـــــل الإغـــــلاق يجعلـــــه صـــــبورا

ويـــــأتي بـــــالتحلم كـــــل حلـــــم ويجـــــزي الله صـــــاحبه الأجـــــورا

وكـــــم يســـــبي الحلـــــيمُ قلـــــوبَ جمـــــع! فيغـــــدو الجمـــــعُ مرتهنـــــاً أســـــيرا

وكنـــــتُ أريـــــدُ أن أحيـــــا حليمـــــاً ســـــليمَ القلـــــب صـــــباراً وقـــــورا

ولكـــــنْ آفتـــــي أنـــــي عَجـــــولٌ وإنْ جهـــــلَ الســـــفيهُ رأى هصـــــورا

ومـــــا لـــــي فـــــي التزلـــــف والتدسّـــــي ومَـــــن داجـــــى أتـــــى ظلمـــــاً وزورا

إذا احتـــــدم الجـــــدالُ فقـــــدتُ رشـــــدي وطاوعـــــتُ الهـــــواجسَ والغـــــرورا

وغلبـــــتُ الـــــذي نفســـــي تـــــراهُ وأقطـــــعُ أننـــــي لـــــن أستشـــــيرا

وحـــــظ الـــــنفس عنـــــدي كـــــل شـــــيء كـــــأني قـــــد غـــــدوتُ لهـــــا أســـــيرا

وفـــــي التنظيـــــر أخســـــرُ مـــــا ألاحـــــي بـــــه خصـــــمي ، فـــــأجترّ الشـــــرورا

وأبقـــــى رهـــــنَ غيظـــــي وابتئاســـــي حـــــزينَ القلـــــب مُلتاعـــــاً كســـــيرا

ويُمســـــي الخصـــــمُ فـــــي يُمـــــن وبشـــــر فـــــإن القلـــــب ممتلـــــئٌ ســـــرورا

ولـــــو أنـــــي اتخـــــذتُ الحِلـــــم نهجـــــاً وكنـــــتُ - لـــــدى التخاصـــــم - مســـــتنيرا

وصـــــاحبتُ التصـــــبر والتـــــأني وكنـــــتُ لحِلـــــم (مَعْـــــن) مُســـــتعيرا

لمَـــــا غلـــــبَ الخصـــــومُ ، ولا اســـــتبدّوا بمـــــا أرجـــــوه إذ كنـــــتُ الخســـــيرا

فليـــــت القلـــــبَ يحلـــــمُ مثـــــل (معـــــن) ليُصـــــبح خصـــــمه خِـــــلاً ســـــميرا

سارقو الأمجاد

(اعتاد كثير من المستشرقين أن ينسبوا الاختراعات إلى أهل ملتهم. فكانت سرقة للأمجاد تزري بمن سَرق وبمن سُرق منه! فإذا كان أجدادنا وأسلافنا المسروقة بضاعتهم وإنجازاتهم قد رحلوا ، فإنه دَورنا نحن في المحافظة على تراثهم ومجدهم وإسهاماتهم ومخترعاتهم في بناء الحضارة.) وفي كتابه الفذ الفريد (رسالتي إلى الأمة) يقول الدكتور زغلول النجار ص 128 ما نصه: (ومع تسليمنا بأنه في عملية تجمع المعارف البشرية المكتسبة عبر الأجيال المتعاقبة ، يضيف الأفراد كما تضيف الجماعات بقدر ما يستطيعون ، وتشترك المجتمعات المستنيرة في تهيئة الظروف الملائمة للنابهين من أبنائها في السعي وراء الحقيقة واكتشاف غوامضها ، وتسجيل حصاد جيلهم وتراث الأجيال السابقة عليهم للأجيال اللاحقة بهم ، فإنه لا يمكن – بأي حال من الأحوال – قصر المحصّلات المعاصرة لعملية تجمع المعارف البشرية عبر الأجيال المتعاقبة على أمة من الأمم أو سلالة من السلالات دون غيرها. بل لا بد من إدراك وحدة الأصول الإنسانية ، ووحدة المعرفة العلمية بين الشعوب في سلالة بشرية واحدة ، وصفها خاتم الأنبياء والمرسلين – صلى الله عليه وسلم – بقوله الشريف: (كلكم لآدم ، وآدم من تراب) ، سنن أبي داوود ، أو (الناس بنو آدم وآدم من تراب) ، مسند أحمد. ومن هنا كانت ضرورة التسليم بأن المعارف المكتسبة هي تراث الإنسانية جمعاء ، ولكن في الوقت نفسه لا بد من تحري الدقة في استعراض تدرج تلك المعارف مع الزمن ، حتى نتمكن من فهم مسيرة الحركة الفكرية والعلمية ، والتقنية عبر تاريخ البشرية الطويل ، ومن تسجيل الحق لأصحابه ، ونسبة الفضل لأهله ، حتى لا يغفل دور من الأدوار لفرد من الأفراد أو لجماعة من الجماعات ، أو لأمة من الأمم ، وحتى يكون في استقراء التاريخ شحذ للهمم ، وإحياء للنفوس ، وتحريك للقلوب من أجل مواصلة مسيرة الركب الإنساني في جهاده ، والوصول إلى الحقيقة حتى يرث الله الأرض بما عليها وبمن عليها. وقد أصبح ذلك المجال فناً قائماً بذاته ، يُعرَف باسم (تاريخ المعارف الإنسانية) ، ومن أبرز تلك المعارف ، وألصقها بدنيا الناس ، وأكثرها تأثيراً في مجرى حياتهم وفي تطور حضاراتهم: هي المعرفة في مجال العلوم البحتة والتطبيقية ، وتريخها يعرف باسم (تاريخ العلوم) لأن الاتجاه السائد يقصر لفظة (العلم) على الدراسات الكونية المشاهدة منها والتجريبية لكل ما هو محسوس أو مدرك في هذا الكون (المادة على تعدد صورها ، والطاقة على اختلاف هيئاتها ، والأحياء بكافة أنواعها ، والظواهر الكونية على تباين أشكالها وتعدد القوانين التي تحكمها) بالمشاهدة والاستنتاج ، أو بالتجربة والملاحظة والاستنتاج في محاولة لعرفة خصائص المادة والطاقة وصور الأحياء وتصنيف ذلك كله وتبويبه ، والتعرف على الظواهر الكونية التي تصاحبه ، والسنن الإلهية التي تحكمه ، ووضع الفروض والنظريات اللازمة لتفسير ذلك ، واستنتاج الحقائق والقوانين منها. ومما يؤسف له حقا أن كتابة تاريخ العلوم قد تركت في معظمها لأقلام غير المسلمين الذين أهملوا دَوْر المسلمين في نهضة البشرية ، وأنكروا أثر حضارتهم في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية بصفة عامة ، وفي مجال العلوم البحتة والتطبيقية بصفة خاصة! وتهمل تماماً الحضارة الإسلامية التي ازدهرت أيما ازدهار ، فجمعت تراث الإنسانية عبر الحضارات السابقة وفي كل اللغات المتوافرة من السنسكريتية إلى الفارسية إلى السريانية إلى اليونانية واللاتينية وغيرها. وكان هذا الجمع جمعاً أميناً موثقاً ، نسبت فيه كل

إضافة لصاحبها ، وقامت الحضارة الإسلامية بنقد ذلك التراث نقداً علمياً دقيقاً ، بعد أن قامت بترجمته إلى اللغة العربية ، وأضافت إليه إضافات أصيلة عديدة في مختلف مجالات المعرفة. وكان تراث الحضارة الإسلامية بجدارة هو القاعدة الراسخة التي انطلقت منها النهضة العلمية والتقنية المعاصرة. هذا التراث الإسلامي العظيم كثيراً ما يُغفل ، وإذا ذكر فإنما يذكر لكي يتعمد تحقرُه والاستهانة به ، لتأكيد أنه كان مجرد دور ناقل لآثار الحضارات السابقة مثل الحضارات اليونانية والرومانية والهندية والفارسية والمصرية وحضارات ما بين النهرين. وحتى في ذلك عادة ما يُركّز الكُتابُ الغربيون على النقل من الحضارة الإغريقية أكثر من النقل عن غيرها إمعاناً في التعصب العِرقي المَقيت باعتبار اليونان جزءاً من أوروبا. ليس هذا فحسب ، بل إنه في كثير من الأحيان قد تمت ترجمة بعض كتب التراث الإسلامي ، وتمت نسبتها إلى عدد من فلاسفة الإغريق وإلى غيرهم من الأوروبيين ، كما حدث في عدد من آثار كل من ابن النفيس والفارابي وابن سينا ، ومن أمثلة ذلك ما حدث مع كتاب الربوبية ومقالتي (المعادن والآثار العلوية) لابن سينا اللتين ترجمتا إلى هولميارد وماندفيل. وليس هذا فقط اللغة اللاتينية ونسبتا ظلماً إلى حتى اكتشاف الحقيقة بعد ذلك! بل تم في كثير من الأحيان بعدها مشاهير علماء المسلمين حُرّفت أسماء معطياتهم العلمية وصياغتها صياغة لاتينية ، لتفقد جذورها العربية وصلتها بالعالمين العربي والإسلامي تماماً. وذلك من قبيل التحريفات المتعمدة المقصودة! وكل عاقل فذٍ يُمْكن أن يُدرك ذلك من خلال البحث والدرس والمناظرة والتاريخ ليعرف حقيقة ما جرى! وعلى الرغم من ذلك كله ، فقد اعترف عدد من علماء الغرب المنصفين بدور الحضارة الإسلامية المشرّف في الحفاظ على تراث الإنسانيه ونقده وتطويره وإثرائه ، وذلك من مثل: (برنال) الذي كتب ما ترجمته: (إن الفضل أعظم الفضل ، للعلماء العرب في الحفاظ على التراث وتدوينه ونقله والتأليف فيه ، وإن العلماء العرب قد برعوا في ذلك ، وإنهم تفوقوا على الإغريق ، بأن جعلوا العلم سهلاً مستساغاً ، فأقبل الناس على النهل منه وكانت ميزة انفرد بها العلم العربي). ومن مثل قول (كاربنسكي) مما ترجمته: (إن الخدمات التي أداها العرب للعلوم غير مقدرة حق تقديرها من المؤرخين ، وإن البحوث الحديثة قد دلت على عِظم ديننا (نحن أبناء الحضارة المعاصرة) للعلماء المسلمين الذين نشروا نور العلم حين كانت أوروبا غارقه في ظلمات القرون الوسطى ، وإن العرب لم يقتصروا على نقل علوم الإغريق ، بل زادوا عليها ، وقاموا بإضافات مهمة فيها). ومن مثل ما أورده فرانتز روزنتال في كتابه: (منهاج العلماء المسلمين في البحث العلمي) نقلاً عن فون كريمر وهو يصف النشاط العلمي عند العلماء المسلمين الأوائل مما ترجمته: (إن أعظم نشاط فكري قام به العرب يبدو لنا جلياً في حقل المعرفة التجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختباراتهم ، فإنهم كان يبدون نشاطاً واجتهاداً عجيبيْن حين يلاحظون ويمحّصون ، حين يجمعون ويرقبون ما تعلموه من التجربة أو أخذوه من الرواية والتقليد وكذلك فإن أسلوبهم في البحث هو أكبر ما يكون تأثيراً عندما يكون الأمر في نطاق الرواية والوصف. وبصفتهم مفكرين ومبدعين ، فقد أتوا بأعمال رائعة في حقلي الرياضيات والفلك ، وللسبب ذاته نجح العرب في بقية العلوم). ومن مثل قول (ليبري) مما ترجمته: (لولا العرب لتأخر عصر النهضة في أوروبا لعدة قرون ، فلقد لمع العرب في كل الميادين العلمية ، وفي الوقت الذي كان فيه الشعراء والفقهاء والأدباء يقومون بأدوارهم في نهضة العرب الروحية والنفسية والخلقية ، كان العلماء في كل الميادين يقومون بقسطهم من البحث والنقل والتجويد ، ولم يدَعوا

باباً إلا طرقوه ، إن لم يكونوا قد فتحوا في العلم أبواباً جديدة). ومن مثل قول (وليم أوسلر) مما ترجمته: (لئن أشعل العرب سراجهم من القناديل اليونانية ، فإنهم ما لبثوا أن أصبحوا جميعاً شعلة وهاجة استفاد بنورها أهل الأرض). ومن قول مؤرخ العلم جورج سارتون مما ترجمته: (إن بعض الغربيين الذين تعمدوا أن يستخفوا بما أسداه الشرق إلى العمران يصرحون بأن العرب والمسلمين نقلوا العلوم القديمة ولم يضيفوا إليها شيئاً ما. ألا إن هذا الرأي خطأ ؛ لأنه لو لم تنقل إلينا كنوز اليونان لتوقف سير المدنية بضعة قرون. إن العرب لم ينسخوا من المصادر اليونانية والسنسكريتية نسخاً ، ولكنهم جمعوا بين المصدرين ، ثم لقحوا الآراء اليونانية بالآراء الهندية ، وإذا لم يكن هذا الذي فعله العرب ابتكاراً فليس في العلم إذا ابتكار على الإطلاق ، فالابتكار العلمي في الحقيقة إنما هو حياكة خيط المعرفة في نسيج واحد). وأضاف ما ترجمته (لقد حقق المسلمون - عباقرة الشرق - أعظم المآثر في القرون الوسطى فكتبتْ أعظم المؤلفات قيمة ، وأكثرها أصالة ، وأغزرها مادة باللغة العربية ، وكانت هي لغة العلم الارتقائية للجنس البشري بأسره ، من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر الميلاديين ، حتى لقد كان ينبغي لأي إنسان يريد أن يلم بثقافة عصره ، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية ، ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها..). وذلك من مثل قول المستشرق اليهودي البريطاني المتأمرك (برنارد لويس) الذي كتب ما ترجمته: (إن أوروبا تحمل دَيْناً مزدوجاً للعرب ، فقد حافظ العرب على التراث الفكري العلمي الذي خلفه اليونان وتوسعوا فيه ونقلوه إلى أوروبا ، ومن العرب نقلت أوروبا طريقة جديدة في البحث وهي طريقه تضع العقل أولاً وتنادي بوجوب البحث المستقل والتجربة). وهذا من مثل قول (ديلاس أولبري) الذي ترجمته: (لو أزيل العرب من التاريخ لتأخرت النهضة في أوروبا بضعة قرون ، فقد علمت الأمة العربية الغرب بعد أن أيقظته خمسة قرون أو ستة ، وحتى أواخر القرن الثامن عشر كانت مؤلفات ابن سينا – لا تزال- تناقش في جامعة مونبليه في فرنسا). وقد أكد هذا التقدير الغربي للحضارة الإسلامية قول المستشرقة الألمانية (سيجريد هونكه) في كتابها المعنون (شمس الله تشرق على الغرب) مما ترجمته (لقد شاء الله أن يظهر من الأوروبيين من ينادي بالحقيقة ، ولا يغمط العرب حقهم في أنهم حملوا رسالة عالمية ، وأدوْا خدمة إنسانية للثقافة البشرية قديماً وحديثاً. إن هذا النفر من الأوروبيين المنصفين لا يأبه بتحدي المتعصبين الذين حاولوا جهد طاقتهم طمس معالم هذه الحضارة العربية والتقليل من شأنها. إن أوروبا تدين للعرب وللحضارة العربية ، وإن الديْن الذي في عنق أوروبا وسائر القارات الأخرى للعرب كبير جداً ، وكان يجب على أوروبا أن تعترف بهذا الصنيع من زمن بعيد ، ولكن التعصب واختلاف العقائد أعمى عيوننا وترك عليها غشاوة ، حتى إننا نقرأ ثمانية وتسعين كتاباً من مائة ، فلا نجد فيها إشارة إلى فضل العرب وما أسدوْه إلينا من علم ومعرفة ، اللهم إلا هذه الإشاره العابرة إلى أن دور العرب لا يتعدى دور ساعي البريد الذي نقل إليهم التراث اليوناني). وتضيف (إنها سُبة أن يعرف أهل العلم من الأوروبيين أن العرب أصحاب نهضة علمية لم تعرفها الإنسانية من قبل ، وأن هذه النهضه فاقت كثيراً ما تركه اليونان أو الرومان ، ولا يقرون بذلك. إن العرب ظلوا ثمانية قرون طوال يشعون على العالم علماً وفناً وأدباً وحضارة ، كما أخذوا بيد أوروبا وأخرجوها من الظلمات إلى النور ، ونشروا لواء المدنية أنى ذهبوا في قاصي البلاد ودانيها ، سواء في آسيا وإفريقيا وأوروبا ، ثم تنكر أوروبا على العرب الاعتراف بهذا الفضل. إن هذه النظرة الأوروبية لدليل على

ضيق أفق الغربيين ، وخشيتهم قول الحق والاعتراف للعرب بفضلهم ، وخاصة أنهم غيّروا وجه العالم الذي نعيش فيه). وتختم الدكتورة (سيجريد هونكه) مقدمتها الرائعه لكتابها بقولها: (إن هذا الكتاب يهدف أيضاً إلى تقديم شكر ، كان يجب أن يقدم إلى العرب منذ عصور قديمة)! وتضيف: (لشد ما يغبن حق العرب حتى يكتفى بالقول بأنهم نقلوا التراث القديم إلى العالم الغربي بعدما حفظوه من الدمار ، وذلك يعني التقليل من قيمتهم ، والسكوت على الأمور الجوهرية في عملهم الحضاري ، وجعلهم مجرد وسطاء لا غير ، والحقيقه أن سائر مناحي الحياة الاقتصادية والعلمية والاجتماعية في الغرب مدموغة بآثارهم). وجاء في كتابات (جوستاف لوبون) ما ترجمته: (كلما تعمق المرء في دراسة المدنية العربية ، تجلت له أمور جديدة ، واتسعت أمامه الآفاق ، وثبت له أن أقوام القرون الوسطى لم تعرف علوم الأمم القديمه إلا بواسطة العرب ، وأن جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنه تكتب عن العرب وخاصة أن العرب هم الذين مدنوا أوروبا في المادة والعقل والخلق. وتأثيرهم في الغرب عظيم ، وهو في الشرق أشد وأقوى). ومن ذلك قول دريبر الذي ترجمته: (لقد كان تفوق علماء العرب في العلوم ناشئاً عن الأسلوب الذي توخوْه في بحوثهم ، لقد تحققوا أن الأسلوب العقلي وحده لا يكفي ، ولا بد من أسلوب علمي تجريبي وهذا هو الذي رفعهم لهذا الترقي العظيم في علوم الهندسة ، وحساب المثلثات ، والجبر ، والفلك ، والطب وغيرها من العلوم). وأضاف قائلاً: (ينبغي عليّ أن أنعي على الطريقة الرتيبة التي تحايل بها الأدب الأوروبي ليُخفي - عن الأنظار - مآثر المسلمين العلمية علينا ؛ أما هذه المآثر فإنها – على اليقين – لن تظل بعد اليوم مخفية عن الأنظار! لأن الجَوْر المبني على الحقد الديني والاستعلاء العِرقي لا يمكن أن يستمر إلى الأبد.) وعلى الرغم من ذلك كله فإنه كثيراً ما تضيع أصوات المنصفين من الكتاب الغربيين - وهم قلة - وسط ضوضاء الكثرة أو الحاقدة منهم ، ووسط تقصير المسلمين في حق تراثهم بعدم القيام بواجب إحيائه وتحقيقه بالقدر الكافي. وعلى ذلك فإن هذه القرون الطويلة التي كان فيها المسلمون هم حملة مشاعل المعرفة في جميع فروعها ، يتم إسقاطها من حساب التاريخ في العالم الغربي عن جهل فاضح أو عمد واضح ، أو عن كليهما. وتكفي هنا الإشاره إلى أنه في القرن الحادي عشر الميلادي أفاق الغرب من جهالة العصور المظلمة ؛ ليجد نفسه أمام حضارة إسلامية شامخة البناء فاندفع طلاب العلم والمعرفة الغربيون إلى ترجمة كل ما استطاعوا ترجمته من مؤلفات المسلمين ، وإلى محاكاة كل ما أمكنهم محاكاته من فنونهم ، وصناعاتهم ، ونظمهم ، وأدواتهم مما أدى إلى قيام الصحوة التي يطلق عليها المؤرخون اسم (النهضة الأوروبية في القرن الثاني عشر الميلادي) أو (النهضة الوسيطة). وعلى الرغم من أن هذه النهضة الوسيطة كانت في أساسها وفكرها ومادتها العلمية مستمده من الحضارة الإسلامية إلا أن أوروبا وقفت من الإسلام موقفاً معادياً ، لم يُمَكنها من قبوله ديناً ، فضلا عن قبوله نظاماً شاملاً للحياة ؛ وذلك لأن سرعة انتشار الإسلام انتشاراً آمناً ، تلقائياً في مساحات واسعه من العالم ، وبين كثير من الشعوب والأعراق التي كان بعضها قد اعتنق النصرانية ديناً قد أفزع الكنيسة ، لدرجة أنها رفضت مجرد النظر في دعوة خاتم أنبياء الله ورسله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إلى دين الله القويم ، أو حتى في دعواه أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ، على الرغم من بقاء العديد من الإشارات إلى بعثته الشريفة في الكتب التي بين أيديهم – رغم تحريفها – وانطلاقاً من ذلك وقفت أوروبا من الدعوة الإسلامية موقف المعاداة والرفض والمقاومة والتشويه ، ولا تزال على هذا الموقف الخاطئ حتى

اليوم. ولقد أفزع الغربيين أنه لم يكد ينقضي على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعون سنة. حتى كانت الدولة الإسلامية قد امتدت من المحيط الأطلسي غرباً حتى المحيط الهندي شرقاً ، شاملة كثيراً من الأراضي التي كانت تحت سيطرة الكنيسة وهيمنتها ، وفي ذلك يروي الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور في كتابه (المدنية الإسلامية) نقلاً عن المؤرخ الإنجليزي بيكر ما ترجمته: (إن أوروبا العصور الوسطى نظرت إلى انتشار الإسلام من وجهة نظر الكنيسة الضيقة ، وكأن الكنيسة قد أفزعها وآلمها انتشار الإسلام في بلاد ترتبط بأول النصرانية ونشأتها – مثل الشام ومصر وشمال العراق ، فراحت تدّعي أن الإسلام لم يأخذ سبيله إلى هذه البلاد إلا بحدّ السيف). ولكن (بيكر) نفسه يؤكد (أن هذه النظرة التي مازال بعض المتعلمين في أوروبا حتى اليوم يعتقدون في صحتها هي بعيدة عن الواقع ؛ لأن الوثائق المعاصرة كلها تثبت أن العرب المسلمين قد تسامحوا مع أهالي البلاد المفتوحة ، ولم يفرضوا عليهم ديانة معينة ، وإنما فرضوا فقط سيطرتهم السياسية ؛ فسيطرة العرب السياسية هي التي انتشرت بقوة السلاح ، أما الديانة الإسلامية نفسها فقد وجدت سبيلها إلى قلوب الغالبية العظمى من أهالي البلاد المفتوحة ، بدليل ما أجمعت عليه الوثائق المعاصرة من تسامح العرب المطلق مع المسيحيين واليهود على حد سواء ، وهو تسامح لم يحظوا به في ظل حكامهم السابقين). وكانت نهضة أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي (أو النهضة الوسيطة) هي الشعلة التي أضاءت الطريق أمام النهضة الإيطالية في القرن الخامس عشر الميلادي حين زاد الاتصال الحضاري بين غرب أوروبا ومراكز الحضارة الإسلامية في كل من إسبانيا وصقلية ، وعبر الحروب الصليبية. وفوق ذلك كله عبر حركة الترجمة للمؤلفات العربية إلى اللغه اللاتينيه – وقد كانت لغة العلم عندهم آنذاك - وفي ذلك يقول جوستاف جروينباوم في كتابه (حضارة الإسلام) ما ترجمته: (إن الغرب الأوروبي لم يكتف في كثير من الحالات بالوقوف على المادة اليونانية التي قدمها له المسلمون في ترجمتها العربية ، بل كان الغرب أكثر تلهفا على الشروح التي وضعها العلماء المسلمون لتلك المادة ؛ فمنذ القرن الثالث عشر – مثلاً - حرصت جامعة باريس على الربط بين فلسفة أرسطو وشروح ابن رشد لهذه الفلسفة ، وكان ينظر لكبار علماء المسلمين بعين الرهبة ، وكانوا ربما قد أوتوا ثقه لا سبيل إلى تحديها). وكانت أهم مراكز الترجمة من العربية إلى اللاتينية في كل من الأندلس وصقلية ، وكان من الغربيين الذين قصدوا إسبانيا في القرن الثاني عشر للنهل من مصادر الحضارة الإسلامية : كل من (أديلارد) الإنجليزي و(هيرمان)الألماني وجيرارد الإيطالي وكل منهم كان قد تعلم العربية ، وقام بدور في ترجمة المؤلفات العربية إلى اللغة اللاتينية. ويذكر أن جيرارد وحده ترجم أكثر من سبعين مؤلفاً عربياً. هذا بالإضافة إلى المستعربين من أهل إسبانيا من النصارى واليهود الذين قاموا أيضا بترجمة كثير من المؤلفات العربية من أمثال (دومنيكوس جنديسلافي) و(بطرس ألفونسي) و(حنا الأشبيلي) و(إبراهام ابن عزرا) و(روبرت الشستري) الذي قام بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية لأول مرة في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي ، و(ريموند) رئيس أساقفة طليطلة الذي أنشأ مكتباً كبيراً للترجمة في النصف الأول من القرن الثاني عشر الميلادي ، قام بترجمة كثير من أمهات المراجع العربية إلى اللغة اللاتينية ، وكان من أعلام الترجمة من العربية في مطلع القرن الثالث عشر الميلادي (ألفريد) الإنجليزي و(مايكل سكوت) الأسكتلندي. أما جزيرة صقلية فقد سعدت بحكم إسلامي دام قرابة قرنين من الزمان (من290-484هـ الموافق903-1091م تقريبا).

ثم احتفظت بثقافتها العربية الإسلامية وبنسبة كبيرة من المسلمين بعد سيطرة النورمان عليها ، فكان لها- بحكم ذلك ، وبحكم توسطها بين أوروبا النصرانية وشمال إفريقيا المسلم – دور رائد في حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية ، وكان من أشهر الذين قاموا بذلك (إيوجينيوس البالرمي) وفرج بن سالم اليهودي الصقلي وكان هذا التسامح العظيم من جانب الحضارة الإسلامية في السماح بنقل تراثها إلى اللغات الأجنبية منطلقاً من إيمان المسلمين بوحدة رسالة السماء ، وبالأخوة بين الأنبياء وبحقيقة الأخوة الإنسانية ، وبضرورة نشر المعرفة بين الناس كل الناس على اختلاف ألوانهم ولغاتهم ولهجاتهم ومعتقداتهم ، وقد أتاح ذلك للأوروبيين فرص ارتشاف المعرفة الإسلامية ، وترجمة تراثها إلى اللاتينية وإلى غيرها من اللغات الأوروبية ؛ ولكن كل ذلك قوبل بنكران للجميل لم تعرف له البشرية مثيلاً. فبعد نقل التراث العربي إلى اللغة اللاتينية وبعد استيعابه وهضمه واستخدامه كأساس وأس للنهضة المعاصرة تم تدميره في جريمة بشعة ، وقعت بمدينة غرناطة الأندلسية سنة905هـ /1499م. ويصف الأستاذ محمد عبد الله عنان تلك الجريمة في كتابه (مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام ، الطبعة الرابعة صفحة326-329) بما نصه: (لم تمض أعوام قلائل على سقوط غرناطة (1492م) ، حتى ارتكبت إسبانيا النصرانية جريمتها الشائنة بتدمير تراث التفكير الإسلامي. ففي سنة 1499م أمر الكاردينال خمنيس ، مطران طليطلة بجمع جميع الكتب والآثار العربية من سكان غرناطة وأرباضها ، وتنظيمها أكداساً في ميدان باب الرملة أعظم ساحات المدينة ومنها كثير من المصاحف البديعة الزخرف ، وآلاف مؤلفة من كتب الآداب والعلوم واحتفل بإحراقها في عمل وصف خطأ بأنه من أعمال الإيمان ، ولم يستثن منها إلا ثلاثمائه من كتب الطب ، وهبت لجامعة الكالا (القلعة). وهلك في تلك المحنة معظم تراث الأندلس الفكري. وقد اختلف المؤرخون في تقدير عدد المخطوطات العربية التي ذهبت فريسة لهذه الجريمة الشائنة ، فقدرها بعضهم بأكثر من مليون! ولكن كوندي قدرها بثمانين ألفاً ، وتقديره أرجح وأقرب إلى المعقول ؛ لأن محتويات المكتبة الأموية الشهيرة في قرطبة لم تزد - طبقا لأصح الروايات - على ستمائة ألف مجلد! وقد بددت هذه المجموعة الكبيرة أيام ثورات البربر. ولم يجتمع في غرناطة مجموعة بهذه الضخامة ، ولكنها كانت وهي عاصمة الإسلام في الأندلس – تحتوي أنفس الآثار العربية الأندلسية). ويمضي الأستاذ محمد عبد الله عنان بالقول: (بأن المجموعة العربية في الأسكوريال قريباً من مدريد بلغت في أوائل القرن السابع عشر نحو عشرة آلاف مجلد ، ولبثت هذه الآلاف من المخطوطات الأندلسية والمغربية في قصر الأكوريال زهاء نصف قرن ، وكانت أغنى وأنفس مجموعة من نوعها في إسبانيا ، ولكن محنة جديدة أصابت هذه البقية الباقية من تراث الأندلس الفكري. ففي سنة 1083هـ /1671م شبت النار في الأسكوريال ، والتهمت معظم هذا الكنز الفريد ، ولم ينقذ منه أكثر من ألفين ، هي التي توجد اليوم في أقبية الأسكوريال). ثم تعرض التراث الإسلامي لمحن أخرى كثيرة على أيدي الغزاة من التتار والصليبيين ، وبأيدي كثير من اللصوص ، وبأيدينا نحن في كثير من فترات الانحلال التي عاشتها أمتنا ، وفي ذلك يذكر الأستاذ جلال كشك في كتابه (طريق المسلمين إلى الثورة الصناعية صفحة6-8) ما نصه: (إن تاريخنا قد دمر على يد الغزاة ، وبفعل عناصر التخلف والانهيار! إن ذلك التراث الذي ألقاه التتار في نهر دجلة لا شك أن مِداده الأسود قد حمل معه إلى الخليج جانباً من المعرفه وجانباً من تراثنا الذي ضاع وإلى الأبد. وتلك المكتبات التي أحرقها الغزو الصليبي لمدن الشام في طرابلس ، والمعرة ، والقدس ، وغزة ،

وعسقلان حتى قدر بعض المؤرخين أن الصليبيين قد أحرقوا في مدينة طرابلس وحدها ثلاثة ملايين مجلد. لا شك أن نسبة خطيرة منها تضمنت حقائق من تراثنا ؛ مما يمكننا القول بأنه قد ضاع وإلى الأبد. وفي الأندلس أحرق في يوم واحد في ميدان غرناطة ما يقدره بعض المؤرخين بمليون كتاب). ويمضي الأستاذ جلال كشك إلى القول): ثم كانت المرحله الثانية: مرحلة نهب التراث الإسلامي ونقله إلى مكتبات أوروبا. إن النسخة الأصلية للعديد من كتب تراثنا الإسلامي توجد الآن في مكتبات الفاتيكان ، وفي الأديرة والمتاحف والمكتبات العامة في أوروبا وأمريكا. وفي ليل الانهيار والتخلف انقطعت الصلة بين الأسلاف العظام والحفدة العجزة ؛ فجهل هؤلاء قيمة ما تركه أسلافهم ، ونظروا إلى مخطوطات ابن سينا وابن رشد وغيرهما ككتب للسحر والهرطقة ، أو أنهم عجزوا عن الانتفاع بها ، فتركت نهباً مشاعاً لحقدة الغرب. وليس إلا أخيراً وعندما استقر الأمر للحضارة الغربية وتأكد انتصارها على العالم الإسلامي ، عندئذ بدأ المستشرقون يعيدون نشر كتب تراثنا ويقومون بتحقيقها ، وأصبحنا نتعرف على تاريخ أسلافنا من كتابات هؤلاء المستشرقين ، على تعصبهم وعجزهم عن فهم روح حضارتنا). بعد هذه المقدمة المحزنة أرى لزاماً عليّ أن استعرض عددا من إسهامات العلماء المسلمين الأوائل في مجال العلوم البحتة والتطبيقية في عُجالة قد لا تعطيها حقها. انطلاقاً من الإيمان بوحدة الجنس البشري وبحقيقة الأخوة الإنسانية وبوحدة التراث الإنساني وبضرورة المحافظة عليه وإثرائه باستمرار ، قام العلماء النحارير - في ظل الحضارة الإسلامية – بجمع هذا التراث من مختلف مصادره ولغاته ثم قاموا بغربلته بمعايير الإسلام ، فقبلوا ما توافق منه مع تعاليم رب العالمين ؛ وتركوا كل ما خالف ذلك ، ثم اجتهدوا في إثراء ما جمعوه بعدد من الإضافات الأصلية التي استمرت في إضاءة مشاعل المعرفة على مدى أحد عشر قرناً أو يزيد ، لتمثل معين الحضارة العلمية والتقنية المعاصرة ، وتتميز عنها في الجمع بين الدنيا والآخرة في معادلة واحدة ، تجمع إلى جسد الإنسان كلاً من نفسه وعقله وفهمه لحقيقة رسالته في هذه الحياة الدنيا ولمصيره من بعدها. وذلك لأن الحضارة المعاصرة – على الرغم من تقدمها العلمي والتقني المذهل – قد انحطت بالإنسان من مقامات التكريم التي رفعه إليها رب العالمين إلى ما دون الحيوان ، وحبسته في حدود المادة والطاقه فقط ، وفي حدود متطلبات العيش على هذه الأرض ، وأغرته في التسابق في الهيمنة على مقدرات الحياة المادية فيها بالقوة الغاشمة وبالباطل المدعوم بتلك القوة الغاشمة ، وأنسته حقيقة رسالته في هذه الدنيا ومصيره من بعدها ، وجعلته عامل تهديد وتدمير للإنسانية كلها على سطح الأرض! وفي ظل هذا الانحطاط البشري ، تنكر الغرب للدور الرائد الذي لعبته الحضارة الإسلامية في تشكيل النهضة العلمية والتقنية المعاصرة الذي يمكن إعطاء لمحة موجزة عنه في العجالة التالية: أولاً: في مجال العلوم الرياضية (الرياضيات) أضاف المسلمون الأوائل إلى الرياضيات إضافات أصيلة عديدة من أبرزها ما يلي: (1) في مجال علم الحساب: اهتم المسلمون بعلم الحساب من أجل تنفيذ حسابات كل من الزكاة ، وتقسيم الإرث والخراج والجزية وغيرها مما نص عليه القرآن الكريم وفصّلته السنة النبوية المطهرة ، وانطلاقاً من ذلك ابتدع المسلمون الأوائل نظام الترقيم العشري والذي يسّر جميع عمليات الحساب ، كذلك أخذوا الصفر عما كان يُعرف في الحضارة الهندية القديمة باسم (سونيا) أو الفراغ. وكان لاستحداث الصفر مزايا عديدة في حل المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات ، وفي علم الحساب بمختلف أشكاله من الجمع والطرح ، والضرب والقسمة ، وفي

عمليات استخراج الجذور (التجذير) بطرق عديدة ، وفي عمليات النسبة والتناسب ، واستخراج المجهول الرياضي. كذلك عرف المسلمون في القرن الهجري الأول كلا من المتواليات الحسابية والهندسية ، ووضعوا القوانين اللازمة لها ، واختاروا لحلها (الأرقام العربية) التي لا تزال مستعملة في دول الشمال الأفريقي ، وانتقلت منها إلى بلاد الأندلس ثم إلى أوروبا وبقية دول العالم. وهذه الأرقام مرتبة على أسس من عدد الزوايا في كل رقم ، كما اختاروا الأرقام المستخدمة في المشرق العربي ، وابتكروا علامة الكسر العشري ، وحسبوا النسبة بين قطر الدائرة ومحيطها (ط) إلى الكسر العشري السادس عشر. وكان من أبرز علماء الرياضيات المسلمين كل من جمشين الكاشي صاحب نظرية ذات الحدين في الرياضيات ، والتي تنسب اليوم خطأ إلى إسحاق نيوتن ، وأبي الحسن علي بن أحمد النسوي الذي عاش في النصف الأول من القرن الحادي عشر الميلادي وله مؤلفات عدة شرح فيها الكسور المركبة وغير المركبة ، وطرق استخراج الجذور. ومن الثابت أن العالم المسلم (الخوارزمي) (ت 850م) هو الذي وضع أسس كل من علمي الجبر وحساب اللوغاريتمات الذي سُمي باسمه (الخوارزمات) ، وبقي كتابه المعنون (كتاب الجبر والمقابلة) مرجعاً أساسياً في علم الجبر إلى اليوم. كذلك كان المسلمون هم أول من قام بحل المعادلات الرياضية من الدرجات الثانية والثالثة والرابعة ، ذات المجهول الواحد ، وذات المجهولين ، واكتشفوا العديد من الطرق الهندسية الرياضية لحلها ، وعرفوا الحالة التي يكون فيها الجذر كمية تخيلية ، وكانوا هم أول من استخدم الجبر في حل المسائل الهندسية ، ووضعوا أسس الهندسة التحليلية ، ومهدوا الطريق لعلم التفاضل والتكامل ، وبحثوا في نظرية ذات الحدين ، وتعاملوا مع الجذور الصماء ، وعرفوا كلا من المتواليات العددية والهندسية لأول مرة. وكان من أبرز علماء المسلمين الأوائل الأفذاذ في مجال علمي الجبر واللوغايتمات كل من (الخوارزمي) ، (سنان بن أبي الفتح) ، (ابن البناء) ، (القلصادي) ، (بهاء الدين العاملي) ، (قسطا بن لوقا) ، (ابن يونس) ، (ابن حمزة) ، و(البتاني) (ت929م) ، الذي أدخل النسبة في علم المثلثات ، وتبعه في ذلك أبو الوفا (ت997م) والذي اكتشف معادلة جمع زوايا المثلث ، وقدّر قيمة الخط الذي يقطع القوس ، وثابت بن قرة الذي كان له السبق في وضع أسس علم التفاضل والتكامل ، والكرخي الذي ابتكر مثلث معاملات نظرية ذات الحدين. ولقد برع العلماء المسلمون في علوم الهندسة النظرية وفي تطبيقاتها العملية ، وأضافوا إليها إضافات أصيلة ، ووضعوا العديد من المؤلفات في طرائق حساب كل من المساحات ، والحجوم ، والأوزان ، وفي حل العديد من المسائل الهندسية بالتحليل الرياضي والمسائل الحسابية بالتحليل الهندسي ، كما برعوا في التقدير العددي ، وفي ربط ذلك كله بالمعادلات الجبرية. وقسّموا العلوم الهندسية إلى حسية وعقلية ، وقالوا بأن النظر في الهندسة الحسية يؤدي إلى الحذق في الصنائع العملية (أي في العلوم التطبيقية أو التقنيات المختلفة) وخاصة في العمليات المساحية ، وفي إنشاء طواحين الماء والهواء ، وأن النظر في الهندسة العقلية يؤدي إلى الحذق في الصنائع العلمية (أي في العلوم البحتة). وقد استعملوا الهندسة بنوعيها المستوية والمجسمة في العديد من البحوث والتقنيات كما فعل كل من الخازني (ت550هـ /1155م) في بحوث علم الحيل (الميكانيكا) وعلم حركات الماء (الهيدروستاتيكا) ، والهواء (ديناميكية الهواء) ، وابن الهيثم (ت 431هـ /1039م) في بحوث البصريات. ويجمع المنصفون من أهل العلم على أن أوروبا لم تعرف العلوم الهندسية إلا عن طريق الحضارة الإسلامية. وبرز

من علماء المسلمين الأوائل في العلوم الهندسية كثيرون كان منهم كلا من (ابن الهيثم) ، (البغدادي) ، (البيروني) ، (الخازني) ، (التبريزي) ، (جابر بن الأفلح) ، (الإسفزاري). وقد برز ابن الهيثم في علم البصريات ، وقام باختراع آلة التصوير مما جعله مؤسس علم الفيزياء بمعناه الحديث ، وقاس البيروني (ت 1051م) الثقل النوعي ، وقاس الخازني الكثافة النوعية للعديد من المعادن. كذلك طوّر العلماء والفنيون المسلمون نظم الري وأجهزته ، وحسّنوا صناعة الورق ، وتكرير السكر ، واخترعوا مادة البارود وغيره من المواد الكيميائية ، كما سبق عمر الخيام بوضع اللبنات الأولية لعلم الهندسة التحليلية ، وسبق ابن سينا بوضع القانون الأول والثاني للحركة ، والذي وضع قانونها الثالث هبة الله بن ملكا البغدادي (ت619هـ). ويرجع إلى المسلمين الفضل (بعد الله) في فصل حساب المثلثات عن علم الفلك ، والتعامل معه كفرع مستقل من أفرع الرياضيات! وبذلك تم لهم الكشف عن العلاقات المتعددة في حساب المثلثات ، وفي معرفة القواعد الأساسية لعمل كل من الجداول الرياضية والمثلثات الكروية وتطبيقاتها العملية ، وكان من أبرز العلماء المسلمين في هذا المجال كل من (البيروني) ، (الخازني) ، (التبريزي) ، و(جابر بن الأفلح). ولقد بدأ المسلمون في رصد الكواكب والنجوم في القرن الهجري الأول ، وتابعوا حركات عدد من الأجرام السماوية وعرفوا العديد من الظواهر المصاحبة لحركاتها مثل ظاهرتي كسوف الشمس وخسوف القمر ، واحتراق الشهب ، ونزول النيازك ، وحركة المذنبات ، وميل محور دوران الأرض على مدارها حول الشمس ، وتبادل الفصول على الأرض ، ووضع الأرض في الاعتداليين وغيرها. وبنوا من أجل ذلك المراصد ، وابتكروا العديد من أجهزة الرصد الفلكي ، وألفوا الجداول الفلكية التي عرفت باسم الأزياج (جمع الزيج) ، وتحدثوا عن وحدة بناء الكون الذي يتحرك بجميع مكوناته في دائرة من القوانين والنظم الثابتة التي وضعها خالقه – سبحانه وتعالى – وكان من أبرز الفلكيين المسلمين كل من : البتاني ، التجيبي ، أبو الحسن الصوفي ، أبو الوفاء ، ابن يونس الصدفي المصري ، كمال الدين بن يونس ، ابن أبي الصلت ، أبو القاسم المجريطي ، أبو سهل الكوهي ، البيروني ، الأسفوني ، المغربي ، ابن الشاطر ، ابن المجدي ، أولج بك ، سبط المارديني ، الروداني ، صلاح الدين قاضي زادة ، الفزاري ، الجوهري ، سند بن علي ، الفرغاني ، المروزي ، السرخسي ، البلنسي ، النيريزي ، قسطا بن لوقا ، ابن الآدمي ، الحراني ، المراكشي ، البلخي ، القبيصي ، الجيلي ، ابن الأعلم الشريف ، البوزجاني ، الغرناطي ، ابن الصفار ، ابن عراق ، الزرقالي ، جابر بن الأفلح ، الخرقي ، الأسطرلابي ، البطروجي ، ابن اللبودي ، الكاشي ، أبو معشر ، وعمر الخيام. فكان الفزاري (ت777م) أول من طور الأسطرلاب ، وكان للبتاني (ت929م) العديد من القياسات الفلكية الهامة وكان البيروني (ت1051م) أول من اكتشف ميل محور دوران الأرض على مستوى مدارها حول الشمس (والذي ينسب زوراً إلى كوبرنيكوس). كذلك سبق عدد من علماء المسلمين من أمثال كل من البيروني ، الخازني والهمداني بتحديد العلاقة بين كتلة الجرم السماوي والمسافة التي تحكم وضعه في السماء ، والسرعة التي يجري بها. كذلك كان أبو الوفا البوزجاني (388هـ/998م) أول من طور الآلات لحساب ميل الأجرام السماوية ، وكان أول من اكتشف دالة قطر الزاوية (ظا) وأدخل العديد من الوسائل الجديدة لحساب المثلثات. أما ابن يونس المصري (أبو سعد عبدالرحمن بن يونس الصدفي المصري) المتوفي سنة 400هـ/1009م فقد اخترع بندول الساعة ، واستخدمه لحساب الفترات

الزمنية أثناء الرصد الفلكي ، وأشرف على مرصد جبل المقطم ، وعمل جداول فلكية تحمل اسم الحاكم بن عبدالعزيز الفاطمي سماه باسم (الزيج الحاكمي). والذي ترجم إلى عدد من اللغات الأجنبية ، وقد رصد كلا من كسوف الشمس وخسوف القمر عام (978م) في مدينة القاهرة ، وأثبت منها تزايد سرعة حركة القمر كلما اقترب من الأرض ، وحسب ميل دائرة البروج. كذلك كان ابن الهيثم (ت 431هـ/1040م) الذي استخرج مقدار ارتفاع النجم القطبي ، ونجح في تحديد خطوط عرض الأماكن المختلفة ، ودرس أنوار كل من القمر وعدد من الكواكب ، وأثبت أن نور القمر مصدره انعكاس ضوء الشمس على سطحه. أما عمر الخيام (ت1123م) فكان أول من اخترع طريقة حساب المثلثات والمعادلات الجبرية من الدرجة الثالثة ووضع تقويما دقيقا لها ، ونادى بتطبيق ذلك في الحسابات الفلكية ، وصمم الزيج الجلالي بخطأ يوم واحد في كل خمسة آلاف سنة. كذلك كان كل من أبي عبدالله البتاني (ت317هـ/929م) وغياث الدين ابن مسعود ابن محمد الكاشي (ت840هـ/1436م) أول من اكتشف أن مدارات القمر وعطارد بيضاوية (إهليلجية)! وكان الكاشي أول من اكتشف الكسر العشري ، واهتم أبو معشر (ت886م) بظاهرة المد والجزر وعلاقتها بدورة القمر حول الأرض. ويرجع للفلكيين المسلمين الفضل (بعد الله) في إنشاء المراصد الفلكية لأول مرة في تاريخ الإنسان ، فعلى الرغم من محاولة دراسة الفلك في كل من الحضارة المصرية القديمة ، والحضارة البابلية القديمة ، والحضارة الإغريقية القديمة ، وعلى الرغم من أن كل حضارة من هذه الحضارات القديمة قد اخترعت عددا من أجهزة القياس الفلكية من مثل الأسطرلاب الذي صممه قدماء الإغريق ، إلا أن المراصد الفلكية بأشكالها الخاصة والمميزة لم تعرف إلا منذ العصر العباسي الأول ، وقد استخدمت فيها أجهزة عديدة من مثل الأسطرلاب ، ذات الربع ، المحلق الكرات الهندسية وغيرها. كان للعلماء في عصر النهضة الإسلامية ولع شديد بعلوم الكيمياء والصيدلة ، وأضافوا الكثير في أسس المعرفة في هذين المجالين ، واخترعوا العديد من الأجهزة والأدوات اللازمة لإجراء البحوث فيهما ، وذلك من مثل أجهزة التقطير ، التبخير ، الترشيح ، التكليس ، التشميع ، الصهر ، التبلور ، كما قاموا يقينا بتركيب الموازين النوعية ، وبتحضير العديد من المركبات الكيميائية ، من مثل الأحماض ، القلويات ، ووضعوا الجداول لتصنيفها ؛ مما شكل الأسس العلمية التي أدت إلى تطور علم الكيمياء بشكله المعاصر. وتميزت الصيدلة في الحضارة الإسلامية بإدخال العديد من النباتات الطبية ومستخلصاتها ، واقتراح الكثير من الأدوية المفردة والمركبة من كل من المستحضرات النباتية والحيوانية والمعدنية ، ووصف العلاج المناسب بكل منها ، وتحديد الأمراض التي يعالجها ، ووضع النظم العلمية الدقيقة لتصنيف كل من المعادن والنباتات والحيوانات. وكان من أبرز العلماء المسلمين في هذين المجالين كل من: الإمام جعفر الصادق ، وجابر ابن حيان ، وأبوبكر الرازي ، والبيروني ، وابن سينا ، وابن البيطار ، والتميمي ، والسمرقندي ، وسابق ابن سهل ، وابن التلميذ ، والإدريسي ، والكندي ، والمجريطي ، وأبو منصور موفق ، والطغرائي ، وأبو القاسم العراقي ، والجلدكي ، وابن ربن الطبري ، والأهوازي ، وابن الجزار ، وابن باجة الغافقي ، وابن ميمون ، والعطار ، والأنطاكي. وقد أجرى جابر ابن حيان (ت815م) تجارب على عدد من المواد العضوية النباتية والحيوانية ، وقام بتحضير كل من حمض الخليك وحمض النيتريك لأول مرة في التاريخ ، وقدم وصفا كاملا لحماية الحديد من الصدأ ولتصنيع الفولاذ ، ولتصفية المعادن ، ولدباغة الجلود ، ولصباغة الأقمشة ولصنع الملابس

الواقية من البلل بالسوائل ، كما ميز أبو منصور موفق بين عدد من كربونات العناصر ، وحضر أوكسيد الكالسيوم (الجص) واستخدمه في تضميد كسور العظام. اهتم المسلمون بعلوم الأحياء النباتية والحيوانية ، منذ مطلع عصر النهضة الإسلامية وذلك لوثوق الصلة بينها وبين كل من علوم الصيدلة وتطبيقاتها في العلاج الطبي ، وولع العديد من العلماء المسلمين برسم النباتات والحيوانات في بيئاتها المختلفة ، واهتموا بدراسة كل من الشكل الخارجي والتشريح الداخلي والسلوك لكل كائن حي درسوه. وكان من أبرز علماء النبات المسلمين كل من ابن الصوري ، وأبو حنيفة الدينوري ، والرازي ، وابن سينا ، وابن جلجل ، وابن واقد ، والإدريسي ، وابن البيطار ، والغافقي ، والبغدادي ، وابن الرومية ، وأبو زكريا ابن العوام ، والقزويني. وكان من أبرز الذين تخصصوا في دراسة علم الحيوان كل من الجاحظ (الذي وضع موسوعة علمية/أدبية باسم كتاب (الحيوان) ، حدد فيه أسس التشريح المقارن) ، والدميري (الذي جمع تحت عنوان (حياة الحيوان الكبرى) واحدة من أوائل الموسوعات في علم الحيوان) ، بالإضافة إلى كل من: ابن مسكوية ، والقزويني ، وابن سينا ، والأصمعي ، وابن البيطار ، المجريطي ، وابن شميل ، والبصري ، والسجستاني ، والدينوري ، والتميمي ، والأندلسي ، والبغدادي ، والكرماني ، وحمد الله القزويني والكلابي ، وابن بشر ، وأبو علي الكرماني ، والباهلي ، والكوفي ، وابن السكيت ، والشيباني ، والأسدي ، وابن الأشعث ، وابن خالويه ، والمقريزي. وقد اهتم الغافقي (ت1165م) بجمع مجموعات من النباتات المنتشرة في كل من بلاد الأندلس ، وشمالي إفريقيا مدونا أسماءها بكل من العربية والبربرية (الأمازيغية) واللاتينية ، وضمنها كتابه المعنون باسم (الأدوية المفردة) ، وتبعه في ذلك ابن البيطار (ت1248م) ، والذي كتب كتابي (المغني في الأدوية المفردة) ، (والجامع في الأدوية المفردة). وفي ظل الحضارة الإسلامية أيضا اهتم العلماء بعلوم الأرض. وجمعوا ثروة لغوية كبيرة لوصفها بيابسها ومائها ، وهوائها ومختلف الظواهر المصاحبة لها بالضرورة. كما درسوا الجواهر والأحجار الكريمة ، ووضعوا الضوابط العلمية اللازمة لدراستها والتمييز بينها ، والصفات الطبيعية المحددة لكل نوع من أنواعها من مثل اللون ، درجة الشفافية ، البريق ، القدرة على تشتيت الضوء ، الصلادة ، الوزن النوعي ، التشعر ، درجة التبلور ، الشكل البلوري ، المخدش (أو الحكاكة) ، القابلية للانصهار ، الشوائب ، والقابلية للانسحاق. وقد وضع البيروني مقياساً للصلادة (ينسب اليوم زورا إلى العالم الألماني فريدريك موهز) ، ووصف العديد من الفلزات والمعادن والصخور ، وحدّد الصفات المميزة لكل منها ، وصمّم الأجهزة العلمية اللازمة لتحقيق ذلك . كما كان البيروني أول من اكتشف ميل محور دوران الأرض حول نفسها على مستوى دورانها حول الشمس (والذي ينسب اليوم زورا إلى كوبرنيكوس). كذلك استغل المسلمون مناجم الذهب ، والفضة ، والحديد ، والنحاس ، والرصاص ، والقصدير ، والزئبق ، وحجر الفتيلة (الأسبستوس) ، والفحم الحجري ، وطفوح النفط. كما استغلوا العديد من الأملاح مثل ملح الطعام ، والبورق ، وملح النشادر ، واستخرجوا العديد من الأحجار الكريمة وشبه الكريمة من مثل الألماس والياقوت ، والزمرد ، والزبرجد ، واللؤلؤ ، والمرجان ، والعقيق ، والبجاذي ، والفيروزج. وقد وصف البيروني (في كتابه المعنون (الجماهر في معرفة الجواهر) والذي كتب في القرن الرابع الهجري سبعة وثلاثين معدنا وحجرا كريما وشبه كريم ، وعدداً من الفلزات ؛ كذلك وصف التيفاشي (في كتابه المعنون (أزهار الأفكار في جواهر الأحجار) الذي كتب في القرن السابع

الهجري قرابة الثلاثين من الجواهر والأحجار الكريمة وشبه الكريمة. وقد عرف العلماء المسلمون الصخور وطرائق تصنيفها ، وطبقات الأرض وكيفيات ترسبها ، كما عرفوا النيازك ، ووضعوا أول تقسيمات علمية لها ، وكان من أبرز من كتب في ذلك جابر بن حيان الذي عاش في القرن الهجري الثاني (الثامن الميلادي) ومن بعده كل من البيروني وابن سينا ، والجاحظ وإخوان الصفا. (بينما ينسب الفضل في ذلك خطأ إلى كل من العالم الألماني ليهمان الذي عاش في القرن الثامن عشر الميلادي ، أي بعد عشرة قرون كاملة من جابر بن حيان! والعالم الإيطالي جيوفاني أردوينو ، والعالمين الألمانيين فوخسل وفيرنر في أغلب المراجع المتداولة بين أيدي الناس اليوم). كذلك كان المسلمون أول من تحدثوا عن قدم الأرض مع الإيمان بخلقها ، وذلك عن منهجية علمية صحيحة ، كما كتبوا في شكل الأرض ، وتضاريس سطحها ، والعوامل الداخلية والخارجية المؤثرة فيها ، وغلافها الجوي ، والظواهر الجارية على سطحها ومن حولها من مثل الزلازل والبراكين ، والعواصف والأعاصير ، والصواعق ، الرعد والبرق ، والسحاب والمطر ، والأنهار والبحار ، والمد والجزر ، والعيون والينابيع ، وارتفاع الجبال من أواسط البحار والمحيطات والحركات المسببة لارتفاعها ، وتبادل الأماكن بين اليابسة والماء (وهي من أحدث الاستنتاجات في علوم الأرض) كما كتبوا عن الأحافير (بقايا الحياة في طبقات الأرض) ، وتدرج عمارة الأرض بصور الحياة المتعاقبة ، وكتبوا عن احتراق الشهب وسقوط النيازك ودورات مرور المذنبات وغيرها. وقد اخترع علماء المسلمين العديد من الأجهزة اللازمة لدراسات علوم الأرض ، كل من: الكندي ، والرازي ، والدينوري ، وجابر ابن حيان ، والبيروني ، وابن سينا ، والكرخي ، واخوان الصفا ، والبكري ، والتيفاشي ، واليعقوبي ، والإصطخري ، وابن حوقل ، وابن خرداذبة ، والمقدسي ، والهمداني ، والأصفهاني ، وابن الإصبع ، والحاسب ، وابن مسكويه ، والقبجكي ، والطوسي ، والخازن ، وابن الجزار ، والمسعودي ، والخزرجي ، والجرجاني ، والدمشقي ، والقزويني ، والطغرائي ، والعراقي ، وابن العوام المصري ، والعلامة عبدالرحمن المصري ، والسويدي ، والكاملي ، والكاشاني ، والجلدكي ، وابن الأكفاني ، والتلمساني المقري ، وعمر العالم ، والبلخي ، والجاحظ. كذلك قام المسلمون بتصحيح العديد من أخطاء الجغرافيين الإغريق ، وذلك عبر رحلاتهم التي جابوا بها العديد من أقطار الأرض ، وبواسطة العديد من المؤلفات والخرائط التي وضعوها من مثل كتاب (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) للمقدسي (ت1000م) ، وكتاب (نزهة المشتاق في اختراق الآفاق) للإدريسي (ت1166م) الذي تحدث عن كروية الأرض بوضوح تام . نالت علوم البحار اهتمام نفر غير قليل من علماء المسلمين في عصر النهضة الإسلامية ، وذلك من أمثال الكندي ، الخوارزمي ، إبن خرداذبة ، إبن الطيب ، المسعودي ، البيروني ، إبن سينا ، والإدريسي ووصفوا التيارات البحرية في المحيط الهندي خاصة في أجزائه الشمالية المعروفة باسم (بحر العرب) وعلاقتها بالرياح الموسمية. كما قاموا بتطوير آلات رصد النجوم من أجل الاهتداء بها في ظلمات البحر ، وذلك من مثل (الأسطرلاب) والبوصلة البحرية المعروفة باسم (بيت الإبرة) ، ووضعوا الجداول اللازمة للسير في البحر من مثل جداول كل من إبراهيم الفزاري ، ابن يونس المصري ، الزرقاني ، والبيروني. وقد اشتهر من الملاحين العرب كلٌ من سليمان التاجر وسلمان المهدي ، وابن ماجد الذي يعتبر مخترع الإبرة المغناطيسية. شغل كل من الطب والعلوم الطبية الاهتمام الأكبر للعلماء في عصر النهضة الإسلامية ، فأنشأوا المستشفيات (البيمارستانات)

ووضعوا لها شروطها ، وأقاموا بعض المحاجر الصحية ، وعرفوا العديد من الأمراض المعدية ومسبباتها ، ووصفوا العلاجات الملائمة لكل منها. وكان من أبرز إضافاتهم وصف الدورة الدموية الصغرى (الرئوية) والتي اكتشفها ابن النفيس ، (وتنسب اليوم خطأ إلى الطبيب الإسباني (ميخائيل سيرفيتس) أو إلى البريطاني (وليام هارفي). كذلك يعتبر ابن النفيس واضع أسس علم التشريح المقارن ، وكان الزهراوي (ت1013م) أستاذ الجراحة في زمانه بلا منازع ، وظل كتابه المعنون باسم (التصريف لمن عجز عن التأليف) مرجعا في علم الجراحة طيلة القرون الوسطى ، وابتكر محمد بن زكريا الرازي (ت925 م) خيوط الجروح المسماة بالقصاب ، وكان أول من صنع المراهم من الزئبق ، وأول من كتب في طب الأطفال ، وميز بين مرضى الجدري والحصبة ، وألف العديد من الكتب التي كان من أبرزها (الحاوي) الذي يعتبر موسوعة طبية فريدة في نوعها وكذلك كتابه المعنون (الحصبة والجدري). وفي طب العيون برز كل من علي بن عيسى وعمار الموصلي ، وكلاهما عاش في القرن الحادي عشر الميلادي. وإلى الأطباء المسلمين يعود الفضل في اختراع العديد من الأدوات الجراحية ، ونظام الفحص الكامل للمريض ، ووصف العديد من الحالات المرضية ، وإنشاء المستشفيات وحسن إدارتها كما أنهم صححوا كثيرا من أخطاء السابقين ، وتعاملوا مع العلاج بالتحليل النفسي ، ووضعوا الأسس اللازمة لعلم التشريح. وكان من الأطباء البارزين في الحضارة الإسلامية من يعدون بالآلاف ، نختار من بينهم: الرازي ، الزهراوي ، ابن سينا ، ابن النفيس ، ابن البيطار ، زينب (طبيبة بني أود) ، آل بختيشوع ، ابن البطريق ، ابن ماسويه ، قسطا بن لوكا لبعلبكي ، حنين بن إسحاق وابنه ، عيسى بن يحيى ، ثابت بن قرة الحراني ، بنو زهر ، عبداللطيف البغدادي ، هبة الله البغدادي ، والأهوازي. والخلاصة: نخلص من هذا الدور السريع للدور الرائد الذي قامت به الحضارة الإسلامية في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية إلى أن من قواعد الإسلام العظيم الإيمان ببإله واحد ، لايشبهه أحد من خلقه ، ولا ينازعه أحد في سلطانه ، ولا يشاركه أحد في ملكه وهو منزه عن الصاحبة والولد ، وعن جميع صفات خلقه ، وعن كل وصف لا يليق بجلاله. وهذا الإله العظيم تعبّد خلقه بدين واحد هو الإسلام الذي ألهمه جميع مخلوقاته ، وعلمه أبانا آدم عليه السلام لحظة خلقه ، ثم أنزله على سلسلة طويلة من أنبيائه ورسله ، وأتمه وحفظه في القرآن الكريم وفي سنن خاتم الأنبياء والمرسلين صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم أجمعين. وانطلاقا من هذا الدين العظيم يؤمن المسلمون بوحدة رسالة السماء وبالأخوة بين الأنبياء وبين الناس جميعا. وانطلاقا من ذلك كله يؤمن المسلمون بوحدة التراث الإنساني ، وبضرورة المحافظة عليه وإثراءه باستمرار ، ولذلك فإنهم في عصر نهضتهم انطلقوا لجمعه من جميع مصادره ، ومن مختلف لغاته وأماكنه ، وغربلوا ذلك بمعيار الإسلام فما وافقه حفظوه واجتهدوا في إثرائه ، وما خالفه نبذوه وراء طهورهم وتركوه. ولإعطاء النموذج الحي على ذلك السلوك الإنساني النبيل يمكن إيجاز أبرز إضافات الحضارة الإسلامية في مجالات العلوم البحتة والتطبيقية في النقاط الأساسية التالية: 1- وضع أسس المنهج العلمي بأيدي كوكبة من العلماء المسلمين أمثال جابر بن حيان ، البيروني ، ابن سينا ، ابن الهيثم ، وغيرهم ابتداء من القرن الثاني الهجري (الثامن الميلادي) والمنهج العلمي ينسب اليوم زورا إلى روجر بيكون الذي عاش في القرن الثالث عشر الميلادي أو إلى سميه فرانسيس بيكون الذي عاش بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. 2 - تبني نظام الترقيم الهندي ، واختيار أفضل سلسلتين

فيه ، وهما (الأرقام الهندية) المستخدمة في دول المشرق العربي اليوم ، و(الأرقام الغبارية) المستخدمة في دول المغرب العربي ، والتي انتقلت منها إلى بلاد الأندلس ثم إلى بقية الدول الغربية التي تسميها باسم (الأرقام العربية). 3- أخذ (الصفر) كأحد الأرقام الحسابية تعويضا عما كان يعرف في الحضارة الهندية القديمة باسم الفراغ أو (سونيا). وقد ثبت لذلك من الفوائد العديدة ما أمكن تطبيقه في كل من عالم الحساب ، واستخراج الجذور ، وعمليات النسبة والتناسب ، وفي حل المعادلات الرياضية من مختلف الدرجات ، وفي استخراج المجاهيل الرياضية. 4- ابتداع طريقة الإحصاء العشري ، وتعريف الكسر العشري ، وابتكار وضع علامة فاصلة للكسر العشري. 5 - سبق العالم المسلم جمشيد الكاشي (ت840هـ/1436م) بوضع نظرية ذات الحدين في الرياضيات ، والتي تنسب اليوم خطأ إلى إسحاق نيوتن (1622-1727). 6 - سبق العالم المسلم أبو الحسن علي بن محمد القرشي المعروف بالقلصادي (ت891هـ/1486م) في كشف الرموز الجبرية والتي تنسب زوراً إلى العالم الفرنسي (فيث). 7- سبق العالم المسلم ثابت بن قرة (ت288هـ/901م) بوضع أسس علم التفاضل والتكامل والذي ينسب زوراً إلى إسحاق نيوتن. 8- سبق العالم المسلم الخوارزمي (ت226هـ/840م) بوضع قواعد علمي الجبر واللوغاريتمات (الخوارزميات) والذين ينسبان خطأ إلى نايبر (1550-1617). 9- سبق العالم المسلم أبو محمد بن الحاسب الكرخي (ت421هـ/1020م) بابتكار مثلث معاملات نظرية ذات الحدين والذي ينسب زورا إلى العالم الفرنسي باسكال (1632-1662). 10- سبق العالم المسلم عمر الخيام (440-525هـ/1048-1131م) بوضع اللبنات الأولية لعلم الهندسة التحليلية الذي ينسب خطأ إلى العالم الفرنسي ديكارت (1596-1650م). 11 - سبق العالم المسلم ابن سينا (371-428هـ/1036-980م) بوضع القانونين الأول والثاني للحركة اللذان ينسبان اليوم زورا إلى إسحاق نيوتن. 12 - سبق العالم المسلم عبداللطيف البغدادي (577/619هـ) باكتشاف القانون الثالث للحركة الذي ينسب اليوم ظلما إلى إسحاق نيوتن ، كما قام بتصحيح أخطاء جالينوس في وصف الفك الأسفل للإنسان وأكد كشفه بدراسة أكثر من ألفي جمجمه. 13 - سبق عدد من العلماء المسلمين من أمثال الخازني والبيروني والهمداني بتحديد العلاقة بين كل من الكتلة (الثقل) للكوكب والمسافة التي تحكم وضعه في السماء والسرعة التي يجري بها وهي ركائز قانون الجاذبية الذي ينسب زورا إلى إسحاق نيوتن. 14 - سبق الفلكيين المسلمين من أمثال البتاني (240-317 هـ - 854-929م) ، والكاشي (ت840هـ/1436م) بوصف مسارات الكواكب في مدارات إهليلجية وليست دائرية وينسب ذلك زوراً إلى الفلكي الألماني كبلر (1571-1630م) الذي عاش بين القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وسبق المسلمون ذلك بكشف العديد من الحقائق الفلكية التي تنسب زوراً إلى الفلكي البولندي كوبرنيكوس وإلى غيره من الفلكيين الغربيين . 15 - سبق العالم المسلم ابن يونس المصري (ت399هـ/1009م) بتصميم البندول فهو المخترع الحقيقي له وليس جاليليو جاليلي (1546-1642م) الذي ينسب ذلك الاختراع زورا إليه. وقد استخدم ابن يونس البندول لحساب الفترات الزمنيه أثناء عملية الرصد الفلكي ، كما استخدمه في بناء أول الساعات الدقاقة . 16 - سبق العالم المسلم أبو الفتح عبدالرحمن المنصور الخازني (المعروف باسم الخازن) الذي عاش في أواخر القرن السادس الهجري (ت550هـ) بوضع القواعد الأساسية لعلم الحيل (الميكانيكا وحركات الماء أو الهيدروستاتيكا) والتي تنسب زوراً إلى العالم الإيطالي توريشيللي

(1608/1647م) وقد سبق الخازني كل من تيروشيللي وباسكال وبويل بالإشارة إلى أن للهواء وزنا وقوة رافعة كالسوائل وأن وزن الجسم المغمور في الهواء ينقص عن وزنه الحقيقي ، وأن مقدار ماينقص من هذا الوزن الحقيقي يتوقف على كثافة الهواء ، وهذه الحقائق هي التي مهدت لاختراع كل من البارومتر ، ومفرغات الهواء ، والمضخات ، وغيرها من الأجهزة المعتمدة على ضغط الهواء. 17 - سبق العالم المسلم ابن النفيس (ت607-696هـ) بوصف الدورة الدموية الصغرى (الدورة الدموية الرئوية) والتي ينسب اكتشافها زورا إلى الطبيب الإسباني ميخائيل سيرفيتس أو إلى الطبيب البريطاني وليم هارفي (1578-1657م). 18 - سبق العالم المسلم أبو عثمان الجاحظ (150-255هـ) في وضع أسس علم التشريح المقارن كما كان الطبيب المسلم العملاق الزهراوي (936-1013م الموافق 324/404هـ) أستاذ الجراحة في زمانه بلا منازع. 19 - سبق العالم المسلم أبو بكر محمد بن زكريا الرازي (240-320هـ/854-932م) في ابتكار خيوط ضم الجروح المسماة بالقصاب ، كما كان أول من صنع المراهم من الزئبق ، وأول من كتب في طب الأطفال. 20 - سبق العالم المسلم علي بن العباس المجوسي بوضع الأسس اللازمة لعلم التشريح. 21 - سبق العالم المسلم ابن سينا (361-428هـ/980-1036م) بوصف العضلات الداخلية للعين ، وبالتفرقة بين العديد من الأمراض من مثل اليرقان الناشئ عن انحلال كريات الدم الحمراء ، والناشئ عن انسداد قنوات الغدد الصفراوية ، والكشف عن الأمراض التي تنشر بواسطة تلوث مياه الشرب بكائنات دقيقة لاترى بالعين المجردة ، كما كشف عن العديد من أمراض الجلد ، وأمراض الجهاز البولي/التناسلي ، وأمراض الجهاز التنفسي مما ينسب اليوم إلى غيره من علماء الغرب من أمثال العالم الفرنسي لويس باستير (1822-1895م) . 22 - سبق العالم المسلم ابن خاتمة في إثبات حصول العدوى بعدد من الأمراض بمجرد المخالطة ويعتبر بذلك مكتشف العديد من الأمراض المعدية والتفريق بينها وبين الأمراض غير المعدية. وينسب اليوم لعدد من العلماء الغربيين. 23سبق عدد من العلماء المسلمين بالتعرف على مبادئ علم التحليل النفسي واستخدام ذلك في علاج العديد من الأمراض النفسية والعصبية. هذا غيض من فيض الحضارة الإسلامية التي حملت مشاعل الهداية للبشرية في مختلف مناحي معارفها الموهوبة والمكتسبة لفترة زادت عن أحد عشر قرناً ، والتي اعترف بأفضالها عدد من منصفي الغرب ومنهم الطبيب البريطاني الشهير والأديب المعروف روبرت ستيفن بريفولت (1876-1948م) الذي كتب كتابه المعنون: (صناعة الإنسانية) وجاء فيه ماترجمته: (فعلى الرغم من أنه لا توجد ناحية من نواحي النمو الأوروبي تخلو من أثر فعال للحضارة الإسلامية ، فإن ذلك هو أوضح ما يمكن ظهوراً وفاعلية في تطور العلوم الطبيعية ، والروح العلمية التي تمثل القوة المميزة للعالم الحديث ، والمصدر الأول لانتصاره). ويضيف هذا العالم البريطاني المنصف بريفولت ما ترجمته: (إن دين علمنا للعلم العربي لا يتمثل فقط في المبادرة باكتشاف نظريات أدّت إلى قلب موازين المعرفة ؛ لأن العِلم مدين للحضارة العربية بأكثر من ذلك ؛ لأنه مدين بوجوده كلية لتلك الحضارة ، فلقد كان العالم القديم كما رأينا عالم ما قبل المعرفة العلمية. فعلم الفلك ، وعلم الرياضيات عند الإغريق كانا بضاعة غريبة مستوردة لم تتأقلم أبداً في الحضارة الإغريقية..). ويزيد بريفولت في صفحة 202 من كتابه المنصف هذا ما ترجمته: (تعلم روجر بيكون اللغة العربية والعلم العربي بتوجيه من تابعي العرب في مدرسة أوكسفورد ، ولم يكن لأي من روجر بيكون (1214-1294م) ، ولا لمن تسمى باسمه

فيما بعد فرانسيس بيكون (1561-1626م) أي فضل في اكتشاف الطريقة التجريبية ، فلم يكن روجر بيكون سوى سفير من سفراء العالم العربي ومنهجه إلى أوروبا المسيحية ولم يتردد هو لحظة واحدة في الاعتراف بأن تعلم اللغة العربية كان السبيل أمام معاصريه للوصول إلى العلم الحقيقي . وإن المناقشات حول من مخترع المنهج التجريبي ليست إلا جزءاً من سوء الاستنباط عن أصول الحضارة الأوروبية ؛ لأن المنهج التجريبي العربي كان على عهد بيكون منتشراً انتشاراً هائلاً ، ومنغرساً بشغف شديد في كل أوروبا). (وقد كان العلم هو أهم إضافات الحضارة العربية للعالم الحديث ، ولو أن ثماره كانت بطيئة في نضجها ، فلم يتمكن العملاق التي ولدته الحضارة العربية من النهوض في قوة إلا بعد زمن طويل من تخلف العرب وترديهم في الظلمات ، ولم يكن العالم العربي وحده هو الذي أعاد أوروبا إلى الحياة ، بل إن تأثيرات أخرى عديدة من الحضارة الإسلامية قد أضاءت الحياة الأوروبية بأولى ومضات وهجها). بهذه الشهادة المنصفة من أحد أبرز الأطباء والأدباء البريطانيين في القرن العشرين أختتم هذا الفصل شاكراً الله تعالى الذي أنار بصيرة هذا الطبيب والأديب البريطاني حتى يشهد شهادة حق في وسط عالم ضل الطريق ، وزوّر التاريخ ، وانتقص من أفضال الحضارة الإسلامية من جديد حتى يستفيد الناس جميعاً من ضرورة تكامل المعارف المكتسبة من وحي السماء ، وتعاليمه الدينة الصحيحة ، والذي لم يتحقق إلا في ظل الحضارة الإسلامية).هـ. وفي كتابه (دراسة لسقوط ثلاثين دولة إسلامية) يقول الدكتور عبد الحليم عويس في مقدمة البحث ما نصه: (ولقد ظهر تاريخنا من خلال التركيز ، وكأنه تاريخ أسطوري ، وكأن الذين عاشوه وأسهموا في صنعه ملائكة ليسوا بشراً! ولقد كان هذا المنهج في التناول خطيرا من عدة وجوه: * أولا: لأنه ترك مهمة التحليل العلمي لتاريخنا كتاريخ بشر لهم مزايا وغرائز - لأعداء هذا التاريخ ، فراحوا يركزون على الجوانب السلبية في هذا التاريخ ، وصادف هذا هوى من بعض العقليات التي كانت تسأم التركيز على الماضي بهذه الصورة غير الموضوعية ، وبالتالي انساقت هذه العقليات وراء جماعة المستشرقين الذين يدرسون تاريخنا. من نقطة الانطلاق المحددة ، وهي تشويه هذا التاريخ وأصحاب هذا التاريخ! * ثانياً: وفي غمرة الانبهار العقلي بالمناهج الاستشراقية. ضاعت بحكم رد الفعل حقائق موضوعية تتصل بهذا التاريخ وانقسم الناس حول هذا التاريخ قسمين: قسم يرفضه بالجملة ، ويراه عقبة في طريق التقدم والمستقبل ، وقسم آخر يراه كل شيء! * ثالثا: لقد صرفنا منهج التركيز على المدح عن الاستفادة الحقيقية من تاريخنا ، ولعل بعض الناس قد وقر في أذهانهم بفعل هذا التركيز ، أن ما نعانيه في هذا القرن من مشكلات حضارية ، ومن تحديات مصيرية ، هو نموذج لم يتكرر في تاريخنا. وهم يشعرون - لذلك - بيأس شديد ، ولعلهم يحسون ، وإن كانوا لا يُفصحون بأننا لن نعود إلى استئناف مسيرتنا - نحن المسلمين - وبأننا لم يعد لدينا ما يمكن أن نعطيه للحياة في عصر القوة النووية والمركبات الفضائية ، نحن الذين نستورد الساعات والسيارات والآلات البسيطة).هـ. ونشكر الدكتور زغلول النجار على هذه المعلومات القيمة!)

مهما انتسبتم - إلى التوثيق - أزمانا ... وردّد الناسُ ما قد خط مُزدانا

فإن نسبتكم إليه مَحضُ هُرا! ... والانتسابُ غدا زوراً وبهتانا

يـــا أكـــذبَ النـــاس والكُتـــاب قاطبـــة! والكِـــذبُ يأخـــذ أشـــكالاً وألوانـــا

حـــرّفتمُ الحـــق عمـــداً عـــن مواضـــعه يـــا جوقـــة أمعنـــتْ فـــي الزيـــف إمعانـــا

هـــي الحقيقـــة تهجـــوكم وتلعـــنكم بمـــا غمـــرتم بزيـــف القـــول أذهانـــا

فكـــم درجـــتم علـــى التزويـــر ضـــاق بـــه مَـــن ينشـــدُ الحـــق إســـراراً وإعلانـــا!

وكـــم نســـبتم - لأهـــل الغـــرب - منقبـــة خـــرّوا - علـــى ظلهـــا - صُـــمّاً وعُميانـــا

والاختراعـــاتُ ضـــجّتْ مِـــن تحـــايلكم إذ لـــم تقيمُـــوا - لأهـــل العلـــم - أوزانـــا

لـــم تُنزلـــوا العُلمـــا أرقـــى منـــازلهم إذ افتـــريتم ، وكـــان الغِـــش بُرهانـــا

وتلـــك مِطرقـــة التـــدليس شـــاهدة تـــدقّ حقـــاً وتفصـــيلاً وتِبيانـــا

حتـــى الأســـامي التـــي التـــاريخ مَجّـــدها شـــوّهتموها ، كـــأن المجـــدَ مـــا كانـــا

فهـــل أقمـــتم - علـــى الـــدعوى - أدلتهـــا؟ أم قـــد جعلـــتم جـــزا المعـــروف نكرانـــا؟

أجـــدادنا نبغـــوا فـــي العلـــم ، واخترعـــوا وأنشـــأوا - فـــي مغـــاني الأرض - عُمرانـــا

ونقحـــوا العلـــم تنقيحـــاً يتيـــهُ بـــه جيـــلٌ يُكِـــنّ لهـــم فخـــراً وشُـــكرانا

فـــي كـــل فـــن لهـــم بـــاعٌ ومدرســـة كأنمـــا نصـــبوا - للعلـــم - ميزانـــا

ولســـتُ أعطـــي - علـــى الإبـــداع - أمثلـــة فـــالقوم لـــم يتركـــوا - فـــي العلـــم - ميـــدانا

كـــانوا الأســـاطينَ فـــي طـــب وهندســـةٍ وأسّســـوا - فـــي علـــوم الأرض - أركانـــا

والـــبعضُ عاشـــوا - بمـــا جـــدوا - صـــيادلة وأتقنـــوا وصـــفة الأعشـــاب إتقانـــا

وركبـــوا لشِـــفا الأمـــراض أدويـــة وأذعنـــوا - لعـــلاج الـــوحي - إذعانـــا

وأثبتـــوا أنهـــم أهـــلٌ لمَـــا انتهجـــوا مِـــن المـــذاهب ، تهـــدي المجـــد أوطانـــا

شـــادوا الحضـــاراتِ فـــي قـــرىً وباديـــةٍ وطـــامنوا الـــنجمَ تشـــييداً وعُمرانـــا

وفـــي التـــراجم مِـــن أخبـــارهم زبَـــدٌ تزيـــدُ قارئهـــا تقـــوى وإيمانـــا

بـــين العلـــوم وبـــين الـــدين قـــد جمعـــوا ... فـــــزادَهم ربنـــــا علمـــــاً ورُجحانـــــا

فـــي البحـــث والـــدرس مـــا خـــارتْ عـــزائمهم ... ميـــدانُ حـــرب ، وكـــانوا فيـــه فرســـانا

حـــازوا المقامـــاتِ ، لـــم يظفـــرْ بهـــا أحـــدٌ ... واستصـــحبوا المجـــدَ ، كـــانوا فيـــه أعيانـــا

وزايلـــوا خطـــراتِ الضـــعف تصـــرفهم ... عـــن التفـــوّق ، لا تبقِـــي لهـــم شـــانا

ودرّســوا العلـمَ مَـن - فـي العلـم - قـد رغبـوا ... وأحســـنوا لمُحبّـــي العِلـــم إحســـانا

واليـــومَ يهضـــمُهم حقـــوقهم همَـــجٌ ... يُسَـــطرون أضـــاليلاً وأعفانـــا

فكيـــف يلقـــون مَـــن يُصـــغي لبـــاطلهم؟ ... ألـــيس يَملـــك أهـــلُ الفهـــم آذانـــا؟

وهـــل يُصَـــدّق أهـــلَ الإفـــك ذو رشـــدٍ ... إلا إذا كـــان فـــي التزييـــف هيمانـــا؟

إنـــي أرى ســـارقي الأمجـــاد قـــد كُشِـــفوا ... مهمـــا ارتـــدَوْا - فـــي مهـــاوي الغـــي - تِيجانـــا

يُلفقـــون ، فهـــل راجـــتْ بضـــاعتهم؟ ... كأنمـــا اتخـــذوا التلفيـــق عنوانـــا!

(زغلولنـــا) الفـــذ جلـــى كـــل مـــا ســـرقوا! ... وردّ كيـــدَ الألـــى آذوْه عـــدوانا

إذ أججـــوا غيـــرة تغلـــي بداخلـــه ... حتـــى تعقـــبهم ، وعـــاد جَزلانـــا

وغربـــلَ الـــزورَ مُســـتلاً مُهنـــدَه ... وانـــداحَ - فـــي الحـــرب - كَـــراراً وطعّانـــا

وصـــدّ هجمـــتهم فـــي كـــل معتـــركٍ ... وأثخـــنَ الشـــهم - فـــي الأعـــداء - إثخانـــا

ولـــم يُبـــال بمـــا خطـــوه مِـــن شـــبهٍ ... ولـــم يجـــدْ - فـــي لقـــا الأوبـــاش - أعوانـــا

وخـــط بـــالنور والتقـــوى (رســـالته) ... لأمـــةٍ هجـــرتْ شـــرعاً وقرآنـــا

لعلهـــا تُـــدركُ المـــأمولَ فـــي غـــدِها ... حتـــى تُجنبنـــا ظلمـــاً وطغيانـــا

ونســـأل اللهَ أن يُقيـــلَ عثرتهـــا ... مـــا خـــاب عبـــدٌ رجـــا – فـــي الكـــرب – رَحمانـــا!

شُرفتِ بالإسلام يا عراقية

(كانت هذه المعلمة من غُلاة الروافض. ثم منّ الله عز وجل عليها فاهتدتْ للحق بعد جدال طويل مع إحدى طالبات صفها. وكانت هذه الطالبة قد قرأت معها تفسير سورة الفاتحة لابن تيمية. فإذا بها تتوبُ وتصبحُ من الداعيات الفضليات! والحقيقة أن الدعوة سبب للفوز بخيرية الأمة المسلمة كما قال تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ). قال الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى: (فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم ، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها ، ومن لم يتصف بذلك كان أشبه بأهل الكتاب الذين ذمّهم الله بقوله: (كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ).هـ. فكتبتُ أحيي الأخت العراقية!)

هــذي البشــارة مِــن فــؤادي صــادحة ... لــتخُصّ - بــالتكريم - فَضــلى صــالحة

تابــت ، وأبلــتْ فــي الهُــدى خيــرَ الــبلا ... بمحــاولاتٍ - فــي الهدايــة - ناجحــة

ولِــرَبّ هــذا الكــون باعــت نفســها ... هــذي التجــارة مُصــطفاة رابحــة

واللهُ أكــرمُ مَــن يجــودُ ويشــتري ... فلِجنــة المــأوى الخلائــقُ طامحــة

ولقــد بلغــتِ - مِــن الكرامــة - منــزلاً ... لمّــا خطــوتِ خُطــى الرشــاد البارحــة

وغــدوتِ بالتوحيــدِ أعــذبَ غــادةٍ ... بمعــالمٍ فــي الحــق أضــحتْ واضــحة

وشــرُفتِ بالإســلام يــا أختَ الهُــدى ... لمّــا قــرأتِ مــع الفتــاة (الفاتحــة)

ولســوف يُكْبــرُكِ (العِــراقُ) وأهلــه ... يــا خيــر عائــدةٍ وأكــرم ســائحة!

بُشــراكِ ، ديــنُ الحــق يرفــعُ أهلــه ... ويصــدّ عنــكِ التّرهــات الكالحــة

فتــذودي للقــا الــروافض بالهُــدى ... لتجاهــدي تلــك الكــلابَ النابحــة

مَــن يطعنــون كتابنــا ونبينــا ... بتخرصــاتٍ فــي الصــحائفِ فاضــحة

مَــن شــوّهوا تــاريخ صــحْب (محمــدٍ) ... وبــلا دليــل كالكِبــاش الناطحــة

فتســلحي حتــى تصــدي كيــدهم ... حتــى تنــوحَ علــى الغــواة النائحــة

وتجهــزي لحــروبهم يــا أختنــا ... مادمــتِ غاديــةً هُنــا أو رائحــة

الغربة مهر المعالي!

(أحس بأن مجتمعه يجعله على هامش الحياة. فاغتربَ من أجل حياة أفضل. فإذا بالمجتمع الذي هاجر إليه يجعله كذلك على هامش الحياة. فكانت غربته مهراً للمعالي. حيث إنه تحدى غربته وحقق كثيراً من أمانيه وآماله في غربته! قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء. قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون عند فساد الناس". وفي رواية: النزاع من القبائل. وجاء من طريق آخر: "بدأ الإسلام غريباً ، ولا تقوم الساعة حتى يكون غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء حين يفسد الناس". وفي رواية لابن وهب قال عليه الصلاة والسلام: " طوبى للغرباء الذين يمسّكون بكتاب الله حين يُترك ، ويعملون بالسنة حين تطفى". وفي رواية: إن الإسلام بدأ غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ ، فطوبى للغرباء.)

حققتُ - في غربتي - رطيبَ آمالي ... حتى عُرِفتُ بأني الراحلُ الجالي

ولم تعقني - مِن التغريب - شِدّته ... ولم يُلِنني اغتيابُ الحاسد القالي

في غربةٍ نارها تُهدي إليّ لظىً! ... عدِمتُ فيها خِيارَ الصحب والآل

تعقبتني ، فلم أحفلْ بصولتها ... وبتّ - رغم الدواهي - خاليَ البال

وبعد أنشدتُ - مِن شعري - لآلئهُ ... مستعذباً رغم ضِيق العيش والحال

واصطدتُه مِن بحار الضاد محتسباً ... كما تصيدُ اللآلي كَفّ لآل!

مهرُ المعالي اغترابٌ عن مضاربنا ... وبذلُ جهدٍ وأوقاتٍ وأموال

وكم تعجبَ مِن شِعري عباقرة! ... على قريضي لهم عظيمُ أفضال

وأسمعوني - من التدشين - أعذبَهُ ... ومِن جميل الثنا رطيبَ أقوال

وقدموني بألفاظٍ معطرةٍ ... شوقاً ، تدلّ على حُب وإجلال

والشعرُ خفّفَ عني بعضَ واجبهم ... وقابلَ المدحَ بالتعففِ القالي

سجلتُ ما عشتُ أشعاراً تذرّ ضِياً ... وتستهينُ بآلامٍ وأهوال

في غربةٍ همّشتْ دَوْري وتجربتي ... وكبلتني بأصفادٍ وأغلال

فلم أبال بما واجهتُ مِن مِحَن ... فغربتي مَهرُ أحلامي وآمالي

تيسٌ شريف

(في موسم الأضاحي اشترى زيدٌ تيساً ، وأدخله حظيرة الغنم التي بها بعضُ العنزات معهن تيس آخر. فدارت معركة مُرة ضارية بين التيس المضيف والتيس الضيف. وما ذاك إلا غيرةً على العنزات المحترمات الزوجات الحشيمات! فهل عقلَ هذا الدرس الديوثون من بني آدم ، مَن يُدخلون الرجال الأجانب على نسائهم أو يسمحون لنسائهم وبناتهم بمخالطة الرجال والتبرج المستهتر والتهتك المسعور؟ أوليس عيباً على رجولة أحدهم أن يكون التيسُ أغيرَ على حشمه وحريمه منهم؟! وبمعنىً أوضح: ألا يستحيي أحدهم أن يكون التيس البهيم أشرف منه وهو يأبى أن يكون ديوساً يسمح لتيس آخر أن يدخل عليه وعلى حريمه بدون استئذان ولا سابق إنذار؟! صدق الله: (بل هم أضل!) فليستفيقوا مما هم فيه من الديوثية التي رفضها الحيوان البهيم الأعجم!)

لستُ أدري ماذا يقول القريضُ ... والنقيضُ يطغى عليه النقيضُ؟

والنفوسُ: نفسٌ تغارُ ، وأخرى ... ليس فيها - من الإباء - وَميض!

والمعالي ليست تُباع وتُشرى ... ذا صحيحٌ ، وذا سقيمٌ مريض

ما تساوى عبدٌ عفيفٌ بنذل! ... ذا سموٌّ - صدقاً - وذاك حضيض

وانظروا للتيس الذي حلّ ضيفاً ... والمُضيفُ إكرامُه مُستفيض

فالنِطاحُ أولى التحايا احتراماً ... كل قرنٍ سيفٌ مُبيرٌ عَضوض

فليدافعْ ضيفٌ - عن النفس - فوراً ... إن خذلان النفس شيٌّ بغيض

أو يعيشُ - بين التيوس - ذليلاً ... حقه مهضومٌ مُضاعٌ مَهيض

لن يعيشَ وسط القطيع مُعافىً ... بل طريداً يحسو دماه البعوض

إذ تغار على النِعاج كباشٌ ... غيرةً - حقاً - ليس فيها غموض

إذ تغار على المِعاز تيوسٌ ... ولذا قلبُ الضيف قلبٌ مَضيض

ليت ديوثاً يستحي ، ثم يَخزى ... أن تيساً - حرباً ضروساً - يخوض!

ذائداً عن مَعيزه بقرون ... إنْ تهاوتْ بالرأس قد يستعيض!

متعهدون لا عهد لأحدهم

(أصبحت عادة ألفها كثير من الناس ، فمنهم من يؤديها بصدق فتصبح عادة في صورة عبادة يأجره الله تعالى عليها! ومنهم من يؤديها نفاقاً ورياءً فلا يأجره الله تعالى عليها! لأن الله عز وجل يأجر على النية الحسنة وصوابية العمل وموافقته لكتابه وسنة نبيه – صلى الله عليه وسلم -. ومن هنا تكون شروط قبول العمل عند الله تعالى قد تحققت: كونه صواباً موافقاً للكتاب والسنة ، وكونه خالصاً لله لا رياء فيه ولا نفاق ولا سُمعة! فما العادة التي نعني؟ ولماذا كانت القصيدة ترجمة لموقف يتناولها؟ والجواب باختصار أن العادة هي أن كثيراً من الناس اعتادوا عندما يموت ميتهم أن يغسلوه ويكفنوه ويصلوا عليه ، ويشيعوه إلى مثواه الأول من عالم الآخرة (القبر)! ذلك أن القبر هو أول منزل من منازل الآخرة! والحياة فيه برزخية بحتة لا يعلم كُنهها إلا الله رب العالمين! وقبيل الدفن بلحظات يقف من أهله من يقف ويقول للناس: (أيها الناس إن كان على ميتنا دَيْن أو حقٌ لأحد ، فأنا متعهد به وأن ذمة الميت قد برئت منه وصارت إليّ! وبالطبع يتنازل كثير من الناس عن المطالبة بأي حق لهول الموقف ولشدة التأثر بالمناسبة ، ويقول في نفسه إن لم يُصرح: تركتها لله تعالى! وبعد ذلك لا يكون له الحق في المطالبة لأنه لم يعلن ذلك يوم طلب منه أمام القبر وساعة الدفن! وجماعة قصيدتنا ثلاثة هم أبناء لرجل أكل حصة أخته في الإرث ، وأضاف نصيبها إلى نصيبه بعقد مدلس مكذوب! وكان جُل أهل القرية من الذين حضروا الموقف يعلمون! ومنهم من راجعه ولكنه أصر على موقفه! وكان هذا الرجل قد نهب 20 قيراط كانت لأخته الفقيرة! وعاش 20 سنة بعد نهبه وسلبه ولم يستيقظ ضميره! والعجيب أن أبناء الميت المجنوز يعلمون الحكاية من ألفها ليائها! وكأني بهم قد استمرأوا الوضع ، وقبلوا حرمان عمتهم من حقها الذي شرعه الله لها! فعندما قال الأبناء الثلاثة تلك المقولة المعادة المكررة وكان كبيرهم وأشقاهم يبدأ القول ويعيده والاثنان الآخران يكرران ما يقول أخوهم الأكبر الذي هو الابن البكر للرجل الميت! وتفاجأ الكل بما فيهم المشيعون جميعاً بأبناء الأخت التي حُرمت من إرثها يطالبون المتعهدين الكاذبين بحق أمهم العشرين قيراط ، ذلك الحق المنهوب من عشرين سنة! وكانت مفاجأة رهيبة أعدت وجهزتْ ، وأحس الأبناء المعتدون أبناء الميت أن الأمر دبر بليل! وتمنوا أن لم يقفوا هذا الموقف الرعيب المحرج الذي لا خلاص منه إلا بالاعتراف بالحق! ولكنهم لم يأخذوا العبرة من الموقف ، بل غالطوا واستمرأوا المجادلة بالباطل! وكشروا عن أنياب النفاق وبدت البغضاء من أفواههم ، وما أخفت صدورهم من الحنق والغل كان أكبر وأكبر ولا شك! وذلك قياساً على الذي أظهروه من الكراهية والبغضاء للحق! ووعدوا أبناء عمتهم بأنهم بعد الفراغ من الدفن وأخذ العزاء سوف يعقدون مجلساً للانتهاء من هذا الموضوع إلى الأبد ، ولإرجاع الحق المغتصب إلى أصحابه! وانقسم الناس إلى فريقين بعدما ساد لغط كبير بين الانتصار للحق ونكران ذلك الحق! ففريق رأى بأنه حق ولكن ليس هذا أوانه ولا مكانه! فرد الفريق الآخر قائلاً فلماذا تجرأ أبناء الميت وبرأوا ذمته من الديون والحقوق معلنين أنهم بُدلاء عنه في كل ذلك؟! ومن هنا جاء العنوان: (متعهدون لا عهد لأحدهم)! وذلك لأنهم أجمعوا رأيهم على فكرة واحدة هي أكل الحق وإنكاره تماماً رغم وضوح الدليل ووجود الشهداء من أبناء الميت استشهاد أحد منهم أن يفكر في سؤاله لمعرفة الحق! وذلك لعلمه مسبقاً الذين لم يجرؤ أحد أنه لا يكذب ، وسيعلن الحقيقة التي يكاد يكون عليها إجماع من أهل القرية! إن منقبة الوفاء بالعهود منقبة عظيمة لا يقوى عليها إلا أصحاب الهمم العالية والإرادات لاالقوية! قال سبحانه: (وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً). قال الإمام الطبري – رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: (وأوفوا بالعقد الذي تعاقدون الناس في الصلح بين أهل الحرب والإسلام ، وفيما بينكم أيضًا ، والبيوع والأشربة والإجارات ، وغير ذلك من العقود - إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً - ويقول: إن الله جلَّ ثناؤه سائلٌ ناقضَ العهد ، عن نقضه إياه ، ويقول: فلا تنقضوا العهود الجائزة بينكم ، وبين من

عاهدتموه أيها الناس فتخفروه ، وتغدروا بمن أعطيتموه ذلك. وإنما عنى بذلك أنَّ العهد كان مطلوبًا).هـ. وقال عزَّ مِن قائل: (أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللّهِ وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ). وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله تعالى - في تفسير هذه الآية: (أي بما عقدوه من العهود فيما بينهم وبين ربهم ، أو فيما بينهم وبين العباد وَلاَ يِنقُضُونَ الْمِيثَاقَ الذي وثقوه على أنفسهم ، وأكَّدوه بالأيمان ونحوها ، وهذا تعميم بعد التخصيص ؛ لأنَّه يدخل تحت الميثاق كلُّ ما أوجبه العبد على نفسه ، كالنذور ونحوها ، ويحتمل أن يكون الأمر بالعكس ، فيكون من التخصيص بعد التعميم على أن يراد بالعهد جميع عهود الله تعالى ، وهي أوامره ونواهيه التي وصى بها عبيده ، ويدخل في ذلك الالتزامات التي يلزم بها العبد نفسه ، ويراد بالميثاق: ما أخذه الله على عباده ، حين أخرجهم من صلب آدم في عالم الذرِّ المذكور في قوله سبحانه: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ).هـ. وقال الله سبحانه: (إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا). وقال تعالى أيضاً: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَوْفُواْ بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الأَنْعَامِ إِلاَّ مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ). قال الإمام السعدي المفسر المحترم – رحمه الله تعالى -: (هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود ، أي: بإكمالها ، وإتمامها ، وعدم نقضها ونقصها. وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه ، من التزام عبوديته ، والقيام بها أتمَّ قيام ، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئًا ، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه ، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب ، ببرهم وصلتهم وعدم قطيعتهم ، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر ، واليسر والعسر ، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات ، كالبيع والإجارة ، ونحوهما ، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها ، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) بالتناصر على الحقِّ ، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع ، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه ، فكلُّها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها).هـ. وإذا جاوزنا الآيات القرآنية العظيمة التي تحض على الوفاء بالعهود والعقود ، وتحذر من نقضها وعدم الوفاء بها ، فلنتجه إلى سنة نبينا – صلى الله عليه وسلم لنستزيد منها! فعن سليم بن عامر قال: كان بين معاوية ، وبين الروم عهد ، وكان يسير نحو بلادهم ، حتى إذا انقضى العهد غزاهم فجاء رجل على فرس أو برذون ، وهو يقول: الله أكبر ، الله أكبر ، وفاء لا غدر. فنظروا فإذا عمرو بن عبسة ، فأرسل إليه معاوية فسأله ، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد ، فلا يشد عقدة ، ولا يحلها حتى ينقضي أمدها ، أو ينبذ إليهم على سواء). فرجع معاوية! ومعنى قوله ينبذ إليهم على سواء ، أي: يُعْلمهم أنَّه يريد أنَّ يغزوهم ، وأنَّ الصلح الذي كان بينهم قد ارتفع ، فيكون الفريقان في ذلك على السواء. وهذا من أدب الحرب في الإسلام! وفيه دليل على أنَّ العهد الذي يقع بين المسلمين وبين العدو ، ليس بعقد لازم لا يجوز القتال قبل انقضاء مدته ، ولكن لا يجوز أن يفعل ذلك إلا بعد الإعلام به والإنذار فيه)! وهذا هو صنيع المسلمين الحنفاء مع أعدائهم ، فما بالنا إن كان بينهم وبين إخوانهم المؤمنين الموحدين؟! وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صلَّى الصبح ، فهو في ذمة الله ، فلا تخفروا الله في عهده ، فمن قتله ، طلبه الله حتى يكبَّه في النار على وجهه). أي في عهده وأمانه في الدنيا والآخرة ، وهذا غير الأمان الذي ثبت بكلمة التوحيد ، (فلا تخفروا الله في ذمته). وقال في النهاية: خفرت الرجل: أجرته وحفظته. وأخفرت الرجل: إذا نقضت عهده وذمامه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: (أربعٌ من كنَّ فيه كان منافقًا خالصًا ، ومن كانت فيه خصلة منهنَّ ، كانت فيه خصلةٌ من النفاق حتى يدعها: إذا اؤتمن خان ، وإذا حدَّث كذب ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر). قال الإمام ابن عثيمين:

(وأما إخلاف الوعد فحرام يجب الوفاء بالوعد ، سواء وعدته مالًا ، أو وعدته إعانة تعينه في شيء ، أو أي أمر من الأمور ، إذا وعدت فيجب عليك أن تفي بالوعد ، وفي هذا ينبغي للإنسان أن يحدد المواعيد ، ويضبطها فإذا قال لأحد إخوانه: أواعدك في المكان الفلاني. فليحدد الساعة الفلانية ، حتى إذا تأخر الموعود ، وانصرف الواعد يكون له عذر ، حتى لا يربطه في المكان كثيرًا ، وقد اشتهر عند بعض السفهاء أنهم يقولون: أنا واعدك ولا أخلفك ، وعدي إنجليزي. يظنون أنَّ الذين يوفون بالوعد هم الإنجليز ولكن الوعد الذي يوفى به هو وعد المؤمن ، ولهذا ينبغي لك أن تقول إذا وعدت أحدًا وأردت أن تؤكد: إنه وعد مؤمن. حتى لا يخلفه ؛ لأنَّه لا يخلف الوعد إلا المنافق).هـ. وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة ، يُرفع لكلِّ غادرٍ لواءٌ ، فيقال: هذه غدرة فلان بن فلان). وقوله (لكل غادر لواء) قال الإمام النووي: (معناه لكل غادر علامة يشهر بها في الناس ؛ لأنَّ موضوع اللواء الشهرة مكان الرئيس علامة له ، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر ؛ لتشهيره بذلك).هـ. وقال الإمام القرطبي: (هذا خطاب منه للعرب بنحو ما كانت تفعل ؛ لأنهم كانوا يرفعون للوفاء راية بيضاء ، وللغدر راية سوداء ؛ ليلوموا الغادر ويذموه ، فاقتضى الحديث وقوع مثل ذلك للغادر ؛ ليشتهر بصفته في القيامة فيذمه أهل الموقف).هـ. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن خيار عباد الله الموفون المطيبون). وعن إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الله بن أبي ربيعة عن أبيه عن جده قال: استقرض مني النبي صلى الله عليه وسلم أربعين ألفًا ، فجاءه مال فدفعه إلي ، وقال: (بارك الله لك في أهلك ومالك ، إنما جزاء السلف الحمد والأداء). وتحت عنوان: (العهود التي بين الخلق) يقول الأستاذ سلمان بن يحي المالكي ما نصه: (إنه ينبغي قيام المسلم بما التزم به من قول أو كتابة تجاه إخوانه المسلمين ، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً. توكيد اليمين وعدم نقضها ، وأوفوا بعهد الله ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها عقد الزواج من العهد". إن أحق الشروط أن توفوا ما استحللتم به الفروج. رواه وكذلك قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: (الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ ، يَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَى مُضْعِفِهِمْ ، وَمُتَسَرِّيهِمْ عَلَى قَاعِدِهِمْ ، لَا يُقْتَلُ مُؤْمِنٌ بِكَافِرٍ ، وَلَا ذُو عَهْدٍ فِي عَهْدِهِ". رواه أبو داود. وأيضاً الإحسان إلى الأبناء وتربيتهم: "يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة .."). ومن أهملهم لم يوف بما عُهد إليه. وحفظ حقوق الجار بأن لا تستباح حُرمته ، ولا ينال من عرضه ، ولا يستحل ماله! "والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يا رسول الله؟ قال: "الذي لا يأمن جاره بوائقه". رواه البخاري. وإيفاء المسلمين المؤمنين حقوقهم عامة: "حق المسلم على المسلم ست: إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ، وإذا استنصحك فانصح له ، وإذا عطس فحمد الله فشمته ، وإذا مرض فعُدْه ، وإذا مات فاتبعه". رواه مسلم. واحترام العقود والأمر بإنفاذ الشروط التي بين المسلمين "المسلمون عند شروطهم". رواه البخاري. وأداء الدين لمستحقيه وعدم المماطلة فيه: "من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه ، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله". رواه البخاري. والتسويفِ في أداء أُجرةُ الأجراء وحقوقُ العمالِ الضعفاء: " قال الله عز وجل: (ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة: رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه ولم يعطه أجره). رواه البخاري. ومَنْ عَاهَدَ غَيْرَهُ مِنَ النَّاسِ ، وَوَعَدَهُ بِهِبَةٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ بَذْلِ مَعُونَةٍ أَوْ زِيَادَةِ أَجْرٍ أَوْ مُكَافَأَةٍ أَوْ إِنْجَازِ عَمَلٍ أَوْ قَضَاءِ حَاجَةٍ أَوْ أَدَاءِ دَيْنٍ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْعَى عَهْدَهُ وَأَلاَّ يُخْلِفَ وَعْدَهُ " أربع مَنْ كُنَّ فيه فَهُوَ مُنَافِقٌ خالص ، ومن كانت فيه خلة منهن كان فيه خلة من نفاق حتى يدعها: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا ائتُمِنَ خَانَ وإذا خاصم فجر). رواه أبو داود. جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله مات أبي وأمي فهل بقي من بر أبوي شيء أبرهما به بعد موتهما ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

نعم ، الصلاة عليهما والاستغفار لهما ، وإنفاذ عهدهما من بعدهما ، وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما ، وإكرام صديقهما). رواه أبو داود. روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "غاب عمّي أنس بن النضر عن قتال بدر ، فقال: يا رسول الله غِبْتُ عن أوّل قتال قاتلتَ فيه المشركين! لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَيَنَّ الله ما أصنع ، فلمّا كان يوم أُحد وانكشف المسلمون ، فقال: اللهمّ إنّي أعتذر إليك ممّا صنع هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك ممّا صنع هؤلاء - يعني المشركين - ثمّ تقدّم ، فاستقبله سعد بن معاذ ، فقال: يا سعد بن معاذ ، الجنّة وربّ النضر إنّي أجِدُ ريحها دون أُحُد... قال أنس: فوجدنا به بضعاً وثمانين ما بين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بالسهم ، ووجدناه قد مثّل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا أخته بشامة ببَنَانه... رواه البخاري. وعن عَوْفُ بنُ مَالِكٍ قال: "كُنّا عِنْدَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم سَبْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ تِسْعَةً ، فَقَالَ: أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟ وَكُنّا حَدِيثَ عَهْدٍ بِبَيْعَة ، قُلْنَا قَدْ بَايَعْنَاكَ يا رسول الله ، ثم قال: أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟ فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال: أَلاَ تُبَايِعُونَ رَسُولَ الله؟ قال: فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا وقلنا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يا رسول الله ، فَعَلَى مَا نُبَايِعُك؟ قال: (أنْ تَعْبُدُوا الله وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَتُصَلّوا الصّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَتُطِيعُوا - وأَسَرّ كَلِمَةً خَفِيفَةً - ولاَ تَسْأَلوا النّاسَ شَيْئا ، فَلَقَدْ رأيت بعض أولئك النّفَرِ يَسْقُطُ سَوْطُهُ أحدهم ، فَمَا يَسْأَلُ أحَداً يُنَاوِلَهُ إيّاه). رواه مسلم. وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّه عَنْهمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي قُبَّةٍ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَنْشُدُكَ عَهْدَكَ وَوَعْدَكَ اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ لَمْ تُعْبَدْ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ بِيَدِهِ ، فَقَالَ: حَسْبُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، فَقَدْ أَلْحَحْتَ عَلَى رَبِّكَ وَهُوَ فِي الدِّرْعِ فَخَرَجَ وَهُوَ يَقُولُ: سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ). رواه البخاري. وعن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت عجوز إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو عندي ، فقال لها: من أنت؟ قالت: أنا جثامة المزنية ، فقال: بل أنت حسانة المزنية ، كيف أنتم؟ كيف حالكم؟ كيف كنتم بعدنا؟ قالت: بخير بأبي أنت وأمي يا رسول الله ، فلما خرجت قلت: يا رسول الله تُقبل على هذه العجوز هذا الإقبال؟ فقال: إنها كانت زمن خديجة ، وإن حسن العهد من الإيمان". المستدرك على الصحيحين. وإن كنتُ أنسى فلا أنسى وفاء يزيد بن السكن في غزوة أحد عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يردهم عني وله الجنة "؟ فتقدم يزيد بن السكن ودافع عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى سقط شهيداً ، فقال صلى الله عليه وسلم: "ضعوا خده على قدمي ، ثم رفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء فقال: اللهم إني أشهدك أن يزيد بن السكن قد وفّى". رواه مسلم. ويقول عبدالله بن أبي الحمساء ، بايعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يبعث بيعة ، وبقيت له بقية فوعدته أن آتيه بها في مكانه ، فنسيت ثم تذكرت بعد ثلاث ، فجئت فإذا هو في مكانه فقال: يا فتى ، لقد شققت عليّ ، أنا هاهنا منذ ثلاث أنتظرك". رواه أبو داود. وعن الوفاء بالعهد تقول الأستاذة راندا عبد الحميد ما نصه: (يُعد الوفاء بالعهد هي الصفة التي بين الله وبين عباده ، حيث إن الأصل في الإيمان بالله وتوحيده هي العهد ، كما أنه من الصفات التي يجب أن يتصف بها كل إنسان ، كما أن الوفاء بالعهد يعمل على زيادة المودة والمحبة بين الناس ، وانتشار الأفكار الإيجابية بين الأفراد ، كما أن الوفاء بالعهد يعمل على استقرار المجتمع ، وأمان أفراده. والوفاء بالعهد هو الصفة التي التي يتميز بها الإنسان الفاضل ، كما أنها من الصفات التي إذا التزم بها الإنسان صار المجتمع آمناً في كل شيء. الإيمان بالله وعدم الشرك به ، هو العهد الذي اتخذه الله من العباد وهم في بطون أمهاتهم ، وهذا هو أفضل العهود التي يجب الوفاء بها. "الوفاء من شيم الكرام" ، هي مقولة تبين قيمة الوفاء بالعهد ، كما أن الإنسان الكريم هو من يستطيع الوفاء بالعهد. الإنسان الذي يوفي بعهد هو إنسان صالح محبوب بين الناس ، مؤتمن على الأموال والأعراض والأنفس. كما أن الوفاء هو وصية الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث أمر الرسول بالوفاء بالعهد ، بل جعل من يخلف وعده من المنافقين. حيث يقول: "آيَةُ المنافق ثلاثٌ إِذَا حَدَّثَ كذب ، وإذا وعد أخلف ، وَإِذا اوْتمن خَانَ" ، صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

وهذا دليل على قيمة العهد والوفاء به. والوفاء بالعهد هو الالتزام بالاتفاقيات التي تمت بين فردين أو مجموعة من الناس ، ليتم القيام بها في المستقبل ، ويتم ذلك من خلال الاتفاق الشفهي أو الكتابي. وهي قطع بعض الوعود على النفس بالقيام بشيء ما ، كان قد تم الإتفاق عليه. ما هي صور وأشكال الوفاء بالعهد؟! الوفاء بالعهد صور وأشكال كثيرة يستطيع الإنسان أن يوفي بعهد خلالها ومنها ، الوفاء بين الإنسان وربه: وهو أهم وأسمى أنواع الوفاء ، وهو الالتزام بالعهد مع الله عز وجل ، وذلك من خلال الإخلاص لله وحده ، وعدم الإشراك به. والإلتزام بما عاهد الله عليه من طاعته والإيمان به ، وأن يفرد العبودية لله وحده ، والعمل على تنفيذ كل أوامر الله على لسان رسوله. والوفاء بالميثاق من صور الوفاء بالعهد هو الوفاء والإلتزام بالمواثيق والعهود بين الناس ، وذلك بشرط أن يكون هذا الميثاق لا يوجد به مخالفة لله ورسوله. وأغلظ المواثيق التي يجب على الإنسان أن يلتزم به الإنسان هو ميثاق الزواج ، والشروط التي تم الاتفاق عليها. حيث يعرف بأنه الميثاق الغليظ ، يقول الله تعالى: "وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا". والوفاء بالوعود كذلك ، وهو الوفاء بالوعد الذي قطعه الإنسان عن نفسه ، تجاه أحد الأشخاص ، كما يجب عليه أن يوفي بالوعد لأنه من العهود التي يجب على الإنسان الإلتزام بها. والوفاء بالنذر: والنذر هو قيام الإنسان بالتعهد بينه وبين نفسه عن القيام بشيء ما إذا ما تحقق له ما يريد. وهذه العهد لا يعرفه إلا الله والإنسان نفسه ، ويكون من خلال الذبح أو إنفاق بعض المال على الفقراء أو الصيام. كما يجب على الإنسان الوفاء بالنذر حيث قال الله تعالى: (وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فإن الله يعلمه وما للظالمين من أنصار). والوفاء بالدين: وهو الالتزام بعودة الأموال التي قام الشخص بأخذها على سبيل السلف ، كما يجب ردها بأسرع وقت ممكن ، حيث أنه لا يجوز الصلاة على الميت ما دام عليه دين. الوفاء في عملية البيع والشراء: هي وفاء الإنسان عند البيع الشراء وألا ينقص الإنسان من المشتري ، أو يرغب في زيادة حقه من البائع. وتنفيذ الوصايا: يعد تنفيذ الوصايا التي وصى بها الإنسان قبل موته ، من الوفاء بالعهد ، حيث يجب تنفيذ وصية الميت إذا لم تخالف شرع الله. كما يجب غرس هذه القيمة من خلال تعريفهم بأفضل من وفى بالعهد وهو الرسول صلى الله عليه وسلم. كما يجب على الآباء أن يقوموا بالوفاء بالعهود التي قطعوها على أنفسهم لأولادهم ، حتى ينشأ الطفل على الوفاء بالعهود. كما يجب تعليم الأبناء أن الوفاء بالعهود يجب أن يكون للمسلم وغير المسلم ، في الوفاء بالعهد من أخلاق المسلم بغض النظر عن تقديمه لأي إنسان. والوفاء بالعهود يعود على الفرد والمجتمع بكل خير ، حيث يعمل الوفاء بالعهد على، يساعد على نشر الحب والمودة بين الناس لنشر قيم الإخلاص فيما بينهم ، كما يعمل على استقرار المجتمع. ويعمل على زيادة الإنتاج ، وذلك من خلال أن يلتزم كل إنسان بالوفاء تجاه عمله ، حيث يعمل على إتقان عمله. والقضاء على الخلافات والمشاحنات بين أفراد المجتمع الواحد ، مما يعمل على تقدم المجتمع ، والانشغال بالعمل فقط وليس أي شيء آخر. والوفاء بالعهد هو الميثاق بين الله وعباده:- الوفاء بالعهد هو ميثاق أخذه الله على عباده بالإيمان به ، حيث يقول الله تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ، قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا ، أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ). كما أن الوفاء بالعهد من شيم المسلمين تجاه المسلمين وغير المسلمين ، حيث كان الرسول صل الله عليه وسلم يلتزم بالعهود والمواثيق مع الكفار ، حيث التزم بالعهد في صلح

الحديبية رغم الجور الذي وقع على المسلمين. كما أن الوفاء بالعهد هو من الصفات التي توجد في نفوس أصحاب العقول النيرة ، التي تعلم القيمة الحقيقية للوفاء بالعهد. كما أن قيمة الوفاء بالعهد لها من الجلالة والعظمة ، ما جعلها من الصفات التي وصفها الله لرسله حيث يقول: (وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ، إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا). وكم من المواقف الكثيرة في حياة الرسول الذي التزم بها بعهد مع المنافقين والمشركين ، وكذلك مع اليهود الذين نقضوا عهودهم معه بصورة مستمرة ، ولكنه لم ينقض عهده معهم أبداً. وهذا يدل على أن الوفاء بالعهد من الأخلاق التي يلتزم بها المسلم مهما واجهته من الصعوبات التي تعيق دون الوفاء بالعهد. ولكن الطمع وهو من الصفات التي تمنع الإنسان من الوفاء بالعهد خاصة ، في حالة الوفاء بالالتزامات المالية. وبُعد الإنسان عن ربه: البعد عن الله من أسباب انتكاسة الإنسان وعدم وفائه بالعهد ، حيث لا يوجد من يعين الإنسان على الوفاء بالعهود ، إذا كان الإنسان بعيداً عن الله. والمعاملة بالمثل: من الممكن أن يتعرض الإنسان لنقض العهود ، فيكون لديه الرغبة بالمعاملة بنفس الطريقة ، ويتناسى أن الله قد حرم نقض العهود حتى مع الخائنين).هـ. وإذن فكان ينبغي على الإخوة الثلاثة الوفاء بما وعدوا به أبناء عمتهم عند المقبرة من العهد بإرجاع القراريط العشرين التي هي حق أمهم وإرثها! ولا يكون ذلك العهد وهذا الوعد معبراً للهروب من الموقف فقط! وبعد هذا الاستطراد الشرعي الجميل في مسألة الوفاء بالعهود والوعود والعقود ، يطيب لنا أن نشير إلى أن هذه القصيدة كانت وليدة الموقف الذي كان أمام القبر بين فريقين كل منهما يتألف من ثلاثة رجال! ودارت رحى الجدال بين الحق والباطل! بين الحق الذي يعلمه أهل القرية بلا استثناء! والباطل الذي يعلمه كذلك أهل القرية بلا استثناء! وكان على أبناء الميت المجنوز أن يستلهموا الدرس من أبيهم الذي دلس عقد البيع على أخته مدعياً أنها باعت له نصيبها وقبضت الثمن! كان ينبغي على الأبناء أن يروا العبرة في أبيهم الذي فعل ما فعل لينتفعوا هم بالقراريط العشرين ، وليُسأل عنها وحده في قبره ويوم قيامته! ولات ساعة مندم! فتخيلتُ أبناء صاحبة الإرث المهضوم يقولون لأبناء خالهم الظالمين: كفوا عن التجمل الزائف ، فالأمر واضح ، وأنه لا عهد لأحدكم بإنفاذ ما قال! ومضى الأمر على ما هو عليه من المغالطة! وكان الأحرى والأليق بهؤلاء الأبناء إن كانوا ناصحين لأنفسهم ولأبيهم أن يعيد الحق إلى نصابه والقوس إلى باريها ، إبقاء لعرى التواصل!)

يـــا كـــاذبون كفـــى ، لـــن تخـــدعوا البشـــرا ... كفـــاكمُ دجـــلاً ، فـــالحق قـــد ظهـــرا

لا يجهـــل النـــاس أن الظلـــم مـــنهجكم ... وأنكـــم شـــر مـــن ربُّ الأنـــام بـــرا

فـــيم التحايـــلُ ، والخـــداعُ مـــذهبكم؟ ... حبكـــتمُ اللـــؤمَ والتـــدليسَ والـــدَّبَرا!

واحتلـــتمُ فـــي عقـــودٍ نصُّـــها كـــذبٌ ... فعاقـــب الله مـــن أملـــى ومـــن زَبَـــرا

أكلـــتمُ إرثَ أختٍ وُدَّكـــم عَـــدِمتْ ... ويعلـــم النـــاس: مـــن قـــد غـــاب أو حضـــرا

لـــم ترحمـــوا ضـــعفها وضـــنك عيشـــتها ... وضـــيق ذات يـــدٍ يُـــردي مـــن افتقـــرا

عصـــــابة تبعـــــتْ كبيرهـــــا صـــــلفاً ... فـــاقوا المغـــول بمـــا كـــالوه والتتـــرا

وكـــان أعتـــاهمُ فـــي الظلـــم أكبـــرهم ... إذ فـــاق فـــي بطشـــه بأختـــه البشـــرا

خـــان الأمانـــة والعهـــود مجترئـــاً ... وذكّـــروه ، فمـــا اســـتحيا ، ولا ازدجـــرا

والمســـرحية فـــي الأهلـــين أخرجهـــا ... فـــي مســـرح ضـــم - للفضـــيحة - الغجـــرا

وقـــال باعـــت لـــيَ الأرض التـــي ورثـــتْ ... وســـاق للنـــاس - إذ لامـــوه - عقـــد شـــرا!

فعارضـــتْه وقالـــت: لـــم أبعـــك شـــياً ... ولـــيس عنـــدي اتفـــاقٌ كـــان مســـتترا

فـــإذ بـــأكبرهم يُـــدْلي بحجتـــه ... وقسّـــم الإرث ، وانصـــاعوا لمـــن فجـــرا

وضـــاع حـــقٌ ، ولـــم تضـــعْ معالمـــه ... وفـــي المحـــاكم أوراقٌ تفـــيض مِـــرا

حتـــى إذا مـــات أشـــقاهم وأكـــذبهم ... ومِـــن حلـــول قضـــاء الله لا وَزرا

وأســـلم الـــروح جبـــراً لا طواعيـــة ... وأمـــر رب الـــورى - فـــي عبـــده - قـــدِرا

وغســـلوا جثـــة المجنـــوز تحســـبهم ... لا يعلمـــون أضـــاليلاً بهـــا اشـــتهرا

لـــم يصـــطحب درهمـــاً - فـــي الـــنعش - يؤنســـه ... والســـعي ضـــل ، وعبـــد المـــال قـــد خســـرا

وشـــيعوه إلـــى القبـــور مـــا دمعـــتْ ... عـــينٌ عليـــه ، فظلـــم المفتـــري اســـتترا

ولا مناقـــــب إن قيلـــــتْ ستســـــعفه ... بـــل التحايـــلُ - فـــي كـــل القـــرى - انتشـــرا

وجهـــزوه لقبـــر قـــد أعـــد لـــه ... وعنـــده وقـــف الكـــذاب مبتـــدرا

وفاجـــأ الكـــل بالـــدعوى تُجملهـــم ... والنـــاس تـــدرك مـــا مـــن الفقيـــد جـــرى

قـــالوا: ديـــون أبينـــا اليـــوم نحـــن لهـــا ... ونحـــن نجبـــر بـــالأموال مـــا كســـرا

نعطـــي العهـــود هنـــا ، ولا نخـــل بهـــا ... ونســـتجيب لمـــا رب الســـما أمـــرا

ونحـــن أصـــدق مـــن صـــلى وصـــام تقـــىً ... وحـــج بيـــت إلـــه النـــاس ، واعتمـــرا

يـــا أيهـــا النـــاس مَـــن مـــنكم يُصـــارحُنا ... بمـــا لـــه عنـــدنا ، ويَصـــدقُ الخبـــرا؟!

نحـــن الثلاثـــة فيمـــا نـــدعي صُـــدُقٌ ... نخـــاف ربـــاً – علـــى العِبـــاد - مقتـــدرا

ففوجئـــوا بادعـــا أبنـــاء عمـــتهم ... وكـــل فـــردٍ - بمـــا فـــي قلبـــه - جهـــرا

عشـــرون قيـــراطٍ الفقيـــدُ أممهـــا ... بـــدون حـــق ، وحـــاز الأرض ، واحتكـــرا

فهـــل تـــردون مـــا الفقيـــد أممـــه؟ ... أم تشـــجبون قصـــارى القـــول والنـــذرا؟

تـــذكروا النهـــب مـــن عقـــدين قـــد مضـــيا ... لقـــد يعـــين مليـــكُ النـــاس مـــن ذكـــرا

أمـــا الشـــهود فقريتنـــا تُعَيِّـــنهم ... مَـــن قـــرَّ فيهـــا ، ومَـــن قِفارهـــا عمـــرا

رجالهـــا والنســـا والطفـــل قـــد علمـــوا ... ومَـــن سَـــكَنَّ - لفـــرط الغيـــرة - الحـــذرا

والكـــل يعلـــم بالتـــدليس جـــاد بـــه ... عـــمٌّ تعشَّـــق غمـــط النـــاس والبطـــرا

فأعرضـــوا ، وقلـــوب النـــاس تمقـــتهم ... أمـــا كبيـــرهمُ فالمطلـــبَ احتقـــرا

وقـــال: هـــل هـــذه حقـــاً مناســـبة ... وأســـكت الكـــل محتجـــاً ومعتـــذرا

وكـــان أحـــرى بـــه إحقـــاق دعـــوتهم ... حتـــى يجنـــب أبّـــاً ظالمـــاً ســـقرا

قـــد مـــات زيـــدٌ ، وعمـــرو حـــاز نُهبتَـــه ... يـــا ليـــت عمـــراً تـــوخى الحِـــذر ، واعتبـــرا!

ندى

(ندى شابة موفقة ذات مروءة نادرة وشجاعة قل أن يجود بها الزمان! ندى بطلة بكل ما تعنيه الكلمة من معان! ندى شخصية جديرة بالتحليل والفحص والدرس! إنها منظومة أخلاق نادرة في زمان (الكورونا) ، ذلك الزمان الذي غربل الناس كل الناس! لقد محّص الكورونا الناس جميعهم ، وأظهر حقيقة ما عندهم من الخلال والسجايا! فإذا الذي كنا نظنه قبل الكورونا بطلاً مغواراً عملاقاً ، لا يستحق مجرد ورود اسمه على ألسنتنا فضلاً عن مصاحبته ومعاشرته! إن كثيراً من أصحاب الهمم الزائفة قبل الكورونا ، قد قصرت هممهم عن الجود والكرم وإعانة العاجز وإغاثة الملهوف بعد الكورونا! هل هو الخوف من العدوى والإصابة بالمرض؟ أم وجدها أصحاب الهمم الحقيرة والجبناء والأنذال والأراذل والأوباش فرصة سانحة وشماعة رابحة للتنصل من المسؤوليات والمهام؟ وباستقراء الواقع كان الاحتمال الثاني هو الأقرب والأصح! حتى إن أحدهم أنه لم يزر خالته ثمانية أشهر! فعجبتُ لذلك أشد العجب! وتبدأ قصة بطولة (ندى) عندما أتى إحدى جاراتها البعيدات المخاض ، وصارت تصارع آلامه وشدته! وكان زوجها قد غادر إلى (شرم الشيخ) حيث يعمل هناك. وزوجته التي أتاها المخاض لها أهل وعشيرة ، ولزوجها كذلك أهل وعشيرة ، ولكن المسافة بين الدور بعيدة جداً تستغرق نصف يوم تقريباً! وإذن فما الحل وكيف التصرف؟ وزاد حبات الطين بلة إعراضُ الجيران بالإجماع عنها وعن إسعافها والقيام بشأنها ، وخاصة بعد أن أوهمهم البواب النذل بأنها مصابة بالكورونا ، قال لهم ذلك زوراً وبهتاناً وافتراءً على الله! فكتب الزوج على (جروب) البناية التي يسكنها واصفاً حال زوجته وحاضاً إياهم على البذل والجود والمساعدة ابتغاء مرضاة الله ريثما يأتي من (شرم الشيخ)! ولكن كما أسلفنا لم يستجب أحد ولم يجرأ أحد منهم على المبادرة بالمرة! فهل عقمت (حدائق القبة) عن أن تنجب رجلاً ذا مروءة ونجدة أو امرأة ذات مروءة ونجدة؟ فعمد الرجل الحائر البائس المسكين المبتلى إلى جروب بناية مجاورة فلربما وجدت كلماته قلباً ذا مروءة ونجدة وشهامة وشجاعة معاً ، وقد كان له ذلك عندما برزت (ندى) تلك الشابة العشرينية التي قررتْ بذل مروءتها ونجدتها مهما كان الثمن! وكان الزوج دقيقاً في وصفه للمنطقة وللبناية وللشقة! فانطلقت (ندى) مستعينة بالله وحده ومصطحبة هاتفها! وكانت أول عقبة كؤود تواجهها هي أن البواب النذل الوبش رفض فتح البوابة لها! فحاولت إفهامه ولكنه تعلل وقال: أعلم بكل ما تقولين! ولن أفتح لك البوابة! فقالت له: اعلم أن بها جزءاً زجاجياً وإذا لم تفتح فسوف أكسره! فقال: اصنعي ما بدا لك! فكسرت (ندى) الباب ودخلتِ البناية وصعدتْ إلى الشقة ، فإذا بالباب مغلق من الداخل ، وكانت تلك العقبة الثانية الكؤود! فتعقد الأمر أكثر! فعمدت إلى الجيران الذين لم يفتح أحد منهم بابه فضلاً عن أن يبدي أدنى مساعدة! فهددتْ بكسر باب شقة مجاورة! ففتح أصحابها الباب ودخلت (ندى) ، ولاحت لها شرفة في آخر الغرفة ، فلم تشأ أن تضيع الوقت ، فصعدت على سور تلك الشرفة ووصلت للشرفة المجاورة ، وفتحتها لتجد المرأة قد ولدت بنتاً وأغشي عليها فلا تدري عن الدنيا شيئاً ، بينما راحت البنت المولودة لتوها تبكي بجانب أمها المنكوبة البائسة! فاتصلت (ندى) بالإسعاف ، وانتقلت المرأة بابنتها المولودة إلى المستشفى لإجراء اللازم! ونجحت (ندى) في مهمتها ولله الحمد والفضل والمنة! وعاد الزوج يشكر لندى بطولتها ومروءتها وشجاعتها! فاعتذرتْ قائلة: لقد فعلت ذلك يا عماه ابتغاء مرضاة الله! فظل الرجل يدعو لها بصلاح دينها ودنياها! يحدد الأستاذ طلال مشعل خلق إغاثة الملهوف بقوله: (تُعتبر إغاثة الملهوف عملاً من أعمال الخير في الإسلام ، تلك التي ينبغي أن يتنافس فيها المتنافسون ، وقد عُرف النبي

عليه الصلاة والسلام قبل بعثته بمكارم الأخلاق ، ومن بينها إغاثة الملهوف ، وتقديم العون والمساعدة لمن يحتاج إليها ، وقد شهدت السيدة خديجة رضي الله عنها بذلك الخلق الرفيع للنبي ، واستدلّت بحفظ الله لنبيه ؛ بسبب عمله للخير وإغاثته للملهوف ، وجزاء الله لا يكون إلا من جنس العمل ، وقد أكّد النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم - على معاني إغاثة الملهوف حينما بيّن حقّ الطريق على من جلس فيه ، ومن بين حقه أن يُغاث الملهوف ، ويُهدى الضّال ، فقد قال يومًا لقوم مرّ بهم وهم جلوس في الطريق: (إن كنتم لا بد فاعلين فاهدوا السبيل ، وردوا السلام ، وأغيثوا المظلوم) ، وإغاثة الملهوف تكون بصور مختلفة ، فقد يكون الملهوف عاجزاً ، أو مظلوماً ، أو مكروباً ، وواجب المسلم تجاه الملهوف وذي الحاجة أن يقوم بفكّ كربته ، ورفع مظلمته ، ونجدته ، وإغاثته ؛ لأنّ ذلك يعتبر شكراً لله على نعمته ، فصاحب النعمة تكثر حاجة الناس إليه ، ويحتاج إلى أن يُديمَ تلك النعمة بشكر الله تعالى عليها ، وإلا تعرّضت للزّوال. ألا وإنّ فضل إغاثة الملهوف لكبير في الإسلام ، فهي من أعظم القربات إلى الله تعالى ، كما أنّها صدقة من الصدقات ، ومن فرّج عن مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كربات يوم القيامة ، ومن يسّر على مُعسر يسّر الله عليه ، ومن ستر على مسلم ستره الله في الدنيا والآخرة ، وفي الحديث في فضل إغاثة الملهوف: (على كلِّ نفسٍ في كلِّ يومٍ طلعتْ عليه الشمسُ صدقةٌ مِنهُ على نفسِهِ ، من أبوابِ الصدقةِ: التَّكبيرُ وسبحانَ اللهِ ، والحمدُ للهِ ، ولا إلهَ إلَّا اللهُ ، وأستغفِرُ اللهَ ، ويأمُرُ بالمعروفِ ، وينْهى عنِ المنكَرِ ويَعزِلُ الشَّوكَ عن طريقِ الناسِ ، والعظْمَ والحجَرَ ، وتَهدِي الأعْمَى ، وتُسمِعُ الأصَمَّ والأبْكمَ حتى يَفقَهَ ، وتُدِلُّ المستدِلَّ على حاجةٍ لهُ قدْ علِمتَ مكانَها ، وتَسعَى بِشدَّةِ ساقَيْكَ إلى اللَّهْفَانِ المستغيثِ ، وترفعُ بشِدَّةِ ذِراعيْكَ مع الضعيفِ ، كلُّ ذلكَ من أبوابِ الصدَقةِ مِنْكَ على نفسِكَ).هـ. وهذا الذي فعلته (ندى) بطلة قصيدتنا الفذة الرائعة يعتبر درساً عظيماً وعبرة جامعة مانعة في إغاثة الملهوف! وهو عمل دعت إليه المروءة ، ولولا وجود المروءة كخلق لما وجدنا إغاثة الملهوف كأثر إيجابي وإفراز طبيعي من إفرازات تلك المروءة! وأصحاب المروءات لا ينبغي أن يندموا على مروءاتهم لأنهم يتعاملون مع الله وينشدون الأجر منه سبحانه! وهناك ارتباط وثيق بين المروءة والشجاعة! فما من امرئ ذي مروءة إلا وهو شجاع شجاعة نادرة! وبقدر ما يكون مقدار الشجاعة في قلب المرء بقدر ما يكون مقدار الشجاعة الكامنة فيه! وإذن فخلق المروءة وخلق الشجاعة صنوان لعملة واحدة! ويحدثنا الأستاذ محمد المنجد عن خلق الشَّجاعة فيقول ما نصه بتصرف يسير: (إن خلق الشجاعة خُلقٌ عظيمٌ يعيب كُلَّ شخصية لا تتصف به ، وحقيقة الشجاعة: هي الصَّبر والثَّبات والإقدام على الأمور النَّافعة تحصيلاً وعلى الأمور السِّيئة دفعاً ، وتكون الشَّجاعة في الأقوال والأفعال ، وأصل الشَّجاعة في القلب: وهو ثبات القلب وقوته وسكونه عند المهمَّات والمخاوف وثمرة الشَّجاعة ونتيجتها: الإقدام في الأقوال والأفعال وعند القلق والاضطراب ، وكمال الشَّجاعة وزينتها: أن تكون متَّسمةً ومتوافقةً مع الحكمة ، فإنَّ الشَّيء إذا زاد عن حد الحكمة خشي أن تكون تهوراً وسفهاً وإلقاءً باليد إلى التَّهلكة ، وذلك مذمومٌ كما يذم الجبن ، فالشَّجاعة خُلقٌ فاضلٌ متوسِّطٌ بين خلقين رذيلين فما هما؟ الشَّجاعة وسط الجبن والتَّهوُّر ، والشَّجاعة خلقٌ نفسيٌّ ، ولكن لها موادٌ تمدها: وهي قوةٌ وعزيمةٌ في النَّفس تدفع إلى الإقدام بعقلٍ في مخاطرة بقول أو عمل ؛ لتحصيل خيرٍ أو دفع شرٍ ، مع ما في ذلك من توقُّع الهلاك أو المضرَّة ، ولذلك الإقدام بغير عقلٍ ليس شجاعة بل هو جنونٌ وتهوُّرٌ ، والإقدام بغير مخاطرةٍ لا يعتبر شجاعة ، بل هو نشاطٌ وهمَّةٌ وهو شيءٌ طيب ، لكن لا يمكن تصنيفه في خانة الشَّجاعة إذا كان إقدام بغير مخاطرة ، وإذا كان الإقدام لا لتحصيل خيرٍ ولا لدفع شرٍّ فإنَّه تهوُّرٌ مذمومٌ أو هو هلاكٌ ، مثل: المنتحر الذي يرمي بنفسه من عُلوٍّ مثلاً: فيه إقدامٌ فلولا قوَّة

الإقدام ما رمى نفسه ، لكن حيث إنَّ هذا الإقدام وهذا الرَّمي ليس في تحصيل خيرٍ ولا في دفع شرٍّ فلا يمكن تصنيفه في خانة الشَّجاعة أيضاً ، بل هو تهوُّرٌ مذمومٌ وجنوحٌ في العقل ، ولا شكَّ أنَّ أعلى الشَّجاعة هو التَّقدُّم للتَّضحية بالنَّفس في سبيل الله تعالى ، وقضية الشَّجاعة في النَّفس تحصل عندما تطغى المخاوف ؛ لأنَّه لا توجد نفسٌ إلَّا وفيها مخاوفٌ ، فمتى تحصل الشَّجاعة؟ عندما تنسى المخاوف أو يكون في النَّفس أشياءٌ تطغى على المخاوف وتتجاوزها ، فعند ذلك يحصل أثرُ الشَّجاعة والإقدام ويظهر التَّقدُّم! فإذاً هناك مركَّباتٌ نفسيةٌ في الإقدام ، فالحكمة والفائدة من تغطية المخاوف وزوالها والتَّغلُّب على المخاوف. وبحسب خلط نسب هذه العناصر تزداد الشَّجاعة أو تقل ، ثُمَّ إنَّ الشَّجاعة لا تستمر بعد وقوع الآلام إلَّا إذا دعهما خلقٌ مهمٌّ وهو الصَّبر ؛ لأنَّ بعض النَّاس يكون شجاعاً في أول الأمر ، فإذا جاءت الآلام تراجع ، فإذاً الشَّجاعة لن تكتمل إلَّا إذا كان هناك خُلقٌ آخر مرافقٌ وهو خُلق الصَّبر).هـ. ويتساءل الأستاذ المنجد في مقام آخر عن اجتماع الشجاعة والجبن في شخصية واحدة فيقول ما نصه: (ولا شكَّ أنَّ النَّاس يتفاوتون فيما لديهم من شجاعةٍ وجبنٍ في أصل فطرتهم ، ويمكن أن نقول: حتى إنَّ كُلَّ واحدٍ في نفسه شجاعةٌ وجبنٌ ، ولكن بعض النَّاس عندهم درجة الشَّجاعة عاليةٌ والجبن منخفضٌ جدَّاً ، وبعض النَّاس بالعكس ، فما من شجاعٍ إلَّا وتكون لديه نسبةُ جبنٍ فطريٍّ ، وما من جبانٍ إلَّا لديه نسبةُ شجاعةٍ فطريَّةٍ ، فبأيِّ شيءٍ يحصل التَّفاوت بين النَّاس في الشجاعة؟ بهذا ، فكم نسبة الشَّجاعة في نفسه ونسبة الجبن؟ نحن نعرف مثلاً: حتى طبيَّاً من ناحية هرمونات الذُّكورة والأنوثة: أنَّه إذا طغت هرمونات الذُّكورة ظهرت علامات الرَّجولة: الشَّعر وخشونة الصَّوت والقوَّة ، وإذا طغت هرمونات الأنوثة ظهرت: نعومة الصَّوت وعدم نبات الشَّعر وتكسُّرٌ في المشي ونحو ذلك ، فكذلك قضية الشَّجاعة والجبن في الإنسان: إذا زادت مركَّباتُ الشَّجاعة ظهرت آثارها على الإنسان ، وإذا زادت مركَّباتُ الجبن ظهرت آثارها على الإنسان ، فهذه الأخلاط النَّفسية مثل الأخلاط الجسدية تظهر آثارها في الخارج كما تظهر آثار الأخلاط الجسدية في الخارج ، وعند التَّساوي المحض يكون خُنثى أو مهجَّناً ، أي: شجاعةٌ في جبنٍ ، لا تعرف له سيرة واحدة ، فأنت في الوقت الذي تفاجأ به بشجاعةٍ في موقف ؛ تفاجأ بجبنٍ في موقفٍ آخر ، فهو إنسانٌ مضطربٌ ومتذبذبٌ ، لكن في الغالب: أنَّه لا يستمرُّ على حالٍ واحدةٍ لابُدَّ أن يغلب أن عليه شيءٌ ، حتى الإنسان يكون فيه كفرٌ وإيمانٌ وفسقٌ وطاعةٌ ، لكن لا يستمرُّ مخلَّط دائماً ، بل في الغالب يغلب ويطفو شيءٌ على السَّطح ، وإذا قال الإنسانُ: إذا كانت المسألة إذاً فطرية في النَّفس: فهل هناك مجالٌ لها للاكتساب؟ فنقول: نعم ، لا يُوجد خُلقٌ لا يمكن اكتسابه ، إنَّ العملية الفطرية في الأخلاق الموجودة في النَّفس البشرية مسألةٌ واضحةٌ ، فبعض النَّاس يُولدون شجعاناً ، وبعض النَّاس يُولدون جبناءَ ، لكن لا يعني ذلك أنَّ الجبان لا يمكن أن يغيِّر من طبعه ، بل إنَّ تربية الوالدين قد تفسد الولد الشَّجاع فتجعله خوَّافاً ، فإذاً الإنسان بحسب الظَّروف المحيطة ينمو الخلق الذي طبعه الله عليه: إنَّ فيك لخصلتين يحبُّهما الله: الحلم والأناة [رواه مسلم]. فهل الخصلتان أكتسبهما الرَّجل أو أنَّ الله طبعه الله عليهما؟ الله طبعه عليهما ؛ لكن الخُلق الذي طُبع عليه الإنسان قد ينمو ويزداد بحسب الجوِّ المحيط والتَّربية التي يتلقَّاها الشَّخص ، وقد يضعف ويضمر ويخبو أيضاً بحسب البيئة والتَّربية التي يتلقَّاها الشَّخص هذا الشَّيء الفطري ، كذلك يمكن الاكتساب ، والدَّليل على اكتساب الأخلاق: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: إنَّما العلم بالتَّعلم والحلم بالتَّحلم. [رواه البيهقي ، وصححه الألباني في الصحيحة]. وقال أيضاً: ومن يتصبَّر يصبِّره الله. [رواه البخاري]. ومن يتشجَّع يحصل على الشَّجاعة ، فإذاً: العملية قابلةٌ للاكتساب كحال سائر الأخلاق مع كونها فطرية لكن قابلة للاكتساب وقابلةٌ للزِّيادة وللنِّقص ، فهناك شجاعةٌ فطريةٌ ، وهناك شجاعة مكتسبةٌ أيضاً بحسب

التَّربية ، كما أنَّ هناك جبنٌ فطريٌّ وجبنٌ مكتسبٌ).هـ. وندى بطلة قصيدتنا أبدت من البطولة النادرة ما ينبغي التوقف عنده! ولقد كان الأمر شبه مستحيل عليها! ولكنها باستعانتها بالله ثم بشجاعتها وإقدامها تم لها الأمر! نعم ، تم لها الأمر لما بذلت وضحت وخاطرت وغامرت! وكثير من التضحيات تؤتي أكلها بعد أن يكون أصحابها قد بلغوا في الجود بها مبلغاً عظيماً ولا شك! لقد فرضت (ندى) شخصيتها على قلمي الشعري! فوجدتني لم أبالغ في وصفها نثراً ولا شعراً! ذلك أن بعض المبالغات قد تزهق روح النص الشعري ، ولكن في قصيدة (ندى) كانت المبالغة على نقيض ما أريد منها! تحت عنوان: (دلالة المبالغة الممتنعة على الأحوال النفسية في مدح الشعراء للخلفاء - أبو نواس نموذجًا) يقول الأستاذ الناقد عصام عبد الحافظ عبد العال عبد الحافظ ما نصه: (إن المبالغة تحليق خيالي بالعبارات غايته زيادة المعنى ، وهي مذهب من مذاهب العرب في الكلام ، ومرجعها إلى أمور نفسية تنبع من مشاعر الشخص وأحاسيسه ، تدعوه للمبالغة في أقواله لتصل إلى مشاعر المتلقي وأحاسيسه ولا ضير في ذلك ، فقد يكون المقام يتطلب التوسع في الكلام والوصول إلى صورة مثالية تتضمن أسمى المعاني وأرقاها ، ولكن الضير كل الضير أن يبالغ المتكلم ، فيخرج بمبالغته إلى حدود منزلقات في الأعراف ، والعادات ، والدين ، ولقد ربط كثير من النقاد بين عقيدة الشاعر ومبالغاته ، واتخذوا منها دليلًا على ضعف دينه ، وقلة إيمانه ، باعتبار أن كلامه يعد ترجمة لما في نفسه ، وقيمه ، ومبادئه. ولست بهذا البحث أريد الخوض في هذه القضية ؛ لأن البحث عن عقائد الناس وبخاصة الشعراء من خلال كلامهم أمر يحفه خطر شديد ، كما أن البحث عن عقائد الشعراء في أشعارهم ينبغي أن يقع خارج نطاق اهتمام النقد الأدبي ، والبحث البلاغي ؛ لأننا مع ما فعله ابن الزبعري ، وكعب بن زهير ، وغيرهما بتعرضهم لشخص رسول الله - صلي الله وعليه وسلم - في شعرهم إلا إننا ما زلنا ندرس شعرهم في ميدان الدرس البلاغي والنقدي ولكن الغرض الرئيس من هذه الدراسة هو الوقوف على الأحوال النفسية للشاعر التي جعلته يلجأ إلى مثل هذه المبالغات التي أوقعته في دائرة الإلحاد - والعياذ بالله - مع العلم يقينًا بأن هذه المبالغات - مع ما فيها من فسحة خيالية - لا تغفر له مثل هذا لا عند الله - عز وجل - ولا عند الناس ، وعلى هذا الأساس جعلت عنوان بحثي هذا (دلالة المبالغة الممتنعة على الأحوال النفسية في مدح الشعراء للخلفاء أبو نواس نموذجًا).هـ. وكانت هذه القصيدة العذبة تحية شعرية لها على بطولتها النادرة ، وبذلها المنقطع النظير ، وإقدامها الفريد ، وإغاثها للملهوف والمغامرة والمخاطرة! إنه لشرف لي أن أكتب عن (ندى)! وأنا على يقين أن دينها الحنيف زاد من مروءتها الفذة! ليصدق قول النبي – صلى الله عليه وسلم: (الناس معادن) وندى معدن أصيل!)

أوصـــافكِ اســـتعلتْ علـــى الأقـــلامِ ... والألســـنُ اعتجـــرتْ بكـــل كـــلامِ

الشـعرُ يفخـر - فـي الـورى - بـكِ يـا (نـدى) ... ويـــراكِ فخـــرَ عقائـــل الإســـلام

هـــذي الشـــهامة لا ســـبيل لوصـــفها ... حتـــى ولـــو فـــي عـــالم الأحـــلام

يـا مـن أصـبتِ - مـن الشـهامة - أوْجَهـا ... وكـــذا أصـــبتِ ذؤابـــة الإقـــدام

يـا مـن وعيـتِ - مـن الشـجاعة - كُنههـا ... ثـــم انطلقـــتِ بهمـــة الضـــرغام

غـــامرتِ لمَّـــا قـــال عزمُـــكِ غـــامري ... كـــي لا يُصـــاب بوصـــمة اســـتذمام

خـــاطرتِ لمـــا قـــال وعيُـــكِ خـــاطري ... لـــم تُنصـــتي لمآخـــذ اللـــوام

وذهبـــتِ للبـــواب فـــي جُـــنح الـــدجى ... ذاك الـــذي لمَّـــا يجُـــدْ بســـلام

لـــم يفـــتح البـــاب الـــذي هـــو موصـــدٌ ... فقصـــدتِ فـــتح البـــاب بالإرغـــام

فكســـرتِ ألـــواح الزجـــاج لتـــدخلي ... والنـــاس - عنـــد البـــاب - كالأصـــنام

ذهلـــوا لِمَـــا نظـــروا ، أتلـــك حقيقـــة؟ ... أم مشـــهد مـــن أعجـــب الأفـــلام؟

وتـــركتِهم وزجـــاجَهم وذهـــولهم ... ثـــم انطلقـــتِ لغايـــةٍ ومُـــرام

فأهبـــتِ بـــالجيران أن يتعـــاونوا ... لكـــنهم صـــدموكِ بالإحجـــام

لـــم يفتحـــوا بابـــاً ، ولـــم يتحمَّســـوا ... فوعظـــتِ أطيـــبَهم بعـــذب كـــلام

فـــدخلتِ إذ لاحـــت هنالـــك شُـــرفة ... فصـــعدتِ فـــوق ســـياجها المتســـامي

ونزلـــتِ شـــرفة جـــارةٍ مكلومـــة ... فوجـــدتِها وَلـــدت بـــلا إيـــلام

لكنهـــا - بعـــد الـــولادة - غيبـــتْ ... وبُنيـــة تبكـــي لفقـــد طعـــام

فبـــذلتِ معروفـــاً ، ولـــم تنـــي همـــة ... بـــذلاً تقاصـــر عنـــه كـــل هُمـــام

ونشـــدتِ إســـعافاً يقـــوم بـــدوره ... فـــأتوْا بقـــوم مُســـعفين كِـــرام

والبعـــلُ جـــاء يَشـــيدُ بالفَضـــلى التـــي ... قامـــت بمـــا يرجـــوه خيـــر قيـــام

ويقـــول: مشـــكورٌ جميلـــكِ يـــا (نـــدى) ... والأجـــرُ عنـــد الواحـــد العـــلام

أنـــا يـــا (نـــدى) - عـــن بعـــض شـــكركِ - عـــاجزٌ ... فتقبلـــي منـــي الثنـــا وســـلامي

لـــكِ قـــد دعـــوتُ الله صـــبحي والمســـا ... والـــرب يُكـــرم غايـــة الإكـــرام!

الخاتمة

الحمد لله رب المشارق والمغارب ، لو أن الثناء لربّ الأرض والسماء ، وكُتِبَ بدماء الأولياء ، على خُدود الأحياء ، لقرأت في تلك الخدود ، صحائف من مدح المعبود ، صاحب الجود ، بلا حدود. ألسنة الخلق أقلام الحق ، فما لها لا تنطق بالصدق ، وتوحِّده بذاك النّطق. لا تمنّ عليه دمعة في محراب ، فقد مُزّق من أجله عمر بن الخطاب ، ما لك إلى عبادتك الزهيدة تُشير ، وقد نُشِرَ الأولياء في حُبّه بالمناشير. فاز بلال لأنه ردد أَحَدٌ أحَد ، ودخل الجنّة لأنّه أَحَبَّ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) ، ومدح الله سبحانه فقال: (اللَّهُ الصَّمَدُ) ، فلما زيد عليه في البلاء قال للمشركين مثنياً على ربه: فردٌ صمد ، وزادوه فقال لهم: (لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ). سبحان من تحدَّى بالذُّبابِ المشركين ، وضرب العنكبوت مثلاً للضالين ، وذكر خلقه للبعوض إزراءً بالكافرين ، وحمَّل الهدهد رسالة التوحيد فجاء بخبر يقين ، وأهلَكَ من أجل ناقته أعداءه المعارضين. خلق الأبرار والفجّار ، والمسلمين والكفّار ، والليل والنهار ، والجنة والنار ، وأنزل كل شيء بمقدار. في القرآن برهانه ، في الكائنات امتنانه ، للمؤمنين إحسانه ، في الجنة رضوانه ، عَمَّ الكون سلطانه ، اللهمَّ يا ذا العرش المجيد ، أنت المُبدئ المُعيد ، أنت الفعال لما تريد ، أنت ذو البطش الشديد ، أهلكت فرعون وثمود ، وهزمت الجنود ، فاللهم عليك بالفراعنة الذين بأسهم اليوم موجود ، وطغيانهم مشهود ، لا يقدر عليهم سواك يا ذا القوة المجيد. ربنا لا كفءَ لك ولا نَدِيد ، كوَّرت الليل على النهار ، وجعلت النور في الأبصار ، وحَبَّبتَ العبادة إلى الأبرار ، وأجريت الماء في الأشجار ، أنت الملك الجبّار ، والقوي القهّار ، والعزيز الغفّار ، أسألك بالأسماء التي هي بالحسن معروفة ، وأسألك بالصفات التي هي بالسموِّ موصوفة. عن كل عيب تنزّهت ، وعن كل نقص تقدّست ، وعلى كل حال تباركت ، وعن كل شين تَعَاليت. منك الإمداد ، ومن لدُنك الإرشاد ، ومن عندك الاستعداد ، وعَليك الاعتماد ، وإليك يلجأ العباد ، في النوازل الشداد. حَبَوتَ الكائنات رحمةً وفضلاً ، ووسعت المخلوقات حكمةً وعدلاً. لا يكون إلا ما تريد ، تُشكر فتزيد ، وتُكفر فتُبيد. تفرَّدت بالملك فقهَرت ، وتوحّدت بالربوبية فقدرت. تزيد من شكرك ، وتذكر من ذكرك ، وتمحق من كفرك. حارت في حكمتك العقول ، وصارت من بديع صُنعك في ذُهول. أدهشت بعجائب خلقك الألباب ، وأذهلت الخلائق بالحكم والأسباب. باب جود عطائك مفتوح ، ونَوالك لمن أطاعك وعصاك ممنوح ، وهباتك لكل كائن تغدو وتروح. لك السُّؤدد ، فمن ساد فبمجدك يسُود ، وعندك الخزائن فمن جاد فمن عطائك يجود ، صمدٌ أنت فإليك الخلائق تصمد ، مقصود أنت فإليك القلوب تقصد ، تغلق الأبواب عن الطالبين إلا بابك ، ويسدل كل حجاب عن الراغبين إلا حجابك ، خَصَصتَ نفسك بالبقاء فأهلكت من سِواك ، وأفردت نفسك بالمُلك فأهلكت من عداك ، لا نعبد إلا إياك ، ولا نهتدي إلا بهُداك ، أقمت الحُجة فليس لمُعترض كلام ، وأوضحت المحجة فليس لضلالٍّ إمام. شرَّعتَ الشرائع فكانت لك الحُجة البالغة على الضُلاّل ، وبينت السنن فما حاد عنها إلا الجُهّال ، نوَّعت العقوبة لمن عصاك ، وغايرت بين النَّكال لمن عاداك ، جعلت أسباب حياته مماته ، علة إنطاقه إسكاته ، أحييت بالماء وبه قتلت ، وأنعشت الأرواح بالهواء وبه أمتَّ ، أشهد أنك مُتوحَد بالرّبوبية ، متفرِّد بالألوهية ، لك الأسماء الحسنى والصفات العلا ، أنت الملك الحق المبين ، وأنت إله العالمين ، ونصير المستضعفين ، وواهب الأمل للمساكين ، وقاصم ظهور الجبّارين ، وقامع الطواغيت والمُستكبرين. خلق ربي الإنسانَ من طين لازب. ثم جعله نطفة

بين الصلب والترائب. خلق منه زوجه ، وجعل منهما الأبناء والأقارب. تلطف به ، فنوع له المطاعم والمشارب. وحمله في البَرِّ على الدواب ، وفي البحر على السفن والقوارب. نحمَده تبارك وتعالى حمد الطامع في المزيد والطالب. ونعوذ بنور وجهه الكريم من شر العواقب. وندعوه دعاء المستغفر الوجل التائب ، أن يحفظنا من كل شر حاضر أو غائب. وأشهد أن لا إله إلا الله القوي الغالب. شهادة متيقن بأن الوحدانية لله أمرٌ لازمٌ لازب. أرأيت الأرض في دورانها كيف تمسّكتْ بكل ثابت وسائب؟! أرأيت الشموس في أفلاكها كيف تعلقت بنجم ثاقب؟! أرأيت الرياح كيف سخِّرت فمنها الكريم ومنها المعاقِب؟! أرأيت الأرزاق كيف دبرت ، وهل في الطيور زارع أو كاسب؟! أرأيت الأنعام كيف ذُلِّلت وجادت بألبانها لكل حالب؟! أرأيت النحل كيف رشف رحيق الزهور ، فأخرج الشفاء مشارب؟! أرأيت النمل كيف خزن طعامه ، وهل للنمل كاتب أو حاسب؟! أرأيت الفرخ كيف نقر بيضه ، وخرج في الوقت المناسب؟! أرأيت العنكبوت كيف نسجت خيوطها ، وفي الخيوط مصائد ومصائب؟! أرأيت الوليد كيف التقم ثدي الأم دون علم سابق أو تجارِب؟! أرأيت الإنسان إذا ضحك؟! أرأيت كيف تثاءب؟! أرأيت نفسك نائمًا وقد ذهبت بك الأحلام مذاهب؟! إذا رأيت ذلك كله فاخشع فلا نجاة لهارب. إلهنا وخالقنا ، كان لنا أمانان في هذه الدنيا: رسولك – محمد – صلى الله عليه وسلم – والاستغفار من الذنوب والخطايا! وقد مات عبد ورسولك محمد – صلى الله عليه وسلم - ، فلم يعد لنا إلا أمانٌ واحد هو الاستغفار! وها نحن أولاء نستغفرك فاغفر لنا ما علمنا وما لم نعلم! اللهم اغفر لنا ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت! اللهم تب جميعاً علينا يا تواب يا رحيم!

يـــا ربّ عُـــدتُ - إلـــى رحابـــكَ - تائبـــاً ... مُستســـــلماً مُستمســـــكاً بـــــعُراكَ

أدعـــوكَ يـــا ربّـــي لتَغفـــرَ ذلّتـــي ... وتُعينَنـــــي ، وتُمـــــدّني بهُـــــداكَ

فاقبـــل دعـــائي ، واســـتجب لرجـــاوَتي ... مـــا خـــابَ يومـــاً مـــن دَعـــا ، ورجـــاكَ

إلهنا تفردت في ذاتك وصفالتك وأسمائك الحسنى وصفاتك العلى ، تفردت في عطاياك وجودك وكرمك وفضلك! سبحانك لا نحصي ثناءً عليك ، أنت كما أثنيت على نفسك!

ســـبحانه قـــد تجلّـــىَ فـــي تَفـــرّدِهِ ... وفـــي عُـــلاه وفـــي نُعمـــىَ عطايـــاهُ

ســـبحانه ذو الجـــلال الحـــق ، رحمتـــه ... ظِـــلٌّ لقدرتـــهِ ســـرٌ لنَجـــواهُ

مُـــدبّرُ الفلَـــكِ الـــدوّار حامِلـــهُ ... لمُســـتقرٍ لـــه يســـعى ليلقـــاهُ

ونسأل الله العلي القدير أن يحمي هذا الشعر ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، كما ونسأله أن لا يفتن به أحداً عن دينه ، بل اجعله يا رب العالمين سبيلاً إلى هدايتك وطريقاً إلى الإنابة إليك! أنت ولي ذلك والقادر عليه! اللهم واغفر لنا ما كان فيه من زلل كتحسين قبيح أو تقبيح حسن أو ذكر حديث ضعيف أو موضوع عن نبيك – صلى الله عليه وسلم – فقد اجتهدتُ في التحري قدر المستطاع ، ولستُ من أهل الذكر في الحديث! وإنما يكفيني أنني عزوتُ وأسندتُ ما استطعتُ إلى ذلك سبيلاً!

ترجمة الشاعر

(الشاعر/أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصرالعربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية وآدابها - جامعة المنصورة - دفعة مايو عام 1985م. له اهتمام بالغ منقطع النظير بالأدب الجاد شعره ونثره ونقده. وكانت له صفحة يومية بجريدة الوحدة العربية عنوانها: دوحة الوحدة الشعرية ، وهي صفحة تعنى بالشعر في جميع مراحله القديمة والحديثة: نقداً وتحقيقاً ومتابعة وتغطية. كما أن الصفحة تتبنى المواهب المتطلعة لشعر أفضل!

لقد أعانني أحباب وأصحاب قليلون جداً على إنجاز هذا العمل الضخم: (ديوان السليمانيات بأجزائه الثلاثة والعشرين)! كنت قد عاشرتهم بالمعروف! وكتبت عنهم وعن مواقفهم معي في الغربة قصائد شتى! إن الصحبة بالمعروف لا يعدلها شئ. ولكن عندما تكون المودة والتعارف والائتلاف بالناس طريقاً إلى إهدار الدماء وإزهاق الأرواح تكون القطيعة واجبة مادام لا يوجد حل البتة! إن مبدأ (من اليوم تعارفنا ، وننسى ماجرى منا ، ولا كانا ولا صارا ، ولا قلتم ولا قلنا) لا يكون إلا مع الأقوام المحترمين الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، بل يرعون الود ويقوم كل واحد من الفريقين بالدور المنوط به في احترام وحب واحتساب وإقبال على الله تعالى واتباع لشرعه الحنيف. وأما قصيدة (إلى من يهمه الأمر) فأهديتها إلى متعالم مجهال مغالط معاند هو أحد موجهي اللغة العربية أخذ ينال من العربية فتصديت له ، وأوقفته عند حده محتملاً منه ما كنت أتوقعه من سلاطة اللسان والقدح واللغط والغوغائية ولم يكن يتوقع في الحضور أحداً يرد عليه ويلجمه إلجاماً. ولست نادماً على كل لفظ في القصيدة ، بل أجعلها دِرّة عمرية فوق رأس كل من تسوّل له نفسه المريضة البغيضة المهيضة أن ينال من اللغة العربية. وأما قصيدة (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟) فقد عايشت أحداثها لحظة بلحظة ، وتجرّعتُ مرارة ردود أفعالها في كل ثانية كانت تحدث فيها. وإن شخصيّات هذه القصة حقيقية وهم أحياء يرزقون. إن الإحسان الذي جعلني الله سبباً فيه لم يكن للزوجة والأولاد فحسب على حساب الزوج كما يدعي ، بل كان الإحسان للفريقين بالتساوي ، بل كانت كفة الزوج أرجح باعتبارات كثيرة رجاء أن يرضى ويمضي الأمر كله. ومع هذا فقد دفعت وحدي الثمن ، وقوبل إحساني الذي كنت في طياته غارماً بالإساءة والتشنيع واتهام النوايا والتشويش بغير حق بالمرة. ولكن المحتسب يرجو من الله تعالى الأجر ، وإذن ففيم الحزن والقلق مادام أن الله يسمع ويرى ويعلم السر وأخفى؟ وفيم الضجر إذا كان الله قد أراد ذلك كله ، يكافئ ربي على الإحسان إحساناً. والحسنة عنده بعشر أمثالها وتتضاعف إلى سبعمائة ضعف؟ إن الذي يعمل لله واثقاً من ثوابه وأجره الجزيل لا يحزن ولا يخاف ولا يتلعثم أبداً. لكني فقط أعتب على هذا المتشفي بغير حق له في ذلك. وأما قصيدة (غادة اليمن) فقصة فتاة يمنية حقيقية رأيتها في رحلة الحج ، وإذن فهو نقل من الواقع ومحاكاة له لا تزيد. وما أصدق الشعر إن كان محاكاة للواقع وانعكاساً له ونقلاً منه! وأما قصيدة (تذكّروا الجميل) فأهديها للأوباش الذين ليسوا يعترفون بجميل أحد. وأهديها بدوري لكل أوباش لا يقدّرون الجميل ولا يرعون الذمار ولا الود. بل يقابلون المعروف والجميل بالإساءة والنكران والجحود. وأما قصيدة (الاعتراف العقيم) فمهداة لكل من أنكر الجميل ، ثم رأى بأن يعترف ببعض الجميل في ظرف من الظروف حفظاً لماء الوجه من أن

يراق وللكرامة من أن تنتهك! إنه لا يشكر لله من لا يشكر للناس. وأما قصيدة (إن هم إلا كالأنعام) فمهداة لأشخاص حقيقيين كنت أظن أن مشكلتهم في عدم اتباع الحق تكمن في قصر ذات اليد عن شراء الكتاب أو الشريط. فإذا بي أدرك بعد حين أن المشكلة تتلخص في الإعراض عن الله وشرعه ونبيه – صلى الله عليه وسلم -. وأما قصيدة (أريج اليراع الشاعر) فمهداة لصاحبتها الحقيقية أم ماجد من أهالي الحميدية – عجمان ، عندما صاغت قصيدة عامية نبطية بلهجة أهلها ، ولمست في قصيدتها الشفافية والإخلاص مما جعلني أحوّلها إلى عربية غيرة على العربية وكرامة لها ورفضاً للعامية من أي نوع كانت. وأعلم أنني يوماً يدركني الشيب (هذا إن أمد الله في عمري) ، ولا يكون لي رفيق بعد القرآن والسنة سوى شعري هذا! والذي من شبابه أستلهم الشباب وأغتنم الساعات الخوالي لأطالع ما سطرته أيام الصبا والشباب. من أجل ذلك بذلت كل ما أستطيعه اليوم لأسعد خاطري غداً بما كنت صغته أيام صباي!

8 – (الصعايدة وصلوا): وهو ديوان يدافع عن أمجاد الصعيد ، ويظهر للدنيا ما أخفاه الحاقدون عن الصعيد من قيم ووصول إلى القمة في العلم الشرعي والعلم الدنيوي. وصول في الرياضيات والفيزياء والكيمياء والأدب والصيدلة والهندسة والطب والفلك والبيولوجيا والجيولوجيا ، وجميع فروع العلم الأخرى. وذلك بالدليل لا بمجرد العاطفة كما يحلو لكثيرين أن يتصوروا هذه القضية. إن العاطفة لا تكفي وحدها في مقارعة الحجج وسوق البراهين والأدلة. ويقع الديوان في أربعمائة صفحة أيضا من القطع الوسط!

9 – ماسحة الأحذية: وهي قصة امرأة مكافحة مجاهدة تسعى على أيتام وتقوم على شؤنهم. والتقيتُ بها في (كفر سعد) وأمام باب المسجد! وآثرتُ أن أعنون لديوني بمهنتها ليكون عنواناً مستقىً من واقع الحياة. ويقع الديوان في أربعمائة صفحة أيضاً من القطع الوسط!

10 – ذل الجمال: وهي قصة حقيقية مستقاة من الواقع لأحد أصدقاء الشاعر ، كان قد تزوّج امرأة لجمالها فقط. فأذاقه الله الويلات على يدها. ورب ضارة نافعة ، حيث استفاق صاحبنا من غفلته وسكرته ، واستعصم بالله وأبى أن يذل أو يخضع أو يركع أو يسجد إلا له سبحانه. فكتبتُ له هذه القصيدة من باب المواساة ، ثم اخترتُ العنوان ذاته من بين العناوين الأخرى الموجودة في الديوان ليكون عنوانا للديوان. (ذل الجمال). إذ كان يتصور من ذات الجمال تلك - وقد أحسن إليها واحترمها وتفضل عليها صديق الشاعر – أن تحسن إليه وتحترمه وتقدر مشاعره وتبلي في التبعل له والقيام على أبنائه وبناته خير التبعل! إلا أن الواقع قد حكى غير ذلك ، حيث إنها عمدت إلى احتقاره والنيل منه بغير الحق ، والتشفي فيه لعثرات تعثرها في حياته! فكان إذلالاً منها له ملحوظاً محسوساً ملموساً بين الخلق ، يراه ويشهده القاصي والداني. فجعلت منه أضحوكة بين الناس. فأنشدت أواسيه بتلك القصيدة. وأعود إلى قضيتي الأم عبر دواويني تلك وهي دفاعي المستميت عن الشعر العمودي. يقول الأستاذ / إبراهيم صبري: (إن الشعر العمودي أحق باستلهام التراث من الشعر الحر بحكم انتماء الأول إلى الأصالة ، وأما هم فيرجعون إلى غير المألوف وغيرالسليم من التراث ، إنهم يختارون مناطق معينة من التراث تتعارض مع القيم الأصيلة لأمتنا العربية والإسلامية. ولا ريب أن الشعر العمودي باق ما بقيت اللغة العربية الأصيلة وهو لا يتراجع ولا

ينحسر ، فإن انحسر عنه الضوء الإسلامي فذلك لأن الذين يسيطرون عليه للأسف هم أعداء الشعر العمودي) هـ.

*** إن أصحاب اللاشعر المتفلت يتجهون إليه زاعمين ما يلي:**

1 – الثورة على القديم ، ولو كان ذلك القديم متمثلا في اللغة العربية الأصيلة.

2- كون هذا اللاشعر المتفلت بسيطاً وليس بالمعقد. فإن القصيدة الواحدة (وما هي بالقصيدة) يمكن أن تكتب في عدة دقائق محتوية على مئات الأسطر. فهو إذن شعر سهل هين!

3 – كون هذا الهراء تشجعه الجماهير الجاهلة بلغة العرب ، إذ نحن لسنا في زمان إقبال اللغة بل الإدبار عنها.

4 – وجه التشابه بينه وبين شعر الغرب المترجم للعربية. حيث توجد قواسم مشتركة كبيرة بينهما! وهذا محض جهل لأن لكل لغة موادها وأجروميتها واصطلاحاتها!

5 – اتهام اللغة العربية بالجمود وعدم المعاصرة ومن ثم تشويه صورة الأدب العربي ، بما في ذلك الشعر العربي.

6 – تعمد الغموض والإبهام ، والغرق في الرمزية والخيال الفظ.

7 – كون الرمز والغموض طريقاً إلى الهجوم على ثوابت الحق.

- في كتاب (الشعر المتفلت) للدكتور النحوي صـ 91 يقول: (من خلال الشعر المتفلت وتفعيلاته انتشرت معان متفلتة من الأخلاق وقيمها. واستباح بعض أدباء الحداثة الأعراض وتحدثوا عن الجنس بصورة مكشوفة. وسهل عليهم كتابة ذلك.) بل والإكثار منه لسهولة كتابة الشعر الذي ليس بشعر. ومع انتشار ذلك وتكراره أثر في بعض الأدباء المسلمين فتفلت غير واحد منهم في تعبيرات غير كريمة وأساليب غير منضبطة. وأخذوا يبحثون عما يسوّغ لهم ذلك في الإسلام وفقهه. فقالوا: إن الفقيه الفلاني كتب بصورة مكشوفة ، وإن الشاعر الفلاني كتب كذا وكذا ، وضربوا أمثلة لذلك يلتقطونها من التاريخ. وردّنا أن هؤلاء كلهم ليسوا بحجة على الإسلام. وليس النموذج الذي يُتبع في هذا الباب. والنموذج هو ما نتعلمه من الرسول - صلى الله عليه وسلم - الذي قال عنه الله عز وجل: (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) على مدى الدهر. وكذلك من الأدباء والشعراء والخطباء في عصر النبوة ، وكذلك من جُل الصحابة - رضى الله عنهم - الذين ذكرهم الله بالخير في كتابه العزيز ، وتوفى رسول الله وهو عنهم راض. ومن الأنصار والمهاجرين وكذلك من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين ، وليس من خرج عنهم).هـ. إنني أمقت ذلك الهراء ، وأمقت من يحبّذ الدفاع عنه يوماً بعد يوم. وما قد وسِع الشعراء بالأمس فليسعنا اليوم وليسع الشعراء إلى يوم القيامة. وما كان شعراً في تاريخ أمتنا فهو اليوم شعر ، وما كان على شاكلته فهو الشعر. وما لم يكن شعراً بالأمس لا يكون اليوم شعراً ، ولا يكون شعراً إلى يوم القيامة. ويجب أن ننزه أنفسنا عن الابتداع في الدين أو في اللغة. إذ الاعتداء على اللغة اعتداء على الدين.

وأخيراً يمكننا إجمال الكتب والدواوين في هذه القائمة:

1 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
2 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
3 – سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
5 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
6 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات: (ملحمة شعرية ألفية).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
10 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعضوه ، ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – قراءة أسلوبية فى شعر حسان بن ثابت الأنصاري.
16 – قراءة أسلوبية في شعر عنترة بن شداد العبسي.
17 – قراءة أدبية في بعض الدواوين الشعرية.

اللهم انفع بشعري هذا الناس كل الناس قريبهم وبعيدهم ، وأعني على ترجمته إلى الإنجليزية في مقبلات الأيام! وانشر شعري هذا في الأرض كل الأرض! واقبل مني صالحه واغفر لي طالحه!

فهرست المحتويات – ديوان: (دموع التصبر)

فهـــرســـت المحتويات (ديـــوا ن: دمـــوع الـ تـصـبـر)			
مسلسل	اسم القصيدة	ع الأبيات	القافية	البحر	الصفحة
الإهـــداء					7
المـــقـــدمـــة					9
الافـــتـــتـــاحـــيـــة					11
صـــورة الـغـــلاف					13
هـــذا الـــديـــوان					15
1	رمضان شهر الخير	20	هلا	الرمل	17
2	العقد الذي انفرط	25	ذهابها	الكامل	19
3	حر في زمن العبيد	15	الشممِ	البسيط	22
4	رضيعة الحاوية	36	فلتقبلي	المتقارب	23
5	كلتاهما قصّت ضفيرتها	25	والرَشَدُ	البسيط	26
6	غراب البين	52	تتحذلقُ	الكامل	28
7	ضدان ما اجتمعا	26	تحترمُ	البسيط	31
8	من أجل عاشق	27	الغرورُ	الوافر	33
9	الجواب المفحم المبكي	32	الصائلة	المتقارب	35
10	وفية وفاء أبيها	27	عبقريا	الوافر	38
11	بشراك يا منيرة	20	تذكارا	البسيط	40
12	عاشق الزبالة	21	الإمامة	المتقارب	42
13	طلقها زيد ، وتزوجها عمرو لأنها عقيم	37	استبدّا	الخفيف	44
14	المسمى الوظيفي واعظ الشركة	31	أفتخرُ	البسيط	47
15	حسان أشعر منها	63	والمشرقُ	الكامل	50
16	انسي الذي بيننا	27	يتصابى	الخفيف	55
17	يا صاح أدماني الجوى	24	غمومُ	المنسرح	57
18	شؤم العقوق	19	رجيحا	الخفيف	60

19	ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض	28	والهمومْ	المتقارب	62
20	مدين بتسعة وخمسين كلباً	55	الكُرَبْ	الرمل	64
21	جعلهم الله حنفاء له	32	الأتقياءُ	الخفيف	74
22	دموع التصبر	121	ينهمرُ	البسيط	71
23	أب للبيع	33	وأشرارا	البسيط	79
24	أمن يجيب المضطر إذا دعاه؟	73	الطغيانِ	الكامل	83
25	وإن تطيعوه تهتدوا	30	للغربِ	مجزوء الوافر	88
26	عفواً! أرسلت صورتها فقط	21	طويلة	الرجز	90
27	اللهم صل على محمد	30	في الذرى	الرمل	94
28	إشارة أبلغ من الكلام	16	ولا بَكَمُ	البسيط	97
29	طفلٌ أوجز فأعجز	25	سبيلا	الكامل	99
30	العيد يرد على السؤال	33	معقودُ	البسيط	101
31	في ذمة الله	17	ارتجالا	الوافر	106
32	ولا رسول الله	22	الوفا	الرمل	108
33	معاقة ذات همة	19	والاعتدالِ	الوافر	110
34	اخرجي ، ولكن استأذني	19	خيرُ زادِ	الخفيف	112
35	نصرانية تسلم ، وزوجها المسلم غير راض	20	المُطبقُ	الكامل	114
36	مرحى بشهر الصيام	22	والمنكرْ	المتدارك	116
37	جيران أم جدران؟	52	الشِيَمِ	البسيط	118
38	ماتوا ، وعاش الخبر	29	الخبرْ	الرمل	122
39	لستم على شيء	14	واللبَبُ	المنسرح	125
40	جورج والعيد	16	ويحتربُ	البسيط	128
41	أنت جنتي	24	المثلى	الوافر	131
42	طالبات أم القرى (رأس الخيمة)	10	الأملا	المتدارك	133
43	طالبات أم القرى (أم القيوين)	10	الذرى	المتقارب	134
44	ذلك ما كنا نبغ	15	الخيرِ	البسيط	135
45	استرعلى نفسك يا هذا	17	حدودي	الخفيف	137

46	هذه العالمة من ذلك العالم	18	الحنايا	الوافر	139
47	شمس العرب تسطع على الغرب	52	وأمصارا	البسيط	142
48	هكذا الدنيا: يوم لك ، ويوم عليك	20	والأنباءُ	الخفيف	151
49	صدق الأخوة	16	تقتبسُ	المنسرح	153
50	طبيبة تعترف	30	نبيلة	الرجز	155
51	وشهد شاهد من أهلها	35	الظلَمِ	البسيط	158
52	في المعاريض مندوحة عن الكذب	19	يُفتضَحُ	المنسرح	161
53	صدق ، أو لا تصدق	21	يُحرَقُ	الكامل	164
54	دعوة مستجابة	17	بالبَكَمِ	المنسرح	167
55	حقناً للدماء	39	وتوقيرا	البسيط	169
56	وهي تجري بهم	23	الورى	الكامل	172
57	ليتني بقيت أعمى	30	النظرْ	الرمل	175
58	عندما تشفع الدموع	15	هَطِلُ	البسيط	178
59	الحجاج تذله امرأة	16	المِحَنُ	المنسرح	180
60	دعها يا أبي ، بالله عليك	43	وتدبّرْ	المتدارك	182
61	أخونا أغلى من الإرث	35	ووئاما	الكامل	186
62	بشفاعة أم البنين	27	وحيلة	الخفيف	189
63	فليكرم ضيفه	24	الإجرامِ	الكامل	191
64	المبارز العجيب	16	في الصفْ	الهزج	193
65	هل لك إلى خير؟	32	كالمَا	الطويل	193
66	أي شهادة تلك؟	31	محبورا	الخفيف	196
67	عقوق يرتدي ثياب البر	25	مستحيلة	الخفيف	199
68	أو ردوها!	16	الإطراءِ	الكامل	201
69	حزنٌ وأمل	17	الأحداقِ	الكامل	202
70	أبجديات شعرية	260	ق منوعة	البسيط	203
71	بطولة فوق الوصف	24	المتسامي	الكامل	221
72	قبلة بحقها	28	الصِيدُ	البسيط	223

73	المكلومة الصابرة	16	البلواءُ	الكامل	226
74	دموع لا تجف	66	يجري	البسيط	228
75	وفي الحروب نعامة	26	تصطلي	المتقارب	232
76	دمعة على العلم ، لا على الذهب	16	البأساءِ	الخفيف	235
77	أين الثرى من الثريا؟!	34	كالماءِ	الخفيف	236
78	دمعة التوديع	15	الوَقعُ	الطويل	238
79	صريع الراية	15	استمى	الرمل	239
80	لفظته الأرض	14	القبورا	الخفيف	241
81	الحياة أخذ وعطاء	22	ربّي	الطويل	243
82	وما تخفي صدورهم أكبر	24	الدفينْ	الرمل	245
83	عجلة الشعراء	35	ذمّا	الطويل	249
84	ليت لي هذا الحلم	27	كالمستجيرِ	الوافر	251
85	سارقو الأمجاد	53	مُزدانا	البسيط	254
86	شرفت بالإسلام يا عراقية	18	صالحة	الكامل	272
87	الغربة مهر المعالي	17	الجالي	البسيط	273
88	تيس شريف	18	النقيضُ	الخفيف	274
89	متعهدون لا عهد لأحدهم	42	ظهرا	البسيط	275
90	ندى	24	بكل كلام	الكامل	283
الخاتمة					289
ترجمة الشاعر					291
فهرس					295

تم بحمد الله تعالى وتوفيقه ، ولله الحمد والفضل والشكر والمنة والثناء الجميل الحسن!

تنويهٌ هام

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للشاعر

باسم (ديوان السليمانيات) بدار الكتب والوثائق القومية

(إدارة الإيداع القانوني)

16004 / 2006 في يوم 6 – 8 – 2006م

بطاقة فهرسة بدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشؤون الفنية

800 - 811

نبذة عن أحمد على سليمان عبد الرحيم

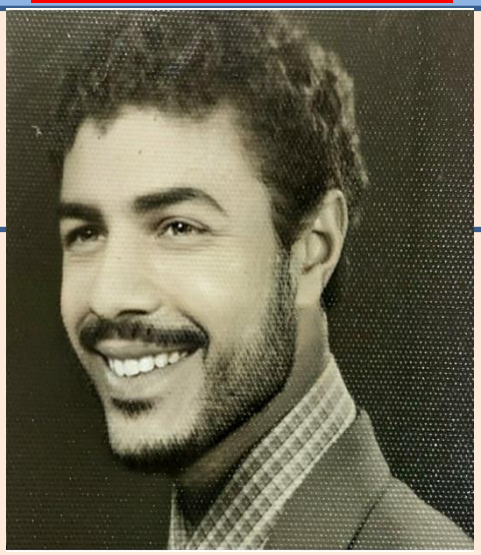

(الشاعر والكاتب والناقد / أحمد علي سليمان عبد الرحيم ، ولد في جمهورية مصر العربية - محافظة بورسعيد - تقاطع شارعي روس وأسوان ، في يوم 15 / 10 / 1963م. تخرّج في كلية الآداب – قسم اللغة الإنجليزية - جامعة المنصورة - مايو عام 1985م. والشاعر بدوي صَعيديٌ قح أباً وجداً وأعماماً من بيت خليفة - الكولة - مركز أخميم - محافظة سوهاج. يدعو في أدبه إلى القيم والأخلاق والمبادئ بوسطية ودليل! وهو معلم لغة إنجليزية - لم يُقدمه للناس أحد! وإنما قدمه أدبه وشعره ونثره ونقده بالحسنى - بتوفيق الله – سبحانه وتعالى -!

ويمكننا إجمال الدواوين والقصائد والمجموعات الشعرية والكتب في هذه القائمة:

أولاً: الدواوين الشعرية

1 – نهاية الطريق: (ديوان شعر).
2 – عزيز النفس: (ديوان شعر).
3 - سويعات الغروب: (ديوان شعر).
4 – القوقعة الدامية: (ديوان شعر).
5 - ترنيمة على جدار الحب: (ديوان شعر).
6 – الأمل الفواح: (ديوان شعر).
7 – من وحي الذكريات (1): (ديوان شعر).
8 – الصعايدة وصلوا: (ديوان شعر).
9 – ذل الجمال: (ديوان شعر).
10 – ماسحة الأحذية: (ديوان شعر).
11 – دموع التصبر: (ديوان شعر).
12 – عتاب وشكوى: (ديوان شعر).
13 – فأعِضُّوه ولا تكنوا: (ديوان شعر).
14 – الشعر مسبحتي وتغريدتي: (ديوان شعر).
15 – غادة اليمن: (ديوان شعر).
16 – عزة الخير: (ديوان شعر).
17 – منار الخير: (ديوان شعر).
18 – غربة وحَربة وكُربة: (ديوان شعر).
19 – الطبيبتان: (ديوان شعر).
20 – عجبتُ من قدرة الله تعالى: (ديوان شعر).
21 – أعلام الأرض المقدسة: (ديوان شعر).
22 – كالقابض على الجمر: (ديوان شعر).
23 – من وحي الذكريات (2): (ديوان شعر).
24 – خانك الغيث: (ديوان شعر).
25 – الشعر رحمٌ بين أهله: (ديوان شعر).
26 – وداعاً أيها القريض! (ديوان شعر).

ثانياً: الكتب الأدبية والنقدية

1 - قراءة أسلوبية في شعر الصحابي الجليل المخضرم: حسان بن ثابت الأنصاري (رضي الله تعالى عنه).
2 – قراءة أسلوبية في شعر أحد أغربة الجاهلية: عنترة بن شداد العبسي.
3 - السيرة والمسيرة (دراسة نقدية لحياة التابعية الأميرة: زبيدة بنت جعفر بن المنصور) (رحمها الله).
4 - ترجمة الشاعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم.
5 – ثلاثمائة سؤال وجواب في سيرة النبي – صلى الله عليه وسلم -!
6 – إن من الشعر حكمة! (مجموعة من الأبيات الشعرية لآخرين تأثرتُ بها في حياتي العملية والعلمية)

ثالثاً: القصائد الشعرية ذات الشأن

1 – الشاعر ليس نبياً ليكون شعره وحياً!
2 – القاتل البطيء (التدخين)
3 – بين شوقي وحافظ!
4 – ثاني اثنين إذ هما في الغار
5 – عُمَير بن وهب الجمحي – رضي الله عنه -.
6 – لو كان له رجال! (سيرة الحاجب المنصور)
7 – من أجل زوجي!
8 – هشام الشريف (القاضي المصري الرحيم)
9 – فرانك كابريو (القاضي الأمريكي الرحيم)
10 – يا ليل الصب متى غده! (معارضة للقيرواني)
11 - يزيد بن معاوية (ما له وما عليه)
12 – رباعيات الخيام اليمنية (معارضة لعمر الخيام)
13 – ابتسم! (معارضة لإيلياء أبو ماضي)
14 – إبراهيم مصطفى صديقاً وصهراً
15 – أبو غياث المكي – رحمه الله –
16 – أتيناكم! أتيناكم!
17 – أحمد الجدع مؤرخاً وشاعراً ونحوياً وناقداً
18 – أستاذي قال لي! (عريف الكُتاب – رحمه الله -)
19 – قراءة في أوراق الماضي (القصيدة الوحيدة من شعر التفعيلة)
20 – أسماء الله الحسنى
21 – الآن طاب الموت (السلطان سليمان القانوني)
22 – التلون أخو النفاق من الرضاعة
23 – موقع (الديوان) منتجع الشعراء
24 – (الزاهية) تحدثنا عن نفسها
25 – أبجديات شعرية
26 – الشعر رحِمٌ بين أهله
27 – الله يرحمُ مُزنة
28 – رسالة شعرية إلى أم يوسف
29 – امتَهنوا فما امتُهنوا! (علماء السلف رحمهمُ الله)
30 – تراني عندما أرى لحيتك!
31 – لا فضّ فوك يا دكتور بدر العتيبي!
32 – بُردة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –
33 – بردة عائشة بنت أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما –
34 – بردة عثمان بن عفان – رضي الله عنه –
35 – بردة علي بن أبي طالب – رضي الله عنه –
36 – بردة عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –
37 – بردة فاطمة بنت محمد – رضي الله عنها –
38 - بكائية إسماعيل علي سليم (فقيد التربية والتعليم)
39 – نعم الميّت ، ونعمت المِيتة! (رثاء فقيد الأزهر الشريف)

40 – تحية رقيقة إليك يا غدير!
41 – تحية أهل الشعر في جروب (أهل الشعر)
42 – تغير الحال أم الخال؟!
43 – تلميذي البار شكراً!
44 – تيس يرث نعجة! (جيء به محللاً فورثها)
45 – ثلاثة أقمار وأنت رابعتهن! (رؤيا عائشة)
46 – جاز المعلم وفه التبجيلا! (معارضة لشوقي)
47 – حادي القلوب (ظفر النتيفات)
48 – حبيبتي أقبلتْ! (معارضة لجاءت معذبتي لابن الخطيب)
49 – حرامية الشعر!
50 – حنين القلب (رثاء الشيخ عبد الباسط عبد الصمد)
51 – حنين بقلبي (معارضة للعشماوي)
52 – خانك الغيث (معارضة للسان الدين بن الخطيب)
53 – رثاء الدكتور الشربيني أبو طالب (معارضة لشوقي)
54 – رثاء الحاجة فاطمة (أم زكريا مجاهد)
55 – رسالة إلى دائنة!
56 – رضيعة الحاوية (رماها أبوها رضيعة فنفعته في كبره)
57 – رفقاً بنفسكِ يا صاحبة الدموع (عائشة – رضي الله عنها -)
58 – رفيدة بنت سعد الأسلمية – رضي الله عنها –
59 – سلطان المجنوني (رائد القصة الهادفة)
60 – سمية بنت خياط – رضي الله عنها –
61 – سنسافر أنا والكتب (عبد الرشيد صوفي)
62 – ضحية تعتب على قاتلها (بعد استشراء ظاهرة قتل البنات)
63 – طبت حياً وميتاً يا أبتاه!
64 – طبت حياً وميتاً يا رسول الله!
65 – طبيب الغلابة (الدكتور محمد المشالي – رحمه الله -)
66 – ظلم الشقيقتين (كفلهما صغيرتين وخذلتاه في الكبر)
67 – عاشقٌ عزيز النفس (معارضة لقصيدة نزار قباني: يا من هواه)
68 – موقع (عالم الأدب) مأوى الشعراء
69 – عجبتُ للنذل
70 – عجبت من قدرة الله تعالى! (معارضة لقصيدة: عجبتُ لا تنتهي)
71 – غادة اليمن (معارضة لغادة اليابان لحافظ)
72 – وربما حار الدليل!
73 – يا جارة الوادي اليمنية (1 & 2) (معارضة لشوقي)
74 – لصوص القريض
75 – لقاؤنا في المحكمة
76 - لوعة الرحيل
77 - مسألة كرامة (تحويل (تبيني صدق لحامد زيد) إلى العربية الفصحى)
78 – كفى تبرجاً وقبحاً (معارضة لقصيدة: أفوق الركبتين للخوري)
79 – مصابيح الدجى (علماء السلف – رحمهمُ الله -)

80 – مكتبة نور مأوى الأدباء والعلماء والشعراء
81 – منار الخير (هدية لجمعية حماية اللغة العربية)
82 – ميلاد أمة بميلاد نبيها (معارضة لقصيدة شوقي: ولد الهدى)
83 – هذا بعض ما أعيش! (معارضة لقصيدة الأميري: أين الضجيج؟)
84 – الأطلال اليمنية (1 & 2) (معارضة لقصيدة الأطلال لإبراهيم ناجي)
85 – الكائنات الفضائية!

رابعاً: المجموعات الشعرية الموضوعية

1 – الغربة سلبيات وإيجابيات
2 – إلى هؤلاء أتكلم!
3 - آمال وأحوال
4 – أمتي الغائبة الحاضرة
5 – أنات محموم وآهات مكلوم
6 – أوبريت هيا إلى العمل (أوبريت غنائي للأطفال)
7 – تحية شعرية والرد عليها
8 – رمضان شهر الخير والبركة
9 – عندما لا نجد إلا الصمت
10 – يا أماه ويا أختاه كفا الدمع!
11 – بيني وبينك!
12 – تجاذبات مع الشعر والشعراء
13 – دموع الرثاء وبكاء الحُداء (1 & 2)
14 – رجالٌ لعب بهمُ الشيطان
15 – رسائل سليمانية شعرية
16 – شخصيات في حياتي! (1 & 2)
17 – شرخ في جدار الحضارة
18 – شريكة العمر هذي تحاياك! (أم عبد الله)
19 – ضدان لا يجتمعان: الشهامة والنذالة (1 & 2&3)
20 – عندما يُثمر العِتاب
21 – فمثله كمثل الكلب!
22 – قصائد لها قصص مؤثرة (1 : 10)
23 – كل شعر صديق شاعره
24 – مساجلات سليمانية عشماوية
25 – مراودة ومعاندة (بين نذل وزوجة أخيه المسافر)
26 – الأميرة زبيدة بنت جعفر بن المنصور – رحمها الله –
27 – الزاهية تحدثنا عن نفسها (مسرحية شعرية من عشرة فصول)
28 – الشهادة خيرٌ من النفوق!
29 – الصبر تِرياق العلل والداءات
30 – الصعيد مهد المجد والسعد
31 – الضاد بين عدو وصديق
32 – العيد السعيد جائزة الله تعالى
33 – الغربة دُربة على الطريق

34 – الغيرة غير القاتلة
35 - القصيدة ابنتي
36 – اللغة العربية وصراع اللغات
37 – اللقيط بريءٌ لا ذنب له!
38 – المال والجمال والمآل
39 – المشاكل الزوجية توابل الحياة (1 & 2)
40 – المعلم صانع الأجيال
41 – الوحدة بر الأمان (مسرحية من فصل واحد)
42 – اليُتْم غنمٌ لا غرم
43 – أمومة وأمومة
44 – أهازيج بين الشعر والشاعر
45 – أهكذا تكون الصداقة يا قوم؟!
46 – أهكذا يُعامَل الشقيقُ يا هؤلاء؟!
47 – بين الفتنة والفطنة!
48 – بين هندٍ وزيد!
49 – جيران وجيران!
50 – رب ارحمهما كما ربياني صغيرا! (شاعر يرثي أبويه)
51 – عزة الخير (أم عبد الله)
52 – فداك أبي وأمي ونفسي يا رسول الله!
53 - قصائدي القصيرة المشوقة (1 & 2)
54 – مدائح إلهية شعرية
55 – اليمن في شعر أحمد علي سليمان عبد الرحيم
56 – البُردات الشعرية السليمانية
57 – عيون الدواوين السليمانية
58 – معارضات سليمانية شوقية (معارضاتي لشوقي)
59 – المعارضات الشعرية الكاملة (معارضاتي لبعض الشعراء) (1&2&3)
60 - مقدمات وإهداءات شعرية
61 – من أزاهير الكتب
62 – من الأجوبة المُسكتة المُفحمة
63 – من أناشيد الأفراح
64 – نحويات شعرية
65 – نساء صَقلتهن العقيدة
66 – نساءٌ لعب بهن الشيطان
67 – وتبقى الحقيقة كما هي!
68 - وصايا شعرية!
69 – أم المؤمنين عائشة في شعر أحمد علي سليمان
70 – النفس في شعر أحمد علي سليمان
71 – الأندلس في شعر أحمد علي سليمان
72 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
73 – الدنيا في شعر أحمد علي سليمان
74 – الصحابة في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
75 – العثمانيون في شعر أحمد علي سليمان

76 – المنشدون في شعر أحمد علي سليمان
77 – علماء السلف في شعر أحمد علي سليمان
78 - علماء الخلف في شعر أحمد علي سليمان
79 – رسائل شعرية لمن يهمه الأمر
80 – ماذا قال لي شعري؟ وبم أجبته؟
81 – مواقع متفردة لهمم مغردة!
82 – المرأة في شعر أحمد علي سليمان 1 & 2 & 3
83 – التوبة في شعر أحمد علي سليمان
84 – الحجاج في شعر أحمد علي سليمان
85 – أبو بكر الصديق في شعر أحمد علي سليمان
86 – نصيب طلابي من شعري
87 – حضارة البِطنة لا الفِطنة
88 – إحقاقاً للحق وإظهاراً للحقيقة 1 & 2
89 – لا ينبغي أن ننخدع بلحن القول!
90 – الإدمان ذلك الشبح القاتل!
91 – دعاة الحق في شعر أحمد علي سليمان
92 – المرتزقة في شعر أحمد علي سليمان
93 – القرآن الكريم في شعر أحمد علي سليمان
94 – وترجون من الله ما لا يرجون
95 – قرية ظفر في شعر أحمد علي سليمان
96 – الفاروق عمر في شعر أحمد علي سليمان
97 – الإسلام في شعر أحمد علي سليمان
98 – صنائع المعروف تقي مطارق السوء! (1&2&3)
99 – الموت في شعر أحمد علي سليمان
100 – لماذا؟
101 – (لا) كلمة لها وقتها!
102 – هارون الرشيد في شعر أحمد علي سليمان
103 - أخرْتُ عمّنْ هان رد سلامي! (معارضة لحمزة شحاته)
104 - العشق في شعر أحمد علي سليمان
105 - الحكمة في شعر أحمد علي سليمان (1&2&3)
106 – أين؟!
107 – الحب في شعر أحمد علي سليمان
108 – القلوب في شعر أحمد علي سليمان
109 - الشعر والشعراء في شعر أحمد علي سليمان (1&2)
110 - الطب والأطباء في شعر أحمد علي سليمان
111 – أيومة إلى الأبد!
112 – شتان بين البر والعقوق
113 – الملك والأميرة!
114 - عنوسة مع سبق الإصرار والترصد
115 – الظلم والظالمون في شعر أحمد علي سليمان
116 - النفاق والمنافقون في شعر أحمد علي سليمان
117 - الطبيعة في شعر أحمد علي سليمان

118 – الأميرات الثلاث!
119 – عندما!
120 - تحايا شعرية سليمانية (1&2&3)
121 – القصيدة الزينبية 2

خامساً: الكتب القصصية

شرائح قصصية سليمانية في ثلاثة آلاف قصة وقصة ، مقسمة على ثلاثين جزء ، كل جزء يحتوي على مائة قصة!

سادساً: الكتب الإنجليزية

1. Proofreading Drills (1-12)

2. Reading Drills (1-50)

3. Reading Quizzes (1-111)

4 – Airborn (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

5 - Allied with Green (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

6 - Conversation Skills

7 - Correction Exercise (1-100)

8 - Frederick Douglass (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

9 - Grammar Tasks (1-77)

10 - Harriet Tubman (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

11. Kensuke' s Kingdom (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

12. Punctuation Tasks (1-56)

13. Reorder Quizzes (1-34)

14. Two Legs or One (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

15. Writing Practices (1-76)

16. Eleanor Roosevelt (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

17. Roughing It (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

18. Raymond's Run – Toni Bambara

19. Clean Sweep (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

20. The Treasures of Lemon Brown (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

21. O' Captain! My Captain! (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

22. The Ransom of Red Chief (Story Analyzes with Vocabulary Drills)

In addition to hundreds of social essays to enrich the students backgrounds in English and make them love English! & 77 Translation Passages!